DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190043

UNIVERSAL
LIBRARY

فهرست كتاب خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	٤١	ولاية الشريف بركات بن حسن واستدعاء السلطان برسله له الى مصر
٣	عتاب بن أسيد رضى الله عنه	٤٢	ولاية على بن حسن بن عجلان
٦	ابتداء دولة بنى العباس	٤٢	ذكر اعتناء السلطان الشريف الخ
٦	ظهور النفس الزكية	٤٢	ولاية الشريف على بن حسن ورجوع الشريف بركات الى مكة وولاية الشريف أبى القاسم
١٠	ذكر دخول القرامطة مكة	٤٣	رجوع الشريف أبى القاسم الخ
١٥	ذكر خطبة محمد بن سليمان	٤٣	رجوع الشريف بركات الى مكة الخ
١٦	ذكر دولة الاشراف بمكة	٤٣	استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات
٢٠	انقراض دولة العبيديين	٤٣	وفاة الشريف بركات
٢١	ذكر آخر أمراء مكة	٤٤	تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات
٢١	ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام	٤٤	ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام
٢٨	ذكر من مات من الزحام بباب العمرة	٤٤	ذكر صلاة الشريف هزاع
٣٠	ذكر الفتنة بين العرب والتكارنة	٤٥	ذكر حج السلطان قايتباى
٣١	ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف الخ	٤٦	وفاة الشريف محمد بن بركات
٣١	ولاية الشريف عجلان بن رميثة	٤٦	ولاية الشريف بركات بن محمد
٣٢	ذكر شراكة ثقبة وسند الخ	٤٦	ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات
٣٣	ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر	٤٧	وفاة الشريف هزاع
٣٣	ذكر شراكة أحمد بن عجلان مع أبيه	٤٧	ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات
٣٤	ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لابيه	٤٧	رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة
٣٤	ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام	٤٨	ولاية الشريف حيضة بن محمد بن بركات
٣٤	قصة فرار عنار بن مغامس	٤٩	رواج الشريف بركات بالشرق
٣٥	مشاركة أحمد بن ثقبة لعقيل بن مبارك	٤٩	ولادة الشريف أبى نمى بن بركات
٣٥	ولاية على بن عجلان بن رميثة	٤٩	وفاة على بن بركات بن محمد بن بركات
٣٥	ذكر رجوع على بن عجلان مشاركا لعمان	٤٩	وفاة قايتباى بن بركات
٣٦	موت الشريف عنان بمصر	٥٠	ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم
٣٦	قتل الشريف على بن عجلان	٥١	ابتداء المحمل الرومى
٣٦	ولاية الشريف حسن بن عجلان	٥١	أول ورود حب الصدقة لاهل مكة
٣٨	ذكر الجمل الذى دخل المسجد الحرام	٥٢	وفاة السلطان سليم
٣٨	ذكر الفتنة التى حصلت فى المسجد	٥٢	وفاة الشريف بركات
٣٩	ولاية رميثة بن محمد بن عجلان	٥٢	ولاية الشريف أبى نمى الخ
٣٩	رجوع الشريف حسن فى ولاية مكة	٥٢	جد الاشراف آل مندبل وآل حراز
٤٠	ذكر قيام الشريف بركات بن حسن الخ		
٤١	ولاية الشريف على بن عنان		
٤١	رجوع الشريف حسن فى الامارة		
٤١	ذكر وفاة الشريف حسن بمصر		

صحيفة	
٥٣	قتال الشريف أبي نمي الافرنج بجدة
٥٣	فتنة بين الشريف أبي نمي وأمير الحج
٥٥	وفاة السيد أحمد بن أبي نمي
٥٥	ابتداء مجيء المحمل من اليمن ووفاة الشريف ابي نمي الخ
٥٦	ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالا
٥٨	فراسة الشريف حسن بن أبي نمي الخ
٦١	وفاة داود بن عمر الانطاكي
٦١	وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي
٦١	وفاة الشريف حسن بن أبي نمي
٦١	عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم
٦٢	ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي
٦٢	ما كتب في منشور الشريف أبي طالب
٦٣	وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن
٦٣	وفاة الشريف أبي طالب
٦٤	ولاية الشريف ادريس بن حسن
٦٥	دخول الشريف ادريس وابن أخيه الخ
٦٥	استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز
٦٦	وفاة الشريف ادريس
٦٧	نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية
٦٨	وفاة الشريف محسن بأرض اليمن
٦٨	دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب
٦٩	سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي
٦٩	قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي في السجن
٧١	قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب
٧١	ولاية الشريف مسعود بن ادريس
٧١	دخول السيل المسجد وسقوط البيت
٧١	وفاة الشريف مسعود
٧١	ولاية الشريف عبد الله بن حسن
٧٢	نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده
٧٢	وفاة الشريف عبد الله بن حسن
٧٣	قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله
٧٣	ولاية الشريف نامي بن عبد المطلب
٧٤	دخول مولانا الشريف زيد بن محسن الخ

صحيفة	
٧٤	توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامي في تربة
٧٤	تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى
٧٥	وقوع الفناء في الخيل بمكة
٧٥	منع العجم من الحج والزيارة
٧٧	زيارة الشريف زيد بن محسن المدينة
٧٧	قتلة زفر أفندي قاضي المدينة
٧٨	وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون
٧٩	حدوث سيل عظيم بمكة
٧٩	وفاة الشريف زيد بن محسن
٨٠	جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة
٨٥	ما كتبه الشريف سعد للسيد احمد الخ
٨٧	غريبة
٩٠	ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد الخ
٩٠	ولاية الشريف بركات بن محمد
٩١	صورة كتاب الوزير للسيد حمود
٩١	تهنئة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة الخ
٩٤	وفاة السيد حمود بن عبد الله الخ
٩٧	ابتداء خروج أمير الطلبة للقاء الحج
٩٩	وفاة الشريف بركات
٩٩	ولاية الشريف سعيد بن بركات
١٠٣	ذكر ورود الامر السلطاني الخ
١٠٧	ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعي
١٠٩	الولاية الاولى للشريف سعيد الخ
١١٣	ولاية الشريف أحمد بن غالب
١١٤	ولاية الشريف محسن بن الحسين
١١٧	الولاية الثانية للشريف سعيد
١١٩	الولاية الثانية للشريف سعد
١٢١	ولاية الشريف عبد الله بن هاشم
١٢٣	ذكر قبض محمد باشا على الوزير حيدان
١٢٣	دخول الشريف أحمد بن غالب مكة
١٢٤	وفاة الشريف أحمد بن غالب الخ
١٢٥	الولاية الثالثة للشريف سعد
١٢٨	الولاية الثالثة للشريف سعيد
١٣٦	خروج الشريف سعيد من مكة الخ

صحيفه	
١٣٦	دخول الشريف عبد المحسن مكة
١٣٧	ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن الخ
١٤٢	الولاية الرابعة للشريف سعد
١٤٣	الولاية الثانية للشريف عبد الكريم
١٤٨	الولاية الرابعة للشريف سعيد
١٥٤	ورود أغاة القفطان الخ
١٥٥	دخول الشريف عبد الكريم مكة الخ
١٥٩	عزل المفتي عبد القادر الخ
١٦٥	الولاية الخامسة للشريف سعيد
١٦٦	عدد ولايات الشريف عبد الكريم
١٦٦	وفاة الوزير عثمان جيدان
١٦٧	عدد ولايات الشريف سعيد الخ
١٦٧	وفاة الشريف سعيد
١٦٨	تولية الشريف عبد الله بن سعيد
١٦٩	ولاية الشريف علي بن سعيد
١٦٩	خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد الخ
١٧٠	ولاية الشريف يحيى بن ركات
١٧٠	عزل الشريف يحيى بن ركات
١٧٠	ذكر وفاة الشريف عبد المحسن
١٧١	دخول الشريف مبارك بن أحمد مكة
١٧٣	ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة
١٧٤	ذكر قتل المظلوم بجدة الخ
١٧٥	الولاية الثانية للشريف يحيى
١٧٧	ذكر نزول الشريف يحيى عن شرافة مكة
١٧٨	ذكر الحرب بين الشريف بركات الخ
١٧٩	الولاية الثانية للشريف مبارك
١٨٠	الولاية الثانية للشريف عبد الله
١٨١	عزل الشيخ محمد الشيبي عن سدانة البيت
١٨٣	ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ الخ
١٨٣	وفاة الشريف عبد الله بن سعيد
١٨٤	ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد
١٨٤	ذكر قيام العامة على العجم
١٨٧	ولاية الشريف مسعود بن سعيد
١٨٨	الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله
١٩٠	الولاية الثانية للشريف مسعود
١٩١	عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله

صحيفه	
١٩٣	سبب لعن الرافضة في المنبر الخ
١٩٥	ذكر وفاة الشريف مسعود
١٩٦	ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله
١٩٧	ذكر القبض على الشريف مساعد الخ
١٩٨	ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة
١٩٨	وفاة الشريف جعفر بن سعيد
٢٠٠	ذكر وفاة الشريف مساعد
٢٠١	ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد
٢٠١	نزول الشريف عبد الله عن شرافة مكة
٢٠٢	ذكر وصول الجردة
٢٠٣	ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين
٢٠٤	ذكر سجن مفتي مكة الخ
٢٠٥	رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة
٢٠٧	ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد والوقعات التي بينه وبين عمه الخ
٢١٥	ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد
٢١٥	الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور
٢١٦	زيارة الشريف سرور
٢١٧	القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة
٢١٨	رجوع الشريف سرور من طريق الشرق
٢١٩	ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب
٢٢٠	ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل
٢٢٠	ذكر ابتداء عمارة القاعة التي وجياد
٢٢١	ذكر سجن أهل المدينة أمين الصرة
٢٢١	ذكر عزل وتولية
٢٢١	ذكر موت الوزير ريحان
٢٢١	ذكر ابتداء بناء بيت عرفة
٢٢٢	ذكر التجهيز الثاني لقتال حرب
٢٢٣	ذكر ختان أولاد الشريف سرور
٢٢٤	ذكر مرض الشريف سرور
٢٢٤	ذكر وفاة الشريف سرور
٢٢٥	ذكر ولاية الشريف عبد المعين

صحيفة	
٢٢٥	ذكر ولاية الشريف غالب بن مساعد
٢٢٥	ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه
٢٢٦	ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه
٢٢٦	ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن احمد خان
٢٢٦	ذكر قتل الخطيب
٢٢٦	ذكر الفتنة بين الشريف غالب الخ
٢٢٨	ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم مما يبطل ما ادعوه
٢٤٠	الدعاء المسنون عند الخروج من البيت
٢٥٢	دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه
٢٥٣	ذكر دعاء نور البصر
٢٥٨	دعاء يؤتى به في السفر اذا قبل الليل
٢٦١	غزوات الشريف غالب مع الوهابية وهي ست وخمسون غزوة
٢٩١	الصلح بين الشريف واحد علمائهم الخ
٢٩٣	ذكر بناء قلعة الهندي
٢٩٣	وصول الشريف عبد الله بن سرور الخ
٢٩٤	رجوع الحج الشامي من الطريق الخ
٢٩٤	ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصري
٢٩٤	ذكر أخذ الوهابي ما في الحرة الشريفة
٢٩٥	صدور الامر من السلطان سليم لمحمد علي
٢٩٥	وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي
٣٢٠	ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر
٣٢٠	ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون
٣٢١	ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا
٣٢١	ذكر فتنة جدة
٣٢٣	ذكر زيارة سعيد باشا والي مصر المدينة
٣٢٤	ذكر وفاة السلطان عبد المجيد
٣٢٤	ذكر وفاة سعيد باشا والي مصر
٣٢٤	مسير الشريف عبد الله لقتال عسير
٣٢٤	ذكر وفاة الشريف سلطان بن الشريف محمد
٣٢٤	ذكر وفاة محمد وجيهي باشا الخ
٣٢٤	ذكر ابتداء حفر خليج السويس
٣٢٥	ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا
٣٢٥	ذكر عزل معمر باشا الخ
٣٢٥	ذكر فتنة حوا
٣٢٥	استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير
٣٢٦	ذكر وفاة الشريف شرف الخ
٣٢٦	ذكر عزل خورشيد باشا الخ
٣٢٦	عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد الاكز
٣٢٦	عزل محمد رشيد باشا الاكز
٣٢٦	ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني
٣٢٦	ذكر خلع السلطان عبد العزيز
٣٢٦	ابتداء تعاليم أهالي مكة الحركات العسكرية
٣٢٦	وفاة الشريف عبد الله
٣٢٧	توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين
٣٢٧	عزل تقي الدين باشا وتولية حالت باشا
٣٢٧	طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة
٣٢٧	ذكر الامارة الثالثة للشريف عبد المطلب
٣٢٨	ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا
٣٢٨	ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا
٣٢٨	ذكر عزل أحمد عزت باشا الخ
٣٢٩	كيفية خلع الشريف عبد المطلب الخ
٣٢٩	ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الخ
٣٢٩	ذكر فتنة عرابي بمصر
٣٣٠	ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده حضرة محمد توفيق باشا واليا على مصر

تمت

﴿ هذا ﴾

خلاصة الكلام

في بيان أمراء البلد الحرام من

زمن النبي عليه الصلاة والسلام الى وقتنا

هذا بالتمام تأليف شيخ الاسلام ملك العلماء

الاعلام امام الحرمين وزين الزمان

المرحوم بكرم الله المنان مولانا

السيد احمد بن زيني دحلان

تغمده الله بالرحمة

والرضوان

آمين

٣

قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضي بالعجب العجاب من الاسلوب العجيب والاستطراد الغريب فمن ذلك غروات الشريف غالب مع الوهابيه والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الاشرفيه وقصة دخول القرامطه مكة المشرفة وذكر بعض أحوال السلاطين ومن تولى من الولاة ولاية الحجاز الامين وغير ذلك من اللطائف الادبيه والانساب الهاشميه وليس الخبر كالعيان وستقربه بعد التأمل العينان

خذ ما نظرت ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

﴿ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش التاريخ المسمى بالاعلام﴾

(باعلام بيت الله الحرام وهو تاريخ مكة المشرفه حرسها الله)

﴿الطبعة الاولى﴾

(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجوش عطى بجماليه)

(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)

﴿هجريه﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف واللباس وقبض لعمارة حرمه الامين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له البر السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المرسل عليه قدري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف ﴿وبعد﴾ فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني

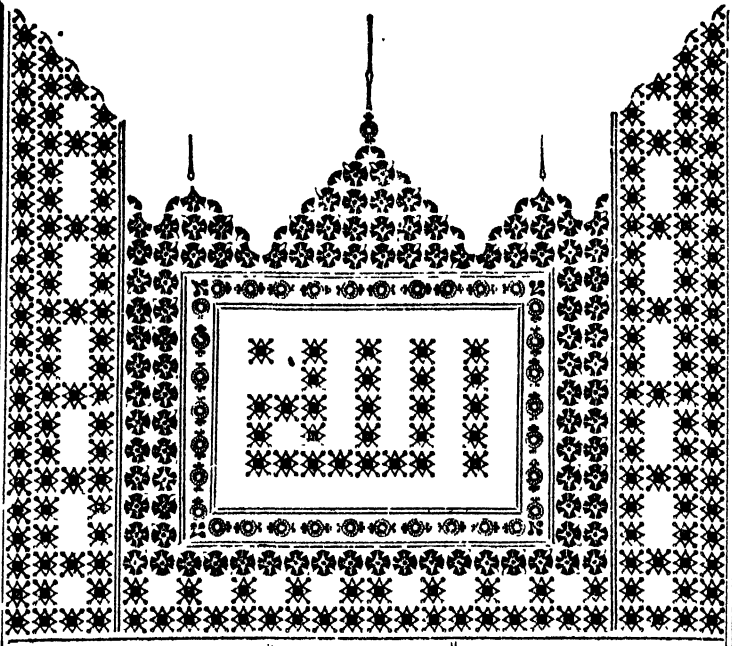

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان ﴿وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾ واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وثمرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتثبتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاة وأنشد

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا ٭ من الندى والردى لم يعرف السمر

من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاجداث فان في ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا لمجال من مضى وغبر واعلاما باب ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء وافادة لمن يأتي بعد من البشر فان من أرّخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أعمارا وبوّأ مسامعهم وأبصارهم (٣) ديارا ما كانت لهم ديارا وأعلم أهل الآفاق ببلاد ما كانت لهم مستقرا ولا دارا

يقال من أرّخ فقد حاسب الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده بحديث دهره ومن قيد ما شهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجدهم وما تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بهم كم فتّت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر في وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ذاكروا الله التاريخ في كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه احياء لذكرهم وما ثرهم فيحصل بذلك التشبيه له صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبي صلى الله عليه وسلم اياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة

﴿عتاب بن أسيد رضي الله عنه﴾

وهو بتشديد التاء وبفتح هموة أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضي الله عنه يوم الفتح فولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين في العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصاري وهبيرة بن شبل رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضي الله عنه وكان معاذ وهبيرة رضي الله عنهما يتداربان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضي الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل والياعلى أهل مكة الى وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وفاته و وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وقيل ان عتابا توفي يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولى امارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه (المحرر بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قفدس عمير بن جدعان التيمي ثم نافع بن الحارث الخزاعي) وخرج نافع هذا مرة للقاء سيدنا عمر رضي الله

فاني أن أرى الديار بعيني
فلعلي أرى الديار بسمعي
وقد أفادنا الامم الماضون
باخبارهم وأطلعونا على
مادثر وبقي من آثارهم
فأبصرنا مالم نشاهده
بابصارهم وأحطنا علما
بما بحط به خبرا باخبارهم
فرحمهم الله تعالى أجمعين
وبوأهم جنات عدن فيها
خالدين وقال
لقد غرسوا حتى أكلنا
وانما
لنغرس حتى يأكل الناس
بعدنا
فأردنا افادة من بعدنا
ببعض ما رأينا وشاهدنا
واعلامهم ببعض ما شاهدنا
وعهدنا استدعاء للدعاء
منهم والاسترحام وطلبا
للمثوبة من الله البر السلام
وقد قلت في هذا المقام
لم يبق منا غير آثارنا
وتسمعي من بعدنا اخلاق
وكلنا صائر جمعنا للفنا
وانما الله هو الباقي

﴿تنبيه﴾ لا يخفى على صغار أولي البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذي هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الارض على كافة بني آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمرا المؤمنين ونقله ورسمه جملة من أكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ما شاهدنا من آخر أيام العصبا الى الكهولة ما عمره المهدي العباسي وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسي ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة تسعمائة وخمسة وتسعين وفارق

السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرممون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة فى أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقى ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يحتمى سقوطه ثم علق وأسند بالاخشاب فى أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على أحسن وضع وأجمل صورة (٤) فامر أن يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب

السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الارضة والقبب أمكن وأزين فى سنة تسعمائة وسبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان الى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول فى جنة عالية فيها عين جارية بها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام فى أيام دولة السلطان الاعظم الهمام أجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوند كار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة من

عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بنى خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضى الله عنه كونه جعل مولى من الموالى واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال يا أمير المؤمنين انه أقرأهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان ما به عمر رضى الله عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أى لعدم علمهم به وممن ولى مكة لعمر رضى الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشى) وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يحج بالناس فى زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولى مكة فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه (على بن عدى بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمى ونافع بن الحارث الخزاعى) المتقدم ذكره وفى أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر سنة خمس وثلاثين فامر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فحج بالناس ولما استشهد سيدنا عثمان رضى الله عنه كان أمير مكة (خالد بن العاص) المتقدم ذكره وولى مكة فى خلافة سيدنا على رضى الله عنه (أبو قتادة الانصارى وقثم بن العباس) وقيل وليها أيضا أخوه (معبد بن العباس رضى الله عنهم) ولما استشهد سيدنا على رضى الله عنه كان أمير مكة قثم بن العباس ولم يتفق لسيدنا على رضى الله عنه أن يحج بنفسه فى زمن خلافته لاشتغاله بالحروب فحج بالناس سنة سبع وثلاثين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وحج بهم سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس وفى سنة تسع وثلاثين حج بهم شيبة بن عثمان الحجبى وسبب ذلك انه قدم مكة يزيد بن شجرة الرهاوى عاملا لمعاوية رضى الله عنه على مكة وأخذه البيعة له بمكة ونازعه عامل على رضى الله عنه ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج بالناس ويحج بهم شيبة بن عثمان واستشهد سيدنا على رضى الله عنه سنة أربعين من الهجرة وولى مكة فى خلافة سيدنا معوية رضى الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومى وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضى الله عنه سنة ستين من الهجرة وولى مكة فى زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة ابن أبى سفيان وعثمان بن محمد بن أبى سفيان والحارث بن خالد المخزومى وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى بن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضى الله عنهما سنة اثنين وستين

خداوند كار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة

فقد ركسرى وايوانه الذى غذى بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصالحين وأمدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وجده ناشر ألوية الامن والامان فى جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الخضمم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة ناقسة فيه وفى عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل أهل الكفر والالحاد

وهدم بعمارة بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القادر فى محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفى ذلك أقول

ان سلطاننا مراد الظل الله فى الارض باهر السلطان ... ملك صار من مضى من ملوك الارض وجا عين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى * ملك سبغ صبغة الانسان ... ملك عادل فكل ضعيف * وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان * على قتل العدو يتبادران ... كل المسجد الحرام بناء * فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والا فلا * انما الملك فى بنى عثمان ولما كان هذا (٥) البنيان العظيم الاركان أثر اباقيا

على صفحات الزمان دالا على عظيم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما أشار اليه الفائل فى سالف الازمان

ان البناء وان تعاظم أمره ... أصمى بدل على عظيم البانى

جمعت فى هذه الاوراق من أخبار ذلك مارق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كانفس الاعلاق فكان كما احسنا فى بابه ممتعا بمن تعلق بأسبابه أنيسا تجمل مؤانسته وجليسا الآمل محادثته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ بانعه وفوائد بارعه ﴿ وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الاعظم الشاب الاعدل

من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستمر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولى مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومى) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشأ أبياتا فبلغت عبد الملك فارسل فى طلبه فجاء وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها قبل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله القسرى) (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة ابن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز) المذكور ثم (محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياش ثم عبد الله ابن قيس بن مخرمة ثم عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى) وذكر ابن حبر أن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا امارة مكة لعمر بن عبد العزيز مع ولايته عن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى) وتوفى يزيد بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهيم بن هشام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل عمه ولى مكة زمن هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين فولى الخلافة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة

الاكرم المطيع لله ولامر خير الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم ولافضل الا فضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وشبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا ولله والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالى والايام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقدرأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب ﴿ الباب الاول ﴾ فى وضع مكة

شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها ﴿الباب الثاني﴾ في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ﴿الباب الثالث﴾ في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام ﴿الباب الرابع﴾ في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام ﴿الباب الخامس﴾ في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد التربيع الذي أمر به المهدي العباسي ﴿الباب السادس﴾ في ذكر من عمره ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ﴿الباب السابع﴾ في ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسمعيل القزلباش ﴿الباب الثامن﴾ في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان السلطان (٦) الاعظم سليمان خان ﴿الباب التاسع﴾ في ذكر دولة السلطان الاعظم الخاقاني حضرة سليم خان الثاني صاحب التكايا والمبانى

﴿الباب العاشر﴾ في ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذي بأجله تأليف هذا الكتاب

﴿الخاتمة﴾ وذكر المواضع والامكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء

﴿المقدمة﴾ في ذكر سند ناقيما ننقله في كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ أن من بركة العلم نسبته الى قائله ومالم يكن هنالك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي ثم قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي ثم المكي مكة ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الاخير ممن أدركناه ولساعده رواية وأما الاولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم أما أبو الوليد الازرقي فروى بسنده مؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدي المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري الخرقاني الدهروني ثم المكي رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضي خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذاك من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر الصوفي عن عمر بن كريا يحيى بن يوسف القرشي اجازة ان أبا الحسن علي بن هبة الله الخطيب عبد الله بن

﴿ابتداء دولة بني العباس﴾

وقام ملك بني العباس فكان أول خلفائهم أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وولى مكة في أيامه عمه (داود بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما ثم وليها أيضا في زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) وتوفي السفاح سنة مائة وستة وثلاثين وولي الخلافة أخوه المنصور وولى مكة في خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبد الله الحارثي) السابق ذكره أيضا ثم عزله وولى مكة (الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولى مكة (السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمسة وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وبايعته الائمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ومن في طبقتهما ووجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) ومعه القاسم بن اسحق والياعلى اليمن يعني القاسم بن اسحق فحرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب اذاخر فانهزم السري ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيرا فاتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة بمن معه ويجبره بعسكر جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبايعه وهو بواحي قديد فقتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة في التواريخ وقيل ان الذي ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السري الى ولايته مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وستة وأربعين فعزله المنصور وولى

ظافر الازدى أنبأه عن أبى طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أنبأنا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيورى قال أنبأنا بها أبو طالب محمد بن على بن الفتح العشارى قال أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبى موسى الهاشمى قال أنبأنا بها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال أنبأنا بها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الازرقى رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى فانى أروى مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبى القاسم محمد العقيلى النويرى المالكى تغمده الله رحمته قال أنبأنى به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقى الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتنى به المسندة المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأنى به الحافظ المسند (٧) شهاب الدين أبو الحسن على بن هبة الله سبط الحيرى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التجيبى كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو على الحسينى ابن محمد الغسانى أحمد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكيم بن محمد الحرانى عن أبى القاسم بن أبى عالب الهمدانى عن أبى الحسن الانصارى عن مؤلفه رحمه الله تعالى

مكة (عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات باسنانه التى ولد بها وكانت قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولى بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهم واستمر الى سنة مائة وثمانية وخمسين وفيها توفى المنصور وولى الخلافة ابنه محمد المهدى فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة مائة واحدى وستين فولى (جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين فولى (عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهى ان محمد ابن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولى مكة أيضا للمهدى وتوفى المهدى سنة مائة وثمانية وستين وولى الخلافة ابنه موسى الهادى وفى أيامه تغلب على مكة (الحسن بن على بن الحسن المثنى بن الحسن السبط) وذلك فى سنة مائة وتسعة وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج ممن بايعه الى مكة فدخل مكة وبلغ الهادى خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج فى هذه السنة فى عدة من قومه وعسكر بذى طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم فلاقاهم الحسين فاقتتلا يوم التروية فقتل الحسين وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الراهر وحمل رأس الحسين الى الهادى فلما رآه تعب ولم يحبه ذلك ومنع الآتين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل بيته سليمان بن عبد الله بن حسن وعبيد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج الاصبهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى فيه باصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم باكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وقدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وكان لا يملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسى وتوفى موسى الهادى سنة سبعين ومائة فولى الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة فى زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم واحمد البربرى وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبد الله ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلى بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى والفضل بن

الباب الاول فى ذكر وصف مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهى المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة

موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضى الله عنه لصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له باران وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل حزل الى أكثر من نصف جبل أبى قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما الازرقى جبل أبى قبيس والجبل الاحمر فانه قال أخشبا مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذى يقال له الاحمر وكان يسمى فى الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان مما يشرف على الجبل المقابل لابى قبيس وقال ياقوت فى معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمى الآن جبل حزل بكسر الجيم وفتح الزاى وتشديد اللام لان طائفة من الجوش يقطنون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم المعروف به بالطل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط

المسجد الحرام بين هذين الجبلين فى وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة اذا أشرف الانسان من جبل أبى قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهى تسع خلقا كثيرا خصوصا فى أيام الحج فانه يرد اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة والحساء ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشجر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعا وأفنيتها وحيالها ووهادها وهى تزيد عمارتها ونقص بحسب الارمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلاء والرخاء وهى الآن بحمد الله تعالى فى دولة السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان) خلد الله ملكه وجعل بساط السيطة ملكه فى أعلا (٨) درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى

الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن فى زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى أنى أدركت الطواف وحدى من غير ان يكون معى أحد مرارا كثيرة أترصده خليا لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده فى جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تطهر مسورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثار على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معها عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد فى جميع الدنيا ولا يشاركه غيره فى تلك العبادة بعينها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله تعالى أعلم بالسرائر ٭ حتى حكى لى والدى رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بجمعية تشاركه فى ذلك الطواف فقال لها من أنت من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبل مائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فانى فزت بالانفراد بهذه العبادة وأنتم طوافه ٭ وحكى لى شيخ معمر من أهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبى قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود خلو المسجد من الناس وهو صدوق عندى وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل جاء

العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمر بن عثمان ابن عفان) رضى الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفى سنة مائة وثلاثة وسبعين جاءت الحبشة فى رمس الحج الى جدة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة فى البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفى الرشيد سنة احدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى الخلافة ابنه محمد الامين فولى مكة فى أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهما فصمت اليه المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضى مدة كتب اليه أهل المدينة يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم رجل من بنى عجل ناسكا كان مقيما بمكة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أتى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن على الاصغر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السرى بن منصور الشيبانى قام بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن) المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا استحل القتال بمكة والله لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الصح فانحاز فى ناحية ثم خرجوا الى العراق وسعد الناس عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من عرض الناس بلا خطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة تخوفا من بنى العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج داود بن عيسى دخل فى عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم صلى بالناس الصبح بالمزدلفة وأقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه قتل أبى السرايا سنة مائتين فحاف تغير الناس عليه فعهد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لحماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه على بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها واقبوه أمير المؤمنين وذلك فى ربيع الاول سنة مائتين وبقى شهورا ليس له من الامر شئ والامر للافطس وعلى بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم

تأتى بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشترى منهم جميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا لبعدهم وبعد ذلك يأخذون أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خائضون فى بحر نعمها واحسانها ونعمته الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمره وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لا الخيل (٩) والجمال والاحمال، وكان بمكة فى قديم الزمان سور

فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن محمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه نقوب للسيل فصيرد ون القامة وهو سمعت قطعة جدار بين الى جانبه سيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى باطر العين باسم المرحوم المغفور السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل فى يوم العطش الاكبر فدام الميزان وجعل على السيل مطرقتها شبابيك من الجهات الاربع ينتزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان فى جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه باب ان بعقدين أدركنا أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شئ الآن ولم يبق منه الا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور فى جهة المسفلة فى درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقى الفاسى رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذى ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذى الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذى الى جهة سوق الليل قال وفى الجبلين آثار تدل على اتصال السور بهما انتهى ولم يبق الآن شئ من آثار السور الذى مطلقا ولعل دور مكة كانت تنتهى الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى أن احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهى رحمه الله تعالى ومن آثار النبى صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلى مكة

جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودى فطلب محمد بن جعفر الديباج الامان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبى ان الجلودى خرج بالديباج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمدا) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن خنظلة المخزومى وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنين وقال الفاسى وولى مكة بعد الجلودى (هرون بن المسيب ثم حمدون بن على بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقى أن يزيد بن خنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولى مكة للمأمون (عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) مع المدينة وممن ولى مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وسليمان بن عبد الله ابن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل) الا أنهم لم يباشروها بل عقد له عليها وممن ولى اللمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله الحسن بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب) رضى الله عنه واستمر الى أن توفى المأمون سنة مائتين وثمانية عشر فولى الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد وولى مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقى الى خلافه المتوكل وولى مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركى) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج ففوض اليه المعتصم ولاية كل بلد يحلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) بأباعه على الحج ودعى لاشناس على المنابر فى الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفى المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفى الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره وولى الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم وولى مكة (على ابن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور) الى سنة مائتين وتسعة وثلاثين فتوفى وليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر فى خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) وأرسل اليها بعض قواده وممن وليها أيضا فى خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمر فى ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبعة وأربعين وولى الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولى الخلافة المستعين بن المعتصم وولى مكة فى أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس) رضى الله عنهما وتغلب على مكة فى أيامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة نزلت بمكة من قبائل نوفل ٭ ونزلت خلف البئر أبعد منزل حذرا عليها من مقالة كاشح ٭ ذرب اللسان يقول مالم يفعل قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود يزار الى الآن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة ﴿وأما حدود هذه الاسوار﴾ فقد قال التقي الفاسي رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الاسوار بمكة ولا من أنشاها ولا من عمرها غير أنه بلغني أن الشريف

أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسني جد سادتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال وأظن أن في دولته عمرا لسور الذي بأعلى مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المطفر صاحب أربل في سنة ستمائة وسبعة ولعله الذي بنى السور الذي بأعلى مكة والله أعلم قال ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان بمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي بأعلى مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة والى باب الماجن يعني درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذي كان موجودا في زماننا طريق المدعى والمسعى ومسيل وادي ابراهيم والسوق الذي يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ومما ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعني الذراع الشرعي وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبي وداعة السهمي أن سعد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتا بمكة وأنشد في ذلك شعرا وأول من بوأ بمكة بيته ٭ وسور فيها ساكبا أثافي وينبغي لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقي وانما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع

عبد الله بن الحسن المثنى فانه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفرا ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فصير به جعفرا دنانير وصرفه في قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولي مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولي الخلافة المعتز بن المتوكل وولي مكة في زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المحرومي) قال الفاسي وممن ولي مكة في خلافة المعتز أو المهدي أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمسة وخمسين وولي الخلافة المهتدي بن الواثق فولي مكة في زمنه (علي بن الحسن الهاشمي) كذا ذكره الفاكهي ولم يرفع نسبه وقتل المهتدي سنة ست وخمسين ومائتين وولي الخلافة المعتمد على الله بن المتوكل فولي مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل العباسي) الملقب برى ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسي ان المعتمد كان قد ولى أبا عيسى محمد ابن يحيى المحرومي ثم عزله بابي المغيرة السابق ذكره فصار بالقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه على رمح وممن ولي مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسي وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولي مكة للمعتمد أحد طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته هذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولي مكة زمن المعتمد (محمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضي محمد بن حار الله في تاريخه وأما ولاتها يعني مكة في خلافة المعتضد ثم في خلافة أولاده المكتفي والمقتدر والقاهر ثم في خلافة الراضي بن المقتدر ثم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عم بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان والياسنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الاثير انه كان والياسنة مائتين وخمسة وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولي مكة في هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشر هانه في مدة عقد هاله ومن ولاتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمداني بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير اني أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها في هذه المدة ابن محلب وقيل ابن محارب ولم تعلم أول ولايته

﴿ذكر دخول القرامطة مكة﴾

عنها ثم قال حدثني جدي عن ابن عيينة عن ابن مثينة الحجبي عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدي للمأمون العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم داره التي بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها انظر ما للكعبة ثم قال الازرقي قال جدي فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى ﴿وأما حكم بيع دور مكة واجارتها﴾ فقد ذكر الامام قاضي خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبي يوسف قال صاحب (١١) الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن أبي حنيفة

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبي طاهر القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحجاج وهبه الاموال لان هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التي ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لا بد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمانية وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف ويصطنع الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمل له رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ثم خفف فقالوا قرمطة ويقال للتابعين له القرامطة وفي تاريخ ابن خلكان القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشى مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطي من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع في الصلاة والاذان وغيرها فاعتقدوا صدقه واعتروا بعبادته وزهده ونقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الا أن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه يحيى ويكنى أبا القاسم وسموه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير وقيل لم يكن محمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا يسمونه يحيى بن المهدي فقصد القطيف ورل على رجل يعرف بعلي بن المعلى وكان من غلاة الشيعة فاظهر له يحيى أنه رسول المهدي وذكر له انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف واقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدي يزعم أنه من المهدي فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابي بتشديد النون كما في تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبي سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر في سنة ست وثمانين ومائتين انه يريد البصرة

أن بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبي يوسف وعليه الفتوى ذكره في عيون المسائل قال قوام الدين في شرح الهداية بيع بناء مكة جائز انتهى قالا بناؤها ملك الذي بناه ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز أن يبيع بناءه فكذا هذا ﴿وأما بيع أرض مكة﴾ فلا يجوز عند أبي حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبي يوسف يجوز وربح الطحاوي قول أبي يوسف وقال رأينا المسجد الذي كان للناس سواء العاكف فيه والبادي لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز البناء فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها

صفة المواضع التي يجري فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا ﴿وأما اجارة دور مكة﴾ فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن يبرلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى وروى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطني باسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروي أنه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان أهل الموسم

لهم ضرورة الى النزول والمقيم لاضرورة له ﴿ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته الى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومساترة وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لاتباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والاوزاعي رضي الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤا سكنوا وأسكنوا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك

فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق في عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد عن معه من الجيوش على نواحي هجر من نواحي البصرة وقوي أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة في التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحي الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جاسام العراق وتوفي المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولي الخلافة بعده ابنه المكتفي وبقي القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في أقطار الارض وتعرضوا للحجاج ومنعوه وقتلوا أكثر الحجاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفي المكتفي سنة خمس وتسعين ومائتين وولي الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقي القتال بينه وبين القرامطة في مواضع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابي رئيس القرامطة وقائد جيوشهم وكان قد عهد الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبي سعيد في الحمام قتله خادم له صقلبي وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنتهم قائمة الى أن دخل أبو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة المجدة اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستحيون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم نحس خبيث طهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا سماها دار الهجرة وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم في أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمجاورين الى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وثلاث مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عبد الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده قيل وهو سكران وسفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تسوقهم الى أن قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ الصوفية في ذلك الوقت الشيخ علي بن بابويه لم يقطع طوافه وجعل يقول منشدا

(ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كقتلة الكهف لا يدرون كم لبثوا)

والسيوف تقفوه الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى وملؤا رؤس الشهداء بئر زمزم وماء مكة من آبار

عمل الناس قديما وحديثا ﴿ وأما أسماء مكة المشرفة ﴾ فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم أمك الفصيل ما في ضرعها أمه اذا لم يبق فيه شيأ ولذلك تسمى المعشوشة أو لانها تنقص الذنوب أو تفنيها ومن أسمائها بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمي عالم الشعر عروضا لان الخليل ابن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلد والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمي الله تعالى مكة بجملة أسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لمحل من قيقعان وفاران والمقدسة وقرية الجل لكثرة عملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادي والحرام والعرش وبره وحفر وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن أسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ونسمى الماشة أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها أسامي غير ما ذكرنا للمجد الفيروزابادي رسالة في أسمائها قال الامام النووي رضي الله عنه ولا يعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعدد كره لاسماء

مكة ومن الخواص اذا كتبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف ﴿وأما فضل مكة شرفها الله تعالى﴾
فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا صلى الله
عليه وسلم أي ماضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض بالاجماع حتى حول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة
والسلام فيه قال الباشكري رحمه الله تعالى جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حازت المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بما علمت * كالنفس حين زكت زكى مأواها ثم اختلف العلما رحمهم الله تعالى في أن مكة
شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد وأصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ولا يرتاب في الفضائل الى أثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته المعظم الذي اذا قصده عباده حط عنهم أقذارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات

وحفر ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب

(أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وافنيهم أنا)

وصاح في الحجاج وهو على فرسه يقول يا حجر أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا ما فعلنا فأحد شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه ولوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصاح الله بركد نفسه في سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع فرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فما أخطأ محزه وخرميتا وأمر آخر مكانه وسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهات الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أدنته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعي ربيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الامن اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما في تاريخ الفطبي فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فادوا بانفسهم وسمحوا بارواحهم ووقفوا بها بلا امام وأتوا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فجمع الجميع مع ما نهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يتظافر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه في بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله وقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك

والارض ولا تدخل الا بإحرام وهي مثوى ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين * رضوان الله عليهم أجمعين * وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام * وغير ذلك من المزايا العظام * ولقد قال القائل

ارض بها البيت الحرام قبلة * لله المبين له المساجد تعدل حرم حرام أرضها وصيودها * والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها * والى فضيلتها البرية ترحل وبها المقام وحوض زمزم مشرعا * والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي المحرم والصفا * والمشعران لمن يطوف ويرمل وبمكة الحسنات ضوعف أجرها * وبها المسيء عنه الخطايا تغسل

وقال الامام مالك رضى الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك رواه الحاكم فى المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿وأما حكم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى﴾ فمذهب امامنا الاعظم أبى حنيفة رضى الله عنه وبعض أصحاب الشافعى وجماعة من المحتاطين فى دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة (١٤) البيت الشريف فى نظره وقلة الاحترام بالانس والنشط الى أن يذهب من قلبه الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى فى نظره كسائر القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى فى نظره كما هو شأن سائر الناس فى الاكثر الامر عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم فى وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها فى نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضى الله عنه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول ياأهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم فى قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجى من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشئ سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل ابو

وكم من بعيد الدار نال مراده ● وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل الهم الا مكة وهو قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما المقام بالطائف وحوالية على مكة وقال لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الى من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيئات بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريرى سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطنى فأعاننى على ظاهرى وبقى أبو عمر الزجاجى الصوفى أربعين سنة لم يقض حاجته

العام وسار برندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا ● لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حجبنا حجة جاهلية ● محللة لم نبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ● جنائز لا تبغى سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه فى الاسطوانة السابعة مما يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد المذكور وبقى موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يصح الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمسه وفى تاريخ الخميس أن أباطاهر القرمطى دخل مكة الناس قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أباطاهر القرمطى أراد أن يخطب لعبيد الله المهدى أول الخلفاء العبديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدى فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أحب الخطب ارسالك بكتيبة البيها عهما ارتكبت فى بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذى لم يزل محترما فى الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذى هو يمين الله فى الارض يصافح به عباده وحملته الى مملكتك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم فى يومه ما ينحو به فى غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدى الى أبى طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلدهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشدهن فى الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد ودمعت فقدتها فى الحاضر والباد الى أن دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس ورماه الله بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله ومات أشنع ميتة الى دار الخلود وتعذب بانواع البلاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطى فى يوم النحر عاشر ذى الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة

البشرية فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا يروى عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق فى مصنفه * وروى عن وهب بن الورد المكى رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلى فى الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار خفيا فاستمعت فاذا هى تناجى وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى ممن حولى من سمرهم وتفكههم باللعوذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغى لهم والله والعبث لئن لم ينتهوا عن ذلك لا تفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه * وسئل الامام مالك رضى الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان (١٥) الناس الا على الحج والرجوع

أبو جعفر محمد بن الحسن فأخرجوا سفط فيه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة فى طوله وعرضه لضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضروا حصايا شد به فوضع حسن بن المروق البما الحجر فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه باسم ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر ففيلهم واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك الشيخ محمد بن رافع الخراعى ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله فى الحجر الشريف وكانت مدة استتاره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى أرسل لاحد رؤس أبى سعيد القرمطى أخى أبى طاهر بخمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فابوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذى ذكرناه قال العلامة القطبى فى تاريخه وفى التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمد ما عليه فعض عليه بالنواجذ قال القطبى ثم ان الحجبة تحاموا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصونا ممن أراده الله بسوء ثم أمر صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبع وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة فى التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن ولیها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقد له بها ولولديه (أبى القاسم وعلى) وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسى ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة وانما ولوها بعقد من المكتفى ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيد عصرو ممن ولى مكة (القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى) وذلك سنة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلى بن الاخشيد هذا ما تحصل من الكلام على ولاتها فى هذه المدة

﴿ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوى لنفسه بمكة﴾

وفى سنة ثلاثمائة وواحد وقع فى الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوى خطب لنفسه بالامامة فى مكة وخلع طاعة العباسيين وكان أول خطبته الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز

وفهم اس رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده واطلاقه لا يقتضيه والله تعالى أعلم * وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة فى قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس * وحكى الفاسى فى منسكه عن المبسوط ان الصوى على قولهما * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام * وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذى يعمله فى سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهى رحمه الله تعالى ومحصل مذهب اليه أبو حنيفة رضى الله عنه من كراهة المجاورة مبنى على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته فى عينه وقلبه كما كان عند دخوله فى الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك فى تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك فى تردد الاولياء اليها فى الاوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أو لمحه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام * وكان دأب والدى رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمى جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت

الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لابد أن يحجوا فى كل سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة فى أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى فى ذلك اليوم وأجلس فى الحطيم ربما أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظرى الى أحدهم أو يقع نظره على فيحصل لى بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكنا نذهب به ونجلسه فى الحطيم ويقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم على فيحصل لى بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفى رحمه الله وان أولياء الله يحفون أنفسهم عن أعين الناس فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا ممن سعداء الدنيا والآخرة عنه وكرمه ان شاء الله تعالى

﴿الباب الثانى فى بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾

قال قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد على الحسنى الفاسى المكى فى كتابه شفاء الغرام لاشك ان الكعبة المعظمة بنيت مرارا وقد اختلف فى عدد بنائها ويحصل من مجموع ما قيل فى ذلك انها بنيت عشر مرات وهى بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وفى اطلاق العبارات فى بناء الكعبة تجوز فان بعضها يستر بعضها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب العزيز المرمم فقط وأعاده وأبقى الجوانب الثلاث وهى جهة الباب وجهة المستجار الذى هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها﴾ فذكره الامام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدثنا على بن مسلم المحلى عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر الامام على زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال كنت مع أبى على بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وأنا وراءه اذ جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبى فالتفت أبى اليه فقال

﴿الباب الثانى فى بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾

رهر الاسلام من كمامه وكمل دعوة خير الرسل باسباطه لابى أئمامه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكف عنهم بركته أمر المعتدين وجعلها فى عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لاطلبن بسيفى * من كان للحق دينا * واسطون بقوم * بغوا وجاروا علينا
* يهدون كل بلاء * من العراق الينا *

وفى سنة ثلاثمائة وسبعة عشر كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفى سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت فى حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضا بالفاطميين ودخلها فاتحهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدى ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعى لهم على منابر الحرمين فصارت الخطبة الاسلامية على قسمين من بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسى ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

﴿ذكر دولة الاشراف بمكة﴾

(ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة) طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسينيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثانى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن يملك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدى وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وستة وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بنى حسن وبنى حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدى فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفى جعفر المذكور تولى (ابنه عيسى بن جعفر) ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) كما سيأتى وفى مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة خمس وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدى صاحب مصر أميرا عليا بالمكة ولاه نائبا عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد من العرب فى هذه السنة ونالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم ومازال الامر حتى خطبوا

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبى وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتى أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الى فجلست الى جانبه فقال يا محمد أس السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى فقال له عم تسأل قال ابى أسألك عن بدء هذا الطواف لهذا البيت فقال له أبى من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعنى التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبى يا أخا الشام احفظ عنى ولا تروعنى أمابدء هذا الطواف فان الله تعالى قال انى جاعل فى الارض خليفة وقالت الملائكة أى رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغضون (١٧) اجعل ذلك الخليفة منا فحص لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نباهى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعظمك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى أعلم مالا تعلمون قال فطافت الملائكة أسبوعا ثم قالوا يا رب على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم ينتصرون ويكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث سابحات فنظر الله اليهم ورحمت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد فعشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتا على مثاله وقدره وأمر الله تعالى من فى الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى قلت هذا الحديث الشريف يدل على أن بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة فى رواية وبألفى عام فى رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهى المكى فى أوائل تاريخ مكة حدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنا الواقدى قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفى سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه أن موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت فانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم

للعزيز وتوفى العزيز سنة ثلاثمائة وست وثمانين فولى مصر ابنه الحاكم بأمر الله ثم ابنه فى سنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين أرسل الحاكم بأمر الله الى صاحب مكة اددالك وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر محلا ينتقص فيه الصحابة رضى الله عنهم وبعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر فشق ذلك على الامير أبى الفتوح وشى ذلك الامر فى الموسم وحضر الحاج وتداعت العرب من حوالى مكة من هذيل وغيرهم وحضروا فى المسجد غضبا لله ورسوله فلما كان الخطيب على المنبر رحف الناس رحفة واحدة بالحجارة والعصى على المنبر فكسروه حتى صار رضاضا ولم يدروا أنه على المنبر أم لا وكان يوما عظيما ولم يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن بهذا المذهب القبيح ثم ان أبا الفتوح أظهر العصيان لصاحب مصر الحاكم بأمر الله وسب طلبة سب الصحابة وخلع طاعة الحاكم وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس فقال فى أول خطبته طمس تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع لقبائل من العرب منهم آل الجراح واستمالهم منهم حسان بن مفرج فبعث له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يقتلوا عم أبى الفتوح ويحلوا بينه وبينه فلما وطئ لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبى حسان فكتب مفرج الى الحاكم فى شأنه ففرح الحاكم بذلك ورضى عن أبى الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة والى اعمالها وفى مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفائز عبد الله بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال لبنى أبى الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تحمى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب ذمية العصر وأورد له من الشعر قوله

وصلتنى الهموم وصل هوالك * وجفانى الرقاد مثل جفالك
وحكى لى الرسول انك عضبى * باكفى الله شر ما هو حاكى

وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة ما لا مزيد عليه * يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فانف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى صارت محارا ذهب بقشها ورد ها اليها مع حنطة أرسلها اليها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وتاهت مثله فى القوة فاخذت كما من الحنطة وفركتها حتى صيرتها دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه

(٣ - تاريخ مكة)

﴿الثانى بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة﴾ وقد ذكره الامام أبو الوليد الازرقى فقال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالى أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لى بيتا فطاف به واذكرنى حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى قال فأقبل آدم يخطو فطويت له ولم يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت فى الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وابنه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتا والجودى وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام انما بنى أساس الكعبة حتى يساوى وجه الارض ولعل ذلك بعد دثورها بالملائكة ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الازرقى فى تاريخه قال حدثنى أبى عن جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرنى عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة محوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى وبرأت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام ومات يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلى عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده وقال الازرقى أيضا حدثنى أبى قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن أبى معروف عن عبيد الله بن أبى زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لى بيتا تحدا به بيتى الذى فى السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتى حول عرشى فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم ياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض موضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى

المدينة لم تصلح ولم تزل أبوابها مفتوحة والباب على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فولد ملكة ثلاثة وأربعون سنة ثم ولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه (شكر الملقب بتاج المعالى واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وفد عليه بعض العرب وكانت تحت العربى فرس مشهورة عجيبة الخلق فاعجبت الشريف شكرا لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربى لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربى الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له ان نزل عليه فى بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لى ولا تذكر لى له فادرك القائد العربى فى بعض المنازل فنزل عليه فلما عرفه أكرمه وفرح به فاتاه بعد ساعة بلحم فاكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وانه يريد شراءها منه فاتاه العربى بجوادها وأكرمها وقال له انك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا يدع لك فاوجدناه غير الفرس فذبحناها وكانت نسيبة فاقتن من لحمها فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة الدينار ورجع الى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له أحسنت ولو رجعت بالدراهم الحقتك بالفرس وأما الآن فأنت حر لوجه الله اه واستمر الشريف شكر الى أن توفى سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين فى شهر رمضان وفى عمدة الطالب ان وفاته كانت سنة أربعمائة وأربع وستين وكان له شعر حسن منه

قوض خيامك من أرض تهان بها * وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الاوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

قيل ان ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بعد محاربة بينه وبين حسين ولم يخالف بعده الا بتاتا وولى الامر بعده (عبدله) فغصب ذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بنى أبى الطيب مطالم وأشياء يطول الكلام بذكرها وكان ممن ولى مكة من بنى الطيب (محمد بن أبى الفتوح بن عبد الرحمن بن جعفر) وفى سنة أربعمائة وخمسة وخمسين قدم الى الحج صاحب اليمن على بن محمد الصليحى فدخل مكة سادس ذى الحجة وملكها وانتزعها من بنى أبى الطيب واستعمل العدل والاحسان لاهل مكة فرخصت الاسعار واستراحت الناس جدا وكثر الدعاء له واستمر بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول فقام الاشراف الحسنيون عليه وقالوا له اخرج الى بلدك واجعل لنا مكة يا ابن شئت فجعل على مكة (محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) واستخلف له الصليحى عسكرا وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فارسا وقبل ان الداعى للصليحى على الخروج من مكة ان بنى أبى الطيب كاتبوا قد انسوا من مكة لما قصدها الصليحى فجمعوا جموعا وأرسلوا له يطلبونه الخروج من مكة وأن يولى عليهم واحدا منهم وكان قد وقع فى جماعته الوباء

* وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما فرغ قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فيما بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا ارجع يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك * وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك وان يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه ورعيت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها قال فمن طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت له سبعة ألوف

* الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة

ومات منهم نحو سبعمائة فخرج منها على الصورة المذكورة وفي عمدة الطالب انه لما توفي شكر بقيت مكة شاغرة هلك بها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود السليماني وقامت الحرب بين بني موسى وبين بني سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم وبقيت في أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذي في التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفتان كما تقدم قال الفاسي ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوقائع وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين مح أبو العباس نقيب الاشراف ببغداد فامر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطب للعباسيين وليدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة فقطع محمد بن جعفر اسم صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر فاخذ محمد بن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب واستمر على الخطبة لبني العباس وترك الاذان يحيى على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار فقصده سوسا سليمان الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبد الله بن موسى ويقال لسليمان الحرابي لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفتان عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فعلبوه ففر الى ينبع وولى مكة (حمزة بن وهاس) فجمع محمد بن جعفر جموعا وقصد حمزة بن وهاس وكانت بينهم حروب حتى أخذ محمد بن جعفر مكة من حمزة بن وهاس وكان محمد بن جعفر على غاية من القوة والشجاعة كرمى بعض حروبه على الترك بالسيف فقطع درعه وجسده والفرس حتى وصل السيف الى الارض فبهت الجند واستمر محمد بن جعفر الى أن توفي سنة أربعمائة وأربعة وثمانين وولي مكة أيضا (القاسم بن محمد بن جعفر) كذا قال الفاسي وقال غيره القاسم بن اسمعيل بن محمد بن جعفر قال وهذا الابطن يقال لهم الهواشم ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم الاصهيد بن سار تكين في أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم واقام (الاصهيد بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبعة وثمانين فجمع القاسم جموعا وكبس الاصهيد سنة أربعمائة وثمانية وثمانين واستمر القاسم واليا على مكة الى أن توفي في صفر سنة

* روى الازرقي بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التي مسح الله بها آدم عليه السلام من سلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فسفه الغرق وغير مكانه حتى بوأ لابراهيم انتهى * قال الحافظ أبو القاسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الاول حين بنى شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الاساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه رضي الله عنه هو البيت المعمور ولعلها المعظمة

خيمة غير البيت المرفوع ولعلها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وأبقى البيت المعمور الى أن رفع زمن الطوفان وفي ذلك ارتكاب الجار ما يصح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها ﴿الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة﴾ قال السيد الامام التقي الفاسي رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو يكرم ما قدمناه من الآثار في بناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول حقيقي والله تعالى أعلم وأحكم وروى الازرقي (٢٠) رحمه الله في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه

خمسمائة وثمانية عشر وقيل سبعة عشر وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا الطيفا من شعره

قومي اذا خاضوا الوغى حسبتهم * ليلا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعجلون براد هم عن جارهم * عدل الزمان عليهم أوجارا
واذا الطراد دعاهم لمسة * بدلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا رنا دار الحرب أدكت نارها * قدحوا باطراف الاسنة نارا

ولما توفي القاسم بن محمد ولي مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا فاتكا لا شاعرا واستمر الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعة وعشرين فولي مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفي سنة خمسمائة وتسعة وثلاثين وهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم الشريف وهم يطوفون لعشر وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي وداعت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفي فولي مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفي سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت فتنة بين القاسم وعمه قطب الدين عيسى واستولى على مكة عمه (عيسى) وقال الفاسي ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هديل مكة ونهبوها وتعبث الناس وفيها صادر القاسم بن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فملكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل وسببه أنه قتل قائد امن قواده فتغير عليه أصحابه وكاتبوا عمه عيسى فاقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فاخذه بعض أصحاب عيسى فقتله فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفي تاريخ الشجاري نقلا عن الوقاد وفي أيام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقي وقتل من أهل مكة جماعة وأغار عيسى على الحج العراقي وأخذ منه ولم يعلموا من دخول مكة ففروا مشاة وقد أخذوا جميع جمالهم وأسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واسمر عيسى بن فليتة الى سنة خمسمائة وحبس وستين فمارعه أخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك ولقي عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هديل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ ما في الجلاب

﴿انقراض دولة العبيديين﴾

وفي سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل

السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه في الارض من قبل الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى الآن الركن العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور الى الركن اليماني احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه في الارض من الركن اليماني الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميري بابا وصفائح بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت يودع فيها ما يهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبني واسمعيل عليه السلام يناولانه الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبني ويحوله له اسمعيل عليه السلام في نواحي البيت حتى انتهى على موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسمعيل ائتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسمعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عز وجل استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فاضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصباب الحرم من كل ناحية وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها

دولتهم

قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمر أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتموه فكونوا لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجيء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ورينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال وبروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقار ومن رضوى ومن احد وقال الازرقي رحمه الله قال (٢١) أبي وحدثني جدي عن سعيد

دولتهم مذكورة في التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى بن فليتة الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين وفي الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقي مقاتلة بالزاهر ولما توفي عيسى بن فليتة ولي مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسي فوليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقي حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبي قبيس بعد سهب الحجاج وأخذ أموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب وهبت مكة وأحرقت بيوت كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (للقاسم بن مهنا الحسيني) أمير المدينة فاستمر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع في ذلك طاشتكين وولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التي كانت على أبي قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المماسك في هذا العام

﴿ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم﴾

قال الفاسي بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير انه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشرين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الآخر هل هي ولاية له أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر وفي أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبي صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج في البحر على طريق عيذاب وكان لم يؤد لعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدي الحاج لما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيأ وأراد الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومسامحته فلما طلع الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا ينبغي بمصالحها وهذا الحامل لنا على هذا وكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وغيره ان البلاد ضعيفة وانها ما تدخل ما يكفيه وان ذلك هو الذي حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه ومولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي أردب قمح وأمر بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو في خطبته للعليفة العباسي ثم لمكثر ثم للسلطان صلاح الدين

﴿ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام﴾

ابن سالم عن أبي جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن البيت بها هنالك من غير تعيين تحته وكان يأتيه المطلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته واظهاره رده وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل * قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فأتى ابليس الى فرعون وقال ارهن رجل معه امرأة من أحسن النساء وأرسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وخاف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زيها وأرسلها الى فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله فانه ليس مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى أن عادت

اليها اكراما له وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها قد هش فى حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى على فوالله انى لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهى جارية قطية جميلة ورددها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال مهيم فقالت كبت الله الفاجر وهبنى هاجر وقد وهبت اللك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل وأقام ابراهيم ساحية من أرض فاسطين بين الرملة وايلياء وهو بضيف من يأتيه وقد أوسع الله عليه وبسط له

فى الزرع والمال والخدم فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله بأمرونه بالخروج من بين ظهرانيهم وأمرهم أن يبدؤا فيبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما رأوا عليه سيماهم وقال لا بخالهم هؤلاء قوم لا أنا فجاء بعجل سمين مشوى بالحجارة وقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت فقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت ابنت تسعين سنة وقيل لما بشر ابراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت * قال السدى فحملت سارة باسحق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه فى حجره وأخذ اسحق الى جانبه فغضبت وكان سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وأخذهما ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها نضعه ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت فى يمينها فقال لها ابراهيم اخفضيها واتقى أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء والخفاض بالمحيات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسمعيل واسحق كما تتهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت أن لا تساكنها فى بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى ابراهيم أن يأتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فعمد بها الى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وأمرها أن تتخذ

وفى سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفى سنة خمسمائة وخمسة وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثرا وهرب داود الى وادى محلة ومات هناك وبه ينتهى الشك السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كانت فى ولاية مكثر وفى سنة خمسمائة واثنين وتسعين عند سروج الحاج وقعت بمكة ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر وسقطت أحجار من الركن اليمانى من الكعبة الشريفة وقال أبو شامه فى ذيل الروضتين فى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شئ لم يعهد وفى سنه خمسمائة وسبعة وتسعين وقيل ثمانية وتسعين وقيل تسعة وتسعين انتزع مكة من مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد الشاعر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادات انما الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبها انقرضت دولة بنى فليتة الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف وكان ذا بأس ومجدة وشوكة جمع بنى عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بنى حراب من أولاد عبد الله المحض بن الحسن المثنى ثم استألف منهم جماعة فصار معه وملك ينبع والصفراء وسبب طمعه فى ملك مكة ما بلغه من شكوى أمرائها الهواشم بنى فليتة على اللهو وتبسطهم فى الظلم واعراضهم عن العدل استرارا منهم بما هم فيه من الغرور والعسف لرعاياهم فنوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة ممهم اليه وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة وبعثه على السير اليها ان بعض الناس فرع اليه مستغيثا به فى ظلامة ظلمها مكة فوعده بالنصر وتجهز فى جماعة من قومه فحاشعر أهل مكة الا وهو معهم بها وولاتها على ما هم عليه من اللهو والاهمال فلم يكن لهم بقتاله طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه فى ابتداء ملكه لها وانما أرسل اليها بعه حطلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة بن قتادة ولم يحصل لمحمد ظفر وتمت البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة بسنة سبعمائة وواحد وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بعد يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة تخرج فى مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير فى اعتماره فى مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم

عريشا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تر دانسانا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر أحدا ثم هبطت وعيناها من ولدها حتى رملت فعابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فما رأت أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء * وفي لفظ النبوة لولا انها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله عز وجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله * قال الامام أبو عبد الله محمد (٢٣) بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

وكان انظفر له عليهم فهربوا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير ووقع حرب أيضا بين الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة

(مصارع آل المصطفى عدن مثل ما * بدأن ولكن صرن بين الاقارب)

ثم حاربت ثقيفا وأهل الطائف وتملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه جدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بفضله وتسموا لهم العلية لمثله وذلك ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة بأن يبعث بغداد فسار متوجها اليه الى أن وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج للقائه العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تدل فيها الاسود والله لا دخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه وكتب اليه الشريف قتادة الجواب ومن جملته قوله

(بلادي وان جارت علي عزيزة * ولو أني أعرى بها وأجوع)
(ولي كف درغام اذا ما بسطتها * بها اشتري يوم الوغى وأبيع)
(معودة لثم المطي لظهرها * وفي بطنها للمعتدين ربيع)
(أأترکها تحت الرهان وأنتمي * بها بدلا اني اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك في أرض غيركم * أضوع وأما عندكم فأصيع)

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب في رجوعه أرسل له الناصر معه مال وكسوة فاخرة ولم يظهر له التعب مما جرى من فعله وجعل الامير الذي جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا بهذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظرني في ذلك ثم جمع بني عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال لهم يا بني الزهراء عركم الدهر مجاورة هذه البقعة والاجتماع في بطحائها واعتمدوا بعد اليوم ان تعاملوا هؤلاء بالشر يرهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبوكم بالمال والعدد فان الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم غدا الشريف على الامير وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال الامير يا شريف أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفة ابن عمك وأنا مملوك تركي لا أعلم من الامور التي في الكتب ما علمت ولكن

في بصيرة لا يحور لا بد أن يتعلق بهذا في حوار طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام وبه فعل ذلك بأمر الله تعالى * وقد روي ان سارة لما رأت من هاجر لما ولدت اسمعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزلها وأمه هناك وركب دابته وعاد من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى * (وأما ماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره * في المسند لك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وبحاله موثقون الا أنه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح كذا في فتح الباري شرح البخاري * وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وان شربته لشبعك أشبعك الله به وان شربته لقطع ظمئك قطعه وهي صرية جبريل وسقيا الله اسمعيل * وعن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء * وفي صحيح البخاري قال أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الا ماء زمزم أجتزي به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع * وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر انه طعام طعم وزاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه مسلم وشفاء سقم * قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا شربه مجربا

(قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودي الشافعي عالم المدينة في

عصره ومؤرخها وقد أخذنا ممن أخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها ويحملون منه الى الآفاق كما يحمل ماء زمزم لبركتها انتهى * ورجعنا الى القصة قال ومرت رفقة من جرهم بوادي الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لها جراش شئت لنا معك وآنسالك والماء ماؤك اشرب منه فان نت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها في الحجر بسكون الحيم وشب اسمعيل فتزوج اسمعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني اسمعيل العرب العاربة والعرب العرباء وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسمعيل * ثم ان ابراهيم (٣٤) عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جر وابنها

فأذنت له واشترطت أن لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد مات هاجر فأتى بيت اسمعيل فوجد امرأته فسألها أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل عليه السلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما يتعيش به فقال لها هل عندك ضيافة من طعام أو شراب قالت ليس عندي شئ فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسمعيل قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا فعرفك السلام وقال غير عتبة بابك فقال الحق باهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة أن يزورا سمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم الى مكة وقدم على منزل اسمعيل فوجده غائبا في الصيد فقال لامرأته أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد ورجع اليه وقالت اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن فأكل وشرب فقالت له

يا عم هلم حتى أغسل رأسك وأريك شعرك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فصارت شقه الايمن ثم الايسر ثم أقامت الماء على رأسه ويديه الى أن ورعت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرئي عليه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وأخفته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم أمرني أن أثبت معك وقبل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى أن بنى عليه فيما بعد

قد رأيت ان هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي وحاشا الله أن أجعل هذه الابيات عنك الى الديوان فأكون قد حميت على بيت الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وبنيته رضي الله عنها والله لو بلغ هذا الى حيث أشرت يعني الخليفة لترك كل وجه وحول جميع الوجوه اليك حتى يفرغ منك مالها من ضرورة انها ان كان خطر ببالك انهم استدرجوك فلا تسرا اليهم وقل جميلا فأصغى اليه الشريف قتادة وشكر رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال الرأي عندي أن ترسل من أولادك من ان وقع عليه شئ ما يهمك ولا يقع ان شاء الله ومعاذ الله أن يجري الا ما تحبه وسترى ان شاء الله من الخير ما لا يخفى عنك فأعجبه قوله وعمل فبعث ابنه راجحا ومعه أشياخ من الشرفاء فدخلوا بغداد واجتمعوا بالخليفة الناصر وقابلهم بالاعزاز والاكرام وأنزلهم أشرف الاماكن ثم عادوا الى مكة وكان الشريف قتادة عند ذكره القصيبة يقول لعن الله أول رأي عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا ناصحا يثبتنا عند ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فادارع الثناء جلبابه وليس الربيع أثوابه فابلماكم بجنود لا قبل لكم بها ولعرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ومن جملة كتابه قوله

(بني عمنا من آل موسى وجعفر * وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بني عمنا انا كأيدي دوحة * فلا تتركونا يجتني الفنا وانا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل * بدا بأخيه الاكل ثم بدا نا)

ولما أقبلت الجنود الناصرية أتته بموحسين وكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاده وما سيرته وأفعاله قرى متعددة ونوفى الشريف قتادة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين كما تقدم قيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم بحقيقة الحال وولي مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم الحسن وراجح وادريس وعلي فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان فاتكا جريا أقتل اقباش الناصري لاتهامه أنه واطأ راجح بن قتادة أن يوليه مكة ثم علق رأسه في ميزاب الكعبة واستمر على ولايته مكة الى سنة ستمائة وتسعة عشر فانتزعها منه الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل بن بكر بن أيوب صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش فحاربه الشريف حسن ثم كان

ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها هكذا في قصص الانبياء وروى فيها أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ صوتي فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعي الله فأسمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد (٢٥) ممن هو في أصلاب الرجال الآباء وأرحام الامهات ﴿وأما

الظفر للملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما تملك الملك المسعود مكة جعل أمرها بيابة (لنور الدين علي بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة ففر اليه نور الدين الى الحديثة وكسره وهرب الحسن راجعا ثم رحل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد وادركه أجله هناك وفي سنة ستمائة وسبعة وعشرين ولي مكة للملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعود) ثم توفي في تلك السنة الملك المسعود واستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن علي بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور ولما توفي الملك المسعود كان أبوه الملك الكامل صاحب مصر موجودا فولى على مكة (طغتكين التركي) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى الي من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة فسمع الخطيب يقول على المنبر في حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين المحترمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفي سنة ستمائة وتسعة وعشرين وقبل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة فأحرجوا نائب الملك الكامل وهو طغتكين التركي ثم جاء جيش من الملك الكامل وأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) في آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا في تاريخ النجاري والحاصل أنه من سنة ست وعشرين وستمائة وما بعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع ملوك اليمن اما أصولا أو نوابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن قتادة ودامت ولايته الى آخر ذي الحجة سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل يطوى على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضي في تاريخه وان كان في بعض ما ذكره مخالفة لما في تاريخ النجاري باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضي بتمامها قال العلامة الرضي في تاريخه ذكر أهل التواريخ المعتمدة انه في سنة ستمائة وست وعشرين التي توفي فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى صفتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين ففر نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبعة وعشرين وستمائة ووصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة واستولوا على مكة ففهر صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسروا واستولوا على مكة وأمير هم

أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام ﴿ فقد اختلف العلماء في أن المأمور بذبحه اسمعيل أو اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضي الله عنهم أنه اسمعيل قال الامام أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق عليهما السلام والاكثرون على أنه اسمعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال في ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال

(٤ - تاريخ مكة) قالوا لما أرى ابراهيم في المنام أنه يذبح ابنه وتحقق انه أمر به قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفتن عبد هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم العلام فقال لها أتدرى أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فعرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال يحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله ما يريد الا أن يذبحك فقال لاى شئ فقال يزعم ان الله أمره بذلك

قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لامر الله تعالى فاقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال اني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فنكص ابليس على عقبيه ورجع يخزيه وغيظه فلما خلا ابراهيم في الشعب ويقال ذلك في ثبير قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال حدثت ان اسمعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبنك من دمي فينقص أجري وان الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واسحد شفرتك حتى تجهز

على فتذبحني فاذا أتيت أصبعتي لتذبحني وأكبني على وجهي ولا تصبعني لشقي فاني أخشى ان أنت نظرت الى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بيني وبين أمر ربك في وان رأيت ان ترد قميصي الى أمي فافعل أرجو ان يكون أسلى لها فافعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني لي على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل وأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين وانتى الاطر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها في يده ثم احتذمها اليه ونودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبحة فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجبل قال ابن اسحق حدثني الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أخرج الله هذا الكبش من الجبة قيل رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء أن الكبش وهو الذي فدي به اسمعيل كبش أملح أقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد ابني آدم ، فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد لامر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد لامر الله تعالى وأمر والده وانقياده الى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله تعالى واطاعة زوجها ، اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين ، قال الازرقي ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته

الاول طفقتكين فأسرف في القتل ونهب البلاد وأخاف أهل مكة خوفا شديدا ثم عاد الشريف راجح بجمع عظيم وأمده صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مكة ودخل عسكر مصر من غير محاربة وذلك في سنة ثلاثين وستمائة ثم في سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا أمير صاحب مصر فلما أن وصل الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر راسل نفسه على العجائب فخرج الشريف راجح فجاء الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفي سنة اثنين وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله الى سنة أربع وثلاثين وستمائة وفي سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول في ألف فارس فتلقاه الشريف راجح في ثلاثمائة فارس ودخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور الدين على أهل مكة باموال كثيرة وفي هذه السنة مات الملك الكامل صاحب مصر وخطب بمكة لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح في ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفي هذه السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح نجم الدين الملك الكامل ألف فارس ومعهم لشريف شيبة بن قاسم الحسيني أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة فدخلها الامير شيبة فلما بلغ ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسينيون فروا بارا من مكة وأخلاها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن تجهز وخرج الى مكة بحيش كثير فهرب المصريون وأخر قراد اراد السلطنة بمكة فدخل السلطان نور الدين علي بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح الى المدينة واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه فخرج راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس فاصدا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب بالحرون وكان فارس بني حسين في زمانه فبلغ ذلك الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وكان ابنه أبو نمي في تسع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبي عمي في ذلك الوقت سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة فخرج في أربعين من بسع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسني

السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار بن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه قولى البيت بعده ثابت بن اسمعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفى ثابت فولى البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقيقعان بأعالي مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتقعقع فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا بأجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو دون السميدع الى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول ونحن قتلنا سيدا لحي عنوة * فأصبح فيها وهو خير موجع (٢٧) وما كان ينبغي ان يكون خلافنا *

وهو اذذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أباه ويحسن فعله

ألم ببلغك شأن بني حسين * وفرهم وما فعل الحرون
فيالله فعل أبي نمي * وبعض الناس يشبهه الجنون
يصف بار بعين على مئين * وكم من كثرة طلبت تهون

ثم ان أباه دخل مكة بعد هرم الجيش مسرورا منصورا فاكرمه أبوه بان جعله شريكا له في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءته قالت له يا بني ان تقف اليوم موقفا ان طفرت فيه بعدو قال الناس طفر اس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فاطرد لفسك فانه لا موت قبل فراغ العمر فشكر لها ذلك وقال جزاك الله خيرا فلقد نفحت وأبلغت ثم رده او قاتل قتالا ما سمع بمثله حتى طفر وأقام الحسن بن علي بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفي سنه احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جمار بن حسن بن قتادة) من دمشق في عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة في رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن علي بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر شمس المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج وقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها فاجاز بن الحسن بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (عانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه ونوفي الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا عاطوا الامر الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر عانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبو نمي وعمه ادريس بن علي بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمرا الى الخامس والعشرين من ذي القعدة فجاء محيش المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن فجمع ادريس وأبو نمي جموعا فقاتلوا ابن برطاس وهزموه وأسروه ثم افتدى بنفسه ورجع من حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبو نمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعوا وانفرد بها أبو نمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فتلقاه الشريف أبو نمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشترك معه في أمر مكة ثم توجه الى بلده فانفرد بها ادريس وأخرج أباه نمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا بحليص فقتل

بها الملك حتى أتانا السميدع فذاق وبالاحسين حاول ملكا
وعالج مناغصة تتجرع فنحن عمرنا البيت كنا ولاته
ندافع عنه من أتانا وندفع وما كان ينبغي ان يلي ذاك غيرنا
ولم يلك حي قبلنا ثم يمنع وكنا ملوكا في الدهور التي مضت
وكنا ملوكا لا نرام فتوضع ثم شرفنا الله بابن اسمعيل
وخؤلتهم جرهما وكانت جرهم ولاة البيت لا يشاركهم بنو اسمعيل
لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة اتشروا
في الارض فلا يأتون قوما ولا يحلون بلدا الا أظهرهم
الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها
العمالين وكانوا ولاة مكة
وكانوا ضيعوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها

فاخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احدروا البغي فقد رأيتم من كان قبلكم من العمالين كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجهم فتفرقوا في البلاد وتمزقوا كل ممزق فلا تستحلوا بحق بيت الله تعالى فيضرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يحرجنا ونحن أعز العرب وأكثرهم رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال التي كانت تهدى الى الكعبة ردفنها في بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والاموال وطم

البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بنى اسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فاخرجت جرهما من البلاد وولیت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم فى ذلك مضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم ان يساكنهم فأبت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فنزعت ابل لمضاض بن عمرو دخلت مكة فأخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتأكلها فتبع مضاض أثرها فوجدها فى بطن وادى مكة فابصر الابل تنحر وتؤكل ولا سبيل اليها ورأى انه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ● أنيس ولم يسمر بمكة سامر (٣٨) ولم يتربع واسطا فجنوبه ●

الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وأبدلت عنها الاسى دار غربة
بها الذيب يعوى والعدو محاصر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة
وأبناؤه منا ونحن الاصاهر
فاخرجنا منها الملیك بقدرة
كذلك بالناس تجرى المقادر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة
كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكى لبلدة
بها حرم أمن وفيها المشاعر
ولا أنيس لا يطار حمامه
ولا ينفرون يوما لديها لعاصر
وفيها وحوش لا تريب أنيسه ● اذا خرجت منها فما ان تغادر
فيا ليت شعرى هل يعمر بعدنا ● طلماهما
جيادو مفضى سيله والظواهر
وهل فرد يأتى شيئ يريده ● وهل جزع ينجيك مما تحاذر
وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسمعيل لا ينازعونهم فى شئ ولا يطمعون الى أن كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب بمكة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذى جمع أمر قريش فسمى مجمعا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القبائل

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا ● به جمع الله القبائل من فهر هم ملكوا البطحاء مجدا وسوددا ●

الشريف ادريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبو عمى مكة واستقل بولايتها فاستحدث عام ثمان ادريس بحمار بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعا وقصد مكة وأخرج أبا عمى ثم عاد أبو عمى بعد أربعين يوما ومعه جموع فاخرجهما واستقر بها

﴿ذكر من مات من الزحام بباب العمرة﴾

قال النهروانى وفى سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلا وفى سنة ثمانمائة وثلاثة وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبى عمى وبين بنى أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبو عمى من مكة وجمع جموعا وأخرج بنى أخيه والعسكر اليمنى فورد جيش من مصر مع الحج لاخراج أبى عمى وكان على مكة سور فاغلق أبو عمى أبواب السور ومعهم من ادخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبو عمى زمن الحج فاقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم باس الى جهة منى فكمن لهم أبو عمى فى تلك الناحية وهجم عليهم فقتل أميرهم ثم بادى مناديه من قتل رجلا فله فرسه وسلبه ففتكت العرب بالترك وأخذوا خيلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصعدوا معه فكسروا ما وجدوه بمكة من العسكر وفر من مر الى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشا كثيفا وأراد أن يسير بنفسه فعدله بعض الصالحين ومنعه وأدركته مكاتيب الشريف أبى عمى وهدايا وهو يعتذر اليه فقبل عذره وأبقاه على امارة مكة ثم فى سنة ثمانمائة وثمانية وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسينى) صاحب المدينة وأعانه بعسكر فخرج منها أبو عمى ودخلوا مكة ثم عاد أبو عمى وأخرجهم منها وفى سنة ستمائة وتسعة وثمانين وقع بين الشريف أبى عمى وبين الحاج فتنة بالشبيكة من الشبيكة وانتهى الامر الى أن هجموا مكة وشهروا بالحرم الشريف اكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين نحو أربعين نفسا من جملتهم ولد الشريف أحمد قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمر الشريف أبو عمى منفردا بمكة الى سنة سبعمائة وواحد فلما كان ثامن صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حيضة ورميثة) ثم توفى الشريف أبو عمى بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولدا ما بين ذكر وأنثى ولما توفى صلى عليه وطيف بنعشه سبعا على جرى عادتهم ودفن وبنى عليه قبة بالمعلا وكان واحدا كريما شجاعا وكانت ولايته مكة انفرادا ومشاركة لابنيه وعمه نحو خمسين سنة الا أوقات يسيرة والت ولايته عنها وبقى ملك مكة فى بنيه ثم بعد وفاته استقر ولداه حيضة ورميثة الى الموسم وفى هذه السنة فتح الامير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبى عمى وشكيا اليه أن أخويهما

وهم طردوا عنها عراة بنى عمرو وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصى والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بعد قصى كذلك الى ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام فى هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فانتجنا مه هذا المقدار لاشغاله على فنون من الاعتبار ﴿الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة﴾ ذكر الازرقى فى ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهى بسنده الى سيدنا على بن أبى طالب أيضا رضى الله عنه أنه قال أول من بنى البيت

ظلما هما واستبدا بامارة مكة وانهما قد قهراهم وأبالا هما الخسف فولاهما الامير يبرس على مكة وقبض على حيضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفى سنة سبعمائة وثلاثة عاد رميثة وحيضة من مصر والبين على مكة وأطهر العدل ثم رجعا الى الجور فبعث اليهما صاحب مصر جيشا فانهزما ثم عادا وفى سنة اثنى عشر وسبعمائة حج الناصر قلاوون صاحب مصر ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه وفى سنة سبعمائة وثلاثة عشر وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس مدرعين ومعهم أبو الغيث بن أبى نمى فلما سمع بهم حيضة ورميثة فرا الى علي من أرض اليمن واستولى أبو الغيث على مكة وقصد حليا بمن معه فى طلب حيضة ورميثة فلم يظفر بهما لانهما بالسراة فرجع الى مكة وأقام الجيش بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث قصر فى حق الجيش وكتب لهم خطابانه بنى عنهم وعادوا الى مصر ولما بلغ حيضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث بجمع من العرب وانتزع مكة منه وقتله على فراشه وذلك سنة سبعمائة وأربعة عشر وبعد أن قتله حمله الى داره ثم استدعى اخوانه للصيافة فأتوه فقدم لهم أحاهم أبا الغيث مصلوقا فى جفنة وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين بيد كل واحد منهما سيف فاد عنوا له واستمر حيضة مستقلا بامر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة فى شعبان سنة سبعمائة وخمسة عشر بولايته من الناصر صاحب مصر وجاء معه جيش فهرب حيضة الى الخلف والحليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد أن أخذ مما جمعه من النقد والغير نحو مائة حمل وأحرق الباقى بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الخلف والحليف وكان حيضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره ليحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة وأسروا ابنا لحيضة وأخذوا جميع ما معه من الاموال ورجعوا الى مكة فى شهر ذى القعدة وهرب حيضة الى العراق وقصد السلطان خدابنده من سلاطين التتار وكان مسلما فاكرمه وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بان يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالبا الافطس وأرسل الشريف حيضة الى أمراء العرب فاجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا الى أمراء طى وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابنده فى أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حيضة فهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حيضة العرب قتالا شديدا يومئذ حتى قال الافطس ما رأت أسمع بحملات أمير المؤمنين على بن أبى طالب

فبنته العمالقة قال السيد التقى قلت هذا يقتضى ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والظاهر الاول يقتضى أن العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبرى فى القرى وذكر المسعودى فى مروج الذهب أن الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد فى سناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿ذكر الازرقى شيأ من خبر العمالقة يقتضى سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان بمكة حى يقال لهم العماليق كانوا فى عز وثروة وكانت له خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا فى عيش رخى فبغوا فى الارض

وأسرفوا على أنفسهم وأظهروا المظالم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون عكة الطل ويبيعون الماء فاخرجهم الله بأن سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤس آبائهم ببلاد اليمن فتمرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم بجرهم فكانوا سكانه الى أن بعوا فيه أيضا فاهلكهم جميعا ﴿السابع بناء قصى للكعبة المعظمة﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب النسب أن قصى بن كلاب لما ولى أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيا بالم يبنه أحد ممن بناها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقى فى معازيه أن قصى بن كلاب بنى البيت الشريف وحزم به الامام الماوردى فى الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد

انتقى الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وأن قصيا أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف انه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء الخليل بل يزيد عن الثلاثين مقدارا قليلا وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا قصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عباد الله والله تعالى أعلم وكان مبدأ أمر

قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد مع سعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لانه أبعد عن أهله ووطنه من أمه لما تزوج أبوه فاطمة بن حرام ورحل بها الى الشام ولدت له زرارا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة بن حرام بسببه وبين آل ربيعة عشر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حرام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له يا ولدي أنت أكرم أبا منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة وعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشة الخزاعي

حتى شاهدتها من الشريف حيضة معاينة ثم ان الشريف حيضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخله الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الا فرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أبواب ينبع عندنا فامنه وسامحه بذنوبه السالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحيضة وأرسله مع عدة من الاتراك لاحضار حيضة فلما وصلوا اعتذر حيضة بعدم القدرة على السفر وتعيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الاحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل حيضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حيضة لملك العراق وهو ابن جد ابد أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان رضا من رميثة فجهز الملك الناصر جيشا من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حيضة فلم يظفروا به بل ترك مكة وفر منهما وتوجه الى أن قتل بالشرق قيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وولي رميثة على ولاية مكة ثم فوض عليه جهاد مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولي الناصر سنة سبعة عشر (خطيفة بن أبي نمي) وجهز معه جيشا وحج الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القمط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لصاحب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد والرمه أن يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة أطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

﴿ذكر الفتنة بين الترك والتكارنة﴾

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفا من التكارير ووقعت فتنة بين الترك والتكارير بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشبالة المشرف على المسجد من رباط هناك فأمر جماعته بالكف فامسكوا وفي سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الامير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذي الحجة وخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشا ويستأصل الاشراف وقبض الله له قاضي القضاة جلال الدين القزويني فوعظه وعظا بليغا وصرفه عن نيته فرضي على رميثة وأبقاه واليا على مكة بتقريره ورحل عطيفة الى مصر واستقر رميثة الى سنة سبعمائة وأربعة وثلاثين فاشرك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها

يده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى خليل ابنته فعرف خليل نسبته فزوجه ابنته عيسى رميثة

فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك خليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته عيسى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب الخمر فأعوزه في بعض الاوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت برق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الامثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما صار المفتاح الى قصي تمكنه خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فحاربهم وأخرجهم من مكة وولى قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجناية بمكة

فلما جمع قصى قومه اليه أذن لهم أن ينزلوا بمكة يبوتا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيد ارور أينا نتبع لرأيك فعمعهم حول البيت وفى ذلك يقول القائل

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم * به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدأ هو فبنى دار الندوة وهى فى اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات ولا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها * قال الازرقى ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصى كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم (٣١) حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع

رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمسة وثلاثين مرجع عطيفة وشارك الى اثنا عشرة سنة سبعمائة وستة وثلاثين فتنافرا فاقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادى مر ثم هجم رميثة مكة فى شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة وبعض أصحابه وأقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبعة وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة وبعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفى هناك سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان موصوفا بالشجاعة والكرم

﴿ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف وأمير الحج المصرى﴾

وفى سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقيبة بن ادريس بن قتادة وبعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى فى أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول ومات كثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفى سنة سبعمائة وأربعة وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فعزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان لكبره وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد قلاوون فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فردت اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع أبيه

﴿ولاية الشريف عجلان بن رميثة﴾

وفى سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون أبيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال فى حياة أبيه وجاء معه أخوه ثقبة وخرج الى وادى نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما الى مر الظهران ثم لحقا باخيهما ثقبة بنخلة فلم يجداه وأخبرا انه توجه الى مصر فلحقاه بمصر وقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفى قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده أخوه الكامل شعبان فكتب الى عجلان بالولاية وتوفى الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجىء ابنه عجلان من مصر وولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفى أثناء الزينة توفى أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما فى تاريخ الرضى شريكا لاخيه حيضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو

وتركوا لطواف بيت الله تعالى مقدارا يقال انه المقدر وش الآن حول البيت الشريف بالحجر المحوط المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبوابا ببيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن رادهم عمر رضى الله عنه فى المسجد الحرام وتبعه عثمان رضى الله عنه وبعهما غيرهما على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصى أول ملك من بنى كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما شركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان * وكان اجتمع لقصى مالم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهى سدانة البيت الشريف أى توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عز بارا بمكة يجلب اليها من الخارج فيستقى الحاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحاج وكانت وظيفته فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحاج قدلهم الاسمطة فى أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقى رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضى الحج * قلت وأما فى زماننا فلا يفعل شئ من ذلك ولا أدرى متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون

تحتها ويقاتلون عندها واقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت فى قصى فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصى لعبد الدار لا لحقنك يا بنى بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحرب بها الا أنت ببدك وجعل له الرفادة وقال لا يؤكل من هذا الموسم طعام الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصى (٣٢) فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم فجعل قصى كلما كان بيده من أمر قومه الى عبد الدار وكان قصى لا يحالف ولا يرد عليه شئ صنعه لعظم شأنه وفى فاد سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا هلك فقام على أمره بنوه من بعده ثم ان بنى عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بايدى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتمرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بنى عبد مناف أحق من بنى عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بنى عبد الدار على ما جعله قصى لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتحالفوا على ذلك وولى الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمى هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ● ورجال مكة مسنتون عجاف

سنت اليه الرحلتان كلاهما ● سفر الشتاء ورحلة الايلاف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولى الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفى المطلب بودمان من أرض اليمن وتوفى

خمس سنين ومنفردا نحو خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة كريما شجاعا ممدوحا

﴿ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان فى ولاية مكة﴾

وفى سنة سبع وأربعين أو ثمانية وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادى مر فخرج اليه الشريف عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم اتسع الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولداه الحبش وأحمد فرجع متولا امكة وأخرج منها اخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة وفى سنة سبعمائة واحدى وخمسين ح الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين الشريف عجلان وحشة فاغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه بعى قيل انه لما أحس بهم هرب الى جبل هالك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا وهبت محطه بما فيها فنزل من الجبل على أمان من المصريين فقيدوه ورقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل فى جماعته نادى بأعلا صوته ان كان القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن الخيول وأركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره سنتها ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فاكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من وادى يلملم ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هناك ثم شفع فيه فاعيد الى مصر ثم توجه منها الى بلاده ووصلها فى ذى الحجة سنة سبعمائة واثنين وخمسين وفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة ولى مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان بموافقة بينهما وكان ثقبة قد ولها بمفرده فى هذه السنة فلم يمكنه عجلان واقام يحليص الى أن دخل مع أمير الحج فاصلح الامر بينه وبين أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة انثا عشرة سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمراء الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن عطيفة وفرعه القواد والعبيد وذلك فى موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان وألبسوه الجلعبة من الراهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر واصطلح مع عجلان وشاركه فى ولاية مكة سنة سبعمائة وسبعة وخمسين ثم انفرد بها ثقبة فى ثالث عشر

عبد شمس بمكة وتوفى بالعراق ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأخيه قومه وعلم خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره غيره وبه كان يكنى فقال عدى بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أنستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالقلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد لا نحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فاطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال فبأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان بعبد فى جوف الكعبة وقال عبد (٣٣) المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء

عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم ولها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة ثم اشركا فى موسم سنة سبعمائة وثمانية وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزل سنة سبعمائة وستين بعد ان استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا واولاها (الشريف سند بن رميثة ومحمد ابن عطيفة بن أبى نمى) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند بالين مع أخويه فوصل الى مكة ولاقاه العسكر والامراء

﴿ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر﴾

وفى سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك وعثرت بالشريف معامس بن رميثة فرسه وسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم ينادى عليهم الدلالون كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز عسكر للعبار وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لا حاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا أياما حتى عرته الاتراك وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فاطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادى مر فلما وصل عجلان وادى مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هو الى أن توفى فى شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولايته مكة

﴿ذكر اشراكه أحمد بن عجلان مع أبيه فى ولايته مكة﴾

ثم أشرك معه ابنه أحمد فى شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء للسيد على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة وبارع فى الامر ولم يتم له ومات بالجدرى سنة سبعمائة وثلاثة وستين واستمر عجلان وابنه الى سنة سبعمائة وأربع وستين ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بنزول أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه فى الخطبة والدعاء أعلى رمزم فولى ابنه أحمد ذلك وكان شجاعا وجمع من الاموال والخيل مالم يجمعه أحد قبله من هذا الفرع وفى سنة سبعمائة وستة وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف اردب قمح وقرر ذلك فى ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وقرر ذلك فى دعائم المسجد الحرام وذلك باق الى الآن من جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب البسطية وفى سنة سبعمائة وخمسة وثمانين وقعت فتنة بين حاج العتكر وروا لمعاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر

(٥ - تاريخ مكة)

فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى أن يخرج السهم على الابل فاحضروها عنه وقد رضى ربكم وتجاوز لكم فحجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة عشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل وأتى بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمى ولا وحش ولا طير قال الزهرى وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل فحرت فى قريش ثم فى العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة﴾ قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد

الصالحى قدس الله تعالى روحه فى كتاب سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه فى السيرة النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها فى ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخل الا من شاؤا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة لتاجر رومى اسمه باقوم عوجدة وقاف مصممة وكان تجارا بناء فعرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى جدة فاشتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومى أن يتقدم معهم الى مكة فقدم اليها واخذوا أخشاب السفينة أعدوها لسقف الكعبة قال الاموى (٣٤) كانت هذه السفينة لفيصر ملك الروم ويحمل فيها الرخام والخشب والحديد الى الكنيسة مع باقوم الى الكنيسة التى أحرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريب مرسى جدة بعث عليها ريحا فحطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق من بحر الروم والحبشة يمر فيها على جدة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فسهل له من بلاد السويس أو الطور أو نحو ذلك قال ابن اسحق وكان بمكة قبطى يعرف النجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعدهم باقوم قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد الا انشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويرجمون أنها تحفظ الكعبة وهذا يابها وان رأسها كرأس الجدى وظهرها وبطنها أسود وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عقبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش الصهريج نرجو أن يكون الله تعالى رضى لنا بما أردنا بفعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو خال النبى صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من مالكم الا الحلال ليس فيه مهر بغى ولا ربا ولا مظلمة ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبنى زهرة وبنى عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم وكان شق الحجر لبنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

الدعاء على المنبر للشريف محللان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبعة وسبعين فانتقل الشريف محللان للجديد من وادى مر ثم توفى به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلى عليه وطيف به اسبوعا ودفن بالمعلى وبنى عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين سنة

﴿ذكر شراكة محمد بن أحمد بن محللان لابيه فى ولاية مكة﴾

ثم استمر أحمد بن محللان الى سنة سبعمائة وثمانية وسبعين وأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن محللان ودامت ولايتهما الى أن توفى أحمد سنة سبعمائة وثمانية وثمانين

﴿ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام﴾

وفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان توفى الشريف أحمد بن محللان أقام ابنه محمد مائة يوم ثم قتل فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة قتله أمير الحج المصرى وقيل قتل فى أيام منى فى سوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب فى سواد الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن محللان كان حبس أبيه جماعة من الاشراف منهم عمه محمد وخاله أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله على بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد أن يطلقهم وأبى ثم كلمهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان بمصر عباس بن معاس فاراد أحمد بن محللان وأضمر السلطان ولاية (عباس بن معاس بن رميثة) عوض محمد وسيره من مصر مع الحج المصرى ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصرى أن يحتفل بعمد الا يتشوش فيه ريفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد للقائه فلما حصر عند المحل وثب عليه باطميان فجرحاه جراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذى الحجة سنة سبعمائة وثمانية وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلموا ولاية عباس بن معاس بن رميثة بن أبى نمى عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد وثبتت ولاية مكة لعباس بن معاس وله قصة عجيبة فى فراره من مكة الى مصر خوفا من أحمد بن محللان

﴿قصة فرار عباس بن معاس من مكة الى مصر﴾

وذلك ان الشريف أحمد بن محللان كان قد قبض على عباس وحسن بن ثقبة ومحمد بن محللان وأحمد ثقبة وابنه عليا وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من السجن فقطنوا بهم الحراس وفروا منهم عباس وما شعر أحد به هما الا وهما بالى جهة سوق الليل فصادف كبش بن محللان وجماعة يفتشون عليه بصوا معهم واختفى فى محل هما لا وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه فى بيت له بشعب على فى صهريج ووسع عليه حتى شاع بمنى انه مات فجاء الى البيت وفتشه سوى

معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كالاسمة فضربوا عليها بالمعول فحرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم ناحتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر فاختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمينا لأمانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به وأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ (٣٥) كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعا

الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأحرجوا له وكائب الى المعلى وحملوا عليها حشيشا ليخفى أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعاندة عند امرأة كان يعرفها وأخفته بالباس ثياب النساء وغاب الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان وأنت بكلامك فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة ووصل خليصاء وقد كانت ركائبه فسأل عن باقة صاحب له ثمة فجيء بها وأخبروه ان صاحبها كان اذا فرغ من علفها قال ليت عنانا يحاص فينجو علك فكان ماعناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة واستولى عليها عن معه من العرب ونهب الاموال التي بجدة والعلال التي فيها لبعض الدولة بمصر والتف عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقل كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة

﴿مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة﴾

وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا لانه كحل محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشركه لانه كان من أجل بني حسن وأسعدهم خيلا ورجالا وسلاحا وكان يدعى لهم معه على رغم ورأى ان ذلك تقويم لامره وكان الامر بخلاف ذلك فيما الامر الى السلطان وعرفوه ما وقع من الاختلال وعزل عنانا

﴿ولاية علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي على مكة ورجوعه الى مصر حيث لم يمكنه منها عنان﴾

وولي مكة (علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي) ووصل الخبر بولايته في ثاني شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا لهم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادي ثم توجه علي بن عجلان الى مصر

﴿ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان في ولاية مكة﴾

فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصري وجاء علي مع المحمل فلما بلغ عنانا ذلك توجه للقاء المحمل فلما كاد ان يصل خوف بآل عجلان فرجع الى الزيمار وأقام بها وجاء بالباس علي بن عجلان بعد ان قرأ توقيعه بالطيم وسار بعد الحج بمن معه من الانزال الى الزيمار فهرب عنان ومن معه ولما رحل الحج المصري برحل عنان بمن معه الوادي وشارك علي بن عجلان في جدة ثم سافر عنان الى مصر في اثناء سنة سبعمائة وتسعين فاعتقل هنالك واصطلح علي بن عجلان مع

وانوا به ورفعوه الى ما يحاذي موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة في محله وفي ذلك يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي

تشاجرت الاحياء في فصل خطة
جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة
وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جد جده
ولم يرض شئ غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع
يجيء من الطحاء من غير موعد
ففاجأنا بعد الامين محمد
وقلنا رضينا الامين محمد
بحسير قريش كلها أمس شيمه
وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله

أعم وأرضى في العواقب والبدء أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حصة من رفعها فيصة اليد فقال ارفعوا حتى اذا ما علمت به * أكفهم وافاه بالخير مسند وكل رضينا فعله وصنيعه * وأعظم به من رأي هاد ومهتد وتلك يد منه علينا عظيمة * يروح بها هذا الزمان ويغتدي (ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني وجعلوا وركها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ﴿تنبيه﴾ اختلف في سن رسول الله صلى

الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة وقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم ﴿التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام﴾ وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ﴿العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي﴾ بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بكسر الجيم وتعليه جوف الكعبة ورمع الباب الشريف الذي في لصدق الملتزم وسدد الباب الغربي الذي بإصق المستجار لا غير وما عدا ذلك

في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الاسود وهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق الى الآن كما سيذكره في زيادته عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

﴿فصل في تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة﴾ قال أبو الوليد الازرقي رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالعراقيين اللذين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال المسيبي ما يقتضي خلاف ذلك وقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري ستة وثلاثين ألف دينار يضرب بها على باب الكعبة الزيارة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل * وذكر الازرقي ان الامين هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار فصير بها صفائح صفرت على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له ان راويتين من زوايا الكعبة من داخلها كلها ذهب فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ بدهب وأمره بعمل ذلك فكسر اسحق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلاثة اذرع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه

الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين وفي أثنائها شارك عسكر عمان بولاية من الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فوصل مكة في نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح هو وآل عجلان وكان معه الفواد ومع علي الشرفاء واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربعة وتسعين فولى مكة علي بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هم بقتل عمان في المسعى ففروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلي بن عجلان سلطان مصر فدخل عمان مكة ليتجهز بعد ان أخليت من العبيد فأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه علي بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض علي عمان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جمال الحسيني صاحب المدينة وعلي بن مبارك بن رميثة وولديه وذلك سنة سبعمائة وتسعة وتسعين ورجع علي بن عجلان الى مكة متوليا من ظاهر برقوق

﴿موت الشريف عمان بمصر﴾

ثم نقل عمان الى مصر سنة ثمانمائة وأربعة وحصل له مرض اقتضى انطال بعض جسده فعولج لذلك باصطناعه في محل حمى بالنار واشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمسة عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا مقداما جوادا كريما أجار الشاعر راس العليف في قصيدة ثلاثين ألف درهم واستمرت ولاية علي بن عجلان الى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين وكان معلوما عليه من الاشراف بذلك انه بعد وصوله من مصر شهر قبض على جماعة من الاشراف والفواد فعودع فيهم وأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه مالا تصل قوته اليه

﴿قتل الشريف علي بن عجلان﴾

وأفضى الحال الى أن قل الامار بمكة وجدة وقصد الحجار ينبع وطرق أهل مكة لذلك شدة ومار ال الفواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولي مكة أخوه (الشريف محمد بن عجلان)

﴿ولاية الشريف الحسن بن عجلان﴾

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لابه كان قبل ذلك توجه الى مصر معاضدا لاخيه على فلما وصل خبر قتل علي الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فخاف الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبعمائة وثمانية وتسعين وهرب منه بعض الاشراف ثم خرج الى بئر شمس لقتالهم فساروا معه الى وادي مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له

المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتاكلت فأبدلها بخشب آخر وابدله صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حاذى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ما وقع عند الاررقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قطع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرهما وسبكهما دنانير وصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما أشار به قال ومن ذلك ان ثم المقتدر العباسي أمرت غلامها الولوا أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا (٣٧) وجعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين ابن محمد بن علي بن مصور المعروف بالحواد وزير صاحب مصر أهدى في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة فمن داناها ومن حلاها قال ومن حلاها الملك المظفر العباسي صاحب اليمن وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها خمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ما ذكره التقي الفاسي رحمه الله

وقد أدركت الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يتخلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسلك فراموا ان يفعل ذلك وحبسوا واهينوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فرادس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى باطن الحرم الشريف المقيم بمكة في معدة نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحد جلة المقاطعجية صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتدار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركي وتلخصه تبركا نظما عاميا ورجم اللسان التركي كتاب روضة الشهداء ملولانا جامي وصمه من لطائف الطعم والشعر ما يستحسنه من تماس السجع ما يحب على السمع وهو كتاب مقبول

الزيارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وتمت له ولاية مكة وحاس الناس من الرعية والحجاج وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الشريف حسن على ولايته مكة الى سنة ثمانمائة وتسعة فأشرك معه ولده بركات بن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنغالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كمباية وكتاب يخبر فيه انه أهدى الينا ان الناس في صلاة الجمعة لا يجدون ما يستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن المناوي حسن اليه ان يجعل له ما يستظل به الناس وانه اشتغل بجهاز ذلك فجاء ذلك الجهاز وصنعت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها صرر لعثار الناس باطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري أيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشرة تكامل الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركته لاخيه بركات وولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع البلاد الحجازية وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولديه بمكة ويدعي في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثنتي عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري مخافرة حصل بسببها قتال في الحجاج ونهب لكثير منهم مال توجههم لعرفة ومنى وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان أمير الحاج لما وصل الى بستان الناس ان أمير مكة معزول وانه يريد محاربته فعما الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال ما لم يجمع مثله أحد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة وتعبت الخواطر ووقع الناس فتنة عظيمة فبينما هم كذلك اذ لاطف الله وأتى الخبر بمصر أن السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع حامد مه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وأمس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول تحوفا من الشريف لما بلغه ما هو فيه من القوة فتكلم الاعاجيز وزعم ان الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأبى به الشريف الى ذلك مع اشتراط ان يسلم اليه الامير جميع ما معه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدي مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة في هذه السنة يومين لاختلاف وقع في الشهور وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف في حقه ما حمده

متداول بين الناس للطفاء وكان وصوله الى مكة فى افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان فى البيت الشريف خشبة من أخشاب خشبه المسيف انكسرت وصار الماء ينزله من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضى مصر يومئذ قدوة علماء الموالى العظام مولانا حامد أفندى وهو اليوم مفتى ممالك الاسلام بالباب العالى أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد فدخ الى بلاد الله الحرام وقاضى مكة يومئذ الافندى مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قينى أسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على هذا الاخلال وعرضاه على الابواب الشريفة السليمانية فلما وصل العرش الى المرحوم المقدس المغفور الاقدس السلطان سليمان خان حار أعلى (٣٨) غرف الحنان أرسل الى مفتى الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا

أبى السعود أفندى المفتى الاعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله فى هذه المسئلة جوازا وعدم جواز فكتب اليه جواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فارسل بجواب المفتى الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم على باشا وأرسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضى مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع أمر شريف سلطانى مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع أحمد جلبى مؤن العمارة والاخشاب اللائقة لهذا العمل وكان وكلاؤه صوفى مصطفى المعمار وقبل الشروع فى العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء فى ذلك فجلس مولانا الافندى محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فى الحرم الشريف واحتضر مفتى العلماء الشافعية عليه المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى ومولانا الشيخ نور الدين على بن ابراهيم العسيلى ومولانا القاضى يحيى بن عارس ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتقاضوا فى هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة مكسورين بزلا عن محاذاة فيه اخشاب السقف الشريف من وسطها مقدار اثنى عشر قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما نحو الباب الشريف زل أيضا سبعة أصابع عن محاذاة أعواد السقف الصحيحة هبوطا الى أسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا أيضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج ما الى جانبه من العود المكسور وشهد معه أحمد الحيمانى المصرى وغيره

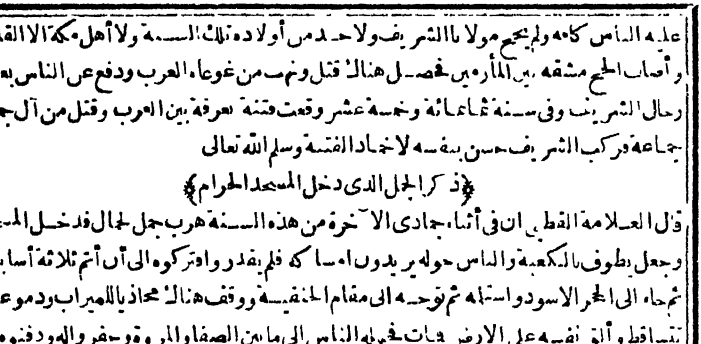

علية الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا حد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هنالك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض رحال الشريف وفى سنة ثمانمائة وخمسة عشر وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل جماعة وركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

﴿ذكر الجمل الذى دخل المسجد الحرام﴾

قال العلامة القطبى ان فى أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدروا وتركوه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود واستلمه ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هنالك محاذيا للميزاب ودموعه تتساقط وألقى نفسه على الارض هنات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمة

﴿ذكر الفتنة التى حصلت فى المسجد بين القواد والمصريين وتسمير أبواب المسجد وجعله اصطبلا للخيل﴾

وفى سنة ثمانمائة وسبعة عشر لما كان يوم الجمعة خامس ذى الحجة حصلت فتنة بين القواد والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل بسبب طول مقامها فى المسجد وسبب ذلك ان أمير الحاج المصرى أدب بعض العبيد بالعمرة على حمل السلاح فنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه فى اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من اليوم المذكور هجم جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات الحرب وانتهوا الى مقام الحنفى فلقيهم الترك والحجاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلاة أسفل مكة فظهر عليهم المصريون وانتهب السوق وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا الباب بنى شيبة والباب الذى عند المدرسة المحامدية فسمرت الابواب وأدخل جميع خيله المسجد وجعلت فى الرواق الشرقى قريبا من رباط اشرابى وباتت فى المسجد الى الصباح والمشاعل موقدة فى المسجد ومشاعل المقامات موقدة أيضا وهب القواد الحاج الذى بالابطح وخارج المسجد فخرج الشريف حسن وانضم الى القواد بموضع بأسفل مكة وحصر اليه فى بكره هذا اليوم جماعة من أعيان مكة وذكروا له ما وقع فأظهر التعجب وكراهة ذلك ورجعوا الى أمير الحاج المصرى وأخبروه بمقاله وأخبروه انه أخطأ فى امساك القائد وضربه بأمر باطلاقه وطلب منهم ان صاحب مكة يحمد هذه الفتنة فرجع الجماعة الى الشريف وأخبروه والتمسوا منه اخماد الفتنة والعفو عن هذه الزلة فبعث ولده الشريف أحمد الى أمير الحاج فجمع

وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى أمثال ذلك ان يسقط الى أسفل وتنزعزع الجدران بسقوطه ويغلب فى انظن اختلال فى جوانب السطح يؤدى الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب طائفة تحركهم الهوى والغرض لحماقة مارأوا وحركوا طائفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة والرياح تنسفها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس (٣٩) بقوة البناء بل هى قائمة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير أحجارها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتهويلات التى تنبو عن مسامع العقلاء وهؤلاء الامر على عوام الناس وعوعائهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة على العوام وكتب فيه مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر ألفاظا واسعا فى الرد على أوائك المعاندين واستند الى قول كثير فوصفهم على الخوارج وبانى رحمه الله تعالى يحرضنى على الرد عليهم فاستدرمى من القول بالخوارج وقال لى ان المحب الطبرى فى كتابه استقصاء البيان فى مسئلة الشاذروان استدل بحديث عائشة رضى الله عنها فى هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير فى الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما

عليه الامير وخرج من عنده ونادى بالامان فاطمأنت الناس وأمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان القائد الذى وقعت الفتنة بسببه يقال له جراد واتفق ان تلك السنة كانت غلاء وقال بعض الادباء فى ذلك

وقع الغلاء بمكة * والناس أصحوا فى جهاد
والخير قل فهاهم * يتقاتلون على جراد

وفيه توريه لطيفه واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمانية عشر وثمانمائة

﴿ولاية رميثة بن محمد بن عجلان﴾

فولى السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة فى العشر الاول من ذى الحجة وصرح فى توقيعه انه ولى نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

﴿رجوع الشريف حسن فى ولاية مكة﴾

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقاق وبعث اليه ركاب الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت فى العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسعة عشر فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ باب المعلى قارمه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول فأزال من كان هناك بالرمى بالنشاب والاحجار فعند بعض العسكر الى الباب فحرقه حتى سقط على الارض وهدموا بعض السور مما يلى الجبل و بركة الشامى ودخل منه بعض العسكر ورموا معهم من الجبل و رموا أصحاب رميثة بالنشاب وحاصل الامر انهم دخلوا مكة بعد حصول قتال بين الفئتين وخرج جماعة من أعيان مكة ومن اتفقها والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وقابلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط اخراج معاديه من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين وأقام هناك حتى أصبح ودخل مكة لاستاخ السلطان الملك المؤيد فى السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرأ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان للمعاندين خمسة أيام فخرجوا الى اليمن ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا وتعهد الشريف حسن واتفقوا على وقاموا بنصرة ذوى رميثة بن أبى نمى وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبى نمى وأولاد على بن مبارك بن رميثة وأعلنوا بولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة ومبارس بن على بن مبارك وجعلوا لكل منهما نوبا بجدة فظهر عليهم الشريف حسن فهربوا من جدة وقصدوا مكة ففارقهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الرفتاوى فقتلوه وقتلوا معه جماعة ثم مروا الى جهة اليمن فى

بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عمى صاحب مكة امدد الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أركان شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندى الاعظم قاضى مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضى القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكى طيب الله مثواه وجعل الفردوس الاعلى مأواه وباطر الحرم الشريف المكى يومئذ أحمد جلبى المذكور وخفر وا جميعا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير الى سيدنا

ومولانا الشيخ محمد البكرى ان يأتى درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جارى عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم ملىح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقاد بمقائس الدراية جياد * فلما انقضى الدرس أحرج الناظر فتوى المفتى للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكرى فقال ومن يجانب هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع فى العمل فشرع واوسكمت الفقاقة والله الحمد وكمل ذلك بتدبير المرحوم القاضى تاج الدين المالكى رحمه الله وكان عاقلا محققا ثم مازار أى صواب محض وله مصل بام وبكر صائب (٤٠) تمام وتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة احدى وستين

وتسعمائة * ثم لما كشف عن تلك الاعواد فى السقف وجدوها كما طنوا وأدلوها اعواد جدة فى غاية الاحكام والاستقامة وأعادوا السقف واسطح كما كان عليه الاتقان وسطر ثواب ذلك فى صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طبوا ما شيأ يمكن كتابته وكتبت لهم كلاما يتضمن التاريخ وهو الحمد لله البارى عمر الكعبة الشريفة بالشرائع المحمدية وسقفها تشييد واد برفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وجد فيها احرار يريد أن يتقبل فافاضه وخصه بكبير اعانه يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وأمالة الحظ الأوفر من ملك سميه نبى الله سيدنا سليمان بن السلطان سليم خان الحادى عشر من ملوك بنى عثمان خادم الحرمين الشريفين الخاقان الوالية ذو مراحم ورايات ظفره فى الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور وأصلح السقف المرفوع وأصلح أرضها المقدسة وجدرانها المحترمة قبلة للسجود والركوع وعرد طير تاريخ تجديد عمارته على عصون حساب أحمد (فكان تجديد سطح بيت الله مالك الدولة سليمان) * ايكد الله الارض ومن عليها واجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه المطالب اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع فى تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وسار بين كل حجرين حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص ويسمر عساميرا لحديد فأزال ما بين

شوال سنة ثمانمائة وعشرين وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده ومربيا لذلك والد وشحنه للامر

﴿ذكر قيام الشريف بركات بن حسن بولاية مكة﴾

وفى سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تولى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه فاستعطفه أبوه فلم يفد وأعراه بعض جماعة من المفسدين على ذهاب حدة فعمل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم مكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفى سنة ثمانمائة وثلاثة وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تشريف امارة مكة لولده بركات وابراهيم وانفصل عن الامارة لرغبته فى العبادة لكبره وضعفه وتوجه عقب الارسال الى حلى فى شهر صفر فوصل جوابه ثانى عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربعة وعشرين وجاء عوا مكة لبركات ولم يسمح بها لابراهيم فحصل التامر بين الاخوين فخرج ابراهيم الى الين ثم انه ومعه جميع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة وألزموا المؤيد بالدعاء له على المنابر مع أخيه وأبيه باكره عليهما واستمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وستة وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه ابراهيم لانه أمره بما ينافيه دوى راجع ولم يفعل ومات خلعان الشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك المظفر برسباى الملك المؤيد وجعل للشريف حسن ألف أحمر يحمل اليه من مصر فى مقابلة تركه المكوس على الحصر اوات بمكة وأمر أن يكتب ذلك فى بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولى مصر السلطان برسباى فجعل امارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان وكان بالين فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج يومئذ الناصرى فدخل مكة وهو فى غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فتسقط حرمته فعرج الشريف حسن الى لقائه لجمل على جرى العادة وليس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور مقابلة خاصة وقال له يا امير ان مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة لكلام الحساد الباطل فلما بلغه ذلك لم يعمل معنا أهل الظلم والجور الذين اذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأصروا العباد فاحابه الامير بأن هذا لم يكن حاشا عن سلطان مولانا السلطان محب لكم وسوق تعلمون صحة قولى اذا رجعت وجاءتكم المكاتيب منه بعدم صحة ما نقل لكم عنه فلما ان سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان فلما وصل الامير الى مصر ودى للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحريره من الفتنة وحفظه للحاج وقدم له الهدية فرضى السلطان ومال الى الشريف حسن بالمأيسة والاستمرار وقصى جميع مطالبه

الاحجار من الحفر وتحت طرف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة وا
هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى م
الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمر
فوصل ووضع فى الخزانة العامرة ﴿ وأما عمارة المطاف الشريف ﴾ فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة
يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقرب الى الله تعالى إتقديد فرش أحجار المطاف وت

الطائفين
وتحلية الباب ا
والميزاب المعظم المبـ
خليفة الله تعالى الاعظم
سلطان الروم والعرب
والعجم من اصطفاه الله
تعالى واجتباه لترميم بيته
الحرام واختاره وارتضاه
لخدمة الركن والمقام
السلطان ابن السلطان
الملك المظفر أبو الفتوحات
السلطان سليمان خان
تقبل الله منه صالح
الاعمال وبلغه مايؤمله من
السعادة والاقبال ولما تم
ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا
عمر الله قلتما

﴿(ولاية الشريف على بن عنان بن معاماس على مكة)﴾

وفى سنة ثمانمائة وسبعة وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن معاماس بن رميثة بن أبى نمى الى مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار ودخل مكة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

﴿(رجوع الشريف حسن فى الامارة)﴾

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف حسن وعزل على بن عنان لموجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رفق فيه المعانى وعرفه ان عزله له من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة من السنة المذكورة

﴿(ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩)﴾

ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين توجه الى مصر للقاء السلطان برسباى فاجتمع به وأجله وأعظمه وقرره على أمر مكة وذلك فى العشرين من جمادى الاولى سنة ثمانمائة وتسعة وعشرين وقد أصابته علة فتعجل للرجوع فأدركته منيته فتوفى بمصر سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سبعة سنة وخمسة وسبعين وكانت مدة ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ستة عشر سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من الفضلاء أجازه بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك ياحسن ✽ وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن وهى طويلة

﴿(ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله)﴾

وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى بن حسن بن على بن قتادة وكان الشريف بركات بن حسن هذا أديبا فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد أجازله جماعة منهم الحافظ العراقى والهيثمى والبرهانى والمراغى وحدث عنه البقاعى وغيره

﴿(ذكر استدعاء السلطان برسباى الشريف بركات الى مصر)﴾

قال القاضى جمال الدين بن ظهيرة ان السلطان برسباى بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه

(٦ - تاريخ مكة) الكعبة ✽ وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاه بالذهب والفصة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الازرقى فى أشياء أهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفيحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بثمسية مر ذهب مكللة بالدر بافاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهب

ى مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضوهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه
رسل به الى الخليفة فأبوا ان يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتضد فترك قفل الكعبة
ن كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل
ة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله
الشريف فعلقت قال النقي الفاسي رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب ببيعة
بين المعتمد على الله (٤٢) وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس

ركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه عن الروح الزكية وولاه أمر مكة البهية وطلب اشريف بركات لأخيه ابراهيم ان يكون نائبا عنه بمكة اذا غاب وتوجها الى مكة فوصلا هاهنا في ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة وخمسة وأربعين فعزل بأخيه على ثم أعيد

(ولاية علي بن حسن بن عجلان)

وفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ما يحصل من عشور المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب مصر ثم في سنة ثمانمائة وأربعين جاءت المراسيم بأن نصف عشور جدة من المراكب الهندية يكون لامير مكة وفي سنة اثنين وأربعين توفي سلطان مصر السلطان برسباي فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباي وملك مصر وأرسل للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سيدون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر الحرمين ومشد العمائر وفي هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بني نمي وبين السيد علي بن حسن مصادمة فسافر السيد على صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا في المسعى وقتل جماعة من الفريقين

(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)

وفي سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذي يأتي بالمحمل وفي سنة خمسة وأربعين وقيل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

(ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة)

وولي مكة أخاه الشريف علي بن حسن ووصل الى مكة في رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه الى اليمن واستمر الشريف علي الى شوال من السنة المذكورة فقبض عليه الاتراك وعلى أخيه ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأطهروا رسوما بولاية أخيهما الشريف أبي القاسم بن حسن وكان بصرفهام بحفظ مكة ولده ابراهيم بن أبي القاسم

(ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن على مكة)

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر في ذي القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبي القاسم)

لدي وستين
ي وكان وزن
ة ثلثمائة وستين
رهما فضة وعليها خارجا
عن ذلك ثلاث أزرار
بثلاثة سلاسل من فضة
ودخل الكعبة يوم الاثنين
لاربع خلون من صفر
فعلق هذه القصبة مع
تعاليق الكعبة (قلت)
وسياتي ان هرون الرشيد
كتب أن يكون ولي عهده
بعده محمدا الامين ثم عبد
الله المأمون وبايع لهما
على ذلك أعيان مملكته
وكتب ببايعتهم وأرسل
نسخة ذلك العهد الى
الكعبة وعلقها في الكعبة
ثم لما وقع بعده الاختلاف
بينهما وأرسل الامين
عسكر القتال أخيه
المأمون أرسل الى مكة
وأخرج كتاب العهد من
الكعبة ومزقه فمزق الله
ملكه وانكسر عسكره
وانتصر المأمون وجاء الى
بغداد وحاصر الامين الى
أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى * ثم لما فولي
وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة
وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام
الصبا وقد خفت القناديل من كان يتهم بذلك بل أخبرني نجارا نه عمل لاحدهم محطا مركبا من الخشب مؤلفا من
عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينكل ويحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل
وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المحط ونزل قنديلا وفك ذلك الاعواد وعفس ذلك القنديل ووضع في كمه الواسع ثم

أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله عنه وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قريبا في البيت الشريف فكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا الى حد الحمصة فنعتذر في ذلك ان وقع فعله منا • والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر في غاية الصون في أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت في أيامه قناديل كثيرة أعدها الملوك الى الكعبة الشريفة وهي محفوظة معلومة عند الناس باقية برونقها في سقف البيت الشريف في أوقات فتح الكعبة لسائر الناس • وقد وصل في وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالي الشريف السلطاني جاويش اسمه محمد جاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه بشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقي وغير ذلك من الاكرام وأدخل في عداد خواص جاوشية الباب العالي وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف في هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من شرفاء بني عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغني بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبي نمي خلد الله دولتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضي المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسيني المكي المكين لازال حرم الله الامين مشمولا في أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين في بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك لقاضي مكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولي ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين

فولي مكة الشريف بركات وشاع في آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على جرى العادة في أكل عدة فلما بصر وابه على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن نفروا ثم خرج بعد انزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

•(رجوع الشريف أبي القاسم الى مكة)•

فعاد الشريف أبو القاسم الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين

•(رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة)•

لما كان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضى عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضي عنه وأعاد والده الى مكانته ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادي الابار ثم توجه الى مصر ومات بها هو وأخوه على سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين وكان الشريف علي بن حسن فاضلا كريما ذا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

اذا نال العلا قوم بقوم • رقيت علوها فردا وحيدا

•(استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث لعلو سنده ورجوعه الى مكة)•

وفي سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الرميلة وبالغ في اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادى الاولى محرما بالعمرة فطاف وسعى بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة في الصبح لابسا خلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم وفي سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين مرض الشريف بركات فعرض لابنه محمد أن يكون ولي عهده من بعده

•(وفاة الشريف بركات)•

ثم توفي الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادي مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلي عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة ورثاه الشعراء

لطفي بك زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير أحمد وفقه الله وسدد واكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصر الله تعالى بها الاسلام وأيد تأييد هادين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف بيت الله تعالى راده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوي تعظيما للسيد الامام وقال على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام فلما وصل محمد جاويش الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى بما في يده من الخلع والتشاريف (٤٤) والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال وعومل بنهاية الاحترام والاقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخرة وأنعم عليه بالضيافات والانعامات الوافرة وحصر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن المشار الى حضرته العالية أدام الله عزه واقباله ومعه أكابر السادة الاشراف وجلس في الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني الموسى اليه خلد الله عظمته واجلاله عليه وباقي من ذكر وسائر الاعيان والاهالي وكافة العلماء والفقهاء والموالي واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل السنية الخاقانية وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة في الاقطار في والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهوري يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله يعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والتأمين الى أن فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع

(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا في اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفي شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية في والده وتأييده في ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاثة وتسعمائة متوليا على مكة مظهر اللعدل في الرعية وداست له العباد واتسع ملكه وتصرفه في البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفي سنة ثمانمائة واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباي وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضي مكة القاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي وأرسل مراسيم تقتضي رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفي سنة ثلاثة وسبعين وثمانمائة غرا مولانا الشريف محمد بن بركات فيها زيد بن خليص وراغ وقتل شيخهم رومي وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثين ألف الف من المواشي وفي سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة ولانا الشريف محمد بن بركات والقاضي ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضي أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من أقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباي ثم رجعوا

(ذكر ما مات جوف الكعبة من الرخام)

وفي سنة احدى وثمانين مات من الرخام بالكعبة خمسة وعشرون نفرا

(ذكر صلاة الشريف هزاع بن محمد بن بركات التراويح بالخمقة)

وفي سنة اثنين وثمانين صلى بالناس السيد هزاع بن الشريف محمد بن بركات صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل مالا يحصى وأوقد من الشموع في ثلث الليالي مالا يحصى وكان في كل ليلة يخرج من بيت والده في زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويلقاه من باب المسجد القصاة الاربعة ويمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلي خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلي على يمينه فقيه وعن شماله القاضي أبو السعود ابن ظهيرة وفي ليلة الختم زف المصلي المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد

نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيما لامر السلطنة العلية المنيفة وفرشت الفوانيح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى خلافته الزاهره وأبد أيام سلطنته القاهره وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا متيمما مسعودا رفعته الليالى والايام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها واطباقها (٤٥) وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن روى ثم توجه

فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربعة وثمانين وثمانمائة غرامولانا الشريف جاران من أرض اليمن فحرب حصونها وأوديتها وأخذ الاموال وغنم عنائم جزيلة منها ورجع سالما

•(ذكر حج السلطان قايتباى)•

وفى هذه السنة حج السلطان قايتباى فاحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده يسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا فجلس عليه السلطان وقدم له أكل من كرم الاخلاق واللطف ما لا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا واشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن بركات للقائه الى الصفراء فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وصار السلطان يلاطفهم ويشكر لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا له هناك سماطا فلما كان يوم الاحد مستهل ذى الحجه وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة وسلموا عليه وانصرفوا وركب فيمن معه ودخل مكة ليلا وكان قاضى مكة ابن ظهيرة هو الملقن له الادعية الى ان دخل من باب السلام فدخل بحصانه فعثر فطاحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناوله اياها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث لم يدخل محترما فترجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعى عاد الى الزاهر فى صيوانه وبات هنالك وركب فى الصبح فى موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه حتى الشباء ودخل مكة فى أبهى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب السبى ومد له الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية من الضبط فى مدة غيبته واستمر السلطان قايتباى على سلطنة مصر الى ان توفى سنة احدى وتسعمائة

محمد جاويش بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أكابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شأن وقدر من مجاوريها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وفتحت الحجره الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق ذلك القنديل بجاه وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جميع ان سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله يطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لازال فائقا سلاطين العالم وخلفاءها وراقيا بأقدام اقدام عزمه ملوك الدنيا وعظمائها

هو العادل الظلام للمال والعدا • خزائنه قد أقفرت وديارها عليهم سورا لله ينظر قلبه •
فلم يغن اسرار القلوب استتارها • به ملة الاسلام عال منارها فلا زالت الآفلاك تجرى بسعره •
ولا زال عنه قطبها ومدارها

•(فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها)• ذكر

الازرقي وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع أسعد وانه رأى في منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع * ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال أسعد في ذلك وكسونا البيت الذي حرم الله مالا معصبا وبرودا وأقمنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا المعقودا قال الازرقي أيضا حدثني سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلى شئ منها جعل فوقه ثوب آخر ولا يرفع مما عليها شئ * وكانت قريش في الجاهلية تراقد في كسوة البيت فيصبرون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة (٤٦) بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر في المال فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسمعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه قال كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين ويكسو أولا الديباج فيصاد لي عليها يوم التروية ولا يحاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يحرقوه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج ولا يزال عليها الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهي من القباطي * فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى ثم الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطي أول رجب وتكسى الديباج الابيض في عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى اليه أن الازار الذي تكسى به الكعبة في العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذي يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج أن يجدد لها ازارا على عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذي تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر في عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كسرة مس أيادي الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه في كل شهرين ازارا وذلك في سنة أربعين ومائتين * ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم

* (وفاة الشريف محمد بن بركات) *

وفي سنة تسعمائة وثلاثة توفي الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مر الظهران وحمل الى مكة وصلي عليه ودفن بالمعلا وبني عليه قبة ولما وصلوا به من الوادي الى مكة صحب البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ستة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكان موته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثي وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مصباس من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت في المنام في أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفي وان الشيخ عليا المذكور الراوي للرؤيا يغسله وكان دملا يخرج منه القيح ويسيل فاراد الشيخ علي ان يكتفي بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سقه نقال الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفي الشريف محمد بن بركات المذكور وحملت غسله فرأيت الدمل الذي كنت رأيته في المنام ورأيته يخرج منه القيح فلا زلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائي

* (ولاية الشريف بركات بن محمد) *

وتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ في كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ في مصر على نحو أربعين شيخا وأجاروه وأجازه بمكة جماعة وجاء التأييد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع في لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربعة وتداخلا مع أمراء الحج فسعوا له في ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغوري

* (ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات) *

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادي مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه أمير الحج المصري فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها وانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصري الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذي الحجة

وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسنديس * ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات دالات وقد زاد في حواشي تلك الدالات

ثم ذهب لقتال هراع وأقبل هراع بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقا تاسع جمادى الاولى سنة تسعمائة وسبعة وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

* (وفاة الشريف هزاع) *

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفي خامس عشر رجب من السنة المذكورة

* (ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات) *

فولى مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجارانى وكان أيضا مغاضبا لاخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء

* (رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له) *

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بأن ما وقع انما هو بمباطنة أمير الحج لاخويه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجارانى ثم قبض الشريف بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجارانى وأخذ أمواله وقتله تعريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجارانى جمع جموعا وقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمانية وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وصادر أهلها وأخذ أموالهم وسبى الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمعلى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاخلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فعاد اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأطهر له المجاورون من الاروام الصدق بكسر والشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ودخل مكة من اذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة وقاتلوهم عند باب المعلا مقاتلة شديدة وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان يحمله ذلك اليوم فرس تسمى بالحرادة وانه أحمها الخندق الذي حفره الاتراك حول سور المعلا وكان عرضه سبعة

آيات أحرمناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ماجرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد * ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسنديس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر وقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عاما فاضلا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمراياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام ﴿ وامازع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس ﴾ فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع

كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال سمعت ابن أبى مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت فى الاسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوى شيأ شيأ * وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبى سفيان ساها الديباج مع القباطى ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطى وحبر وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوى ويحلقها بالطيب ويلبسها ما جهره اليها فجردها وطيبها وطيب جدارتها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة (٤٨) وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حاضرا فى المسجد الحرام

أدرع وجعل يضرب فى الجيش بسيفه فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لاجل بعض الاصلاحات فجاء الشريف أحمد ودخل مكة فى غيبة الشريف بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الارقاء وأمهات الاولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة فاحتقم بأميرها وجعل له ستين ألف أشرفى أحمر على ان يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة فترك ينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن فى ثالث عشر ذى القعدة فخرج الى ملاقاة التجريدة فخلع أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه ولم يزالوا الى ان وصلوا مدرسة الاشرف فابتدأ فقبض على الشريف بركات ومن معه من الاشراف وجعلهم فى الحديد ونهبت بيوتهم وأخذت خيولهم وابلهم ونادى فى البلد للشريف أحمد الجازانى وجهزهم أمير التجريدة وهم فى الحديد ثم رجع بهم الى مصر فنصب السلطان الغورى له ذلك وأمر باطلاقهم من الحديد وأنزل الشريف بركات فى منزل خاص به هو ومن معه من الاشراف ثم ان الشريف بركات بقى ينتهز الفرصة حتى أمكنه الله ففر الى مكة أواخر سنة تسعمائة وثمانية وفى تاريخ الرضى سنة تسعمائة وتسعة ولم يشعر به الغورى الا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه فبالغ فى الضغط على من بقى بمصر من الاشراف وجعل عليهم حرسا وأخرج الحاج فى هذه السنة بقوة عظيمة من العسكر والمدافع خوفا من الشريف بركات فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث مكاتيب لامير الحج يؤمنه ويأمره بالحج على أسر الاحوال ويعرفه انى من خدمة السلطان ولا يحصل منى شئ فى أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر السلطان رضى عنه وجهز اليه عياله وجميع ما كان له بمصر وفى غيبته هذه عن مكة قتلت الارواام المقيمون بمكة أخاه الشريف أحمد صاحب مكة فى الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

﴿ولاية الشريف حيضة بن محمد بن بركات﴾

وبعد دفنه ألبس الامير على العساكر أخاه السيد حيضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الحجاز حتى يأتى أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغورى بذلك ثم ان الشريف حيضة قابل أمير الحج المصرى ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد حيدان بن شامان الحسينى وكان بعض الاشراف من بنى حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حيدان وقبله وفى الحى زير يضرب وقد تهيؤا للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها

فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكيم ابن أبى فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فلمست الى عبد الله فى معه رهم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يحلق جدورها ويطيبها ورأيت ثيابها التى جردها عنها قد وضعت بالارض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكنز ثياب الكعبة عليها فنجردها عن خلقانها ونحفر لها حفرة تدفن فيها ما بلى منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضى الله عنها ما أصبت فيما فعلت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا تصرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضى الله عنهم فى ذلك رجوع أمره الى السلطان وقال الامام فخر الدين قاضى خان رحمه الله تعالى فى كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به فى أمر الكعبة لان الولاية فيه للسلطان لا لغيره وفى تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى فى ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شئ له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسى فى منظومته

وعقدوا

وما على الكعبة من لباس • ان رث جاز بيعه للناس ولا يجوز أخذه بلا شرا • للاغنياء لا ولا للفقرا وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شئ من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه • فقد روى عن ابن عباس وعائشة انهما قالا لا يبيع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى • وقد ورد في الحديث لو لا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله قال القرطبي من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها لكسرها وقاديلها لا يجوز صرفها (٤٩) في غيرها انتهى فعلى قول القرطبي يكون كسوتها أيضا حبسا عليها لكسرها وقاديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في قواعده قال ابن عبد السلام أمع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأي الامام والذي يقتضيه القياس أن العادة استمرت قديما بانها تبدل كل سنة وتأخذ سدنة شيبة تلك العتيقة ويتصرفون فيها بالبيع وغيره والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فامرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع الى شرط الواقف فيها فمهما لم نعلم شرطه فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها كما نحوا الحكم في سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم • وللعلماء المتأخرين رسائل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لي الآن الوقوف على شئ منها

• (الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أحدث فيه من التوسع والزيادة في زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة وأعاد تها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر

وعقدوا بها على الشريف بركات

﴿زواج الشريف بركات بالشرق﴾

فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي ابن بركات

﴿ولادة الشريف أبي نمي ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذي الحجة﴾

وولدت له الشريف أبا نمي المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ونرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول انه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمانية هجم الشريف بركات بمن معه من العرب من عنيبة وغيرهم على مكة وشرعت العرب في النهب فأرسل الامراء للشريف بركات وصم والها ان يأخذ الله من أخيه حيضة خمسة آلاف دينار فقال حيضة مالي قدرة فأعطاه الامراء من مال الصرة الذي جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حيصة ثم ان السلطان الغوري أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشرة وان المعول في الامور عليه فمرار يحلج على أخيه فايتباي ويدعي له ولابيه على بن بركات ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفي سنة تسعمائة وثلاثة عشر خرج الشريف بركات لقتال مالك بن روميي الزبيدي الذي كان سبا في نهب مكة زمن أخيه أحمد الماراني ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة وأخاه مشهور بن رومي وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغوري ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغوري

﴿وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي هذه السنة توفي علي بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعني محمدا وفايتباي وفي سنة تسعمائة وخمسة عشر بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغوري بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار وقاسلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف خلعة وهدية سنيه وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينفيع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

﴿وفاة فايتباي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي سنة تسعمائة وثمانية عشر توفي السيد فايتباي وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمي ابن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاسيا مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ومجد الدين بن

والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف) • اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احترازا للكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت الى قصى ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصى قومه وأمرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل وقال لهم قصى ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة فى الجانب الشامى كما تقدم بيانه ويقال (٥٠) انها مقام الحنفية الذى يصلى فيه الآن الامام الحنفى الصلوات الخمس وقسم قصى باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان اقدار المعروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا عليه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كبرت البيوت واتصلت الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحل المسمى الآن بشعب على وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن أمير المؤمنين عمر الى الفاروق رضى الله عنه فرأى انه يزيد فى المسجد الحرام فأول زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه • (فنبدأ بذكرها فنقول) • روينا بالسند المتصل المذكور سابقا فى المقدمة عن الامام أبى الوليد الازرقى قال أخبرنى جدى قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام • ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها فى المسجد وأبى أصحابها من بيعها

يعقوب المالكى وولداه القاضى محمد والقاضى تاج الدين وجملة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمى وعمره اذ ذاك ثمانى سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغورى بالاعزاز والاكرام وأجلس السيد أبا نمى على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح وكان السلطان الغورى يتجهز للحروج الى قتال فسأل السيد أبا نمى ما سورتك فقال انا فقحنا لك فتحا مبينا فاستبشر الغورى بذلك ثم جعله شريكا لوالده فى أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفى سنة تسعمائة وعشرين حث زوجة السلطان الغورى ومعها ولده محمد وكاتم السر محمود فأكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل ما يحتاجونه ثم قيام وسألاه ان يتوجه معهم الى مصر ليجاروه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة فى شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

﴿ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢﴾

وفى سنة اثنتين وعشرين كان القتال بين السلطان الغورى والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الحراكسة وفقد السلطان الغورى فى المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط فى التواريخ ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضى صلاح الدين ابن أبى السعود بن ظهيرة معتقلا بها صادره الغورى بطلب منه عشرة آلاف دينار فعجز فأمر بحمله الى مصر واعتقله ثم أطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضى تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأى ارسال مكتوب اليه ولا تبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات وابقاء الشريف أبى نمى على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغورى وكتب القاضى صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع ويسأل منه ارسال انه الشريف محمد أبى نمى الى الحضرة السلطانية يتشرف باللقاء ويكون دليلا على الرضا والبقاء ففعل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطانى أرسل ابنه أبا نمى وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة فى حبس الغورى وأرسل بهم بعد اكرامهم

فقال لهم عمر رضى الله عنه أنتم زلتم فى فناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة ومازالت الكعبة فى سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها فى جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت فى المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبوابا كما كانت بين الدور وقيل ان تهدم جعلها فى محاذاة الابواب السابقة • ثم كثر الناس فى زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دورا حول المسجد هدمها وأدخلها فى المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهدم دورهم وأدخلها فى المسجد فصح أصحاب الدور وصاحوا ودعاهم وقال انما جراكم على حلمى عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضى الله عنه (٥١) فما جمع به أحد ولا صاح عليه وقد

الى مكة

•(ابتداء المحمل الرومى سنة ٩٢٣)•

وأرسل الامير مصلح بيك محمل رومى وكسوة للكعبة وصدقات ولما وصل الشريف أبو نمى الى مصر قابله السلطان سليم بالاجلال والاكرام وأعاده شريكا لوالده وعمره اذذاك اثنتا عشرة سنة وبعث معه أمرا سلطانيا بقتل حسين الكردى صاحب جدة من جهة العورى وهو أول من بنى السور على جدة وولى على جدة الخواجا قاسم الشروانى فجاء بالامر السيد عوار ونزل جدة وأغرق حسين الكردى المذكور فى البحر بعد أن ربط فى ظهره صخرة ولما ان قدم الامير مصلح بيك بالمحمل الرومى والامير العلائى بالمحمل المصرى خرج الشريف للقائهما هو وابنه فى عرضة من قومه فالتقوا فى الزاهر ولبسا الخلعة وسارا مع الامراء والمحمل خلفهما الى ان أوصلاهما الى باب السلام فأدخل المحملان الحرم وجعل أحدهما على يمين مدرسة الاشرف قايتباى والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصرى رباطا كان فى مسيل الوادى هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذى الحجة تسعمائة وثلاثة وعشرين فى الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهى صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تحرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادرال وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمى ولم يحج فى تلك السنة المحمل الشامى وخطب يوم التروية الشريف النواكيرى ودعا للحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضى مكة القاضى صلاح الدين بن طهيرة ودعا للسلطان فى الموقف الاعظم

•(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)•

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولى تفرقة ذلك الامير مصلح قال العلامة السنجارى وقد تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف أردب والسلطان مراد بن سليم بن سليمان زاد خمسة آلاف أردب فيجب على أهل مكة وسائر الاقطار الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

احتذيت حذوه فصح رتم منى وصحتم على ثم أمر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الازرقى رحمه الله منى كانت زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنهما • وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجورى فى تاريخهما ان زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ست وعشرين من الهجرة • أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل • قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمى العلوى رحمهم الله تعالى فى كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى فى حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذى كان فيه لما عفاه السيل فأتى به ورتبط بلصق الكعبة فى وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلا هائلا فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فهاله ذلك وركب فزعا الى مكة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر

المقام وهو ملاصق بالبيت الشريف ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه
انا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى
زمزم بقماط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل اليها فاتى
بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله
عنه الردم الذي بأعلى مكة صوبا للمسجد وبناه بالضفائر والصخر العظام وكسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم
في سنة اثنتين ومائتين فكشف عن بعض (٥٣) أحجاره وشوهدت فيه صخار عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون

هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك * أقول المراد من هذا الردم الموضع الذي يقف له الآن المدعو وهو ما كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء وهي الحجون اذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هناك للدعاء واما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المدعا * قال مولانا القاضي جمال الدين محمد أبو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب البحر العميق في مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا ظهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت * ونقل حافظ الدين النسفي في المدافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كداء ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعا ملى قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى * وكان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط المائة التاسعة ووفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله

(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وستة وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبو نمي

(وفاة الشريف بركات سنة ٩٣١)

واستمر الشريف بركات الى ان توفي رابع عشر ذي الحجة وفي تاريخ الرضي استقبل من ذي القعدة سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلي عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلا ويبنى عليه قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبو نمي

(ولاية الشريف أبي نمي استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)

فولي مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد واقبال وسعد يستخدم به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية ابنه أبي نمي ويقول لم نزل الاكدار على متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية فحمدت ولايته بارا لفقير وأحسن بمكة وحسه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم وداست له رقاب الامم وفي سنة تسعمائة وأربعة وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاحد جارين يصاحبها اذ ذاك عامر بن عزير فأخذها الشريف وفر صاحبها فاقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمسة وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج منها قائد الشريف وأقام فيها نائبا من جهته وأضافها الى ما اقتطعه من اليمن ثم ورد سليمان باشا مكة فواجهه الشريف ليلة دخوله في الحجر ولما أراد التوجه الى مصر بعث معه الشريف أبو نمي ابنه السيد أحمد فقابله مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن مجل والقاضي تاج الدين المالكي فوسلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم وأجلس السيد أحمد بن الشريف أبي نمي مسامتا له على يساره وأحسن اليهم وأشرك السيد أحمد مع أبيه في امرة مكة

(جد الاشراف آل مندبل وآل حراز)

عليه وسلم ومارفعه الا سيدنا عمر رضى الله عنه بالردم الذى بناه فارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكنى أنظر فى جميع عمرى فى المدعا بوقف فيه تبركا فالذى استمر ووقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى أعلم • ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذى بناه عمر رضى الله عنه ولا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن عمر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبى من المسجد الى ان يخرج من أسفل مكة وهذا السيل وادى ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليمانى من المسجد وينحرف الى أسفل مكة وقوة جريان هذا السيل يجمع من جريان سيل وادى ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة فى كل عشرة أعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التطيف وتبديل الحصى ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك تمام الاهتمام فاندثرت أعمالهم لطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح ذلك

﴿واما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فى المسجد الحرام﴾ فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفى كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور أبواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه • وكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضى الله عنه اتباع مارأى ووسعه بها أيضا وبنى المسجد الحرام والأروقة فكان عثمان أول من اتخذ

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل مديل وآل حراز وتوفى السيد عرار هذا وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبعة وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو عمى من وادى مر الظهران ومدله سماطا هنالك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوما عاشر من ربيع ولبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده واعتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

• (ذكر قتال الشريف أبى عمى الافرنج بجدة) •

ومن مناقب الشريف أبى عمى قتاله الافرنج وذلك انه فى سنة تسعمائة وثمانية وأربعين خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وخربت عالب البنادر ثم قصدوا جدة فى أواخر السنة ونزلوا المرسى المعروف بابى الدوائر فى خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح وقاتلهم مولانا الشريف أبو عمى بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة فى جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء فى نواحى مكة من صحبنا له أجر الجهاد وعليها السلاح والنفقة فلبى أهل الجهاد مبلغا عظيما لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فشاهدوهم يزيدون عددا وعددا وعيشارغدا وخدم مولانا الشريف يتوجهون الى أطراف البلاد ويحصرون بأنواع الطعام باغلا ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فاقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنه واستمر ذلك مدة فقال بعض الناس لمولانا الشريف ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه بانى نويت ان أنحر ما أملكه وعلكه أولادى وأحفادى فاذا نفدت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يحوز أكله ولما قرب رمن الحج برز أمره الى ابنه الشريف أحمد أن يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه توجهوا للقاء مولانا الشريف أبى عمى بحدة لابلاسه الخلع فقابلهم ولاقاهم وهو شاكى السلاح لابسا درعه على هيئة المقاتل ولما ان قرب الامراء أمر بإطلاق المدافع فاطاق لمقابلتهم نحو ثلثمائة مدفع فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم وانصرفوا راجعين ولما رأى الافرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين ولما بلغ مولانا السلطان سليمان ذلك زاد فى اكرام المشار اليه وسمح له بوصف معلوم جدة الى غير ذلك من الانعامات التى لا تحصر

• (فتنة بين الشريف أبى عمى وأمير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨) •

وفى سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين الشريف أبى عمى وأمير الحاج محمود باشا وذلك ان محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على الشريف أبى عمى يوم النحر وقتله هو وأولاده فى ساعة واحدة وظفرهم الله به ووقع فى أيديهم وأرادوا قتله ثم ان الشريف خشى على الحجاج فامسك

للمسجد الا روقة انتهى وقال الحافظ النجم عمر بن فهد فى تاريخه فى حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان رضى الله عنه أن يحول الساحل من الشعيبة وهى ساحل مكة قديما فى الجاهلية الى ساحلها اليوم وهى جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضى الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان (٥٤) واستمرت جدة بندرا الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهى على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تسمى وعب احداهما الليل كله فى أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل شيئا قليلا وأما الراكب المجد والساعى على قدميه يقطعهما فى ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخى الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها لان مدة السفر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة فى أكثر من نصف النهار من أقصر الايام سير الاثقال وهاتان المرحلتان تتكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد * ثم رأيت فى موطأ الامام مالك رضى الله عنه حديثا صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه صورته عن مالك أنه بلغه ان ابن عباس كان يقصر الصلاة فى مثل ما بين مكة والطائف وفى مثل ما بين مكة وعسفان وفى مثل ما بين مكة وجدة والله أعلم * ثم وقعت زيادة الشريف عبد الله بن الزبير رضى الله عنه * هو صحابى ابن صحابى أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق رضى الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قويا قسم الليالى الى ثلاث فليلة يصلى قائما الى الصبح وليلة

يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا
• وكان ممن أبى البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولي عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وأمر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه الرابعة الجعدي

حكمت لنا الصديق لما ولينا • وعثمان والفاروق فارتاح معدم (٥٥) وسويت بين الناس في الحق فاستوى •

الشريف ففرح بذلك وقابله مولانا الشريف من تربة الشيخ محمود هو واخوته ففرح غاية الفرح وأنزلوه مدرسة قايتباي وجعلوا له سماطا فاقام يومين ورجع الى جدة متوجها الى اليمن

•(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)•

وفي سنة تسعمائة واحدى وستين توفي السيد احمد بن أبي نمي والسيد احمد هذا هو جد السادة الاشراف آل مندبل وآل حرازو كان أكبر من الشريف حسن وكان مشاركا لابيه بأمر سلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة ان يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام

•(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى سنة ١٠٤٩)•

وفي سنة تسعمائة وثلاثة وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على اليمن على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له فوصل المحمل فبرز مولانا الشريف للقائه الى رككما جن ولبس الخلعة ودخل الشريف مكة ومعه المحمل والامير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجيء هذا المحمل الى سنة ألف وتسعة وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفي سنة أربعة وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الامر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الامر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلي وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلي الى نجد وما دخل في ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واحتماء العلوم وكان جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وله اشعار الفائقة والشعر الرائق وتوفي ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وحمسة وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالجم دخلت على مولانا الشريف أبي نمي معزيا له في ولده السيد بركات فانهملت دموعه فاخذها بمنديل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقى • هام العلى رفع المهيمن شانه
لا تبك مرحوما أتى تاريخه • بركات أرله اللطيف جنانه

•(وفاة الشريف أبي نمي سنة ٩٩٢ ومدة ولايته مشاركة واستقلالا ٧٢ وعمره ٨٠)•

فسري عنه بعض ما كان فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنتين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا لوالديه

وباد صباحا حالك الليل أصحم

وكان لما حاصره الحصين ابن مير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر بيعته فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديث عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها نحوا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديث عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف ليجدد بناءه﴾ خرج أهل مكة خوفا فتأخر العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبدا دقيق الساقين وعيد اله من الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله في تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن

الزبير ان يجعل الطين الذى يبنى به الكعبة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فأرسل الى صنعاء اليمن طلب منها جصا نطيفا محكما فأتوا به فبنى به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا فى البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان أدار ستارا على فناء البيت وكان البناءون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر فى البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه ورفع لها بابا غربيا فى مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره اثنان وخمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا (٥٦) الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائلا قصيرا

ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصى لما توفى الشريف أبو نمى امتنع من الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها فى المسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتحامل وسألها وقالت يموت ابنى ولا تصلى عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رأى وأعقب الشريف أبو نمى كثيرا من الذكور والاناث من الذكور الحسن وثقبة وشبيرور اجح ومنصور وسرور ومنهم أحمد وبركات لكنهما توفيا فى حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبى نمى الشريف حسن ﴿ولاية الشريف حسن بن أبى نمى استقلالا﴾

ولى مكة بعد موت أبيه ولبعض الفضلاء من أهل مكة فى تاريخ وفاة الشريف أبى نمى

يا من به طبنا وطاب الوجود ✽ قد كنت بدرا فى سماء السعود
ماصرت فى الترب ولكنما ✽ أسكنك الله جنان الخلود

٩٩٣

ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر فى أخبار أهل القرن العاشر ان الشريف أبا نمى كان من أكابر العلماء وأجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبى نمى سنة تسعمائة واثنتين وثلاثين حملت به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والرسالة كما جمع جده صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كأنه معهد للكمالات الجلية ومعقد لخواص أرباب الهمم العلية وكان آية عظيمة فى حل المشكلات مع وفور العقل وصحة الفراسات شمر للعلماء المفاخر وألحق عاجزهم بالماهر فانظم وافى سوحة انتظام لآلئ الاكليل ونظم وافى محاسنه ما يضاهى زواهر الاكليل وكان يجيز على التأليف والقصيدة الالف وأكثر فأبرزت له محدرات العلوم من أنواع مايطلم ويبشر وهو أول من كتب فى التوقيعات يجرى على الوجه الشرعى والقانون المحرر المرعى فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على ذلك من بعده من الملوك ويكتب على القصص وهى الاستدعاءات لعلماء الى سؤاله ارادة الله فى توالله وكتبه فلان ويعبر الحجة والقصة ويكتب على الاستفاريز اسمه فقط من غير ان يعبر عليها ولما توفى والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد وهناه الشعراء ومدحوه بفرائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التى هى منزله جعل له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت فى بعض الطرار هى هذه

يا سائلى عن محل الملك من كثب ✽ له السعادة ما ان سارت الفلك

على انه من الكعبة فأرسل عبد الله بن الزبير ذلك الوسع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهى على قواعد ابراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكملوا بناءها نقصوا من طولها ثمانية عشر ذراعا عرضية لاطول لها فزاد فى طولها تسعة أذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعا ﴿ولما فرغ من بنائها﴾ طيبها بالمسك والعبير داخلا وخارجا من أعلاها الى أسفلها وكساها الديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحو من عشرة أذرع ﴿وكان فراغه من عمارة البيت الشريف فى سابع عشر رجب سنة أربع وستين من الهجرة فخرج الى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح

كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة الى هدى اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار فى هذا اليوم فى كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس ابن الحسنى جد سادتنا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بنى حسن يقال لهم الهواتم لانهم مالوا على اللهو واللذات وكثر الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم وبقرت القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال

أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بنجملاتهم الى التنعيم فهجم بعبيده وذويه يدخل مكة وهي يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثدة بن عيسى بن فليتة فقر بمن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية في ولده الى الآن والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبر او بنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس (٥٧) أرضها بالحجارة التي وصلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائرها ولم يغير منها شيأ فهي الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله ابن الزبير فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي وهو من ثقات الرواة فتحادثا في أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن ابراهيم وان بدا لقومك ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موسوعين على الارض باشرقي يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه وقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل يسكت بقضيب في يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكر ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشجور رجعنا الى ما نحن بصدده في ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام * وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان

هذي الديار الى قد عز مشؤها * فما سبى مثلها عجم ولا عرك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها * بنظم بيت كدر رانه السلك
ما منزل الملك الا ماحوى حسن * وفي بنيه يكون العز والملك

وكتب ذلك في الطرار فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبي سعي بيت التاريخ فأنشأ داره المعروفة به وكتب في طرازها شعرا أنشأه له بعض الفضلاء وجاء فيه بقوله

(ما منزل الملك الا ماحوى ثقبه)

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن فاتفق انه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة وجعل يقرأ الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر هي هذه

ان بيتا ساه خير مليك * أسس الملك كفه واشاده
فاق في وصفه وحسن بناه * كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف * أنا بيت الملوك دار السعاده

(موضع دار السعادة ودار الهناء)

يقال ان دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوي رديدير له وأما ذرو بركات فيرلون في دار الهناء ويقال انه كان في موضع بيت الشريف نمي الذي تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(فاجابه بقول الطغرائي من القصيدة)

أريد بسطة كف استعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلي

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف فامر له بألف دينار وفي أيامه في سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبي فتح الكعبة في رمضان على جري العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الصيحة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفر وا به ثم وجده سمسار باشا باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثيرا من

الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشى يتتبعون الأنباء فاذا فلص قامت المجالس * قال وحدثنا جدى حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها الى المسجد وكان مما اشترى بعض دار جدنا الازرقى وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع البنا فال وركب رجال منا الى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان ولم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير بعد ذا وبد افعا حتى جاء الحجاج ابن يوسف وحاصره وقتل ولم يأخذ منه شيأ * قال وذكر جدى أنه سمع

مشيخة أهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقف المسجد غير انهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك ابن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة * قال وحدثنى جدى حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن قرة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد فى زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب قال وروى جدى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زاذان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك فى زمان عبد الله بن الزبير ﴿ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام﴾ قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى كان الوليد

السرقات أقر بها فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبى وقد ترجم مولانا الشريف حسن بن أبى نمى العلامة المحبى فى كتابه المسمى خلاصة الأثر فى أعيان أهل القرن الحادى عشر وأطال فى ترجمته فياذا كرقوله نشأ فى كفالة والده سعيدا رئيسا جيدا ولبس الخلعة الثانية بعد أخيه أحمد فى سنة اثنتين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التى لصاحب مكة ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية واستمر مشاركا لوالده فى الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجل ولو فى المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم القدر مفرط السخاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقدما صاحب فراسة عجيبة

﴿فراسة الشريف حسن بن أبى نمى فى أحكامه﴾

(حكى) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه وقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا حبل كان عندى اشتراه منى فلان فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة ثم وجدت السرقة بعينها فى المحل الذى طرحها فيه ومن ذلك انه اختصم عنده رجلان مصرى وعمانى فى جارية فادعى كل منهما انها له وأقام بذلك بينة فأجال فكرته الوقادة وطلب قليلا من الحب وقال انها اما اسم هذا فى بلادكم فقالت بل حكمكم بها للمصرى فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انه اختصم لديه رجلان شامى ومصرى فى جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما انى سأحكم بحكم فان ظهر لى أن الحق بيد أحدكما عرمت الآخر ثم أمر الجمال وأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه فاستخرج فتأمله وقضى بالحمل للشامى وأمر المصرى بتسليم القيمة فقيل له فى ذلك فقال رأيت مخه معقدا فاستدللت بذلك فان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهى تعقد المخ وأهل مصر يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن مالا بالمردلفة أى ليكون محفوظا مدة مقامه بالمردلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى منى وجد المال قد حفر عنه وأخذ ولم يظفر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فاحضرها ثم

جبارا ظالما أخرج أبو نعيم فى الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيارة بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطى لكنه أقام الجهاد فى أيامه وفتحت فى دولته الفتوحات العظيمة كايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه * وقال ابن أبى عبيدة وأول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفائح الذهب وأرر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سرادقات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد تاملها

الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في باطنها وعلى الاركان التي في جوفها ويقال ان الحلية التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الاندلس على بغل قوي تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد ﴿الباب الرابع في ذكر ما رادة العباسيون في المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بني مروان وآل الى آل عباس الامرة والسلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حلل اياسهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وخرق وكان رقص لهم (٥٩) وصفق وكانت ثعور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصوب اللهو مواسم ورياح عزتهم في رياض غرتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ويجري على حسب مطويهم خيول القدر والقضا ثم انصرفت عنهم الايام فأظلت اشراقهم وأذرى بلهيب العكس يانع ابراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم ولم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ماسبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الاحمر مرواني الخمار ونزع من تحت الملك الى تحت حافر الحمار فما تكتب عليهم الارض وما بقي لهم الا ماقدموه من نقل وفرض ورعوا من بين الاتراب الى باطن التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فصفقة الدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لما الى تحليها وتجنيها ولا بقاء مما على مجتليها ومجتنيها

تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا فأشرفهم على العصا وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا نعم هي عصا فلان فأحضره وسأله فانكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسناء سنها نحو العشرين سنة فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها بنت فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية له فطلب الشاهدين وأخذ يستدرجهما بعد حهما وانهما من مشاهير من حاور بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة وأدياها كما سبق وانها بنت فلان الجبرتي ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تنوف على ثلاثين سنة وانهما ما خرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشاغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يسهما وينكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصدا تلافهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بامة وانه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به ارقاء الناس من أيديهم ثم قال في الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتأليف الجليلة فيجيزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبري تقرب الى خدمته بشرح القصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخني مؤلفي ● ببيت شعر ماذهب
أحمد جود ماجد ● أجارني ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا الدر رجدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله ذا فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار عجيب (يحكى) انه كان في مجلس يصدر بعض الناس على بعض بني عمه فيه فظهر أثر العضب على ابن عمه فقطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودني للعجب وبهر من عطف أريحي ساعدا الطرب قصيدة أبي الطيب المتنبي التي أولها

وؤاد ما يسليه المدام ● وعمر مثل ما يهب التمام

فتسلى بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم تلميحه الى قوله فيها ولو لم يعل الاذى ومحل ويروى ولو ان المقام له علو ● تعالى الجيش وانحط القتام

(ويحكى) انه سقط من يد بعض بني عمه خاتم به حجر ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا

ذللت عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشي وفتكي وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكي ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضمحل والفعل مبكي وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ● قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعني الحكم وولده ● وأخرج ابن مردويه عن

الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كان بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الامر والنهي وافرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة ومادام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال ومازال لكل زمان دولة (٦٠) ورجال ﴿فأول من ولي منهم السفاح﴾ أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد سرا فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فبويع مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بدوا سفاكا قتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم ما لا يحصى كثرة وتوطأت الممالك من الشرق الى أقصى العرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته أربعة أعوام وبرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمار من سفك الدماء منهم ﴿وولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله﴾ هو اسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان طاوما غشوما وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكان خرج عليه وآذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتلا وضربا ممن أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فسجنه فمات في السجن لكونه أفتى بالخروج عليه وسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة

الشريف لم لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال الست من أبناء أمير المؤمنين فلمح مولانا الشريف الى قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(ولمح ابن عمه لقول المتنبي)

كذا الفاطميون الدنانير أكفهم * أعز اذا عاءوا من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبري أرجوزة في محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها شرحا سماه حسن السريرة وأطال في ذلك ثم قال في خلاصة الاثر انه لم يزل حاميا حورة البيت المعظم وذابا عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه اختاط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال في سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد بها سواع ولا يختلس منها ولا قدر صاع ورعا ترك المتاع أو المنقطع في القفر السبب ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركب فيوجد سالما من الآفات ولو طالت الاوقات مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد والسالكين لهذه المواطن والمقاصد ولم يعهد هذا الا في زمن هذا الملك العادل ولم ينقل مثله عن مثله من الملوك الاوائل ولقد كانت هذه الطرق مخوفة والمخاليف كلها غير مألوفة حتى من أراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لا بد له أن يأخذ خفيرا من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب في نفسه وماله ولا يرثى في أخذ الثار لحاله ولطالما سبهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء في تلك المشاعر وجدلت الاجساد لديها واذا سرق متاع قل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين في الارض بالفساد فبسط الله بساط الامان بولايته ألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم ما يذهب للناس في هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من الصلب وقطع الايدي وتكليف أحدهم بالنقل ان لم يد الى عير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرصية حتى صلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادي الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى علم الملوك البقايا فشكر كل سعيه في هذه المآثر الحميدة وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة المجيدة وكثر حجاج بيت الله العتيق وصربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عيانا فيستخبرون الله تعالى في ان تكون بلاده لهم مسكنا وأهلها اخوانا وكان في القواعد القديمة

الناس الى بنى العباس وشرح ذلك يطول ودانت له الممالك والامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموى فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت فى يدهم مدة * وفى المحرم سنة ثلاثين ومائه أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام فزيد فى شقه الشامى الذى يلى دار الندوة وزادفى أسفله الى أن انتهى الى المسارة التى فى ركن باب بنى سهم ولم يزد فى الجانب الجنوبى لاتصاله بمسيل الوادى ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذ لو قوى السيل عليه ولذلك لم يزد فى أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها فى المسجد الحرام وكان الذى ولى عمارة المسجد لابى جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثى * وكان من شرطته (٦١) عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جد مشافع بن عبد الرحمن الشيبى وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها فى الجانب الاعلى من المسجد فتكلم مع زياد فى أن يميل عنه قليلا ففعل فكان فى هذا المحل اروار فى المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل مارة هناك فعملت واتصل عمله فى أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبى جعفر طاقا واحدا باساطين الرخام دائرا على صحن المسجد وكان الذى زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالجاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثى والى الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك فى

لولاة مكة الكريمة أن ينادى بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلده ولا يقيم بمكة الا خواص أهلها من ذوى البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد فى المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

* (وفاة داود بن عمر الانطاكى صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨) *

وفى تاريخ الرضى فى سنة ثمان بعد الالف توفى العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكى البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع مولانا الشريف حسن بن أبى نمى صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية فى الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحدا خوانه أن يمديده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فأعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فاطروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

* (وفاة الشريف ثقبة بن أبى نمى سنة ١٠٠٨) *

وفى هذه السنة توفى الشريف ثقبة بن أبى نمى أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم فى البر

* (وفاة الشريف حسن بن أبى نمى سنة ١٠١٠) *

وفى سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن الى نجد عازيا فتوفى هنالك ثالث جمادى الآخرة وكان فى مسافة عشرة أيام عن مكة فحمل على البعال الى مكة ووصلوا به فى ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلى عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبنى عليه قبة رحمه الله وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

* (عدد أولاد الشريف حسن وأسمائهم) *

وله أولاد كرام وذرية فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فأولاده الذكور أبو طالب وحسين وباز وسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى وهراع وعبد العزيز ومضر وعنان وجود الله وعبيد الله وبركات ومحمد الحارث وقايتباى وآدم قال الشهاب الخفاجى فى كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبى نمى وقد كان انتهاء صعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفى المغرب بمولاى أحمد وفى الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندرى ما يريد وما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار

عامين وقيل فى ثلاثة أعوام * وكتب على باب بنى جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظر امنه للمسلمين واهتماما بأمورهم (قوله بركات) المذكور من أولاد الشريف حسن من عقب بركات الشريف سعيد العمرى ابن مساعد بن مبارك بن هزاع بن هبة الله بن عمرو بن بركات بن حسن بن أبى نمى

والذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الايدى منه فى ذى الحجة سنة اربعين ومائة وذلك بتيسير الله على امير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامته فاعظم الله أجر امير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له به خيرى الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده * وحج المنصور فى ذلك العام وأحرم من الحيرة و بدل على بحله الاموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سلك الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى * وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصودنا لعظم فائدتها وهى (٦٢) لما ح كان يخرج من دار البدوة الى الطواف آخر الليل فيطوف و يصلى

بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصرى وأبو جهل يعظ الحسن البصرى اه وأرخ بعضهم وفاته * ولا نا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة جواهرا * فى سلك بيت صغته بنضار
حسن عفا عنه العزيز بطوله * وأحله أوج الجناب البارى

(ولاية الشريف أبى طالب بن حسن بن أبى نمى)

ولما توفى مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال فى خلاصة الاثر كان من أمره الله لما كبر أبوه فوض أولا ولاية الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فمات وولاها شقيقه الشريف مسعود اوكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا فتوفى وهو شاب فآلت الى أبى طالب صاحب الترجمة وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة و بعد ما حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمرا الحاج ان يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا والده عبد المطلب الخلعة الثانية فألبساه ثم جهز من اتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية فى هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريرا بذلك فاجيب الى ملتمسه وجمع بهرام بالتقارير وصورة منشوره مطولة مذكورة فى ريحانة الخفاجى

(ما كتب فى منشور الشريف أبى طالب)

ومن جملة ما فى ذلك المنشور ثم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلى لفظه العظيم ممن فى دارة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبى طالب باطرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف ويصرف المستحقين بحسن التصريف ويصرف من لا يستحق برايه الشريف أقصاه مقام نفسا فى ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة كافية من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن فى جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الشعور الباسمة لدولتنا بما يسر باسم السرور من حاضرها و باديها انا أعطينا القوس باريها فلم تلق تصلح الاله ولم يلق يصلح الالهاسد الله سهام رايه فى اغراض الصواب وفتح له بمفاتيح السر كل معلق من الابواب ما سقطت من أكف اثيريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطب الحمائم والسلام

ولم يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار البدوة فيجىء المؤذنون ويسلمون عليه و يؤذنون للفجر و يقيمون الصلاة فيخرج يصلى بالناس فخرج ذات ليلة فى السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور فما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أقلقنى وأمرضنى وأشغل خاطرى فقال يا أمير المؤمنين ان أمتى على نفسى وصغيت الى باذن واعية ابأ تك وفاة بالامور من أسهلها والا احتجت عملك بقدرة الله واقتصرت على نفسى ففيها الى شغل شاغل عن غيرى فقال أنت آمن على نفسك وقل فانى ألقى اليك السمع وأباشيه بالقلب فقال ان الدى داخله الطمع حتى حال بينه و بين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض هو أنت فقال أيها الرجل كيف يدا خلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى والحلو والحامض فى قبضتى ومن يحول بينى و بين ما أريد من ذلك فقال هل داخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك و بينهم حجابا من الحجر والطين وأبوابا من

الخشب والحديد وحجابه معهم السلاح واتخذت وزراء فخرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان أحسنت لا يعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وأمرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعارى والمحتاج وما أحد منهم الا وله حق فى هذا المال فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك يقولون فى أنفسهم هذا قد خان الله مالنا لا نخونه فانفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم وكان أول من صانعهم وداراهم عما لك بالاموال والهدايا والرشاء فتقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم واضرارهم وصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاءك مظلوم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فان سألت عنه قالوا أساء الادب فادبناه وجهل مقامك فصربناه فما بقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام والى سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكى فقال له وزراؤه لم تبكى لا بكت عيناك فقال انى لا أبكى على فقد سمعى ولكنى أبكى على المظلوم يصرخ ببابى يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب فما دوا فى الناس ان لا يلبس الاحمر الا مظلوم لا ميزه بالنظر فأعيه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظر يا مسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لا تجمع الا لواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ماله على وجه الارض مال وما من مال الا ويدونه يد شحيحة به تحويه وتصونه عن كل أحد فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدره له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وان قلت اجمع المال ليشتد به سلطانى فقد أراك

• (وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠) •

وفى سنة وفاة الشريف حسن توفى ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبى طالب سنة تسعمائة وخمس أوست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه وهو أول من اتصل عليه وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام باعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد فهابته النفوس وانصف فى أحكامه وسار السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة فاذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته وكانت تحاذيه البوادى وأهل النوادى وكان سخى اليدى الكف

﴿ومما يحكى﴾ من كرمه انه زار النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يلى أمر مكة فلما أمسى نزل فى وادهنالك هو ومن معه فاضافه رجل من أهل الوادى يقال له السودانى فذبح الدبائح ومد الموائد وقدم لهم ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره اشعل عرض له فعمد السودانى الى أربع أو خمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش فى زبدية كبيرة من الصينى وجاء بها اليه وقال له يا سيدى هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السودانى بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التى تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال ائتنى بها فلا أهاله ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفى أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا اصدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لا يسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس فى دولة الشريف حسن ما يشبهها الا ابن عتيق ويقال انه كان صانعا مع الشريف حسن فلما توفى وتولى ابنه الشريف أبو طالب قبض على ابن عتيق وحبسه وأراد أن يتحقق مظالمه فيردها الى أهلها فأيس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك فى جمادى الآخرة سنة ألف وعشرة وأرخ بعض الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغيه • ابن عتيق الطاغيه • نار الجحيم استعوذت • منه وقالت ماليه
لما أتى تاريخه • أجب لظى والهاويه

ولم يزل الشريف أبو طالب فى أعلى درجات الحبور مالكا لارمة الامور والعلماء عاكفة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسن صفاته فى أحاسن ألقابه

• (وفاة الشريف أبى طالب سنة ١٠١٢) •

الى ان توفى راجعا من بعض غزواته بمحل يقال له العش من نواحى بيشه فى العشر من جمادى الآخرة

الله عبرا فمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضر لك ما كنت أنت وولد أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة تدرك الا بالصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد ذل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب على ما كنت فيه شيأ * قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خالبا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام (٦٤) الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فروا مني قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل فانى ضامن لمن هرب منك أن يعود اليك * وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وآذنوا بالفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس وأدار الرجل قدحا من بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه وقالوا ذهب فقال ان لم تأتوني به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه في الطواف فتقدم اليه الحرس وقال انطلق معي والا هلكت وهلك من معي فقال كلا لا يقدر عليك أحد فأخرج من جيبه ورقة وقال ضعها في جيبك فلا يملك منه سوء فانه دعاء الفرج قال ودعاء الفرج قال دعاء لا يرد قه الى السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله بالسلطان تعالى رزقه عليه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه لي لآخذه عنك وألقاه منك * فقال قل اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء

سنة ألف واثنتي عشرة فغسل هناك وكفن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير السيد ابراهيم بن بركات وصلى عليه يوم الاربعاء صحى ثاني عشر جمادى الآخرة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار ويحمى سادات بني حسن من استجار بقبره ولا ينال من استجار به مكروه

﴿ولاية الشريف ادريس بن حسن﴾

ولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبي نمي ومولده سنة تسعمائة وأربعة وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وبنى اس أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا فاصد الى الروم بما وقع عليه الاتفاق فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بجلعة الاستمرار وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال في خلاصة الاثر في ترجمة الشريف ادريس وكان من أجل الناس من سراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان يكنى أباعون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة ومن المفاديم من العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع أنظار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة وكثرت أتباع فهيد من الاشراف وغيرهم بحيث صار موكبه يضاهي موكب الملك وكان اذا جلس وقفت الترك عن يمينه وشماله وانحدر ماء للبندق نحو مائتين أو أكثر ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس وعجز عن مدارأتهم الشريف ادريس ولما اشتد أمره أخذ بجانب الكمل الدين العطبي وأراد أن يصيره مقتيا ولم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فارسل الشريف ادريس لابن أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان خروجه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس وكتب اليه أن يأتي بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير حلي محمد بن بركات الحرامي ونودي في البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع الشريف فهيد من الذكر ومع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يحطب له وكان يومئذ في بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشاروا اليه أعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من الشريف ادريس مقدار شهر مهلة ليتأهب للخروج من مكة الى حيث أراد فاعطاه ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بعير ربيع فامتنع فاقام الى بعض أكابر الحج المصري وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع

الى نفسي فما بيني وبينك تتودد الى بالنعم وأنبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك وقد بفضلك واحسانك الى انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته وأخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الى تستحثني فأتيته واذا هو جمر يتلظى فلما وقع نظره على سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرمل فقلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام

• قلت وما أرى هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الحرفاني النهرواني الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العزيز بن عبد العزيز بن النحم عمر بن فهد عن القاضي زين الدين أبي بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي • قال أنبأنا الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد ابن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد الميداني الثوري عن ابراهيم ابن أحمد الحشاب حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المنشي حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النحم عمر بن فهد رحمه الله • وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان

بالسلطان أحمد فيقال انه أنعم عليه بامارة مكة فعاجلته المنية ومات هناك في سنة عشرين بعد الالف وقيل في تاريخ موته • مات بالروم فهيد بن الحسن واستقر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة في الاحوال المهمة وناصره بنو أخيه عبد المطلب ابن حسن لامر فقام الشريف محسن في موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا في الطاعة وطابت نفوسهم

•(دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق)•

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن في الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمعوا هناك بدوي عبد المطلب حين كانوا معاصيبه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلي من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها علي باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده فامتنعا وأقاما نحو ثمانية أيام ورجعا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من القتادين دخول الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف ادريس وتجاورهم في التعدي وعمت البلوى بما يصدر عنهم من الامور المشتملة على التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متعاونا على ما يصنعونه ولم يلق سمعه الى ما ينهى اليه من معلمهم ولا ينصف أحدا من شكايتهم وراجعه الشريف محسن في شأنهم مرارا وردد القول عليه فكانت الشكوى الى غير منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال عند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

•(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)•

وصاروا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان السادة الاشراف نيتهم اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة وقسمت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بية عقد البداء في البلد للشريف محسن استقلالا فاقبل وصولهم المقعد رتهم الجبالية المجهولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن جحلان بن ثقبة والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفي صبحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن

(٩ - تاريخ مكة) الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الحشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاسلبوه فجاؤا وقد نصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورحلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه وابدقت عنقه فمات لوقته في سابع الحجة وقت السحر فحفر له ودفنوه في أحد هاليعموا قبره على الناس والله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تصرمعل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين

وما احقر سلطان البشر اذا قيس من ماء مهين وما اسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ويعلم ان الملك لله الواحد القهار لاشريك له في الملك ولا ولد له من الدل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى منا مايدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرنا * (وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي) * ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لثمان أتوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله (٦٦) وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعى فأجاب وأمر فاطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما وعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على نفاذ أمور المسلمين ورتل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة ... بامير هما جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها ... ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما ... ويسرها ان قام هذا يخلف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى ... شعرا أسره وآخر أسف

هذا حياه الله فصل خلافة

ولذا لجنات النعيم تزخرف وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والري وما يليها فأدب وتميز وجالس من العلماء وكان كريما ما يح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل الى قوله

البث قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر ذهابا ومثلها نحثي أن يخيب مسيرنا * البث ولكن أهلها البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فامر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير ومنه ماذكره الصولي وهو ما يكف الناس عما * ما يريد الناس منا انما همتهم أن * ينبشوا ما قد دفنا

لوسكنا باطن الار • ض لكانوا حيث كا ان أرادوا كشف أمر • فدسترناه كشفنا ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها فى جارية كان يحبها حبا شديدا أما يكفيك انى تملكينى • وأن الناس كلهم عبيدى وكان المهدى يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث وقال يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا لا سبق الا فى حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدى انه وضع له هذه الزيادة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بالرد تأدبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدى أشهد ان قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خرائ (٦٧) مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر ألف عدل

من رام أن يضبطه فقد أتى • تاريخه خير ملوك الزمن

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى أبيات فى آخرها التاريخ وهو هذا

فلهذا قد جاء تاريخه المفسرون باليمن المؤرخ عامه

ولى الملك محسن بن حسين • أبجز الله نصره وأدامه

ومن الوقائع الغريبة فى مدة ولايته انه خرج فى خمس وثلاثين بعد الالف عاريا الى جهة الشرق فاتفق انه فى هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر الطبرى فتأهب والده لها بجميع ما يحتاجه من السماط والحلوى على القاعدة المعروفة

• (نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية الى الائمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب) •

فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيورى ان لا يباشر العيد الا خطيب حنفى فتوجه الامام عبد القادر الطبرى الى الوزير مصطفى السيورى وراجعه فى ذلك وقال الوزير راجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل ما يحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع وشق شقة الامام عبد القادر كانت • وناوظمت صعقة فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى الفلمبوى المكى ونزلوا بحمارة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فبالله من فرح انقلب الى مأتم وسرور تحول الى حزن ومآتم وتقطع قلوب عيال أتتهن المصائب غافلات فدموع الحزن فى دم الدلال سافكات ولم يزل مولانا الشريف محسن منفردا بمراده قامعا لاضداده آمنا فى سربه عزيزا فى حربه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد من السلطنة العلية أحمد باشا متولیا على اليمن فلما ندخ مركبه بجدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة فى صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين فى جدة غواصين لطلب أسبابه وعيونه فأتوا بما عاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يحرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبد الرحمن المرشدى مفتى السلطنة بمكة بمكاتيب منه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشق على حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبى نمى قال فى خلاصة الاثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب مما لاة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمومها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود انى

ثياب خزفأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لى وجبة لولدى محمد المهدى فقال لا يجى منه جبتان فقال فصل جبة وقفسوة ويحمل ان يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدى أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها فى عبيده وخدمه فى ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو والصيد الا أنه يكره الزنا دفة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادى بقتلهم حيث وجدهم • قال النجم عمر بن فهد فى حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدى العباسى وحمل له الامير محمد بن سليمان النخل حتى وافى به مكة وهذا شئ لم يتم لاحد قبله ونزل المهدى دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبى فى ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه وقال له ان معى شيأ لم يحمل لاحد قبلك فكشف له من الحجر الذى فيه صورة قدمى ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذى يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدى بذلك وقبله ومسح به وصب فيه ماء وشربه وأرسله الى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم وأعطاه المهدى جوائز كثيرة وأقطعه خيفا بوادى نخلة يقال له ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار • وذكر حجبة الكعبة للمهدى انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الخسرى وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن جردت الكعبة منها وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالعالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح

الكعبة وصاروا يسكبون فوارير الغالية المسكة المطيبة على جدران الكعبة الى أن اشبعوها ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطى والخز والديباج وقسم المهدى فى الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهى ثلاثون ألف درهم ووصل بها معه من العراق وثمانمائة ألف دينار ووصلت اليه من مصر وماتتا ألف دينار ووصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضى مكة يومئذ وهو محمد الاروقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى وأمره أن يشترى دورا فى أعلى المسجد ويهدمها ويدخلها فى المسجد الحرام وأعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف (٦٨) اشترى للمستحقين بدلها دورا فى حاج مكة واشترى كل ذراع بكسر

لا أريد الملك لنفسى انما أريده لك وهو بيننا فخذل من استطعت من آل أبى نمى وثبطهم وحل عزائمهم فوعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور فولاه شراسة مكة ونادى له فى جدة وأبان عزل مولانا الشريف محسن ثم قدر الله ان الباشا مات فى تلك الايام وعدا الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كيخيا الباشا لمولانا الشريف محسن بوفاة الباشا وطلب منه عشرة آلاف قرش ليتوجه بها الى اليمن قال والبلاد بلاد كم فلما وصل الكيخيا الشريف أحمد بن عبد المطلب واستمال العسكر فقتلوا له الكيخيا ومن بقى من جماعة الشريف محسن وصادروا التجار وأهل البلد فأخذ منهم جملة من الاموال وتأهب لحرب الشريف محسن فلما بلغ ذلك مولانا الشريف محسن خرج لهم الى الحديدة موضع مقابل لجدة فخرج اليه بعض الارنالة وأخذوا قطيع غنم لعرب فقاتلهم بعض الاشراف فقتل السيد طفرس سرور ابن أبى نمى والسيد أبو القاسم بن جازان وغيرهما ومن الارنالة ثعوا والحسين ثم انحاز كل الى فئته وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن ان السيد مسعود بن ادريس دخل مكة واستمال الاشراف بنى حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بما سنفه مكة ان هو استمال الاشراف اليه فكر الشريف محسن راجعا الى مكة وترك على جماعته هنالك السيد قايتباى بن سعيد بن ركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين رد وا مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة الى مكة فى سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف محسن للقائه بحيش جرارا لا ان غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود بن ادريس فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن اختلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان أطلق جماعة الشريف أحمد مدفعين وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨)

واستمر هنالك الى ان توفى سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبنى عليه قبة هنالك تزار

(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧)

ودخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف وقد من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى وممن اختفى من الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى الحنفى مفتى السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث فى طلبه ونادى عليه ببراءة الدمة ممن وجد لديه فأظهره من أصحره فنهب داره وقبض عليه وحبسه

فى مثله مما دخل فى المسجد خمسة عشر دينارا فكان مما دخل فى ذلك الهدم دار الارزقى وهى يومئذ لاصقه بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بنى شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخراعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار ودفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل فى المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكى من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربرى فعمرها وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء قلت وتداولت الايدى عليها بعد ذلك الى أن صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراعى والثانى كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباى وبناهما مدرسة ورباطا فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها سقفات بمكة وأقطاعا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانه غير انه شرع فى أوقافه الخراب لاستيلاء الايدى الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدى فى أعلى المسجد وكذلك فى أسفل الى أن انتهى به الى باب بنى سهم ويقال له الآن باب العمرة والى باب الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاد من الباب الشامى الى منتهاه الآن وكذلك زاد فى الجانب اليمانى أيضا الى قبة

واخاه

الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ماوراءه مسيل الوادى فهذه كلها الزيادة الاولى للمهدى وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قرب جدة فى موضع كان فى أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعيبة فجمعت هناك لان مرساه قريب بخلاف بندر جدة لان مرساه التى تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصارت أساطين الرخام تحمل منها على الجمل وتتعاكى العربان ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك * وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حفروها فى الارض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع كشف مسيله السيل العظيم الواقع فى سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدوا أساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فجمع المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب من وراء المسجد قد اتسع من اعلاه وأسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى، وكان فى محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عبادبن جعفر العبادى عند حدر كن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشامية فى بحر الوادى يمر دونها فى بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عبادبن جعفر العبادى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الاخضر اللاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى وكان هذا الوادى مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقا لجدار المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى * فلما رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد أراد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التى على حافة المسيل فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدمنا ومع ذلك فارى ابراهيم له سيول عارمة وهو واد حدور بحاف ان حولنا * عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام فتذهب السيول وتعلو السيول فيه

وأخاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى

* (سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى) *

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن فى السجن كما سيأتى قال الرضى فى تاريخه اختلفت الاقوال فى سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى وقيل تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب فى خطبة عقده التى خطب بها فى رواج سلطانة بنت على شهاب وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال فى ابتداء الخطبة الحمد لله الذى أعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبد المطلب معزيا بالباس وفا أبيض أى وكانت عادتهم لبس السواد فى مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة قيامى الشيخ المذكور تسميتهم بعاة جائرين ظالمين وبوجوب قتالهم بخطه المعروف واسمه الموصوف وكان الشريف أحمد بعد ان حبس الشيخ عبد الرحمن المرشدى يخرجه فى كل شهر لحضور ديوانه وهو فى اصفاده واحزانه فأقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضعن للعزيز قدرا وان كنت مشارا اليه بالتعظيم
فالعزيز الكريم ينقص قدرا * بالتعدى على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جرأته فى ثلبى وقوة جنانه لحربى فجعل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى يعتذر ويحسن التعليل بما قدر فقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما قصدت من القطعة ما قيل ولم الحر بالعقول رمى الحجر بتجسيمها وبالتحريم * ثم قال والله انى لا علم انه افضلكم على الاطلاق وقد عرض لى العفو عنه الا انه جاء نكرا اذ جعل نفسه عقلا وجعلنى خمرا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل فى الحبس الى الموسم فورد الحج المصرى وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج للقائه الشريف أحمد فالبسه الخلعة على جرى العادة وخرج بالناس ولم يحج أحد من أهل مكة فى هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادى عشر من ذى الحجة جاء مولانا الشريف من أوحى اليه ان الامراء عزموا على اطلاق الشيخ عبد الرحمن المرشدى وتخليصه من يد مولانا الشريف وبعث من ليلته الى الحبس

* (قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فى السجن) *

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع حاكمه عتيق بن عمر فى القاضى أحمد أخى الشيخ عبد الرحمن لمحبة

فتنصب فى المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة وتكبر ولعل ذلك لا يتم فقال المهدى لابد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادى الى آخره ورعوا الوادى من فوق الاسطحة وطلع المهدى الى جبل أبى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة فى وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت ويجعل سيلا محلا للسعى وشخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة وروا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به • ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظمى وهذه هى الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام هذا ملخص

ماذكره الازرقى والفاكهى والحافظ محب الدين عمر بن فهد فى تواريخهم رحمهم الله تعالى ﴿وههنا اشكال﴾ ما رأيت من تعرض له وهو ان السعى بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التى أوجبها الله تعالى علينا فى ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العمارة الا فى ذلك المكان المخصوص الذى سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ماذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى فى الحرم الشريف وحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم • وأما المكان الذى يسعى فيه الآن ولا يتحقق انه بعض من المسعى الذى سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعى فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبيت تلك الدور بعد ذلك

كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبد الرحمن فقتلوه صبرا فى تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة جيدر الشامى أحد تجار مكة بدلا عن القاضى أحمد بن عيسى المرشدى لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم النحر جاء الامر الى مولانا الشريف وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد تفرطنا فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدى حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها كما سيأتى وفى الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان وكان أحمد الشريف بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة أحذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوى وهو الذى بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على الشهادة وكان كثيرا ما يكنى عنها بطلوع الشمس ولما دخل مكة واستولى عليها صادر كثيرا من الناس وأخذ أموالهم ولم يرحم أحدا وعاقب كثيرا ممن كان قبل استبعدها عنه وسخر مسه وكان له احوال وجلساء قبل الولاية فحل لهم الاذية واستمر منقلبا على مكة فحبس من حبس وقتل من قتل فنفرت الناس وجلت عن مكة وخالفت القبائل وتقطعت الطرق وأكثر العسكر الفساد فى شرف البلاد وسكنوا بيوت الاشراف وانتهكوا حرمتهم وكان ممن فر منه واختفى الشيخ جمال الدين محمد باقشير فتوجه مع الحج المصرى الى مصر مختفيا وفى ليلة خروجه مختفيا صادف فى خروجه فى طريقه الشريف أحمد عائدا من العمرة فكتب بطاقة وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد فاوصلها له فقرأها فى ضوء الشمع وكان يسير به ليلا بلا دليل عن المشاعل فاذا فيها

تستحل الدماء وتحرم بالعشرة دمعها وعن دما الناس أمسك
ما رأينا والله اعجب حالا • منك واها لفاتك متسلك

وسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف وبقى الشيخ جمال الدين باقشير بمصر الى ان قتل الشريف أحمد فرجع الى مكة واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة ولم يف للشريف مسعود بن ادريس بتلك العهود بل أراد قتله ففر الى قاصوه باشا والتجأ اليه فوجد قاصوه مملوءا على الشريف أحمد فلما أقبل قاصوه قاصد اليمن لاقاه الشريف مسعود من ينبع أو الحمراء وجاء معه مختفيا وكان قاصوه مأمورا ان ينظر فى أمر مكة ويولى فيها من يختار ولما ان قصت الحاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم تخلف قاصوه بثغر أسفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا مخيمه وخيام العسكر فاشار قاصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد الملياس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قاصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر

فى عرض المسعى القديم فهدمها المهدى وأدخل بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يحول تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذ ذاك فكان الامام أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عنهما والامام مالك بن أنس رضى الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعى وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضى الله عنهم على صحة السعى من غير نكير نقل عنهم • وبقى الاشكال فى جواز ادخال شئ من المسعى فى المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف

حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا ويصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ﴿فصل﴾ ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل في استعدى على المسعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباي المحمودي سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يستخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته وما ثره الجميلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباي أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ست (٧١) وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التي في المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما نذكره ﴿وهو انه كان بين الميلين من مصأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن ابن قلاوون وكانت في مقابلة باب على حدها من الشرق بيوت للناس ومن العرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنه الذي هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الرمز هذه المصأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبني بها رباطا لسكن

صفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون في الخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فقتلوه تاما مليا ثم نصبوا الشطرنج

﴿(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)﴾

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع وقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فاظهروا لهم مقتولا ونشروا العلم ونودي المطيع للسلطان يقف تحته فوقفت العساكر تحته وجاء على الشريف مسعود بن ادريس وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

﴿(ولاية الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩)﴾

فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا بقادر العلماء والافاضل فبايعت به الناس المنى وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

﴿(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩)﴾

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو ألف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

﴿(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠)﴾

وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

﴿(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سادتنا آل عون أمراء مكة حالا الى آخر الدوران)﴾

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على تولية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاءتهم مراسيم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا

الفقراء فمنعه من ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عبد المالكي والقاضي علاء الدين الردادي الحنبلي وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضروا نقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لانك مباشر في

هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المعيرة أيضا بإزالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا محضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباى وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباى نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى حسبه المنصب وأمر أمير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء فخوفاس انكار العملة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض (٧٢) وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا تطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى أن انقطع ذلك النظر وبيعت النقود وبيل والدور وبالله المستعان من ابن الزمن وماذكرناه في فصله وخبريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباى مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الامر المجمع على حرمته في مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه سعى في منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر انما أراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة أرض لجور بعد أن بذلوا لها أضعاف ثمن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لارضها فبنى في ايوانه ازورارا بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوقوع من السنين وقال وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى ﴿فصل﴾ قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين وثمانمائة ما لخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة

عظيما لها ولي مكة بعد أخيه اشريف مسعود وهو اذ ذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وأمراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتحالف عن جمارة الشريف مسعود لذلك فألزموه بذلك حقنا لدماء العالم ومازاله حتى رضي وحصل له ولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن الى ان حج بالناس سنة أربعين

(نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده محمد وشاركه زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)

وفي شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله وأرسل الى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي لانه بقي هنالك بعد أن توفي والده وأخوه انه يريد ان يجعله شريكا لولده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع ولده في النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الامر وتجرد للعبادة الا انه كان يدعى له على المنبر معهما

(وفاة الشريف عبد الله بن حسن سنة ١٠٤١)

واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بعد أن خلع نفسه الى ان توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلي عليه ودفن في قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وحمود وحسين وهاشم وثقبة ورامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية وألبسا خلعتين وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبي نمي صبرا في مضربه بالمبعوث فجاء الخبر للسيد علي بن بركات بن أبي نمي فاستحث بني عمه جميعا فأجابوه فسرح معهم مولانا الشريف زيد بأمر مولانا الشريف محمد بن عبد الله ففتحها وقتل من رأى في قتله الاصابة ورجع الى مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قائدهم وشاع وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد حامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أحد مكة وأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر ورجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الانراك وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهما عساكر الى قرن المكاسة أسفل مكة قال العلامة

الاشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بنى هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب على رضى الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل فى مقابلة هذا الباب باب فى المسجد يعرف الآن بباب حزورة ويحرفه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادى ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة فاذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فيمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة ومن الجانب اليمانى وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليمانى من المسجد المتصل بالوادى تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذى عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل فى قرب الركن اليمانى من المسجد فى أسفله دار أم هانئ لان دارها رضى الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة سادتنا الاشراف آل الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضى الله عنها بئر جاهلية حفرها قصى بن كلاب أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم وأدخلت أيضا تلك البئر فى المسجد الحرام وحفر المهدى عوضها بئرا خارج الحزورة يعلوون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بنى سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد

العلامة العصامى وكان خروجهم فى عشرين من شعبان فى مثل سقوط البيت وفى الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكر بن هنالك فحصلت ملحمة عظيمة

• (قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله فى وقعة الجلالية سنة ١٠٤١) •

وقتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الا ستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادى مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

• (ولاية الشريف نامى بن عبد المطلب سنة ١٠٤١) •

ومعهم الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى فنودى له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن فى رياسة مكة لكن لم يشركوه فى الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاورا عان يسلمها اليهم فبعث من ذلك فتجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا عالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى عالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر فى مكة وصادر الشريف نامى بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير العسكر الذين كانوا مع شريف مكة وفر بقية العسكر الذين كانوا معه الى جدة ثم الى سواكن ولما كان اثناء شهر ذى القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف ببدر السيد على بن هيزع بريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد على المذكور وأخبر الباشا وهو ول الامر فيها وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكرى ومعهم خمسة صناجق سافروا براوجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكرى وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بلبسهما والتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجموم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامى عيونا يبصرون له العسكر فى وادى الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادى ليلا فشعر بهم العسكر المصرى فلحقتهم الخيل

(١٠ - تاريخ مكة) من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتى ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطانها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر الباشا والمهندسون فى بناء الزيادة ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا فى نفس الخشب كما أدركناه وكان فى غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد فى غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى اللازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفى المهدى رحمه الله ثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذى أراده وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادى

• (فصل فى ولاية أبى محمد موسى الهادى بن المهدى بن المنصور العباسى) • ولد بالرى فى سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فأخذله البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد فى مقدار سنه • وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة ومات كها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض شفته العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيستمر فمه مفتوحا وكل به أبوه فى صباه خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب (١٤) وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا

كريما يعجبه المدح دخل عليه مروان بن أبى حفصة فانشده قصيدة فى مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بؤسه ونواله
فما أحد يدرى لأيهما الفضل

فقال له الهادى قل أن يتهما أيهما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له جعلها لك المعجل والمؤجل ثم قال بل عجلناها لك بهما وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلى بقصيدة أولها

سليمى أزمعت بينا
فأين لقاها أين

فاعطاه سبعمائة ألف درهم وكان اكمال المسجد الحرام أول شئ أمر به الهادى وبادر الموكلون بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدى وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل فى خلافة الهادى دون العمل فى خلافة المهدى فى الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة ولايته المسجد الحرام على هذا الوجه الذى كان باقيا الى هذه الايام ومازيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى • وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدى من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهى بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله أعلم • ولم تطل مدة موسى الهادى وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفى شابا وعمره أربع وعشرون سنة فى منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة • واختلف فى سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق

وقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أو ستة هجانة وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامى وأخبروه بما لهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الحلايسة ومعه أخوه سيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن ادريس لاربع خلون من ذى الحجة بعد صلاة العصر سنة احدى وأربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم فى اثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس والحسد راجى بنبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى فى البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمأنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بحلول البلاد

• (دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين وخروج الشريف نامى الى تربة) •

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذى الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل الجمل المصرى عقب دخوله ولم يكن معهم حاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والرئيس يدعو له والمنادى ينادى له فى شوارع مكة ثم سأل عمن تحالف من العسكر فاخبر بجماعة منهم تحالفوا وانهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس فى السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

• (توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامى فى تربة) •

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الاشراف والعسكر الى تربة لمحاصرة المتحصنين بها فحاصروهم وخرج من الحصن بعضهم بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامى وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة فزينت البلد سبعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنتين وأربعين وألف فرجعوا ودخلوا مكة رابع عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريفين نامى وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

• (تعليق الشريف نامى وأخيه بالمدعى) •

وشنقوا الشريفين بالمدعى فى روشنين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بتحريق سواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به فى شوارع مكة ثم علقوه بالجميزة التى فى المعلى وبقى حيا الى آخر النهار وأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده فى الهواء وتخلف أمير الحاج المصرى والشامى الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا أو اخر صفر واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفى الى رحمة الله وكانت مدة الشريف نامى مائة يوم وبوما على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا الشريف زيد سنة ست عشرة وألف بارض بيشة وكانت أيام

به فوقعا فى مقصبته فدخل القصب فى مخارجهما فماتا جميعا وقيل بل قتلته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه هرون الرشيد ليولى العهد ولده الصغير امر أولاده عمره عشر سنين وكانت أمه الخيزران قد استبدت بالامور العظام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادى عن ذلك وقال لها ان وقف امير على بابك صربت عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تديرينه فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعلمت أمرت جواريها أن يمسكن وجهه ببساط جلس على جوانبه فانسد نفسه الى أن مات * (وولى الخلافة بعده بعهد من أبيه أخوه هرون الرشيد العباسى الخامس من العباسيين) * ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده فى الرى لما كان أبوه المهادى أميرا عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه الخيزران أم الهادى وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

ياخيزران هنالك ثم هنالك
أمسى يسوس العالمين ابنالك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفى ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك أو يرده
بباب الحزمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما فى عام واحد وكان يصلى فى خلافته كل يوم ألف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام * وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ويعظمه وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام أبو يوسف رضى الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره * ويروى عن أبى معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما فضب على يدى من لا أعرفه ثم قال لى الرشيد أتدرى من يصب علينا قلت لا قال انا جلالا للعلم * وأراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت أيام الرشيد أيام خير كلها أعراس وله أخبار فى اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى * وأسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى طرق الروم غازيا أهلها وظفر وعاد فتح

ولايته مواسم لاهل الفضائل تجبى اليه ثمرات العلوم والاداب من كل طائل ويقابل بابشر والنائل ويباحث العلماء فى دقيق المسائل وفى سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فسار اليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لا تعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

* (وقوع الفناء فى الخيل بمكة سنة ١٠٤٣) *

وفى هذه السنة وقع الموت والفناء فى الخيل بمكة وسمته العامة أبا مشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذوه لمولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفى عشرين من ذى الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصرى وسببها انهم تزاحموا عند سقيا الماء بالبزابير فثارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضر وامدفعا عند البزابيز وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثانى يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

* (منع العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٧) *

وفى سنة سبع وأربعين وألف ورد أمر سلطانى مضمونه ان العجم لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعد النزول نادى مناديه الشريف على الموجود منهم فى ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذى الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا وادار عليهم العسكر واخرجوهم من بين الحجاج فخرجوا على أشنع حال وفى هذه السنة غرامولانا الشريف بنى سعد وعامد ورجع سالما غانما وفى سنة تسع وأربعين وألف حج بشير أغا الطواشى من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه فى الحج فأذن له واحرج دستورا مكرما بيده ومعناه جواز تصرفه فى كل ما يريد من عزل وتولية فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر الى خارج البلد فلما طرالية رجل عن فرسه وسار الى أن قبل ركبته ومشى الى ان أمر بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فاخذته أنفة الارحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذا العبر فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا فى عدم اللقاء وحاجرا عن التسافل بعد الارتقاء ولما رايد عليه هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله ليزايد بالباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا فالله يكفيك من ذلك وطيب نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما ان وصل بشير أغا الى رابغ أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كاحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد

بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاخرج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطي وغيره وقال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمهما الله في حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التي حج فيها ماشيا هي حجته في سنة سبع وسبعين ومائة قال وفي بعض حجات هرون الخلي له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببغلته وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فوقف له هرون الرشيد وأقبل عليه فصاح به يا هرون فقال لبيك يا عم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت وقال كم هي يعني الحجيج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين نسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأحرى أقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف في ماله حجر عليه وكيف أنت تسرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدي الله عز وجل فازداد بكاؤه وكثر نحيبه وأراد جلساؤه ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكي ويتضرع ويستغفر ﴿فصل﴾ وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد قال والهادي الى مكة قبل الحج في سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبأ لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين في أول البعث وأسلم فيه جماعة رضي الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشتراها صاحبنا المعفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده في سبيل الله طلبا لنيل المثوبات والاجور دفتر داره مصرسا بقا صاحب اللواء السلطاني

واى السلطان توفي في أوائل شوال فولي بعده مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد خان أخو السلطان مراد فورد بشير أغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير أغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير أغا ونائبه وقال (الله رحمت ايله سلطان مراد) فحين سمعه بشير أغا اندخل في جسمه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة في منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا ٭ فكان به أمر نفى ذلك الامرا

فحفظ البيت وكتبه بالسوالف على رمل في صحن نخاس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير أغا الى ارخ وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذي رآه مولانا الشريف زيد في منامه الشاعر المشهور محمد الانسي في قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فاجاره بألف دينار وفي هذه السنة عصى أهل الحجاز فعراهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذي الحجة وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فعف فقطعه الناس بغاية المشقة وفي سنة ألف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكي لصنجق جدة مصطفى بك وكان متوليا صنجقا فقط من سنة اثنين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفعل أمره وشمر في التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وتوغل في بلاد الشرق حتى وصل الى محل بيشه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفري بقتل مصطفى بك وأمره أن يقتله مهما أمكن وفي هذه السنة وردت بشير أغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فجاء الى مكة وطلع الى الطائف للتنزه مع الصنجق المذكور في أوائل سنة سبع وخمسين وألف فطلعا وهما في أعلى درجات النعمة واستمرا الى هلال رجب فنزل مصطفى بك مكة من طريق كراء فلما وصل الى الشعب الاحمر ظهر له العربي المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وألفه فاقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفري شاب آخر فلما قرب منه وحياه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فاعطاه يمينه فضربه الجعفري من جانبه الايسر بجميعه في وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه نكلاه فلما طاح

المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بن تغرى بردى المهمندار أسكنه الله تعالى فى دار القرار جنات تجرى من تحتها الانهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبى أفندى ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوى الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاه زاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وراحته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده (٧٧) الدهر العابر ولكن حصل له ثواب

قال الرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لاتدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره فى ذى القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الصنجق مثل ماذهب أمس

(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)

وفى سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

(قتلة زمرا فندى قاضى المدينة)

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهى ان حضرة زمرا أفندى قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتر دارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح فى ظهره فانفذه من صدره فاكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضى الله عنه وامام الشافعية قائم يصلى فى المحراب الغير وقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر فرس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه واتهموا مولانا الشريف زيدا فقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضى ذلك فشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فرفوجوه المدافع اليه وشرعوا ينادون اخرج عما بعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكره ومرخفانوا انهم بانه لاعلم للشريف زيد بذلك ولاشعور له ولاموهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفى اليوم الثانى استدعى وجوههم لينظر فى حال قتلة الاسدى ويبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة فى بعضهم فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم فى ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج وشفعه فيهم ثم تعسكر والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه فى يوم له هذا الى بندر جدة كان معاضد المولا مانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا فى دولة الشريف نامى على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة وبعد وله الى جدة ولقبه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودى له فى البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنه

قال لرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لاتدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره فى ذى القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الصنجق مثل ماذهب أمس

(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)

وفى سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

(قتلة زمرا فندى قاضى المدينة)

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهى ان حضرة زمرا أفندى قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتر دارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح فى ظهره فانفذه من صدره فاكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضى الله عنه وامام الشافعية قائم يصلى فى المحراب الغير وقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر فرس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه واتهموا مولانا الشريف زيدا فقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضى ذلك فشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فرفوجوه المدافع اليه وشرعوا ينادون اخرج عما بعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكره ومرخفانوا انهم بانه لاعلم للشريف زيد بذلك ولاشعور له ولاموهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفى اليوم الثانى استدعى وجوههم لينظر فى حال قتلة الاسدى ويبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة فى بعضهم فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم فى ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج وشفعه فيهم ثم تعسكر والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه فى يوم له هذا الى بندر جدة كان معاضد المولا مانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا فى دولة الشريف نامى على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة وبعد وله الى جدة ولقبه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودى له فى البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنه

مانواه من الخيرات فالاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والاجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته الفاخرة الى يوم التناد وألهمه العدل فى الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد * قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر فى أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكلفا له تسع درجات فجعل فى المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذى كان

يخطب عليه بمكة ووضع فى عرفة وذلك فى أول حجات الرشيد فى سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك * وفى سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية ابن أبى سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكان الخلماء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحجر * قال أبو الوليد الازرقى حدثنى جدى عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبى سفيان وساق ماقدمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبره تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسى فأراد ان يحج فأمر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلها مالا كثيرا * وفى أيامنا التى

أدركناهما الشباب الى المشيب شاهدنا منا برعمها سلاطين عصرنا وسنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى ﴿فصل﴾ اعلم أن ما يضعفه العاقل ويدخره عنه الا لانه أن الدبادار الاكدار ومحل الهموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والامراء والكبراء ويقال لكل بشر غنى قامة من الهم وقيل لقد قنعت همتي بالخمول وصدت عن الرتب العاليه وماجهلت والله طيب العلى * ولكنها تؤثر العافيه وقيل أيضا بقدر الصعود يكون الهبوط فاياك والرتب العاليه وكن في مقام اذا ما رقفت * تقوم ورجلاك في عافيه وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين (٧٨) في كل بيت كريه وصيحة * ولعل بيتك ان رأيت أقلها فارض بحال فقرك واشكر الله على خفة ظهرك ولا تتعد طورك تجد ذلك نعمة خفية ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظوا وافرا من هذه العطات * ومن ذلك ان هرون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطري حيث شئت فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجبى الي ومع ذلك كان أنعمهم خاطرا وأسنهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور ﴿تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون﴾ وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الامين شديد الترفه والدلال كثيرا للهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا حتى يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سوداء اسمها مراجل من جواري المطيع مات في نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك واهلا لان يكون خلفا عن أبيه في خلافته وما قدر أبوه ان يجعله ولي عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولي عهده محمدا الامين في سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالامين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولي العهد بعد محمد الامين في سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ٣ ولقبه المؤتمن وقسم مملكته بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

سنتين وألف قرب موضع قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الاشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولعيطاس بيك ومن معهما فأعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا ليصلونه الى جدة ثم بعد مدة جاء الامر بعزله فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز

(وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣)

وتوفي السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف وأما غيطاس بيك فانه في سنة احدى وستين أمير اعلى الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للخلعة على العادة وانما أخل بالقانون القديم وهي المكاسة فصالحه بيده ومن تلك السنة تركت المكاسة وبقيت المصالحة فقضى نحبه وذهب وقيل في أسباب قتله غيطاس بيك ان سبها رضوان بيك العقادي أمير الحاج وكان غيطاس بيك من مماليكه ففي سنة ثمان وخمسين وقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فاضمر رضوان بيك عزله وتوليته الشريف مبارك بن بشير بن حسن الى ان وصل الى عسفان ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طلب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه في ذلك وعرفه ان رضوان بيك حمل بهذا الفعل لكثير مما أبرم وان هذا الامر لا يكون الوصول اليه الا بشق الانفس فاقتضى الامر ان أعيد مولانا الشريف زيد وجهز واقاصدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للامر الاول الذي بيد رضوان بيك وأمر القاصد بالجد في السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذي الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف وهرول من المابدة في الاي أعظم الى ان دخل من باب السلام والامير بين يديه الى ان وصل الحطيم ورفعت الكعبه فقر أمر سومه الوارد ولبس القفطان وكتبت الاتراك لرضوان بيك بما وقع فدخل مطويا على حنق فجع ورجع وهو جاهد في هوى نفسه فأخذ بحقيقة جدة لغيطاس بيك وقربه لانتهار فرصته حتى وقعت تلك النقمة وقيل سبها اتهامه مولانا الشريف قتل قاضي المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفي سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف جود بن عبد الله واحتفل في زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد جود بعدة قصائد وفي سنة اثنتين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار يقع في كل شئ

الله فلدهرونا خلاقته • لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا وقدم الامر هرون لرأفته • بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فاراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلق كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من أولاد الرشيد والملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم ببايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهر الى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه في وسط الكعبة الشريفة (٧٩) ليشتد الوثوق به ولا يقع خلافه في ذلك

حتى نعب الماس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فأعقبه العلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلي بترك التسعير فنادى المنادي بذلك وأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

• (حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣) •

وفي سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به في المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التطيف فاقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة ظاهرا وباطنا ثم جيء بالجمير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقي من التراب والطين وجدد سليمان أغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد أغا الكزلار بالامر / بتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فما وجدوه في مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه بمحلة وقتلوه وبنى سليمان أغا على العمارة وفي سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد جهينة لقتالهم بالعساكر المدرية ومعه غالب الاشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولي الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

• (وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧) •

وفي سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفي يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبي القاسم الخلي حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الـ • أرض من لم يزل مدى الدهر محسن
فالمعالي قالت لنا أرخوا • قد ثوى في الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد وحسنا وأما ابنه حسين فمات في حياة أبيه وخلف محسنا ولي من امارة مكة كما سيأتي ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بنجد رديف ملك الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله ابن حسن بن أبي نمي فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف عبد الله بن حسن هو الذي طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه في الامر مع اسه محمد كما تقدم فلما توفي الشريف زيد انحازت الاشراف بأجمعها الى دار السيد حمود ولم يبق مع الشريف سعد

قال ابراهيم المرحلي
خير الامور بغية
وأحق أمر بالتمام
أمر قضى احكامه
مولاي في البيت الحرام
ولم يعن ذلك التدبير عما
رقمه قلم التقدير في لوح
المقادير والله على كل
شيء قدير وقال
ولو كانت الدنيا تنال بعبطة
وتدبير رأي نيل أعلى
المراتب
ولكنما الاقدار تجري بقدرة
من الله لا تجدي ندا بر طالب
قال شيخ شيوخنا الحافظ
السيوطي رحمه الله تعالى
وذكر محمد بن الصباح
الطبري ان أباه مشى مع
الرشيد من خراسان الى
النهروان فجعل الرشيد
يحادثه في الطريق ويشكو
همومه ويتنفس عنده
نفثات الصدور الى أن
قال يا صباح أطلت لاتراني
بعدها وقلت بل يطيل
الله عمر أمير المؤمنين
ويفديه بارواحنا ويعيش

سالما من الآفات فقال انك لا تدري ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأومأ الى من معه بالتنحي عنه فأبعدهم وهم يرمقونه بطرف خفي ثم قال أمانة الله يا صباح اكتم أمري فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة اكتمها عن كل احد وحولي رقباء لكل واحد من أولادي يعدون أنفاسي على غرور رقيب المأمور وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين وفلان وفلان ثالثا أنسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصي أيامي وساعاتي ويستطيل عمري وحياتي ويظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا لاركبه فيأتوني به أعجف ضعيفا يريد في علتي ويضاعف علي مرضي ثم طلب منهم برذونا لاركبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكر وهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الى

نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفاني الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى أن بلغني وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذي قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز في يد غلمانه مغلوب عليه في ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شانه متاسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شئ وكان ربك قديرا * ولما جردت المنية موسى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشيد الرشيد مخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط أعماله (٨٠) وأدرجته في أكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود

الاجماعة بحصيهم العدد فتردد الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد أفندي وكان عين الدولة بمكة لانه يستحق جدة وشيخ الحرم المكي، ووقعت رجعة عظيمة بمكة في التوليسة على المسلمين فمن يقوم مقام الشريف زيد بن ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا في البيوت والمنابر فرد الامر الى عماد أفندي شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد وأرسل الخلعة اليه فلبسها في بيته فقيل لعماد افندي ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمر اسلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولي العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد شرط ابنك فاتفقام فجاء جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود يراجعون عماد أفندي فقال لهم نحن البسنا الشريف سعد بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفي خلاصة الاثر انهم راجعوا عماد أفندي فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن مسعود نحن حمود شجعان وكبير ولا نرضى الا به وكان عبد عماد أفندي السيد راجح فاتفق اي من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه بلال ومملوك تركي اسمه ذو الفقار وكان شجاعا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بنيه فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأي سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر في المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

(جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧)

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا في البيوت والمنابر وركب جماعة السيد حمود على الجبل الذي خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمر وتراموا بالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر هم الحال وكل يوم يصحون في قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسمع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم وعيت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع اللباس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضرا من الشريف سعد الى الدولة العلية بأنها ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده

فصل ولما توفي الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سياسيا التدبير وبقائه كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصغي الى قول المشير * ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار في العذاري واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية ابن عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين الف الف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وأرسل الى الكعبة المعظمة من حاوه بصحيفة عهد والده له ولاخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماه الناطق بالحق ودعى له على المنابر ومن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينحل من كذبك ولن يغشك من صدقك واني أنصحك وأصدقك ولا أكذب في نصحك لا تجرئ الفؤاد على الخلع فيطلعوك ولا تحملهم على

نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شؤم والنا كث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقة النفوس عليه ولذلك تأثير في الظاهر والباطن فأبى الامين منه وبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع علي بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون ألفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال أمر المأمون يحسن بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه ويضعف الامين في لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن أهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو في جنب حوض مع جواريه يصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب وكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة التي في أنفها لصاحبتها فجاء مسرور الامين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعني فان الجارية فلانة صادت مشققتين وأنا ما صدت شيأ فرجع مسرور باهتا واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر ان الحسين الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر اعلم انه

خطوط الاعيان رذهب به عبد والده المذكور سابقا بلال أعالي مصر وسلمه صاحب مصر فارسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد حمود ينقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين ووجدوا العرض في تركته فلم يجد نفعا وصدر أيضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان بها وعليه خطوط الاعيان من أهل المدينة وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بان الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطاني فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطاني وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا أحد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى أن حصل بينهما لسافرو الفراق وقام كل منهما في مقاومة صاحبه على ساق وذلك باسباب عدم ايفاء الشريف سعد عمارتيه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فازمع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادي مريوم الاربعاء ثامن ذي القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام بمن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصري فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد ابن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان فاهوا اليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به ممن معاليهم وقالوا لامير الحج يا أيها الامير لا تدع أحدا يحج الا ان يأخذ ماهو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفي فالتزم للسيد حمود ان يسقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها فقبل ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذي الحجة خرج اليه الشريف سعد وابس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق امتثاله وأعطى خادم السيد حمود الحسين الالف قبل الصعود وبقي السيد حمود ومن معه بالوادي الى ثالث عشر وقبل عشرين من ذي الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكان العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فتردد الرسل بينهم ثم عقدوا مجلسا حضره الامراء ووجوه أركان الدولة وعمادا فندى لسماع الدعاوى التي بينهم فارسل الشريف سعد بلالا أغا وكيله عنه في الخصومة والدعوى فاعتماط السيد حمود من ذلك وأراد القتك به في ذلك المجلس فذهب مسرعا فزعا

(١١ - تاريخ مكة) ماقام لها قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأبي موسى الخراساني وأصحابه الذين بذلوا أموالهم في قيام الدولة العباسية فكان ما آلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فيمن ذكر من مقيمي الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبي مسلم الخراساني أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدي وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات في قلب طاهر وصار يحذرها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الامين وأمرهم بقتله فقتلوه وأخذ برأسه وطيف به في مدينة بغداد ونودي عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك في المحرم سنة

ثمان وتسعين ومائة * قال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبني في ليله مصمره فجئته فقال مالي في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب مني نبيذا فسقاني ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت بشعر النابغة الجعدي كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك مزج بالدم فتطير من ذلك وقال غني غير هذا فغنت تقول أبكى فراقهم عيني فأرّقها * ان التفرق للاحباب بكاء مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت أما ورب السكون والحرك

ان المنايا كثيرة الشرك * ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك الا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك * وملك ذي العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أطن أمري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قصي الامر الذي فيه تستفتيان وقام معتما وقمت عنه وأخذ بعد ليلتين وقتل نجا وزالله تعالى عنه وعظم قتل الامين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر بن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فحقد ذلك على طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره الى ما آل

﴿ فصل ﴾ لما تم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم مأتم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة * وكان من أتم رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والادب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الادب فضل وأفضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه * ومن انصافه انه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضا وضرب الدنانير والدراهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون في صفر سنة أربع ومائتين

وصل

فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيي وكيلا عنه وتطالبا على يد الحاكم الشرعي وطال المجلس ولم يقع بينهما اتفاق وادعى على السيد حمود بأنه أخذ أموالا من طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعي وطلب مولانا السيد حمود ان يتوجه الى الديار المصرية ويرفع أمره الى الحضرة السلطانية فاذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامي وسائر الحجاج توجه معهم حتى وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد حمود من بدر الى ينبع في شهر صفر وأرسل ولده أبا القاسم والسيد أحمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب ابن راميس بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوي عسقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولي بعد عزل عمر باشا مكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل صحبة القاصد لينظر ما يتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية والخيل التي معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم فاستمر الحال كذلك الى شهر جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها ان السادة الاشراف اللذين بينبع قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فوجا بعد فوج فأشار بعض الاشقياء على الباشا بمسالك السيد أبي القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل عليهم حرسا واستمر السيد حمود بينبع ولما ان سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد محمد فأبه طلب ان يكون له ربع مكة اشعارا لدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فعرج السيد محمد معاضبا لاخيه ولحق بالسيد حمود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطافه بالزاهر لارادة لحوقهم ثم جاءه خبر ورود خلعته له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب ولما سمع السيد حمود باعتقال ولده أبي القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب ما لا مزيد عليه ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد حمود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق فلما وصلت الى ينبع اعتربها السيد حمود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من الاشراف وجمع من جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن في السيد أبي القاسم بن حمود والسيد محمد بن احمد الحارث وأصيب في هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما

وتوفى الامام على بن موسى الرضا فى سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولى ان بعض نحاته قال له انك فى برك بأولاد على بن أبى طالب كرم الله وجهه والامر فيك أقدر على برهم والامر فيهم وكله العباسيون فى اعادة لبس السواد فأبى فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعار السواد وكان كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء يمتحنون فى أيامه بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى * ويقال ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة ان لمسها أحد أحدثه الفاضة من ساعته لبردها فأكل فمات لوقته ومات المأمون من اظفار ريب المنون (٨٣) ونقل من الملك الى الهلك جسمه المصون وواراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن فى طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ
مون أو عن ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتى طرسوس
مثل ما خلفوا أباه بطوس

﴿ فصل لما مات المأمون ولى بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد ﴾ مولده سنة ثمانين ومائة وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة * وذكر الصولى قال كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيدى واستراح من الكتاب فقال يا ولدى وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لا تعلمه شيأ وانشأ يعلمه يكتب كتابة معشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل رند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد * قال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا وبعث الى سمرقند وفرغانة أموالا لشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل فى بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد وشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك

وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من هو من اتباع السيد أبى القاسم والسيد محمد الحرث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لا يليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم فى قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمرا الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله عن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى العاية عن حالهما بسؤالات كثيرة حتى ظهر له انهما مظلومان فأمر بالافراج عنهما واحضارهما اليه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أرلهما فى بيت نقيب الاشراف وأكرمهما هو أيضا بما لا مزيد عليه ثم مشى السيد محمد الحرث الى مكة مختفية على ركائب وتأخر السيد أبو القاسم بن حمود واستمر بمصر الى ان توفى بالطاعون ولم يزل السيد حمود ينتبع بعد الواقعة المشار اليها حتى انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبنى طفر وبنى حسين ولم يزل على هذا الحال وهو فى غاية الاعزاز والاجلال الى ان أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد حمود بالطائف وقبل بالمبعوث سنة احدى وثمانين وألف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف ونكتبا وتعاهدا على تشييد مبانى الصلح المحكم الاساس بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأقاما فى أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفى سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهرات والرمم العظام وأما بندر جدة فكان أعظم من ذلك وكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والمخافة ووصلت قبيلة الحبسد هم خمسين محملا ثم لطف الله فورد جدة المراكب المصرية بالعلال وجرايات أهل مكة وفى هذه السنة ورد مع الحاج الشامى حسن باشا وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكى والنظر فى أمر مكة ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس منهم محمد ما فربعض خدم مولانا الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفى خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف سعد فلما بلغ الشريف سعدا ما فعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها وهو فى تخت الى باب السلام ثم استلم الصرالمكى ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر ما بيده ان كان بيده عزل أو تولية وكانت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بانه لا يقع منه محذور وفتوثق منهم وحج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة بحيث عزل السوق فلما حج ونزل فرق حسن باشا الصر على أهاليه ولم يجمع مولانا الشريف سعدا بالباشا الى ان سعى

الاتراك عنا حاربناك قال كيف نحاربوني وأنتم عاجزون عن حربي فالوا نحاربك بسهام الاسعار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا أطيق ذلك ولكن أنظروني لانظر لي بلدا أستقل بهم فيها ولا تتضررون بي وكفوا عني سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل اليها في سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها البلد البيضاء وتصرف فيها المائة المجددة العراب وخذل فيها الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الاسلام والمسلمين ومن لحصها ان ملك الروم كان اسمه لك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا للمعتصم يهدده واستشاط غضبا وكتب له الجواب فلم يرضه حتى مسحها ومزق الكتاب الذي ورد عليه وأمر أن يكتب في

ظهر قطعة منها بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرؤه

يبهما أمراء الحج وصمموا عدم المخالفة وطيبوا خاطر مولانا الشريف فاجتمع به في الحرم ثاني محرم الحرام خلف مقام الحنفي ساعة وحضر أعيان الدولة وجميع من المسلمين وأصلحوا بينهما ثم قام مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف أتاه الى منزله هو وأخوه الشريف أحمد بن زيد فلما أرادوا الانصراف أنعم كلا منهما فاقطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفي اليوم العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوي ألف دينار فبرز من عنده وسار من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق كما سيأتي وفي ثالث ربيع الاول من هذه السنة ثار عسكر مولانا الشريف من تأخير المرتبات ونصبوا مع شيخ العبيد وهو واحد قدر واعليه من السوق وأقاموا المعلى يوما وليلة ثم رتبوا موجهين الى العين فخرج اليهم السيد حسن بن زيد ومعهم الهم الوفاء وجمعهم وفي الخامس من ربيع الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا نائبه مولانا الشريف مسعد وتكلم العساكر المقيمون بمكة مع مولانا الشريف في أمره وانه كان من أمس القبيل يبيع في العساكر مع السيد حمود وأظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المخلوبين مهما أمكن ومثل ذلك عند قاضي الشرع مسكت الدفة وفي خامس عشر ربيع الآخر وقعت مناوشة بين عسكر مولانا الشريف وافقه قوافر قتلين وتقابلوا بالسيوف على باب مولانا الشريف وحصل في النفر بضعة جراحات ثم اصطلحوا وفي هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قرية بني سعد لحر وجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فأرسل الى أخيه مولانا الشريف مسعد يعرفه بذلك وأرسل اليه مجموع جزيلة وقبل وصولها ردوا الطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة الارواح وفي ثاني رجب من هذه السنة وصل الى جدة سلطانان من سلاطين النحم وأرسل اليه مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحرت ثم دخل مكة وادي الحج ونال منه مولانا الشريف مالا عظيما وفي شهر رمضان في التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة قتلت رجلا وفي هذه السنة طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكه في مكة فوافقه على ذلك وفوض اليه ربع مدخول مكة فطلب أن يدعى له في المنبر معه فأمر مولانا الشريف بذلك ثم عرس الى السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج أنعم كل منهما خلعة وفي سنة احدى وثمانين وألف لما كان يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل أعجمي بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادي بالفارسية انه المهدي وجلس في صحن الطواف الى ان فرغ الخطيب فلما أراد ان ينزل قصده الاعجمي بالسيف وأراد ضربه فردى وجهه باب المسبر

وسيعلم الكافرلمن عقبى الدار ونحن هزمنا ساعته وهم الجمعون وقالوا ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسار من يومه ولا لحقت العساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون ألفا من النصارى وأسر منهم ستون ألفا وهرب باقيهم ونحصن نحصن عمورية فحاصره المعتصم ورمى به الى أن فتحه وأسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوح الاسلام ومدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل فيها قصيدة أبي تمام التي سارت بها الركبان وطبقت خافقاها في الاصقاع والاكوان وهي

السيف أصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب والعلم في شهب الارماح لامعة ● بين الخميسين لا في السبعة الشهب فتلاحقته
أين الرواية بل أين النجوم وما ● صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ولو تبين أمر قبل موقعه
ما يجتلي عاطل بالاوثان والصلب فتح تفتح أبواب السماء له ● وتبرز الارض في أثوابها القشب فتح الفتوح المعلى أن يحيط به
نظم من الشعر أو نثر من الخطب فدير معتصم بالله منتقم ● لله مرتقب في الله مرتقب لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب ولم يقد جحفلا يوم الوغا نقدا ● من نفسه وحدها في عسكر لجب عد الحرار الثغور المستضاءة عن
رد الثغور على ساداتها الحصب حتى تركت عمود الشرك منعفرا ● ولم تفرج على الاوتاد والطنب

ان الاسود أسود الغاب همتها • يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب خليفة الله جارى الله سعيد من
حرتومة الدين والاسلام والحسب ان كان بين صروف الدهر من رحم • موصولة أو دمام غير منقضب

وبين أيامك الاتى نصرت بها • وبين أيام بدر أقرب النسب اذا رأى هذا لا رأى المقصود والجوهر الذى يرى جوهرا لا عقود وتنزه فى رياض ألفاظه ومعانيه واجتنى ثمار البلاغة من مقاطف أزهاره ومعانيه وخد بالحظ الوافر من ذوق راكيه ومبانيه • وكان المعتصم من أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن رجع عن ذلك وأذاقهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الرديه مع انه كان عاميا لا حظ له من الكمالات العليه بل حمله على ذلك تجرد (٨٥) الجهل والتعصبيه وما كان

فلاحقته العامة من العساكر المجاورين فصرعوا الاعجمى بالسيوف الى أن أنحروه وسحبوه الى ان أخرجوه من باب السلام ثم حرقته العامه الى المعلى وجعلوا تعليقه عامة وأحرقوه ولما نزل الى جدة حسن باشا المتقدم ذكره مارره مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليقه من جدة وطلع الى الحج ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنين وثمانين وألف فلما فرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى يرمى بصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس نحاه حمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فأصيب فى صدره فوقع من فوق حصانه وحمله العسكر الى الخيمة ورأوا به وقالوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء الى ان وصلوا باب الباسطيه مسكنه والمغمولا الشريف الخيرفنزل من منى عن ٤٠٠ من العسكر والاشراف فى لباس الحديد ونزل الى بيته واعتدت عساكر حسن باشا للمصاروحملوا المدافع على باب السدره ورباط الباسطيه ومن جهة باب الشبكه ومن جهة سويقة فاقتضى الحال نحو مولانا الشريف أيضا ولما نزل الحال هكذا الى الصبح فاجتمع أمراء الحج مولانا الشريف وأخبروهم ان هذا الامر ليس لى به خبر وقد وقع ذلك والله أعلم فما عليه ولا له ما عليه مولانا الشريف محاصرته مادام فى قيد الحياه نحملوه من مدخول جدة لا يمنعه من غير أمر يقتضى ذلك بعد انعام السلطنة على ممن صمم فى الدعوى ووكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى السيورى وزير جدة من جهته جاء الى حضرة القاضى وادعى على الباشا المذكور وأحضر دفاتر سدر جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش فتوسط الامراء فى نزول البعض وأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ ثلاثين ألفا فقبل عشره وأحد عشرين ثم ان الباشا المذكور توجه الى جدة فى سابع عشر ذى الحجه ثم توجه الى المدينه المنوره فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له محمد باشا فاهر السابق ذكره ان يبعث لى مولانا السيد أحمد بن محمد الحرث بن الحسين بن أبى عمى ويوليه شرافه مكة وبعث اليه جاء الى المدينه فألبسه حسن باشا خلعه فى الروضه الشريفه ونادى له فى البلد وأمر بانه حاله على المدبر وأرسل الى جدة يريد خبيره يتوجه بها الى مكة فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه الى ينبع وتحقق ان حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحرث.

• (صوره ما كتبه الشريف مسعد للسيد أحمد بن الحرث حين ولاه حسن باشا امارة مكة بالمدينه) •

فكتب الى السيد أحمد كتابا مالك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الاكبر مع مزيد الاطافه ومضمونه كما فى تاريخ العصامى بعد مزيد الثناء وحيد الدعاء ان هذا الذى سمعنا به من تقصيلك لبرد المالك وأثوابه وهذا أمر أنت بينه الاعلى ومثالك أحرى به وأولى وابنك أنت الشيخ والوالد الحائر لكل

وقس بين قائم وحصيد يحكم الله ما يشاء ويقضى • ليس حكم الله بالمردود ليس يخفى من المنون حصون

عالياتك ولا حصار حديد ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى لامن ملكك وأرجوك من قبلك لامن قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه • وتوفى الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين ﴿ فصل ﴾ وولى الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله فى تاسع ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائتين • ومولده بعمورية سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه أشناس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استحدث سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا يجوهرا وتبع أباه فى القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر

أغناه هو وأخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عداوا ما يعيبها ومالهم والدخول فى هذه المسالك الصيفة فلا لاوغبا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا وما أسرع مذهبها وذهب غرورهم وعرهم بعدا ووحدوا ما قدموا لها حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ولما يرد عليه الا بعد سبيف المنون ما عصم المعتصم بالمهور الحصن ولا بطون الحصون
ولا منعه عن مسلم امام مال ولا بنون
كل حى لاقى الحمام فردى
ما الحى مؤمل من خلود
لاتهاب المنون شيأ ولا ير
جى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى ثمار بمرج
ردى
ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث والاي
ام وهنا فى الصخرة الصلود
وترانا كالزرع يحصد بالدهـ

عمره • قال الخطيب كان أحمد بن داود حاضرا فقال الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه هل هو علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أو لم يعلمه فقال ابن داود بل علمه فقال فكان يسعه ان لا يدعو الناس اليه وأنتم لا يسعكم هم تولوا وصعد الواثق وقام فاصعا على فوه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم ان سكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر ان يعطى الرجل ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن داود من يومئذ ولم ينفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد الاردي شيخ الكسائي • وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثير الاكل أكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره (٨٦) في واقعة حال له حيال بالحرس والورد • معتدل القامة والقد

فالتهب عيناه نارا لحوى
وزاد في اللوعة والوجد
أمات بالملك وصالا به
فصار ملكي سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده
وأنصفوا المولى من العبد
قال الصولي أجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة واللطف ومات بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين • وحكى انه لما مات ترك وعليه ديون فتغل الناس بالبيعة للمتوكل فامر بدور واستغل عليه وأكلها فسبحان العبر بالمتعال وتبارك الذي القوي القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال (ثم ولي بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي) • ولده سنة خمس ومائتين ويوم له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما أعطى جليسه شاعرا ما أعطاه المتوكل وكان سفيانيا سيما أظهر الاخيبة السمة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى نبلس العلل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر بازعاجهم حتى ان يحيى بن خاقان قاضي مصر أمر ابن أبي الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهميا معتزليا يقول بالجهة ويخلق القرآن • ومن أفعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة وصنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شعثه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت أمية قد أتت
قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله
هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا

في قتله فتتبعوه رميا وهذا الفعل السيئ محا جميع محاسنه وصار ما عذب من زلال احسانه مفلوبا باجاجه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة أفصح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة * ووقعت في أيامه مجائب لم ير الناس مثلها وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويدا بما حيته مصر بأحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مراع الى جبل آخر ووقع في قريه طائر دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة رجاء من العدد ففعل ذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا في شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك منه انهم وذلك في رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل

الاخيبة وفارق الملمات حتى وصل الى سعد وأخيه وهما بعمل يقال له ملحا فوافى ذلك عرول حسن باشا وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانة والذخيرة التي ظاهر حسن باشا وأرسلت له من جدة فتعرضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه الى الابواب وجا لمولانا الشريف خلعة مع ذلك القاصد فلبسها تامة وفي خلاصة الاثر عند ذكر هذه الخلعة وكان ارسالها حاضرا بأس المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق عرة وتوفى في الطريق وتوجه معه محمد نظام وأعاد القاعة ورد ذهب محمد نظام الى عرة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل انهم أحضروا له ثوب ابن اشا لدى صرف بالرصاص فيه وزاد الاعداء في الكلام وكان الشيخ محمد بن سليمان المعربي المشهور بالرودا في اذ ذاك في القسطنطينية وكان مجاورا بالمدينة ثم بمكة وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه شفع عنده في شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير وراجتهم بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل أشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قصة حسن باشا حضر عند الوزير وانتهز ذلك المحال فوجده مكانا فاصبحا للامر قال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم بارسال أمر سلطاني الى صاحب مصر أحمد باشا تجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر الى مكة وكتب الى حسين باشا صاحب لعب ان يجمع في هذا العام ألفي عسكري وينظر في أمر الحرمين ولا يترك شيأ دون اشارة الشيخ محمد بن سليمان وأمر الشيخ بالحج واصلاح البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال وردمن مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرمية وكثر الهرج والمرج واستمر ولا مولانا الشريف ينبع الى ذي القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة

﴿ غريبة ﴾

ولما كان يوم الثالث عشر من ذي القعدة مات رجل من أهل وادي الجموم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول يا أهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته اني أديت الامانة الى شريف مكة وهو ان أمر اريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج جميع الناس يوم الجمعة يصلي بهم ركعتين ليرفع هذا البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه ووصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالرباط وصليت البارحة العشاء وغفت ثم قمت لصلاة أصليها واغتسلت من عين هناك وعشيني نور طبق الافق ومجدت خشية ثم رفعت رأسي وأنا كما بائت

ذهبا لاجراء ماء عين عرفات اليها وصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطي رحمه الله * وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى أخبار أم القرى في حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها عارت عين مشاش وهي عين مكة وبلغ ثمن القربة درهما وبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه وهذه العين من عمل بركة وهي عين بأراك طاهر * قلت عين مشاش موجودة الى الآن وهي من جملة العيون التي تصب في بئر عين حمين وهي تجري وتضعف أحيانا بقلة المطر ومحلها معروف * ولما كثرت المماليك في بغداد وحلوا في أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مملوك أبيه وسيف التركي لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركي وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو في مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات وقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فصرعه باغر بالسيف على عاتقه وقدمه الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فصرعهما عرتاية فجاءا جميعا فلفهما معا في بساط ومضى هو ومن معه ولم ينتطح في ذلك شاتان * وكان قتله في ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في القصر الجعفري وكان سنه المتوكل ولما قتل

دفن فيه رحمه الله تعالى هو وزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى • وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة (وولى بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسى) وبويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتم بالملك لاستيلاء الموالى الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه ليلى الخلافة بعده والله أعلم بذلك • وكان على حذر من الاتراك وبسببهم يقول هؤلاء قتلة الخلفاء ولم يأمنهم وأراد واقتله فما أمكنهم لاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه من طبعوه ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه فقصده عيسى مرة ومرة فحس ذلك وأراد قتل الطبيب فقال انك تصح طبيبا وتندم بى (٨٨) قبلى فامهلنى الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا • وتحكى انه بات ليلة فى وعكه فانتبه مرارا وهو يبكى وسألته أمه ما يبكيك فقال أوسدت دينى ودنياى رأيت والدى ساعة وهو يقول قتلنى يا محمد لاجل الخلافة والله لا تمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فاستمر موهوما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قليلة وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر جلس يوما ليهو وأمر بفرش بساط من ذهب الحريمة تداولته الملوك فمر فرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج له الكتابة فاحضر له شيخ رجل من الاعاجم فقرأها له وعلم عند قراءتها وسأله المنتصر عنها فصال لا معنى لها وألح عليه فقال هى أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك الا سته أشهر وهى مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذى أراده وصار معتما به فى ثيابه • وكان على خلاف رأى أبيه فى آل أبى طالب وعمد قبر الامام الحسين بعد ما كان هدمه أبوه وأمر بزيارته ورد على آل الحسين حائط فدك • ونصته مشهورة وهى مما تقدمه الشيعة على سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كما توهمه • قال أبو منصور الثعالبى رحمه الله فى الغرائب ان أعرق الاكاسرة فى الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة

وشاهدت السور وقد اجتمع دائرة مكتوبا بها بحواشيها عشر سطور أولها لا اله الا الله والثانى الله نور السموات والارض والثالث محمط محمط ولم أعرف بقية الاسطر بعد هذه الثلاثة وأردت ان أميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ شق الايسر وأردت ان أميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد عمرتنى رائحته المسك فقال اسمع وعها ثم قال رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناد بأعلى صوتك ان أسفل مكة الى أعلاها قولا للملك ان سلمت يوم عرفة سلمت فأمر مولانا الشريف بالاحتياط اليه ثم عرفه وعاد من يومه ولم يعد مولانا الشريف رأيا فى قوله وحمل الناس قوله على التخليط والتعليط واذا نظرت الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذى القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر ورئيسهم محمد جاوش ورتل لتحرير طارح الشبكة فحرج اليهم الوزير والحاكم ومعهم مولانا الشريف لمحمد جاوش هديته من الخيل والفرس تربية مدهيه وكان أخو الشريف أحمد وشكر فعلهما ثم احتمالا به واستخبراه عن مجيئه فعرفهما بالقصة فلم يعبأ بهما وقال لا علم لى بما جهرت بهذا العسكر الى مكة وقيل لى يصل البلد مع الحج حسين باشا صاحب حلب والامر اليه وأمرنى بحضرة الباشا صاحب السعادة ان لا أدخل البلد بهذا العسكر فجاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان مولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا والله من الحرمين ويكتم ما هو عليه يليق به فأنه عين للوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتاب أمر القاضى امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدى ان يتلقى المشار اليه وأرسل معه كاتب الحرايه محمد حلبى وفى اليوم الثامن ذى الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاوش ان يتروح من طريق العرنة يوم خروج الشريف لقاء الامير ولبس الخلعة واصبح من الغد فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف المراد من هذا المنزل وفى اليوم الخامس من ذى الحجة ورد الامير المذكور واستقر محمد جاوش مع مولانا الشريف لخلعه فلم يأته وأرسل اليه يسأل عن سبب التأخر فأخبره مولانا الشريف انه اتباع محمد جاوش عن التروح من طريقه وبعث اليه ان أقبل وارتل العسكر ليلة وتضيق بكم الطرق وتردد المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن فى ان لا يحصل شئ من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما وطافوا مع الحوش ورتلوا على الراهر ولبسا الخلعة ورجعا من الشبكة وهو أول الاختلاف فانه لم يعهد من صاحب مكة انه خرج لقاء الامير من الحوش فلما وصلا الى منزلهما أطلقا الصناجق رهائن ورجعوا الى العسكر كذا فى تاريخ الحارى وفى تاريخ الرضى ان مولانا الشريف لما خرج من الحوش وقف مطرقا لارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب للحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على الحرب

أشهر * قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنصر بالفصد بموضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة ﴿ ثم ولي بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله أخو المتوكل على الله ﴾ وانما قدمه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قالوا نحاف أن يلي الخلافة أحد من أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وهو ولد سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى محارق وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت الممالك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركي وباغر التركي حتى قيل في ذلك خليفة في قفص * بين وصيف وبغا يتول ما قالا له * كما يقول الببغا (٨٩) فاستمر كذلك وهو يترصدلهما الى

ان ظفر بوصيف التركي فقتله وبقي باغر التركي الذي كان سلطانا على المتوكل وقتل به فتمكرت له الاتراك فخرج عليهم من سامرا الى بغداد وأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه في العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين بالله اديبا اسمه يا مطلعا على التواريخ متحملا في ملبسه وهو أول من لبس أحد من الاكاسرة العراض فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن لبس شعار سادتنا أشراف مكة بني حسن أعزهم الله تعالى ولما أتى المستعين عن العود الى الاتراك في سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله المتوكل على الله وأقعدوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يدل الخلافة أصغر سنا منه

الحرب والقتال وأرسلوا اليه الخلعة تسهيلا الامر فراغ في هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا الى البيضا من جهة اليمن يأمر الامير فرحان صاحب حج اليمن بالعود من هناك ولا يدخل مكة مرد الحج من يلملم فلما وصل الامير فرحان صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المؤكل على الله اسمعيل قال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فقاصد صلى الله عليه وسلم عن الذهاب عاتب فقهاء الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التي وبها ما يشق عليه من العتاب والتعريض والتصريح على أخذ مكة ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته القاضي امام الدين من الشيخ أحمد المرشدي والجمال محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين الميري وسألهم مولانا الشريف عما رأوه وشهدوه من حسين باشا فأخبروه انهم لاقوه ورأوا منه غاية الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندي علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامي وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل الطواف ليلة ثمان بعد ان أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس محلاة فساوى ألف دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة العرب بالمعلى وتصالحا على خيولهما وقبل الباشا المذكور يد مولانا الشريف أحمد وأطهر الفرح بلقائه وأدى من الخصوع ما تقر به العين وهو مع ما هو عليه من الصرامة شمر لحسين وأمر مولانا الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه في السير ولم يزالا الى باب السلام فقال لمولانا أذن لنا ان نشرب عندكم قهوة اذا رأوا عنا وأذن له مولانا الشريف ودخل الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعي ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركي وكان نزل بها أيام الكتاب حج في هذه السنة واسمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع الى مولانا الشريف واستمر عنده بظهر اللطف والمؤانسة ويستمع الحديث بأنواع المحادثة الى أن مضى نحو نصف الليل فخرج من عنده وأركبه مولانا الشريف فرسا أخرى من خيله ولما كان يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف وأخوه مولانا الشريف أحمد للقائه على جري العادة للدس الخلعة الواردة مع الامير الا انه ترك عسكر اليمن ونام من الحجون وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما رأينا من الحجون نظرت بعين الفراسة فاذا هو قد جمع عسكره الى العسكر المصري وأظهر في طي ذلك غدري وأرقفهم موقف البرار وكل في يده جرار وخلعه الملبس للدروع والكل منهم خدوع فعلمت انه أمر بيت بليل وقدم ما في الحصون من ظهور الخيل فلم يزل حتى خلصه الى سعة وأحدث ناحية مرتفعة وأرسل له السيد الحسين بن حسن بن

(١٢ - تاريخ مكة) وجاءوا المستعين بالله في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وحيث وافى بغداد جاءه كتاب رئيس المستعين بالله وقائلوه وقائلهم ودام القتال أشهرا وكثر القتال وعلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى أمر المستعين بالله الى ان خلع نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه واحدروا الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فدبحه في الحبس في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس في الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خائفا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه ليصفو له الملك ولم يكن في خزائنه مال

ليصرفه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة افرط جمالها فاتت عليه وتحصت بالمال وسمعت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وسيف ومحمد بن ياغر وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وحروه من رجله فأوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وأحضروا أباعبد الله محمد بن الواثق بالله وبايعوه المهتدي بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة ليلة تفيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله يومئذ ثلاث وثلاثون سنة وسار صالح بن وصيف أم المعتز وحدبها حتى أحدر معها ألف ألف دينار ذهبا وألف ألف وخمسمائة ألف درهم وثلاثين ألف اردب حنطة وثلاثة آلاف اردب دقيق وأقوت (٩٠) أحرم ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأول الناس ترحم عليها

حيث ظهر عندها هذا المال وشمخت به على ولدها وكان المهتدي كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهي ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فصرخ اليهم وقال لهم ما سببه الى ان ملكوه وبايعوه وعدوا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما

﴿وولي الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد﴾ وتلقب المعتمد على الله وسنأتي ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

﴿الباب الخامس وذكر الزيادتين﴾

الاتي يريد في المسجد الحرام بعد تربيعه الذي أمر به المهدي بن المنصور العباسي وشرع فيه المعتضد ولم يكمله الوفاة قبل اتمامه

يحيى وطلب اليه الخلعة بعد البيعة على مفارقة لاحياء فأرسل يأمر بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعد له بساطا على سهوة فأرسلت أقول ما جرت بهذا عادة وشرب القهوة من غير هذه المادة فأرسل يقول ان في هذا تعظيم شأن السلطان ولكم منه الامان وان لم يكن منكم وصول لنا فلا خلع لكم لدينا وقد ذلك ثبت عنان فرسي راجعا وفي القتال طامعا فنادى منادية الامان الامان فلما علم الاصراف عن وطاقه والتشتت اشتغاله أرسل بالخلع مشكوره فعلمت ان الامر مشكوره فلبست الخلع أبا وأحمد ورجعت أشكر الله وأحمد ثم ركب مولانا الشريف حاملا بالقهوة وهو متحرس من دلك الحابش وباتعدى ثم صعد الى عرفات راسترفي مرله عرفات لي أن نفر الباشا الى المرد لفة مع المحملين وقد ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف لاعظم ثم لي المرد لفة ثم الى مني ولما كان ثاني يوم النحر الذي يليه يرد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا أحسن الصورة في وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف بقباله فوجده عند الشاوعتوا بالعوده الى عنده لا لباسه وأرسل يعرفهم ان القواعد حررت بانيابهم اليه فامتنعوا فعلم حينئذ ان قصدهم

•(ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ووصوله الى الديار الرومية سنة ١٠٨٢)•

ولما علم انه لابد من القتال أو الارتحال أي ان القتال في هذا الشهر الشريف عمد بالسر بأهل الشريف والخيار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وألف وأصبح الصباح الاوقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى تربة ثم الى بيشه وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولايته مكة سنة ألف ومائة وثلاث كما يأتي بيانه وحاصل الامر انه تولى شرافة مكة أربع مرات سيأتي ان شاء الله تعالى بيانها في محلها وهذه المرة الاولى وكانت مدة ولايته في هذه المرة ست سنوات الا أحد عشر يوما وقيل الا احدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة ثار بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا أمير الدرة وكاتب الديوان ومحمد حاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان بمنى واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد شبير بن سليمان

•(ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣)•

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وأظهروا باشا أمر اسطانبول بتوليه لمشار اليه شرافة مكة وألبسوه خلعة الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وصلتهم

من المسجد الحرام قبل الزيادتين وأيام المعتمد على الله العباسي ثم بنيت الزيادة الكبرى في الجانب الشمالي من المسجد الحرام في أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب الغربي من المسجد الحرام في أيام المقتدر بالله ولنذكر تراجم هؤلاء الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه في المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكره في ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية تروبحا للنفس وتسهيلا لحصول الفوائد والانس وتوقيفا على أحوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث في كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله في عدم رهذه المجوز العميا وهذه الفوائد في الحقيقة هي نتائج علم الاخبار ليعتبر

المعتبر حال نفسه بحال غيره في هذه الدار فان من قواعد الحكمة ان أفعال الفاعل مشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل المختار والدار الآخرة هي دار القرار وقد وجدت هذا القول تاسعة * فان وجدت ما يناقضه فاقبل المتعلية العبيد الاتراك الخليفة المهدي لله ابو عبد الله محمد بن الى العباس وأخو امه اسمه جعفر ﴿ أحمد بن المتوكل على الله المعتصم بالله ابن الرشيد العباسي ﴾ ولقبوه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وولد سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها فيان وكان له اهمال على اللهو والملذات فقدم أخاه طلحة المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند (٩١) وكان له ولد صغير اسمه جعفر

كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعاونة كل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره فانه الذي سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا المعلول المقدور

(صورة كتاب الوزير للسيد محمود بن عبد الله بن حسن)

ومن جملة من له كتب مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد محمود بن عبد الله بن حسن المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما ولى اشريف بركات حرج من مكة ثم رجع كما سيأتي ونص كتابه

*وصل دواتها هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد محمود نظم الله سعوده وأبد جدوده وبعد فلا يخفى ما ان الكعبة البيت الحرام ومطاف طواف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل في هذه الدولة العثمانية أمسا لاهله من النوائب وروضا محصنا بأحسن الاناييب الى أن ظهر من السيد محمد من الامر الشديد ما يشيب عنده الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة الشريفة وأداقهم كأس المنون رويه فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني أمر بعزل السيد محمد عن شرافة مكة وتعويضها الى اشريف بركات فيعمل فيها الحسن التصرفات ويكون له عونا وظهيرا وناصحا ونصيرا وكل ما يتفرع عن هذه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل بسببه الى مكة المكرمة يعود تهديه الى طريق الصلاح وترشده الى معالم الفلاح والفلاح وأنتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل والله على ما نقول وكيل وأما بقية الكتب وكلها بهذا المضمون الا ان العبارات مختلفة فلا حاجة الى التطويل بنقلها وفي الشرح الروي للسيد الشلبي في ترجمة السيد عبد الله الحداد ان اشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو في الحجر يعني السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير المطلوب فدعا له بذلك

(نهضة الشيخ محمد بن أحمد لزعمة واستشهاده من اقران وما وقع لولده بعد موته سنة ١٠٨٦)

فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون ملكا ثم ان مولانا الشريف بركات نزل من منى الى مكة في موكب عظيم وجاءه الناس يهنؤنه ما ملك من السادة الاشراف والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد ومن جاءه مهنأ الشيخ محمد بن أحمد الزعمة وقرأ عند لقائه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات من آل ابراهيم بن بركات بن أبي نمي فعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستحضار

لقبه المعز وتمش الى الله ووالاه المغرب والشام والحرية وعقدا لهما لوائين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده صغير كان الموفق ولي عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وأرسلها الى مكة فعلقت بها وما أظن من هذه الاقدار يحذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلا مدبرا شجاعا عالما بأمور المملكة مدبرا ملفقا لاحوال الرعية وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه وبطالته مهملا لاحوال الرعية مشتغلا بالامور المملكة مكروها عند الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات

كثيرة * وكان ميمون النقيبة مظفرا في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله طائفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس اسمه مهبول يدعي انه أرسله الله الى الخلق وادعى علما بالغيبات وقتل في المسلمين حيث ذكرا صولي انه قتل أكثر من ستمائة ألف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادي على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عبد الله الخال نساء شريفات بطوهن ويتهنهن في الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الاسلام وقتال هذا الكافر مدة طويلة حتى أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دار مملكته كواسط ودار مهرمز وماوالاهما فادب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر من جنكته وقائع الحروب وسمته قوارع الخطوب فاتحدهم جيشا واحدا وصيرهم ساعدا واحدا وتعصب لعمود

الاسلام وأسد السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب فحفلت السودان من لمعان الصوارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا مابين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور غير محبور الى أن قتل كبيرهم مهول وجموعه عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام ومحا وزوه دلك الظلام واسترجعت المدن التي أخذها بالكفر والعناد كواسط وزابهر وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكانوا العباد (ولقد نصرهم الله ناصر لدين الله) وصار له حينئذ لقبان ودخل الى بغداد في عظمة وعلوشان ورأس ذلك (٩٢) الكافر على رؤس وزؤس كبار عسكره على الرماح وذعاله المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد فاجبله الناس وبعد صيته وكثر في بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والاقبال واستمر أحواله المعتمد على حاله مهما مكنا في نهره ولداته وشرب الراح بيده واسم الخلافة وجميع الامور يلقاها الموفق بصدر منشرح ويسدد غاية السداد وفي أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربي قبالي ربادة باب ابراهيم وكان في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار ربيدة بنت أبي جعفر المنصور وسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فاكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها ابو يوسف يعقوب بن يعقوب الماضي * فلما علما

لكن جوزي الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كما جوزي سنمار وذلك ان الشيخ محمدا الزرعة توفي سنة ست وثمانين ومائتين ولد رجل في عاية العدالة وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها لابن ابن له بأربعة آلاف وقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزل ماله وقد استعرقت الزكاة ماله وصار ليت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان يدخل عند القاضي ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف في هذا المال وأقام على نفسه الجواب محمد سكبكر يا تصغير وكبلا مفوضا في حفظ ماله وان صرف فيه وأعلموه المال بالكبر ورتب له القاضي معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرح بعضهم ولا يا الشريف بركات بقوله بارك الله لنا في ركات الا ان فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذي الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى الطيم واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم بتعيين نزول الشريف سعد بن زيد وتولاية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا فتح الكعبة مولانا السلطان وفلما كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبير العسكر وحسين باشا في نزول الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمر السلطان بما يتضمن نظره في الحرمين واصلاحهما والتصرف في أموالهما فأذعن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمامه وفوق التصريف وشرع مشورا لعسف وتجبوش الكبر يا فنفرت عنه القلوب وشرع في اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحضر دروسه في كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفي رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان في الخلاوي الموقوفة ممن له بيت وعيال فروجع في ذلك فلم يقبل وأظهر والله فساوى فعا أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لا تأتيه تقضي له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها البعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيري رادة من وقف الدور بن الكباش أعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من عمائل السلطان جقمق وانه كان موضع دشيشة للفقراء وأخذها بأيدي الناس من جد السلطان جقمق الوارد الى مكة وجد السلطان سليمان الواصل من مصر لا هل مكة وكذلك جد السلطان قايتباي ومال المصرية وعمر بذلك يكيده في محل وقف الدور لي المذكور وطرح فيها شريه للفقراء بالجد المذكور وقال بخاري وما أحسن قول المهنار الشاعر المكي ومن لم يدرك هذا الوقت المكي

وطائف الناس قد صارت مفرقة * مابين عبد ومعتوق وآفاقي
وأهل مكة قد صارت جموعهم * مابين كوكب بيدو وآفاقي

وعمر الشيخ محمد بن سليمان عدة أوقاف بمكة كانت خربت قد استولت عليها الايدي ونصب الشيخ

رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز له مالا بسبب ذلك وشرع في عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين من المعقود هما وركب السقف ونصب في أيام عمارته سراديقا بين العمال والبنائين وبين الناس يستترهم عن أعين من بالمسجد الى أن تم كل ذلك في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين في جدار المسجد الشريف في ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش في لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أطال الله بقاءه

بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هرون بن محمد بن احمد بن موسى فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثانى نقش كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضى يوسف يعقوب عمارة المسجد الحرام لما فى ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأحره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين والحروف المذكوران لاوجود لهما الآن بل شاهما الدهر والارمان وعفا أثرهما القديم الحديثان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الا أثر أيضا (٩٣) بعد رمان الدهر صنيع بعد العين بالاثر *

عليا العصامى مدرسا شافعيا فى مدرسة قايتباى ونصب الشيخ محمد المغربى العدامسى مدرسا ماليكيا فى المدرسة المذكورة ومدرسها الحنفى قاضى الشرع ونصب مدرسا للحديث الشيخ عبد الله العصامى عوضا عن المدرس الحنبلى وصرف على الدشيشة من كراء حقوق وقايتباى وأموال الحرمين ومن الاوقاف الباقية والحاصل انه تصرف تصرفات كثيرة يطول الكلام بذكرها وفى سابع محرم من سنة ثلاث وثمانين ورد مكة السيد حمود بن عبد الله بن حسن بعد ان كان مولانا الشريف بركات وجه فيه الشيخ محمد بن سليمان بن حسين باشا لاجل ما انضم من خروجه وعدم حضوره ولاية الشريف بركات فاعلمهم الشريف بركات ان الصلاح فى اصلاحه وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطان له فى دخوله مكة وكان دخوله فى اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر أن يتوجهوا الى الطائف فخلف الشريف سعد وأخيه هناك هم الخبر بخروجه من الطائف وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم ويوجه الى عباسة ثم الى رنية وفى الخامس والعشرين من المحرم توجه السيد حمود الى الطائف بالعساكر الصارجية وفى السادس والعشرين توجه الشريف بركات بالعساكر المصرية وتأخر عنه محمد عاوش أياما ثم لحق به ومن معه من العسكر ثم توجهوا الى المبعوث وفى ثالث صفر أمر الشيخ محمد بن سليمان ان ندهن الدوارى المكتوب فيها أطال الله بقاء الناس ما فيها من الكتابة ودهنت ولما كان ليلة المولد الشريف أمر بترك الدعوة ومنع من ذلك أهل الروايا وفى خامسه الاثرى رجع الشريف بركات قايل وفى أيامه عمرت الخانكيه المعروفة الآن بمكة بين الحرايم والمدعى وصرف عليها أموالا كثيرة وعمم نفعها وفى اليوم الثانى عشر من ربيع ورد الخبر من مصر بقتل محمد طاقر الطاغية المدبة واستقر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعدا توجه الى بيشة قبل مولانا الشريف الى الطائف واستقر هناك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى دويرة بنى حسين لمعاشرتهم اياهم واستقر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة ودخلها ليلة دخول الحج المدينة واحتمى بأمير الحج الشامى ثم ارتحل من المدينة ثانى ذى الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستقر الى ان رجع الحج الشامى ولم يتفق له معه مسير فتوجه فى أول سنة أربع وثمانين وألف الى الفرع فاستقر بها سنة ثم ما حرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع اليهم الشريف أحمد وحصرا بينبع كما كسر حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد واما أخوهما السيد حسن بن زيد فتوفى باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب فى أواسط سنة أربع وثمانين وألف

فى البكاء على الاشباح والصور

وقد نقلت صورة تلك الكتابات من بارع مكة للامام أبى عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى رحمه الله تعالى * وكان الموفق بالله ولد بسر من رأى هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحله المحل الذى به نهاية وقوة فحسن الموفق منه على سنه ما على أخيه المعتمد الآتى ذكره ثم ما عنه ولاه الله فأولاه سنين الحبس وكل به من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذى قدره الله تعالى له * ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور ونبا ما بينهما حتى قلوبهما وشاحب الصدور وفات الرأسة الذى هو له لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شئ يوغر صدور الملوك والانفراد والاستقلال مما يتغالى عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك وما هى الا جيفة مستحيلة *

عليها كلاب همهن اجتذابها ... فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على المملكة ورضا الامير عنه والشناعة بالنقص من أحوال الرعية عن الملاهى والملاذ فاستعان المعتمد على الله فى هضم جانب أخيه صاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة الخصب لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموالا كثيرة جدا لسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج

فى زهرتها وبضارتها وما كانت خرابا يبابا أكثرها مأوى البوم والصدا ولا تفرز رعيتها من جور ولا تهابه داعمرها الله تعالى بعدلة سلطاننا الاعظم وخليفته عصره الاكرم الافخم الذى عمر بعدالته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد ومحق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلقى الاحفاد بالاجداد فكاتب المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أعداء الموفق ليضعف أمره عليه بذلك ويهون وجرت بينهما من ذلك شئون واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يرى أنه تارة ويداريه ويراعده تارة ويداريه ومضى على ذلك أيام وانتضى عليه أعوام الى أن مالت وفاة حياة الموفق كل الميل ولزم بطون (٩٤) الفراش بعد متون سوابق الخيل وهى جسده ووهنت

حرج هو وجميع السادة الاشراف العساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فحصروا خداديق وقبل وصول مولانا الشريف اليهم وتأهبوا للمقاتلة فأقبل عليهم بجيوشه وربل بدرا وأقام بها مدة مصارا لهم وهم محصورون فى جبالهم وسيوره عليهم وسعته فى بعض قبائلهم بالنهب للاخرين مع أنه فى كل عشرة أيام أو أقل يرمهر بالحركة اليهم والركوب عليهم ثم يحل عزمه عن القتال فعل دلك شوكتهم مرارا عديده مع طول الاقامة فتفرق أكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء أخر حتى صاروا لا يهتمون بحركته ولو علمت فى اثر ذلك وثب عليهم وثوب الاسد فكسرهم واستأصلهم وأقام فى قتالهم نحو ستة أيام وجيوشه تحمل أدباش حرب الى بدر وقطع نخيلهم وما بقى القتلى بهم وترابكة على بعضها فى كل جبل وبر ومن تلك الجبال والوديان مع سبى النساء والاطفال حتى أدخلهم وبهذه تلك الاقطار وأجرى منها أنهارا وما انجاء لخبر لمكة بعد ثلاثة أيام وكانت هذه الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك المعظم وكان دأبه لم تشعث الاشراف لتكون كلمتهم واحدة حتى انه لتفق ان السيد حمود بن عبد الله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن ابن أبى نمى الذى ذكر ولاية شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فلما انتظم موقف الحرب وان وقت الطعن والضرب أقبل عليهما هذا الملك العظيم وقسم عليهما الانعام اصطلحا فى هذا الموقف واصطلحا وأولاهما الطاعة والى

(وفاة السيد حمود بن عبد الله بن حسن سنة ١٠٨٥ وكذلك وفاة السيد أحمد بن محمد الحارث فى السنة المذكورة)

وكانت وفاة السيد حمود المذكور فى سنة خمس وثمانين والف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضى الله عنه وجعل على قبره تابوت وعليه حوطة وفى السنة المذكورة توفى أيضا السيد أحمد بن محمد الحارث المتقدم ذكره حين ولاه حسن باشا فى المدينة المنورة وكان سكن بمكة المشرفة ودفن فى قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت واما السيد أحمد بن غالب فسيأتى ذكر وفاته عند ذكر ولايته شرافة مكة وفى سنة خمس وثمانين أيضا فى سابع رجب كان سروج مولانا الشريف بركات الى الفرع وأفطار به لتردد أهله عنه وخروجهم عن طاعته وقيل لانه بلغه ان الشريف أحمد بن زيدان الفرع واستمال أهله فسار مولانا الشريف بركات ومعه السادة الاشراف ولم يتخلف الا من وضع عذره وكان سروجه فى ثانى عشر المذكور وخرج معه صاحب بندر جدة بعساكره ومدافعه فتلاقوا على عسفان وسار جميعا وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع فى منزل يسمى قويرة وأقام به صيامه وعيد ثم توجه اليه ووصله وزل بقريبة منه تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر بن

فواه ولا ما به حصاه ولا واه

وخانه بدنه من جلده فلما من بعد حلم قساوة الاسد

فلما أتم ذلك وتحقق عدم انعطافه له ادروا الى الحابس وكسروه وأخرجوا له ولده المقصد وآووه ونصروه وجيزوا به الى راشه المذكور فلما رآه أيس بالموت وتحقق وقال له يا ولدى لهذا اليوم ربيتك ووفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة أيام بعطف الموت على الموفق فرأت طبقا عن طبق الى أطباق الثرى رانهتك ومضى عن الدار العاجلة الى الدار الباقية والمحق وكانت وفاته رحمه الله فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وثمانى فى مرضه أخوه المعتمد وطن انه استراح من الموفق وما علم انه عن قليل يأخيه ملحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفا لا يعبه الكدر وان الدهر ما صفا لاحد من البشر السيد واصرف الدهر تأتى بائس وانعم وما لها تبقى ولا تذر ما لحال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد جدلان الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حبله القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر الحوان الغادر وانتقل من سريره الملك الى طهر الهلك ومضى كأن لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وراه وكانت وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ﴿وولى الخلافة بعده فى تاريخه ابن أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى﴾ مولده سنة ثلاث وأربعين

ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد في تاريخ وفاته المذكور آنفا وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على أحد أتلفه في حفيرة وطم عليه التراب وكان أسفط المكوس في أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بني العباس بعد ما وهى ووهن وأظهر عمرة الملك بعد ما ذل وامتهن وكان يسمى السفاح الثاني بيت جاد كل منهما ملك بني العباس وفي ذلك يقول ابن الرومي

هيا بني العباس ان امامكم ● امام الهدى والجود والباس أحمد
كما أبي العباس أشبه ملككم ● كذا أبي العباس أيضا يجدد
امام نطل الامس يشكو فراقه ● تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أماترى ملك بني هاشم
عاد بعيد ابعد ما ذلا
يا طالبا للملك كن مثله
تستوجب الملك ولا حولا
وكان مع سطوته وبأسه
يتوخى العدلة ويؤثرها
في صورة الجبار وهو في
العسف وهو في الباطن
محق وفيها يفعله وهذا
هو الرأي السديد للحاكم
الرشيد وجمعه من ياسه
الدنيا والحق عبد الله تعالى
وقد سقنا ما لطاهر
السيوطي رحمه الله تعالى
في تاريخ الخلفاء عن عبد
الله بن عبدون قال خرج
المعتضد لصيد وأراد عبوره
بعقنقاه فعدل عن
جدوده فيها فصاح صاحبها
واستغاث بالمعتضد
فأحضره وسأله عن سبب
صياحه فقال ثلاثة من
غلماني نزلوا المقنقاه
وأخربوها وأمر عبيده
باحضارهم فحضروا
أعناقهم وهو
يحادثني فقال اصلحك

السيد أحمد الحارث النزول بقرية أخرى تسمى باي صاع ثم استمر مقيما ثلاث الدورة الى ان ذهب جميع أموالهم وصرارعهم حتى عادوا الى طاعته راعين من غير قتال ثم لما مشى من عندهم قبض على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة في الحديد الى ان صاروا بأجمعهم واحدا بعد واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد ابن زيد وتحولا الى وادي الغير من ديار حرب ثم قصدا المدينة ورأيا العاقبة ثم توجها قاصدين الابواب السلطانية قال في خلاصة الاثر وذهبوا خامس شوال متوجهين الى الشام لا يعرون بحي من أحياء العرب الا كروهم ومن أعجب الاتفاق رؤاهم على مراح بني صخيم من غير علم منهم بذلك وكان الشريف سعد قتل أباه فلما علموا به حصل لهم كرب شديد فلم يشعروا الا وولده واقف بين يديهم بالعبودية والسلام وأهدر دمه والده وأكرمهم وذبح لهم الذبائح وصنع المصانع وهذا من غريب شأن مكة من جدهم ولم ير الواحي مثل ذلك يوم كل من مر واعليه من العرب الى ان وصلوا الشام فتلقاهم أهلها بالاكرام وأكرموهم ودخلوا موكب عظيم ثم دخلا دمشق في ربيع الاول سنة

ربعين وثمانمائة الاسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة فأنعم مولانا السلطان محمد بن ابراهيم على الشريف سعد بامارة ينبع المعرة في حادي عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فأعطى قصبة سمى كايسة وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد وردد له من المعرة وأعطى بلد الحاكمية ينبع وغيرها من طرف كايسة واستمر هناك الى سنة أربع وتسعين وثمانمائة ثم في أثناء ذلك عاد الى اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد بمكة وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفي أواخر شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وثمانمائة ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات بطلب الاذن في دخول مكة فاستدعى الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفي سنة تسعين باليمن وليس من ذرية السادة الاشراف السوادعلى حرمي عادتهم وكان يوم ورود نعيه بمكة مأتما أكبر وكانت ولاية سنة ثمان وتسعين وفي سنة خمس وتسعمائة خرج جماعة من السادة الاشراف معاصين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه انه أخذ ما وصل اليهم من الانعامات السلطانية فساروا بوادي مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير بن الحسن بن بركات عمارة لهم حتى رجعوا وفرق عليهم الانعام الواصل بينهم بالسوية وذلك بأمر بعثة الاوفي دينار وألفي اردب حب وفي سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة مضمونه دخول مكة أربعة أقسام الربع لمولانا الشريف وثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا جعل مولانا

يا عبد الله ما الذي تنكره الناس علي من أحوالي فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما وقلت له يأتي دين فقلت أحد ابن الطيب فقال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده وقتلته لنصرة الدين قلت وأثلاثة الذين رلوا المقنقاة الا تسع استحللت دماءهم ولاي شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة رقطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين رلوا المقنقاة وأمرت بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين رلوا المقنقاة وأحضرهم بأنفسهم وشاهدهم بعد ثم أمر بأعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغي لتدبير السياسة واظهار المصلحة وتحويف الحدود ارعابهم ● ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوي الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل

بجميع سفه من الارث بل يؤخذ كثير من عين حقه بأنواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن اسر الله ازالته على يد سلطاننا ووفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المحارم وأعانه على ابطال المظالم • ولما أمر المعتضد بابطال ديوان المواريث في سائر مملكته فرح الناس بذلك وأحبوه ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وأمر جليل عند الله الكريم وله هو الذي نفعه في يوم آخرته وأدخله الله جنات النعيم • وكان من قضاته القاضي أبو حازم بالحاء المهملة والزاي وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى فكان من بعض تصلبه في الدين أن شخصا اتكسر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضي المذكور وأمر بتوزيع ماله (٩٦) على غرمائه بالمحاصة وقد اتكسر على ذلك المديون مال

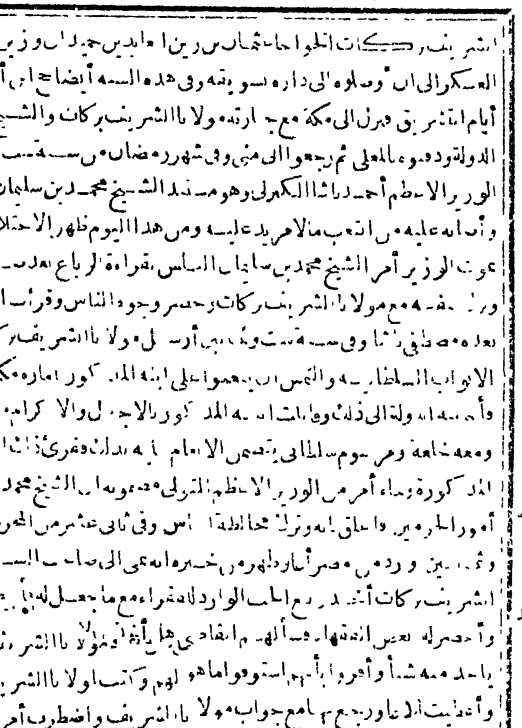

اشرين بركات الخواجا ثمان سنين ومائتين جلس وزيرا له وأتبعه قطبا ومشى معه العسكر الى ان وصلوه الى داره بسويقة وفي هذه السنة أيضا جاء أخي الوزير الاعظم وترقى في بضع أيام اشرين بركات فعزل الى مكة مع جارته • ولما اشرين بركات والشيخ محمد بن سليمان وكل امراء الدولة ردوه بالمعلى ثم رجعوا الى منى وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر الى مكة بموت الوزير الاعظم أحمد باشا الكبرلي وهو مسند الشيخ محمد بن سليمان فجاءه خبر عظيم من ذلك وأشاعه عليه من اتعب مالا مزيد عليه ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ ولما جاء الخبر بموت الوزير أمر الشيخ محمد بن سليمان الناس بقراءة الرباع بعد صلاة العصر في الحرم الشريف وقرئ بعضه مع مولانا اشرين بركات وحضر وجوه الناس وقرئ الرباع ثلاثة أيام وولي الوزارة بعده مصطفى باشا وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا اشرين بركات ابنه الشريف سعيدا الى الابواب السلطانية والناس ان يجعلوا على ابنه المذكور امارة مكة بعده وان يكون ولي عهده وأجابه الدولة الى ذلك وفاتت ابنه المذكور بالاجل والاكرام ورجع الى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم سلطاني يتضمن الانعام بابنه بذلك وغير ذلك المرسوم الحظيم وألبس الخلعة المذكورة وجاء أمر من الوزير الاعظم للتراجمة مضمونه ان الشيخ محمد بن سليمان يرفع يده عن تعارس أمور الحرمين ويعلق بابه وترك مخالطة الناس وفي ثاني عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وقبل ست وثمانين ورد من مصر أخبار وظهر من خبره انه عمى الى صاحب السعادة صاحب مصر ان مولانا اشرين بركات أخذ ربع الحاج الوارد له قراءة مع ما جعل له [illegible] وأحضر له بعض الفقهاء وسألهم القاضي هل يأخذ مولانا اشرين شيأ من الحاج الوارد فقالوا لم يأخذ منه شيأ وأعطوا بأنهم استفتوا لهم وكتب مولانا اشرين بجواب هذا الامر وأعطيت الاجوبة ورجع بها مع جواب مولانا اشرين واضطرب أمر الشيخ محمد بن سليمان فقصد الطائف قال السخاوي ومن العجب في هذا الخروج مطابقته لقوله تعالى الآن حاص بالله عسكم ثم نزل الشيخ من الطائف في شعبان ونوجه الى المدينة قيل ان ذلك كان بأمر من الوزير الاعظم وان الامر كان أولا باخراجه من الحرمين ثم شفع فيه وأمر باخراجه في المدينة فلما توصل لمدينة اعتزل الناس الامن لابد منه وفي ثامن شوال من سنة ثمان وثمانين والف أصبح الناس فاذا الكعبة الشريفة مطبقة عليها شبكة العذرة مرصعة بجميع جوانبها وتلوثت استار الكعبة المعظمة وكذلك الحجر الاسود والركن اليماني فلم يعلم الناس بهذا الفعل الشنيعة وأشتد ذلك على الاتراك المجاورين والحاج وأحدثوا من الحرم حسبة أنفقوا من اجلها بعد شروق الشمس ورفعوا وهم بالصرب والرجم بالحجارة

الخليفة المعتضد أيضا فارسل المعتضد الى القاضي أبو حازم يقول اشركني مع غرمائه هذا المديون بالمحاصة فارسل اليه انا مالا في ذمته فاحعلني كأحد غرمائه فقال أبو حازم اني لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيله الاول وقال له أرى أن تكون أنت ورفقاؤك هذا المديون فأحكم لكم بعد سماع الدعوى والبينة والتركية سرا وجهرا وأمر المعتضد شهوده انهم اذا انعقد عند القاضي وكان من أكابر أمرائه فحضر أحد منهم الى القاضي حوقف ردشهادتهم ولم يحكم القاضي للمعتضد أن يكون من جملة غرماء ذلك المديون وأعجب المعتضد ديانة القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه وما أحوج زماننا هذا الى قاض مثل هذا خصوصا في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد وكل المعتضد يعظم شعراء وممن عظمه

حتى مازنى به جاريته دارة

ياحبيبي الكل يهدي لعبده عندي حبيب أنت عن عيبي بعيد • ومن القلب قريب
ليس لي عبد لك في شيء • من الهوى ضيعت قلبي على قلبي وان عشت رقيب لو ترانى كيف حالي • فرط غول وخطيب
وفؤادي حشوه من حرق القلب لهيب لتيقنت بأني • فيك محزون كئيب وقال لما احتضر عفا الله عنه
تمتع من الدنيا فانك لا تبقى • وخذ من فوها لما صفت ودع الرنقا ولا تأمن الدهر اني أمسته • فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
ذيد الرجال ولم أدع • عدوا ولم أمهل على جسد خلقا وأخليت دور الملك عن كل نازل • وفرقتهم غربا وهم فرقتهم شرقا

فلما بلغت النجم عراورفعة • ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا رماني الردى سهما فاخدج جعرتي • فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
وأفسدت دنيا يا ودينى سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى فيالیت شعري بعد موتي ما أرى • الى رحمة الله أم ناره ألقى

ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب الشامي بلصقه الى رواق الجانب المذكور وهو المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دارا يجتمع سناديد قريش فيها عند نزول حادث بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون على كونه صوابا ويأتون به بعد ذلك وكانت الندوة مما تفاخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي (٩٧) بن كلاب الرفادة والسقاية والحجابة والندوة واللواء ففرقها في أولاده • ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الانصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الرأي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة • وذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الاماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الاسن الى آخر هذه الزيادة • وكانت دار الندوة بعد ظهور

حتى أخرجوهم الى باب السلام وبعضهم الى باب الزيادة وقتلوهم شر قتلة بالحجارة وصربا بالسيوف وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال العصامي في تاريخه ولقد رأيت ذلك الشيء بعيني يعني ما تلوثت الكعبة به وتأملته فاذا هو ليس من القاذورات وانما هو من أنواع الخضراوات نحو بعدس مجفف وأدهان معفنات ونحو ذلك وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة ولم يعلم الفاعل لذلك وعلب على بعض الظنون ان ذلك جعل عمدا ووسيلة الى قتل أولئك والله أعلم بالسرائر وهو يتولى البواطن والظواهر ولبعضهم في ذلك

مدلوث الكعبة من لم تكن • تعرفه لبسا وأصحنا
أسلمت الاعجام أرواحها • وقالت الاعراب آمنا

وفي شهر الحج من سنة ثمان وثمانين وألف ورد مرسوم من الوزير الاعظم باب بطلق مولانا الشريف بركات على المصونة الشريفة عمرة بنت الشريف بريد ألفا وماتتي شريفي أحمر من المال الذي جعلته السلطنة للسادة الاشراف وكذلك يطلق عليها من الحب الوارد بأسماء الاشراف ستمائة اردب فأطلق عليها مولانا الشريف الدراهم وتوقف في أمر الحب وقال يكفيها نصفه فاتبعت من أحد النصف ثم جاء مرسوم آخر في سنة تسع وثمانين لصاحب جدة ان يدفع للشريفة عمرة المذكورة ستمائة اردب ندفعها الخادم لها سليم أغا من الحب الوارد في السنة المذكورة

• (انذار مخروج أمير الطلبة للقاء الحج الشامي وتشييعه الى المدينة سنة ١٠٨٩) •

وفي سنة ثمان وثمانين أيضا ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف باب يخرج مع الحج الشامي الى ان يتعدى به على العرب القاطنين لطريقه الى أن يخرج بهما هو تحت قطر الحجاز ويخرج معهم يوم السابع من ربيع الاول سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدة من الاشراف وأقام مقامه أخاه السيد عمر بن محمد وفي جمادى الآخرة سنة تسعين وألف اعتدى بعض العسكر على رجل من سواكن وزل على مولانا بعض تجار وهاء السواكنى فقتل ذلك العسكري ودخل على مولانا السيد أحمد بن غالب فحماه (أي) أنخ الزحام وسفره الى اليمن فطلب العسكر المقيمون بمكة احضار القاتل من مولانا الشريف فأرسل معه جماعة فادركوه في الطريق فقتلوه وأتوا برأسه الى مولانا الشريف فأرادت العسكر فهدمت الفتنة • وفي عاشر ذي القعدة سنة تسعين أيضا ورد مرسوم سلطاني مضمونه الانعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي ومع المرسوم خلعة فاخرة وقرئ المرسوم بالحطيم وفي ثاني جمادى الاولى من سنة احدى وتسعين وألف خرج مولانا الشريف بارياً الى جهة الشرق وسار بحماة الاشراف ولم يتخلف عنه

(١٣ - نار نج مكة) الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة يترل بها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخرجون منها الى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان لها فناء واسع صار ساحة ترمى فيه القمائم فاذا حصلت الامطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت اوساخه وقمائمه الى دار الندوة والى المسجد الحرام واحتيج الى تنظيف تلك الاوساخ والقمائم من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على المسجد الحرام • فكتب قاضي مكة من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدسي وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا عج ابن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يعلمه ان دار الندوة

قد عظم خرابها وتهدم منه وكثيرا ما يبقى فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمام الى المسجد الحرام وانها لو أخرج ما فيها من القمام وهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلى الناس فيها ويتسع الحجاج بها لكان مكرمة لم يتهيأ لأحد غير الخلفاء بعد المهدى والهادى ومسقية باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان المسجد خرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادى مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الارض عما كانت وصارت السيول تدخل من الخاب اليمانى أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قطع تلك الاراضى وتمهيدها وتنزيلها الى حد تمر فيها السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام ووصل أيضا الى بعد اساسة الكعبة ورفعوا

أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش فى أرضها قد تكسر وان عصا دنى باب الكعبة كان أمس ذهب فوقعت منه بمكة فى سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عصادتى باب الكعبة من الذهب وصيره دنانير واستعان به على حرب العلوى الذى خرج عليه يومئذ وصاروا يستقون العصا دتين بالدباح ووقعت بعد ذلك أيضا فتة بمكة فى سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الماء بالشريف من الذهب وصيره دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة

الا المعذور وقصد بيشة وفى الرابع عشر من شوال جاء المشرف بأخذ مولانا الشريف قبيلة اكلب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة فى السابع والعشرين من ذى القعدة سالما غانما وفى هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم فى ان الشيخ محمد بن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يستخلف بدله على محافظة الدولة فدخل مكة فى التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العوامد التى فى الرواق من الجهة العربية لانحدارهما وكان ذلك اليوم خروج الحاج المصرى فعرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقطع حمله حتى وقف على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثانى واستمر الماء الى الصباح فصح باب ابراهيم وانحدر الماء ووجدوا تحته كثيرا من الطوفى من العربان وأهل البلد وأما حاج المسجد فقد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كبار المكيين فى ذلك الوقت ان هذا السيل لم يشاهدوا مثله وكان ذلك السيل من مصائب الزمان ثم شرعوا فى تعطيف المسجد على المعتاد وأرخ بعضهم هذا السيل بقوله (داهى الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم فى العين فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنتين وسبعين وألف وفى خلافة الاثر وفى هذه السنة أيضا حصل فى قرية السلامة وما حولها من أرض الطائف رشد بدله وقع عظيم بحيث صار يضرب بالصخور والابواب كالبنادق عاليه كبيض الحمام وبعضه كبعض الحجاج قال الشلبى فى تاريخه وقد سمعت عن واحد يقول ورث واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر قمرة وأتلف من المساتين وخرج كثيرا من الحيوانات وبعضها مات وفى ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف لا يا الشريف أحمد بن سالم من مكة معاضبا لمولانا الشريف وخرج لطروجه عند رافع نحو الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركا شهر جمادى الاولى ووقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف فى المسعى وانتهب بعض ا وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضى وأصاب بعض الاتراك الشر مولانا الشريف وعزل الا وفى ثم ذكر مولانا الشريف الامر حتى سكنت الفت القاضى من بلاده ومعه تحصيل جدده وصرف بالشبكة وأخذ ما معه وتكف مولانا الشريف مع الاشراف فيما نفع من العبيد فلم تجمع وزاد الامر حتى صار مولانا الشريف يمس فى الليل بعضه هو أولاده ومعه بعض عبيده وصرم وزاد الامر فجمع جميع عبيد مولانا الشريف

ثم هذه على الباب الشريف وعلى أنف الباب المذكور وادى مسجد الحجاج به أبار الجمع نركا بدل ذلك المكان الشريف ذهب الدهب وصيغ الدهب وتكسفت الفضة وعدد وتوجها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريف لم يكن تاما ويحتاج أن يتمم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انتهاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخير فقدم رأسه فى قصد الجميل وفعل الحسنات وبه جميلة فى احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على اسماع

الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها فبرز أمر المقتدر اليه والى غلامه المؤمر بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام وتوصل بدوان بحفر الوادي والميل والمسعى وما حول المسجد الحرام وتعمق حفرها الى أن يعود الى حالته الاول ويجري ماء السيل عليه ويأمر بسد المسجد الحرام وقطع الطريق الذي يتوصل منه الى الكعبة وأن يحكم ذلك بنايه الاحكام ويعتبر ما تجب عمارته على وجه الاتقان والاحكام وأمر أن يحمل من حراء ما يحتاج اليه من رخام وأمر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويحضر معه من يعتمد عليه (٩٩) وأمر بحمل المال اليه ليصرفه بغدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله ابن يوسف وكان قد قدما على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل ابو المال صحائف سلمها الى ولده المذكور وليسألها عن كتب اسمه في تلك الصحائف وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عمرة بن حسان الاسدي له أمانة ونفس رأي وبه بأس وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم سنة احدى وثمانين ومائتين فلقي بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحجر وطاف وسعى وتوجه بعد الحج عكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وناد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بعد ذلك لتكميل ما أمر به من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر

وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف وألبوا جهة الحسينية تأثما من سوق الشريف لبعضهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمر وابن محمد لردهم فامتنعوا الا ان يضمن لهم شريف من الاشراف انه لا يعطي أحدا منهم للعسكر اذا وقع شيء في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف ودخلوا آمنين اما مولانا الشريف فظفر بعدين ليلا وأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعدين آخرين كانا في حبسه وشقهما بالمسعى وأوهمهما انهما القاتلان للعدين اللذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم فأصبح مريضا يوم الثلاثاء حادي ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين عرض باطني لا يعلم سببه الا القهر

(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)

فاز داد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ السبتي بوصايته منه وبنى عليه حائط غير مسقف وأسمعت الامم عند ساحته الله تعالى وكانت مدته عشرا سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السخاوي وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من اغتيالا الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد تم قال السخاوي وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمته الشريف بركات وحظي عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقدا لملوكان يكثره من مدارهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتقوى في رمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم بسبب ذلك بقي كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يحرج بهم لحرب العرب من أهل ينبع وغيرهم ويكون الظفر فيه له وللاشراف وحدث طريقته وأمنت في رمنه السبل وزخرت الحجاز وانتظم الامر خصوصا للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد مدح

أيح الركاب فهذه أم القرى * فلاح نور الهدى من مشكاتها

واجعل شعارك منه تقوى الله كي * تستفتح الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك حتى الهمة ممون التقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد ابن غالب مفارقا له في نحو الثلاثين شريفا من ذوي مسعود وغيرهم

(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤)

وبعد وفاة الشريف بركات تولى انه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن

الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنتا عشرة درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمى بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة ثم انقسام والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كارسعة كل باب حسنة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الحارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطين اوسويت بحشب الساج وجعل لها منارة وفرع من عمارتها في ثلاث

سنين ولعل اكمالها في سنة أربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور * قال محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة ان أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها مساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجارة مدورة منحوتة وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا من خرها وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا (١٠٠) أحسن من أول وجدد شرفاتها وبيضها وانه عمل ذلك في سنة وثلثمائة

انتهى * ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة أمرا عظيما وعملا جزيلا أتى به المعتضد بالله وآثارا باقية على صفحات هذا الدهر ما قارنه سواه ومحلا لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بأسنة الحاق ويشكر وقد بلى عظامه تحت التراب الأغفر فما مات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر

ما عاش من عاش مذموما خصائله
ولم يمت من بكى بالخير مذكورا

واستخرجت تلك الاساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها أسقف الساج المزخرف المنضود شيدة باقية الى ان أدركها في عصرنا ثم بدلت أساطين منحوتة من الشاسي الاصفر بعقود محكمة أرين من عقود الجوهر وجعل عرض السقف الذي يبلى خشبه كل حين فبادر فوعه رهبة للساطرين في عاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سبقت سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه * رجعنا الى ما كنا فيه * من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من آمن * ولما أن عصد المعتضد عصد الموت العاضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وماحته عن الحمام قوته ولا معته عنه منعته ولا هيبته فأرلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الحدباء الى شفير الفناء والهلك ودفعه في تربة عمله الصالح وسقف ثراه بصالح من تسائه الفاتح * ومن أدب ما حكاه * المسعودي عن المعتضد في وقته أنه اعتل من افراطه في كثرة هياض بالاصل

أبي عمي ألسنة قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده المنصص كونه ولي عهد أبيه ولم يبارعه في ذلك أحد من السادة الاشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني ركل مولانا الشريف سعيد الى الخطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرأ مرسومه الوارد في حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الابواب السلطانية يخبر وفاة والده ويطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه حملة مكة ووصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية في المتوفى والتهنية بخلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من امارة مكة فلبس القسطان الباشوي ثم ورد الامر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان وفي الثامن والعشرين ورد من الروم اغا وأخباره ورد صحبة مولانا السيد أحمد بن عالب وابنه * * * أمر سلطاني مخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن عالب وابقاؤه وجميع معاملته والوصاية على السادة الاشراف وان لا يحوج مولانا الشريف أحد امنهم الى الوصول الى الابواب وان تكون البادرة باعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف وآثر الاعيان السيد أحمد واصل وابنه فارقه في الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه هذا أظهره ثم وصل السيد أحمد بن عالب وصار تقسيم الارباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الاشراف فكتب السيد أحمد بن عالب مائتين من العسكر لفقهاء من صروب العالم واحتاجت البه عبيد وي يد وفي خلاصة الاثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثاني يوم الوفاة بالخطيم حضره الاشراف والعلماء والاعيان والعساكر فاظهر الشريف سعيد أمر اسطانبا كان برز له لما أرسله والده الى السلطان ان الملك له بعد أبيه فقرئ بذلك المجمع ولم تقع مخالفة من أحد وكان قد ورد للشريف سعيد بعد وفاة أبيه الامر بالارباع فأحياه وكان الاشراف متحققين جبره قبل وصوله وطلبوه من الشريف سعيد فأحضره الى مجلس الشرع وسجل مضمونه ورسموا مسلخ ولاد أرباعا ربع لشريف مكة وربع تشيع فيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن أبي نمي والسيد ناصر بن أحمد الحارث ومعهما جماعة من الاشراف والربع الثالث تشيع فيه السيد أحمد بن عالب والسيد أحمد بن سعيد ومعهما جماعة والربع الرابع تشيع فيه السيد عمر وبن محمد والسيد عالب بن راميل ومعهما جماعة فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن ووقع في البلاد السرقة والنهب واختلفوا فيما بينهم وصارت الرعية بلا اراع ولزم من ذلك ان كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يحمون ما حوله وجمع السيد أحمد بن عالب عسكرا واضم اليه من العبيد كثيرة وهب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف

الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره بحس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فحاه أذرعانات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته ◆ وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وحلف من الاولاد ذكورا واحدا ى عشرة بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا رحمه الله ❊ فصل ❊ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد الى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقة فمضى بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبيد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد (١٠١) من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما

سبقت بمثل هذا الصاحب الربع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف سعيد انه منهم من هذا الفعل وطالب من يكذبه ان غالب وكفا عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد ان عبيدهم أتلفوا البلاد والقا ان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من حاشيته يمس البلاد بالليل مع جماعته وارسل ان غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن وهبي بن سليمان في جماعة من الحلبة والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف للقائه على المعتاد لم تخرج معه الاشراف في العرصة فبعد ان حج الناس ورجعوا قدم الشريف مجد الدين أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي صالح باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الحجيج فلما حضروا جميعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وابنه ما كدله في البلاد وافسد عليه الاشراف وابنه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا له السيد غالب بن راجل يحضر فيظهر من الخلاف فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان القصد الاجتماع في المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع ما تدعون به علي وارسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعده فاجاب بان هذه قواعد بيننا قد سلفت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا وأما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فأطلقوا منادايا يمادي معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحد من غالب أو من جماعته أو من عسكره شيأ أو أخذ واحق أحد ظلما أو ضربوا أحدا وان وجدتم مشتكيا صح ما قاله الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا نركب العرصة معه خفية ان يقع شيء فينسب ابينا أو الى جماعتنا فكل هذا وجميع الاشراف اجمعوا على قلب واحد وخيولهم مسرجة ودروعهم على أظهرهم وملأوا الجياد الى النعد وتحركت الانفة الهاشمية التي تأبى الضيم ولما سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب علموا انه لا وجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك صحه وطلع مع السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فاتاه ليلة ثم أتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر منادايا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الطوائف فحصل للناس مريد تعب فتكلم العسكر معه في ذلك مرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سطا على ربع حب الجراية التي ترد الى مكة وأراد الاستيلاء عليه فبلغ ذلك الاشراف فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم افتتاح سنة خمس وتسعين وثمانمائة أراد النزول الى جدة فتشكك عليه الاشراف بعد ان كلموه في ذلك فامتنع وتحربوا جميعا وقالوا لا يمر حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبقى

مشهودا بين له بغداد ورحل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور وسع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية ◆ وكان مولده في غرة ربيع الاول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها حسل وكان رابع الصوفية يصرف بحسنه المثل وفيه قال القائل صنف الدنيا صيرت بين جفونها وبعادها فاذا اللماحة بالقاضية لاتنى والله لا أختارها ولوانها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وأفعاله جميلة فأحبه الناس ودعوا لخلافته ودخل له وذكر عبد العافر في تاريخ بني بويه عن ابن أبي الدنيا وكان معلما للمكتفي قال لما أفضت الخلافة الى المكتفي كتب اليه هذين البيتين

ان حق التأديب حق الأبوة ◆ عند أهل الحجى وأهل المروة وأحق الرجال أن يحفظوا ما له ويرعوه أهل بيت النبوة انتهى ◆ ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى ابن مبرويه القرمطي ومحل خروجه ودار ملكهم هجر وهم اباحية يستحلون دماء الحاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ❊ ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور ❊ جهز اليه المكتفي بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسيق الى جهنم وبئس المصير وقام بعده أخوه الحسين وأظهر شأنه ووجهه

الاسود زعم أنها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما مطلسا بالنور بالنون وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدى ودعا نفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها فجور بوا وقتل الثلاثة وعرفت رؤسهم وطوفهم في البلاد في سنة اثنتين وتسعين وخلف من بعده خلف ظهر منهم مفاسد أتى ذكرها استطرادا عند ما يليق ذكرها إن شاء الله تعالى ولم تطل زمان المكتفي وكانت مدة ملكه سبع أعوام ونصفا ولما مرض من مرض الموت وبويع بالخلافة من بعده قال عن أسماء أبي الفضل جعفر بن المعتضد وقيل ابنه علي وصح عند ذلك ﴿ جعله ولي عهده ولقبه المقتدر بالله ﴾ وبويع له على ان يكون (١٠٢) الخليفة بعده قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته

التي مات فيها والله ما أسى الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين في أبنية وعمارات لم أحتج اليها وذكر أبو منصور الثعالبي قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذي سلمه المكتفي مما جمعه هو وأبوه لا غير مائة ألف ألف دينار ماعين عين وأربعة آلاف وعقارات وكان من جملة الأعيان ثلاثة وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون وإلى الله الأجل المحتوم المقسوم وقلي لسان حاله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر المقتصف حصن شبابه الشيب وليس عود جماله الصبر الرطيب وصار بدر كماله محسوفا وباد محياه المشرق بالجمال مكسوفا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء في ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثماني بنات ﴿ وولي بعده أخوه أبو محمد علي المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي ﴾ بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطي وأمه أم ولد تسمى شغب وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة لابي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من نهار وعبد الله بن المعتز لقصر خلافته لا ينبغي عده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه

لما عنده شيء وكان ذلك بعد أن قدم أهله وثقله الى خارج مكة قاصدين جدة فصار حينئذ أحد رمن ضب واجتمعوا كلهم ببيت السيد محمد بن حمود وأرسلوا اليه السيد ثقبة فقال له ان رلت قبل أن تصلح الاشراف يأخذوا جميع أسبابك التي تقدمك ويهبوا حرمك ويقتلوك فاذعن حينئذ بوفائهم فقالوا لا رضى بذلك حتى يكفل لنا فكفله كرد أحد أعاو جميع رؤساء العسكر وكتب بذلك حجة وانه ان حصل منه منع لبعض حقوقهم يكن عاصي الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب وطاب منهم شريفا يوصلهم الى جدة خوفا من العرب أن يطمعوا فيه ففعلوا ذلك وأرسلوا معه السيد مبارك بن ناصر ثم اشتد اللاما لسرقه ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل أو الطمع وصار العبيد لا يأتون الا ثمانية أو عشرة وانقلب ليل الناس نهارا وكثرت القتلى في الرعية حتى ضبطت القتلى في رمضان فبلغت تسعة أشخاص فنجت الناس من هذه الاحوال فارسل الشريف سعيد الى الاتراك السلطانية ترجمانه يذكر فساد مكة وما جرت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس في هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الامور فاستجاب الله دعاءهم فاقتضى نظر السلطان وأركان دولته أن لا يصلح هذا الخلل الا الشريف أحمد بن زيد فاعطى الشرافة اه وسيأتي ذكر ذلك بعد اتمام الكلام على دولة الشريف سعيد

﴿ (ذكر ورود الامر السلطاني باخراج الشيخ محمد بن سليمان وما وقع له عند خروجه) ﴾

في مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك انه في شهر شوال سنه خمس وتسعين ورد أمر سلطاني يتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن عالب وسعل عند قاضي الشرع فلما وصله القاضي أرسل الى الوزير عثمان جيدان وبعثه مع رسوله الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بورود الامر السلطاني فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلاد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصعب القاضي في خروجه وعدم اتقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فارسل مولانا الشريف سعيد بن عمه السيد رضوان بن عمر وبن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وانهم يعطونه كل ما يريد أو انه يحضر عند القاضي ويبدي عذرا فامتنع وقال ان الامر السلطاني ورد بان اخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا أتي يبدي الى التهلكة وليس في الامر ان أخرج يوم وصول هذا الامر وتسهيله فزادت صعوبة القاضي وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية الشريف وأمرهم ان يأتوا بالشيخ مكرها البتة فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو في المدرسة التي عند مدرسة الداودية

وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا ودخولا ومعرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقا في التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التي لا يشق غباره فيها أحد مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وقال المعافى بن زكريا المالوبي ان المعتمد دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لي ما الخبر قلت لو بايع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال عن مرشح لوزارته قلت محمد بن داود قال عن قاضيه قلت أبو المثنى ما أطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت دونه شأن عظيم متقدم في فضله وعلمه وعفته وان الذي يليه والزمان مساعد ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت اسمه برآسة في مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد الا آئلا الى الانحلال والاضمحلال

المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب معلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلب شريعة محمد بن عبد الله ان أمر السلطان بقتلي فأمضوه وان كان باخراجي فانا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام وأهله يضجون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي المصري وكان محدث مكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية تقسيم فيها وبأحد معلومها وطلع الى القاضي فلم يقبل شفاعته ورجع من عنده فرآه الشيخ محمد بن سليمان فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف الشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولاولي الامر ولم يأمر السلطان بتغريبي في هذا اليوم وأنا خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعني شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير مداوم للشرع ولست بجارح من داري فليصنعوا ما بدا لهم والعامة عن آخرهم تصرخ بسبه بانواع السب الشنيع وجعل هو يسب مولانا الشريف سعيدا والمرحوم مولانا الشريف بركات بانواع السب وعم الجميع القول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق مولانا الشريف ثقبة بن قتادة واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط العوري الذي عند باب الوداع وتسبب في الوصول الى الشيخ فدخل عليه وآمنه وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا الى مولانا الشريف القاضي وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبة عند الشيخ وانه آمنه وأرجعهم الى من أرسلهم ثم ان السيد ثقبة قال للشيخ ان كان لابد من خروجك فأخرج أنت وأنا الى بلدي بجايس واسفر عندي الى الحج فرضي ثم ان مولانا السيد ثقبة فرق الناس وطلع الى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره واستأذنهما في بقائه بمكة الى الحج فبقي وقد ذلت صعوبته ولانت صعدته وانقبض ابساطه ونطأطأ اشتطاطه ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا قرضا بوفاء لا تدوم على صفاء وممازج في المسامع ان الدنيا يجمعها غير الاكل ويأكلها غير الجامع ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس ولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب اجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل وطاف المغرب ثم رحل الى المشرق ودخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام بالمدينة المنورة سنين عالما عاليا أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل مكة المشرفة وأقام بها وصحبه الصلحاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متمتعا بديم النظير صحيح النظر واهيبه

فقدر الله تعالى انهم جاءوه في ذلك اليوم وسلموا أمره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة أرسل الى المقتدر يأمره بالخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر ليتطرق في أمره فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندي غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستقتلون للقتال في غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله المعتز وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلموهم الى يونس الخادم وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز وأخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحسن سيرة واستقام أمره بعد الاضمحلال وطلعت شمس سعادته بعد الزوال

ولاح بدره لاحه من أوج الكمال والعرفنة الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتميق هذه المقالة وترويق هذه الرسالة بمحض أشعاره المستظرفة ليعلم الناظر مبلغ بيته في البلاغة واقتداره على الكلام فمن جيد قصيدته في الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على ان الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا المطلب العالي من أمثاله ممنوح في الاسماع منفر للطباع فاذا أبرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الاديب المفوه بن الرومي وزخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير تعول هذا المحاج الجدل تمدحه وان تعب قلت ذا قئ الزنابير وهذه منتخب تلك القصيدة التي فاخر بها بين قومه بني العباس وآل أبي طالب رضي الله عنهم في

الخلافة وما أنصف فيما ادعاه ولكنه أتى بشعر بليغ معناه فقال ألا من لعيني وتسكابها • تشكى القذا وبكاها بها
ترامت بها حادثات الزمان • ترامى القسى بشاها وبارب أسنة كالسيوف • تقطع أرقاب أصحابها

وكم دهى المرء من نفسه • فرقه حداً بابها وان فرصة أمكنت فى العدو • فلا تبتدعلك الا بها فان لم تجابها مسرعا
أتاك عدوك من بابها وما نافع ندم بعدها • وتأميل أخرى وأى بها وما ينتقص من سباب الرجال • يردد فى نهاها وألبابها
هربت بى رحمى نابحا • نصيحة برأسا بها وقد ركبوا نعيهم وارتقوا • معارج تهوى بركابها ورام وا فرائس أسد الشرى
وقد نشبت بين أنيابها (١٠٤) دعوا الاسد تفترس ثم اشبعوا • عما تفصل الاسد فى عابها قتلنا أميه فى دارها

وكانا أحق باسلابها
وما أبى الله أن تملكوا
بهصلا اليها وقد نابها
ونحن ورثنا شباب النبى
فلم تجدونى بأهدابها
لكم رحم بابى بنته
ولكن بنو العم أولى بها
جهلا بين عمها نابها
عطية رب جبا بابها
وكانت تزل فى العالمين
مشدت للدنيا باطنابها
وأقسم بالكعبة تعلمون
بأنا لها حير أربابها
فرد عليه شاعر رمانه
وبايع أولاده النصف الحلى
بقوله
ألا قل لشر عبيد الاله
وطاغى قريش وكلابها
أأنت تفاخر آل النبى
وتجعد حقهم أسبابها
تكم بأهل المصطفى أم بهم
ترد العداة وأوصابها
أعنكم فى الرجس أم عنهم
لطهر الفوس وألبابها
أما الشرب والنهوم من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
هم الصائمون هم القائمون
هم العالمون بآدابها
هم الزاهدون هم العابدون • هم الساجدون بمحرابها ذلك
هم وقطب ملة دين الاله • وأهل الرجاء بأقطابها تقول ورثنا شباب النبى • فلم تجدونى بأهدابها وعندك لا تورث الانبيا
فكيف خطيتم بأثوابها أتوهم وصى نبى الاله • وأهل الوصية أولى بها أجدك يرضى بما قلته • وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حربهم • لحرب البغاة وأحزابها وصلى مع الناس طول الحيا • ة وحدر فى صدر محرابها
فهلا نقمتها جدكم • وهل كان من بعض خطابها واذ جعل الامر شورى لهم • فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته • ولكن بنو العم أولى بها بنو البيت أيصا بنو عمه • وذلك أدنى لانسابها

جلالة وفراسة فى اصابة الرأى وصار له بمكة شهرة واعتقاد كثير من الناس ثم رحل الى الديار الرومية صحبة أخى الوزير مصطفى باشا وبلغه بواسطة أخيه الوزير من رقى مراتب العز ماشا حتى قلده السلطان الوزير الخطرى أمر الحرمين مرجع وحصل جميع ما تقدم وكان له البد الطولى فى المعقول وعلم الفلك وغيرهما وله تآليف كثيرة منها حاشية على التصريح للشيخ خالد فى علم النحو قال السخاوى كان دخوله فى هذه الدائرة من المحن السائرة والا فهذا امام جليل ومحقق بيل تقصر عن وصفه العبارة وتحدو دكره السيارة وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمرا دونه وانتهت اليه رآسة مكة وبنى بمكة رباطا للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان عند باب ابراهيم يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة بالمعلى تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على علاته وشدته الى ان تبدلت تلك السعودات بالنحوس وهبط بعد ان كان على الرؤس وورد الامر باخراجه الى آخر ما تقدم رحمه الله وسامحه ولا يعترض بذكر قصيدة الشيخ محمد بن سليمان وان كان المقصد من هذا التاريخ المحصر ذكر أمراء مكة وما يتعلق بهم لان هذه القصيدة لها تعلق بهم وفيها سيرة لمن اعتبر وأيضا هى مشهورة بين الناس احمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم فى ذكرها ومن الحوادث فى دولته ما بدا بالشريف سعيد ابن والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان لها والتفاته اليه فدخل بما معه من الهدية الى قدر الثلثين وكان بيد امرأة فاهدى اليها ما معه من الهدية وأوهمها بانه مرسول من الشريف بركات صاحب مكة وسرحت بذلك فرحا حظيا ورفعها موضع وأمرته بالاقامة انتهى له هدية لمرسله فأذن ان حرقت كيسة هناك وانسل ما فيها من الذهب الى ان صار له صورة وأمرت حملته فى هدية سيدنا الشريف وجعلت ايضا معها صدقة لمكة لجاء الحامل للهدية والصدقة مكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد ومن جملتها هدايا الذهب ومقداره على ما قيل ثلاثة قناطير من الذهب وربما يصفو خالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وحسبة قناديل ذهب للكعبة ومحرمات وشمعا عدنى وللمدينة أيضا قناديل وشمعا عدنى فلما وصلت هذه الهدية فى شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة الاشراف أصحاب الارباع نزاع لان الاشراف يريدون ان يأخذوا ثلاثة أرباع تلك الهدية والشريف سعيد لا يريد اعطاءهم ثلاثة ارباع وأوجب ان تحمل ويبت السيد محمد الحريث الى ان يفقوا ويقضى رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ أصحاب الاربع الاصناف ما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الاشراف مفصلا واستمر

وقلت بأنكم الفاتلون • اسود أمية فى غابها كذبت ولولا أبو مسلم لعزت على جهد طلابها وقد كان عيد الهم لا لكم
رأى عندكم قرب أنسابها • وكنتم أسارى بطون الحبوس • وقد شعلكم لثم أعتابها وأخرجكم وحباكم بها
وقصركم فضل جلبابها • بجاريتموه بشر الجسرا • لطعوى النفوس وانحابها وقد فى الخلافة وفصل الخلاف
فليست ذلولا لركابها • وما أنت والغص عن شأنها • وما قصرت باؤاها وما ساوى ستين ساعة
فما كبت أهلا لاسنانها • ودع عد كروم رضوا بالكفاف • وجازا انضاعة من باعها عليين ثم هوت بالعات
وخل المعالى لاربابها • ووصف العذار ودات الحما • روعت العذار بأنقابها (١٠٥) • وذلك شأن الاشأنهم

دلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة فى عشرين من ذى القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبى صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد ترجمة واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به فى القسطنطينية فى حلة ما قال فى الخلاصة وأقام بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت محدثته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يديم اليه ويقبل على تكليمه وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهى طويلة جيدة بليغة مطلعها

يحوب الارض من طلب الكمالا • ومن صحب النقيصة لم ينالا
وكم فى الارض من سكن ودار • وان كان النوى يقضى الحبالا
وما حجرى الدماذ لا راكس • رأيت الدل ان أهوى الحمالا

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفى تاريخ الرضى انه فى سنة سبع وثمانين أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المعرة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأجرى بجهة الروملى فلم يقبل واحدة منهما وكان جوابه ان تفضلتم بولاية بلاد نارا لافحص تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها بصدد له من الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قرلار أغاسى محبة أكيدة وطلب الاجتماع بالوالدة فاجتمع بها وأعدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك مرسولين من السيد أحمد بن عالب فركا الى مولانا الشريف أحمد وقالا عنده فألقى بعض المفسدين الى الوزير الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فاولى عدم اقامته بها فاحضره الوزير وأبلغه قفطانا بولاية كركى كابسة اسم محل بينه وبين ادرينة ثمان ساعات وكركية وكان قبل ولايته شهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف الزاى وهى قريبة أيضا من كركى كابسة بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع وتسعين ثم فسح لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد فى بلدته وطابت له وتأنس بها الى ان كانت سنة خمس وتسعين ثم لما جاءت الاخبار الى مولانا السلطان بما وقع فى الحجاز من الخراب والفساد والنهب وكان السلطان بادرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأى رجال دولته

(١٤ - تاريخ مكة) خفق الاحشاء موهون القوى • كلما فكرنى الباين بكى ويحه يبكى لما لم يقع • ليس لى صبر ولا لى جلد
يا قومى عذلوا واجتهدوا • أنكروا شكوى مما أجد مثل مالى حقها أن تشتكى • طمع اليأس ودل الطمع
كبدى حرى ودمعى يكف • يدرف الدمع ولا يعترف أيها المعرض عما أصف • قد عنى حبى بقلبى وركا
لا تقل فى الحب انى مدعى ومن تشبها نه الرائقه واشاره الفائقه قوله ومقرطق يسعى الى الدماء • بعقيقة فى درة بيضاء
والبدر فى أفق السماء كدرهم • ملقى على ياقوتة زرقاء • (وله مثلث وهو معنى بديع) • حلبى طاب الراح من بعد طعنها
وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد • فها تا عقارا من قميص زجاجة • كياقوتة فى درة وقد • تصوغ علينا الماء شبالة فضة

لها حتى بيض تحل وتعقد • وفتنى من نار الحبيب بنفسها • وذلك من احسانها ليس بجحد وله من التصانيف كتاب الزهور والرياض وكتاب مفاكهات الاحباب وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعره وغير ذلك • ومن كلامه في البلاغة الطوع الى المعنى ولم تطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته العربية كثيرة لا تطول بها هذه العجالة ولما تقرر أمر المقتدر في التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرار استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستمر الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فحرج مونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه الجيش (١٠٦) والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره وهم بوادار

الخلافة وكان سبب ذلك أن بدرا لام المقتدر واشهد على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة فحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وبايعه مونس والامراء واشهدوا على انفسهم بالله العظيم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام وصارت والدته شغب الدار وهي شغب بنت بدر الاعجمية وكتب الوزير ابو علي بن مقلة الكتاب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان في العسكر بطليطلة وسمه اسم القاهر وجلوسه وقبض الاصوات شعبهم الحاجب ومالوا الى دار مونس وحرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا اليه بمحمد القاهر اليه وهو مغمور يبكي ويقول الله الله يا أخي

على ان الصلاح لا يكون الا به وقد ذكرنا في خلافة الاتراك كيفية توليته حيث قال ولم يزل مقيما بالروم والاحوال تنتقل به الى ان حصل لمكة ما حصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كمه بكمه وصافحه من قيام فالا اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطاب من السلطان قال له يا شريف أحمد الحار حراب أريد لك تصلحه فامتثل ذلك وعمد لذلك السيف ما كان عليه ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس فجلس وأعاد عليه ما قاله أولا مرتين وهو يجيبه بالامتثال والقبول فعند ذلك السلطان اذا آن أوان الذي أريده الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ملتمسه فسرح الشريف وقام له مركوب من خيل السلطان ورحل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها فقال صاحب الخلاصة فدخلت عليه منها أنه باشر افاضة وأنشدته هذه الابيات

الحر من عاد الى محله • والشيء مرجعه لاصله ياطالما وعدت الزما • ن به وأعيانا عطله
حتى يحقق ما به • في الناس مستقرا له والسيف عند الاحتيا • ج اليه يعرف فضل نصله
والدهر بعرتارة • ويعود معتدرا لاهله لاريب قد سمر الورى • بفعاله الحسنى وعدله
فالكل ثاكر صنعه • ولسانهم وصفا بفضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها وليس الخلعة السلطانية بتجاه الحجرة الشريفة كما لبسها أنوه ثم دخل مكة سابع ذي الحجة خامس سنة خمس وسبعين وألف وذكر في الخلاصة أيضا سند كر آخر ولاية الشريف سعيد بن ركات في ضمن ترجمة أنه ان الشريف سعيدا عرض للاولة حراب الحجاز وطلب عسكر الاصلاحه وكان هو وعمه عمرو يتطاران الجواب فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أجياد الحاج حاجا وكان بالابطح سنان الوزير عثمان جيدار واستمر عنده الى جانب من الليل ثم ركب وقصد ثرية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن راميل وكان بارلا بذي طوى فلما وصل الحجون اذا هو برجل على دلول واخبره من أي العرب فقال من بني صخر فقال له الشريف سعيد أما علمت كتابنا من يحيى بن ركات وهو أحوالنا الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب لمرواة الحج الشامي وأمر بنصبه وعهده بالقتل فأقر به رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن راميل وقد حاء متوليا مكة وملقى الحاج الشامي في العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن راميل والسيد ناصر بن أحمد الحرث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وتشاوروا في اطهار هذا الامر

وروحي واستدناه المقتدر وقال له عيني أخيه وقال له يا أخي لا تذهب انت وأنت معلوم على أمرك كيف والله لا يمكن مني مكروه وطاب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه قال اني أنا أحول فلا تبتئس عما كانوا يعملون وبدل المقتدر الاموال للعهد واستمر اهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة • (فصل) • من جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبيا والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا حياطا بحاس عند هذا الباب عمر دهرا عرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين ويقرب به باب يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزيدة أم

الامين بنيتا فى سنة ثمان ومائتين ومابقى لبنيك الداريين أثر الا آن والذى يظهر ان دارى ربيدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط الحورى الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط رامشت لدى يعرف الآن برباط باطر فلما خلص فأدخلت هذه الساحة التى بين الداريين فى المسجد الحرام وأقل الداران يعنى ان لها طين وباب ومن جميع بحيث دخلا فى المسجد الحرام وجعل عرض الباب الذى كبير اهو المسمى بباب ابراهيم فى عرض هذه الزيادة (قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى) فى حوادث سنة ست وثلثمائة من كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى وفيها فاضى مكة يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى قطعة عند باب الحزاطين (١٠٧) وباب حجر وهى السوح التى كانت بين دارى

كيف يكون فاتفق الامر على ان يرسلوا الى السيد مساعد بن الشريف سعد بن زيد وارسلوا له السيد عبد الله بن هاشم فأتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم وقال الشريف سعيد يا سيد مساعد لم أر لك البتة فى هذا الوقت الا قصد ى أو دخل أهلى فان عمك الشريف أحمد تولى مكة وانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى أمانات العسكر وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وسرح الشريف سعيد تلك الليلة الراوى وأقام به حتى سافر الحج المصرى وذهب معه الى مصر وهو تاريخ المصارى انه فى صبح الليلة التى سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس فى المسجد خلف مقام الحنفى وحضره مشايخ الاشراف وصاحب جدة والقاضى والمفتى والعلماء ووجوه الناس وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودى له فى البلد وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر ونوفى بها وأما أخوه السيد يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتى ذكر ولايته امارة الحج الشامى ثم ولايته شرافة مكة وفى ثانى ذى الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الاشراف مضمونها التلطف بأمر عمه والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد ووصل يوم السابع من ذى الحجة ودخل مكة فى موكب أعظم وكادت الناس ان تقتتل من الزحام وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء فقصده الوفود وفرح الناس به وجاء بالناس ثم بشر لواء العدل والانصاف فحصل له فى القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستقرى ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

(ذكر قصيه الشيخ تاج الدين القلعى سنة ٩٧٠)

وفى أيامه كانت قصيه الشيخ تاج الدين القلعى مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكى وملخصها انه فى يوم الاحد حادى عشر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وألف وافى اركانت عشرة صلاة أصبح فى مقام الحنفى عند الشيخ تاج الدين اس الشيخ سعد الحنفى القلعى متأخرقليلا فصلى بالناس بعض المجاورين فلما تم الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب الدويرة الذى يأخرس المصور وأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه على رجليه فلما سمع بذلك بعض الانكشارية أسرع بنفوسهم فاجتمع منهم جماعة منهم بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ على العصامى وكان أكبرا لجماعة وذهبوا للمولا باالشريف أحمد بن زيد وعرفوه ماوقع وقالوا له ان حرم النبى أخير لعدد لا يوجد هذه الاهانة وطلبوا منه ان يعفوهم من هذه الخدمة بعد هذا التقدير فلم يجابوا لطلبتهم بذلك ثم على فرض كون الامام اتى جرما لا يوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا أرضى بهذا لمن

موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية اليه وأعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة وقعت فى أيام المقتدر العباسى رحمه الله تعالى * (ومن جملة محاسن المقتدر أيضا) هو انه أطلق من بيوانه احد عشر ألف أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم فى الاموال السلطانية وأعاد الامر فيه ويت دون الارحام فى سائر ممالك الاسلام وأتلف كثيرا من الاموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرض الحمد ناه مال عطيتهم وكان يفرق كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزى رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف فى طريق

ربيدة أم الامين وعمل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الساطين الذين فى اراء بيدار المسجد الكبير الى الناقة التى عليها باب ابراهيم سبعة وعشرون ذراعا لاسدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها اليمانى وذلك من جدار رباط الحورى الى جدار رباط رامشت اثنان وعشرون ذراعا وربع ذراع وفى هذه الزيادة فى جانبها الشرقى المتصل بالمسجد الحرام اثنا عشر عمودا من الرخام على أساطين مجوفة من الحجارة وكذا فى جانبها الشمالى وليس فى جانبها الغربى رواق وفى جانبها الشمالى سبعة أساطين وسطر وقبله وكانت بناء هذه الزيادة مذكورة فى تاريخ الازرقى فى أخبار المسجد الحرام * ولست أدرى ما الداعى لهذا الهدم وأما السبيل وكان

مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار * وقال الحافظ السيوطي كان النساء غالبن على المقتدر فاخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض خطاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زبيدان القهرمانة سبعة جوهر لم يرمثلها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود * وكان مبلغ النفقة على بمارستان أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وانه حين خمسه من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار * (وقد مت رسل ملك الروم) * مد ايا الطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيم لارهاب العدا وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من رباب الشماسة الى دار الخلافة ببغداد ثم الرسل بينهما في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي بقيت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحصر مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وسيوفا * وزادا جمال يوسف آخرى زادي من جملة الزينة شجرة صنعت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غصنا أوراقها من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة يصيح الريح فيها فتسمع لكل طير صدح منفرد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كان زينتها في أيام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ند ولا مثل ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

* (فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة) * في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويروون ضلال كافة المسلمين وأول نجس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج

دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وحدوا عليه خط المفتي وتأخذ لكم الصفة بعد ذلك بالوجه الشرعي فكتبوا السؤال وأجابهم المفتي الشيخ عبد الله عتاقي زاده بانه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشروه على الجواب وأمر بالاجتماع عند القاضي واقامة الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما يوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذ معه الى بيته الشيخ تاج الدين الفلمباني وأرضاه بما طابت به نفسه وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لاجل هذه الفتوى ثم بعد مدة أتى الى الباشا ان المفتي الافندي عبد الله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مراد فصنعه في جدار المسجد فارسل جماعة يشهرون على ذلك فرجعوا اليه بعد الاشراف وأخبروه انه قديم من البناء الاصلي فقام بنفسه وذهب الى دار المفتي وسأله عن المرحاض فقال له انه قديم وليس بحادث وضربه الى ان أدماه ورماه على الارض ورأسه برجله وخرج فلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حيرة وأنفه مما حصل للمفتي وعزل السوق فجاء الخبر للباشا فدخل عند القاضي فارسل مولانا الشريف للقاضي ان يحفظه عن الفرار وأمر شيخ العرب أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس للقيام بهذا الشأن وسبقت العامة الى بيت القاضي ورجوا القاضي والباشا يحصي المبلغ ثم جاء الوزير عثمان حيدار وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه باحضار الباشا لتقام الدعوى عليه فامتنع من الحضور وقالت الفقهاء انه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره لمحالفته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه الحادثة غير ان الائمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى المنادي من مولانا الشريف بالاماس وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير عثمان حيدار الباشا وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يحر جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع مولانا الشريف واعتذر له وقال له أمير [illegible] ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيصة وقد جاء متعذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه الباشا معاكره الى جدة وكتب الافندي عتاقي زاده المفتي الى من يعتمد عليه في اسلامبول وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور وفي

اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم في أواخر عام سبع عشرة وثلثمائة فلم يشعر الحاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بجيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمجاورين في احرامهم الى ان قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران وصفر بفرسه عند البيت الشريف وقال وراء الحاج يسوقون حول البيت الحرام والسيوف تعمل فيهم الى ان قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم (١٠٩) ولم يدع طوافه على بن دينار

وفي سنة سبع وتسعين أيضا حرامولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة عشر ربيع الثاني في جيش عظيم وحمله نحو خمسمائة بعير وأطاعته القبائل وكافة العربان وانقادوا له وأذعنوا والطاعته قال السنجاري ولم يزل مولانا الشريف يتنقل في تلك الرحاب والى ان وافته وفود أهل الاعراب الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج للقائه أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيدة حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه وبات هناك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه في ذلك اليوم ورد واصد من الروم معه حلقة وسيف لمولانا الشريف وقفطان لشيخ الحرم المدني فلبس مولانا الشريف الحلقة في الروضة وألبس أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثاني عشر ذي القعدة ودخل مكة هلال ذي الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل في الصبح في الاي أعظم وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن عالب فخرج السيد أحمد بن عالب من مكة معاصيا في شهر صفر وتبعه جماعة من الاشراف ثم في شهر ربيع توجه السيد أحمد بن عالب الى جهة الشام وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر مريضا نحو خمسة عشر يوما ثم توفي الى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى وقت الضحى ودفن بالمعلى وترك ابنه الشريف سعيد الى عمه صغيرا فظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد قريبا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته لما يرى من نجابته ورعى أمره بالجلوس في ديوان بدايته في مدة توكله

(الولاية الاولى للشريف سعيد بن سعد ١٠٩٩)

فلما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان انعام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكاتبة ودعوا له وطلعوا الى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور فقام عمه وأخذا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأحرجوا الحبارة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة ولايته أربع سنين الا ثلاثة أيام ومولده سنة اثنين وخمسين وألف وعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا بموته ورثاه الشعراء فتصافق وصول الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو صغير فحمله وصيه الولاية الاولى من ولاية أنه شراه بمكة وفرق يوم الست على العسكر جوائزهم وزاد من أراد زيادة وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد نقيبة بن قتادة وكتب الى اس عمه السيد ١

وعمل يقول

ترى المحسنين منهم في ديارهم

كقتيله الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تفعل فيهم الى ان سقط ميتا حتى الله تعالى وطلب الشهداء ثأرهم ومما كان من الدار وحفر تسعة عشر منهم وطلع أبو طاهر الى الكعبة وقلع الميزاب وصار يقول

أنا الله وبالله أنا

تحاول الحج وبعد هم أنا وصاح في الحجاج يا خير أنتم تعولون فمن دخله كان آمنا فلما رأى الامن منهم فعل ما فعل ولما أراد أن يخرج الحجر من موضعه قال له رجل من أصحابه لا تفعل فان الناس معتنون بهذا الامر فلا تفعل ما أنكرت واعلم أنه ما مس حجر الكعبة أحد الا مات وجعلوا أبو طاهر عدا فرسه عند ما أصيب ابنه سعيد بالجدري فمات وكان يقول ما أراد الله تعالى بمكة بدل بعد ما كانت فيها والرد على ذلك كثير وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا يقلعه فلما أصيب ابنه سعيد بالجدري أطلع أحد أصحابه وهو أبو سهل وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهلك الثالث على الفور فحدث أبو طاهر نفسه أن يعود ثالثة فقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم انه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها من محارب والحارث أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي المروزي أحدثه السيوف وهو معلق بيديه بملتزم باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بوبة الصوفي والشيخ محمد بن خالد زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحاج

خراه الله

من أهل خراسان والمغاربة فنهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دورالناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة تومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهمان ونهبت الفراشة من داره وأثاثه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار وافتقر بعد ذلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقى ممن تخلف من ذلك الواقعة فقراء مستعطون ولم يحج فى هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فارا بأنفسهم وسعوا بأرواحهم فوقفوا دون امام وأتموا حجهم مسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وخلعها ما فيها من أموال الحاج (١١٠) وقسمها بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم

صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام وسلم تشريفه لان سيدنا الكعبة أخفوه وبقى فى شعاب مكة وأولاد ذلك والسيد الذى يحضر أبى عبد الله لاصلاح البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله وقطعه عدد العصافير يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار بيده يقبله ويقول والله والله ولعهده وأخواه ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا سبعا لا يأخذ أحد حجارة منه الا تحولت فى شرقا وغربا وبارك الله فى من رحم وتضرع

وبقى الحجر لا يعرف ذرا ولا يعلم ذلك الا كاهن وهو رجل من باب الكعبة وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل سنة أيام ثم ان الشريف الذى بالمدينة هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الصرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه هو فى الاستار التى بيده مما يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد وبقى موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويتبركون بمسه وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدى أول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله المذكور ذلك وكتب اليه ان نجب الحجر ارسال بكتبك متتابعا الركيت فى بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذى لم يزل شامخ فى الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذى هو يمين الله فى الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك

الله ثم لعنة الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعا ان يتحول الحج الى بلدهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أشهر مصائب الاسلام وأشد وهنا في الدين من أوشك الفجرة اللئام دانت لها أكباد العباد وعمت فتنتها الحاضر والبادي الى أن دمر الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وفرقت كل ممزق بيد الله القاهرة والى أبو طاهر الحسن بالاكلة فصار يسأل له بالوجود ومات أشنع ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلايا في الدنيا وأعذب الآخرة أشد (١١١) وأبقى ولما أيست امرأته منه من تحويل الحجاج وجههم الى مصر وأن الحجر الاسود الى محله وورد سنة ثمان وخمسين القرمطي الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة يومئذ وهو يومئذ أبو محمد الحسن بن عبد المعز العلوي فأظهر فورا أخرج معه الحجر الاسود الذي صار من قصته في طوله وعرضه تصيبا شهورا وقد حدثت به بعد ولايته وأخبر معه جماعة شاهدوه بوضع حسن اس مرر وق الماء الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سليمان بن حسن وقال أخبرني به عدة ورأوه الله وأعدلم عند الله وقد أخذناه بأمر وردناه بأمر وطير الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله على رده الى محله وحضر ذلك محمد بن يعقوب بن كامل الخراساني ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضرهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن سعوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هزيل فمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي راسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف دينار فذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبدل حكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا قد أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمد عليه فنص عليه بالوجوب ثم

هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني وان كان ليس بامر سلطاني فحكم الباشا على مصر وسعيد هذا يعزل فيه ويولى من شاء ومادون مكة الا السيف فقال له القاضي يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولى وكذلك صريخا فعال يعزل ويولى مثلك فلما سمع ذلك القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الامر فجاءه جوابه يا يا يا سيدنا السيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور السيد سالم فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكلم العساكر وظهر له اعمامهم وبعث نحو عشرين خبا لامن عبيده الى بحوجا فجاءه الخبر بان صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركابي بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد واجهوه وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا عيره مسلم له لا بد دون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لا بد من دخول مكة ثم جاؤا الشريف سعيدا بكتاب طفر وانه من قاضي مكة لصاحب جدة يأمره بالدخول ويحسن له استمالة أعوانه العساكر فحفظ الدماء وزاد في التحرر وحفظ الطرقات وأقام عسكرا بسانه محاطين وأقام آخرين في بعض الجبوب التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيع عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تنشيط العسكر فامر بقتله وقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد التحفظ وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور الى وادي نعمان وهلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤية العيد في الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحصر في الصحو صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في المواريه ومد جماعته سماطا أعظم وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يدل صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بان الامر قد سرح عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه وابن عمه فلما رأى اضمحلال الامر وكل الامر الى الله تعالى وأودع طوارقه السيد أحمد بن سعيد بن شمر وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي صبحي يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في الاي أعظم من الجبوب لا يسأل عنه الباشويه ومعه جميع الاشراف ونزل داره بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحق الله الدماء وامتدحه الشعراء فقصائد وعزل

ان الحجبة خلعوا على الحجر الاسود من استطاله يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده بسوء ثم أمروا بتعليقه فصنع له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قد بنيا وكاهوا الآن أيضا كذلك • وكان قلع الحجر الاسود فى أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين يوناس حرب وقتل فى المعركة بصر به واحد من الطير من خلعه وسقط الى الارض فقال لضاربه ويحك أما الخليفة فقال له أنت المطلوب يرد عليه السيف ورمى برأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقى مكشوف العورة الى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه وعفى أثره سبحان المعز المذل السميع البصير (١١٢) له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير وكانت مدة

كثيرا من أهل المناصب وولى غيرهم

• (ولاية الشريف أحمد بن عالب سنة ١٠٩٩) •

وفى شهر القعدة جاءه المرسوم السلطانى مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن عالب وان الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وربيت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج للقائه على العادة وحج بالناس وهذا سعد الحج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع الحج الشامى الى جهة والده وحضر مولانا الشريف أحمد بن عالب قاصدا الى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنية وجاءه الجواب بالقبول فى شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد ولبس الخلعة وفى سنة واحد ومائة وألف فى أوائل المحرم سافر الشريف احمد بن عالب مع جماعة من الاشراف ذوى زيد فمر جوا من مكة معاسين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد احمد بن الشريف أحمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد وبادوا له بشرافة مكة فى ينبع وأحدوا ستمائة اردب حب كانت هناك للشريف أحمد ابن عالب وأتوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف احمد لهم من مكة وخرج جماعة من الاشراف من ذوى عمد الله وأحمد وا القصدة ومعهم الرالة وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع فى طريق جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل نهارا وليلا وكثرت الاقاويل بين العامة فى ذلك وسافر السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر مع الشريف أحمد بن عالب وقيل ذلك نافره أيضا وزور الحرث وتتابع الاشراف المسافرون فى الخروج من مكة واجتمعوا على السيد احمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر وراوا الحسيبة واراد الشريف احمد بن عالب الركوب عليهم فلم يتيسر له ذلك ثم جاءه الخبر بانه نودى فى جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد فاضطرب حال الشريف ومرق العسكر فى المدارس والطرقات وشعاب مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب جدة يسألونه عن هذا الامر ونزل به مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى ومعهم جماعة من الناس ومن أصحاب المكالك ورجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتفاقم وسبب انقلاب صاحب جدة على الشريف احمد بن عالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشى فانه وردجدة وجعل يناقص الباشا فى كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع لغدره بعد وفائه ثم جاء الخبر من

سلاحه المقتدر أولا وثانيا • وثلثا حسابا عشرين سنة الا أياما وقتل أيام التشريق من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولى أخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد • ولقب القاهر بالله وهو القاهر المذكور وعمل عليه • ومات أبو العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبه الراضى بالله وبايعوه فى سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وصار يليه الى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لاخيه أبى اسحق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقى لله وقصر عليه فوروس الترجى وعمل عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبى القاسم عبد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد • ولقب المستكفى بالله واستمر فى خلافته سنة واحدة وأمسكه من أمر انه معز الدولة ابن بويه وعمل عليه وصمه الى المكتفى بالله والقاهر بالله وسار وا ثلاثة فى العمى • وولى الخلافة الفضل

الطائف

ابن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة • وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت الشريف فى أيام المطيع لله هذا وتم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بنى بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه وبويع لولده أبى بكر بن عبد الكريم فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان معاونا عليه من قبل امرائه وما كان له الا العظمة ظاهرا لا غير بحيث لما ورد فى سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدى صاحب مصر الى بغداد وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة ان يريد فى ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد

عليه الخلع ويلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضي الله عنه وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لواء كبيرهم العامة واحتجب ستارة عالية حتى لا تقع عليه نظارة فدخل ودخل معه الستارة وحصر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن بعضد الدولة ودخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وأدخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأعاله ما رأى فقال لعضد الدولة هذا هو الله فقال له هذا خليفة الله في أرضه ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى حاجبه (١١٣) المقرب عنده واسمه ياقوت وقال له اسند به وقربه الى رجل السرير وقبل رجله فنزل الطائع عن السرير على رأس عضد الدولة وأمره أن يجلس على كرسي وضع له قريبا من السرير فاستحيى عضد الدولة من ذلك وأقعد عليه فجلس فقبل الكرسي ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد وضعت اليدك ما كان الله تعالى وضعه الي من أمور الرعية في شرق الارض وغربها فقال بعون الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الارض وأمر أن يجلس على يمينه ويسار الطائع وهو يقبل الارض في كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أهالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظيمة الا صورة صناعة وكلمة اصطناعة حقيقتها واقعة وقوتها واهية وان السلطة لما انتقلت الى أبي النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه طوقين مجوهرة وسوره سوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة في سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم في سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسي وأمر حداما من الديلم فحذوا الطائع من سريره ولفوه في كساء وأمره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل وأتى بأبي العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر ان يقرأ في كل جمعة في حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس وعقد ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاتهم وبقي خليفة حتى أناخت على احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر

الطائف بأن السيد حسن بن أحمد الحرث نادى في الطائف لشريف محسن بن الحسين بن زيد وتدانت الاشراف الذين مع السيد أحمد بن سعيد الى البلد وأخذوا الا لشريف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف في التحرر وأمر عسكر اليمن بالمرور معه في الاروقة التي خارج المسجد لئلا يوهموا راوى عشرين من جمادى الثانية خرج من مكة السيد محمد بن جود مغاضبا أصحابه ونزل العابدية ثم كتب أهل مكة عرضا الى صاحب مصر والى أبواب السلطنة ويهون فيه ما وقع من صاحب جدة وأكثروا فيه من التشنيع عليه وفي سادس رجب عقدوا مجلسا في الحطيم بمصره جماعة من الاشراف والعلماء والقاضي حاضر لمولانا الشريف يشكر للقاضي ما وقع من صاحب جدة في حقه وانه كان سبب تفرق الكلمة وتعطل الاشراف عليه وقد انقطعت السبل وقد نادى في جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من عين أمر الناس وان مطلوبي ان تكتبوا لي حجة في تحرير معاملته لئلا تقوم على السلطنة فقال له كبير أعيان مردار العسكر يا شريف نحن محافظون لمكة بدوحها العدو ويقاتل حتى نقتل وأما الاشراف فهم سوقة من الناس لا يحكم وأما الشام فما دخل وانه لا يفعل شيأ من ذاته في بلد السلطان فاتفق الامر على ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضي والقضيبي المجلس عن شاعة ظاهرة فأرسل القاضي رسولا الى صاحب جدة ينادي بالامر المراد وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع الى جهة الشبيكة وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى جهة ركة ماجن من جهة اليمن وفي كل جهة نادوا بعد ثلاثين وفي ثالث عشر رجب جاء الخبر ان الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه برلوا الزاهر وان السيد أحمد بن سعيد مارك بن شهر في أول القوم وأطلق الصحيح سبع مدافع لما برل الزاهر وركب من بني مع الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى حول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة البركة والشريف احمد بن عاتي في بيته وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف ودخلوا مكة وقصدوا قاضي الشرع واسندوا رؤس الملكات وأظهروا سورة بيوردي باشوى وطلعوا من القاضي تسجيلا فاسخا ومصمما بولاية الشريف محسن وطلب القاضي نفس البيوردي باشوى وثارت الاكشارية لعدم تعيد البيوردي الوارد صورته من الباشا وهموا على القاضي وأعانهم العامة لما لحقهم من تعب هرب القاضي من سطح المدرسة فلم يجدوه فهدموا حجرته وأخذوا المفتاح البيادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المدرسة وفي وسط المدرسة وتناردوا ساعة ودخل بعض العسكر مدرسة المفتي عبد الله الهندي عند في زاده على أهله

ونوفي الى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴿وولي بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله﴾ وكان خيرا دينا ظاهر الفضل الا انه مغلوب بدا أمر انه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة وأربعين سنة ووفاته في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ﴿وولي بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدي بأمر الله﴾ وبويع له بالخلافة يوم وفاة جده بحصرة الامام الكبير الولي الشهير مولانا أبي اسحق الشيرازي أحد أركان أئمة الشافعية رضي الله عنهم وكان حيا يومئذ امام جلها وبي العباس وبالجملة ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سلجوق كتب قصة ان تحكم عليه (١١٤) ويطلعها الخليفة على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو

وعياله وأراد واقتله وغرمهم واستعرضهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل في المسجد من اليهود وعرل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبد الله بن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن عالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد لجماعة الشريف محسن بن حسين يطلب منهم ان يعينوا له رجلا يودعه اطراده فعينوا له السيد أحمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوما يجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد ابن عالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة في آلاي أعظم وأدس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن عالب فاحتسبه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس في دار السعادة للتهنئة وامتدحته الشعراء وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف نشأ في كفالة جده الشريف بريد بعد انتقال والده بعد الستين ولم يزل الى أن سافر الى الابواب مع عميه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا المخرج فرجع وقد كمل بدره وبدح فجره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن عالب فمن جملة مفاتيح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبي وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبي وكان أصغر من أخيه الشيخ عبد الواحد ومع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج ومن الحج وما أحد منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضي والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن عالب جعلها بمكة وأحضر الصناع الذين سكوها وسألهم مولانا الشريف وقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد وسألهم ما الذي سككتموه وقالوا السورة وحول فقامت العامة وقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التي بمكة منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدي فقام الصخ في أيدي العامة ودخل به محلا مختصا من دار مولانا الشريف ومنع أهل الشيخ عبد الواحد الى السيد ناصر الحرث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصخ بعث الى جدة يطلب الشيخ عبد الله بن محمد الشيبي وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء ان يدعي عند القاضي بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه اعطى الشريف أحمد بن عالب أربعة قناديل من الكعبة فادعى عليه وأثبت

لقبول لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب الى أي بلد شئت وأرسل الخليفة اليه يلاطفه في ذلك وأبى الا شدة وعلظة وقال لرسوله اسأله المهلة لي ولو شهرا واحدا فأبى وقال ولا ساعة وأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويسجي رب الارباب ويدعو لي ملك شاه بعد دعائه وهو مظلوم يقود السهم المسموم في كبد الظلوم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملك شاه قبل مضي عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره ومات بعد الخليفة بقليل وهذه كرامة للخليفة المقتدي وهذه عقبى كل ظالم معتدي ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفي
يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم فرج أتى من بعد عسر ● وفرج كربة القلب الشجي وكم هم تساءه صباحا ● وتأتيك المسرة بالعشي
اذا صافت بك الاحوال يوما ● فثق بالواحد الفرد العلي تمسك بالذي خلق هموما ● يزول اذا تمسكت بالذي وكذلك من قال
لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا ● ولا تبيت الا خالي البال ما بين غمضة عين وانتباهتها ● يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله في محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴿وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله﴾ بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطوب وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد في كتابته حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفي يوم

الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * (وولي بعده ولده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده وسمه اسم ولد تسمى لبانة وكان شجاعا بنا مشعولا بالعبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره أنا الاشقر الموعود لي في الملاحم * ومن يملك الدنيا بغير مراحم وكان هذا القول من خيالاته الفاسدة فانه ملك من الدنيا ولاية داره وخرج الى قتال مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى ان قتل في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم قتل أبيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه

ذلك شهود الله أعلم بهم فحكم القاضي بعزله عن هذه المكانة التي هي حجابة البيت الشريف وأقيس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأسلمه المفتاح وخرج الى بيته ثم بعد يومين سافر هو وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الاخوة وان يكونا شيأ واحدا فاقتسما الحضرة وتعاهدا على ذلك واستمر عند المفتاح الى أوائل محرم سنة ثلاث وثمانمائة وأخذ ذلك السنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهي مدة ولاية الشريف محسن فلما ولي الشريف سعيد أيام المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد ان يكون المفتاح لابنه عبد المعطي وأمر بذلك فاجيب ثم توفي ابنه عبد المعطي سنة عشرة وطلب الشيخ عبد الواحد ثانيا ان يكون لابن ابنه الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي فاجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى صار أوحد زمانه وفريد اقرانه واستمرت سداته وشكرت بين أهالي مكة وواردها أمانته ودياته الى ان توفي وفي سابع عشر شوال ورد الاعلام بقطع الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الامراء على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس وفي يوم النحر طارت عني كتب بالدي السادة الاشراف وانها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن عاتك من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الانذار وطلب المواجهة وان القصد اليكم عن قريب فاضطرب الحال حينئذ وحصل للعالم قلق عظيم ثم ان مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتجاولوا في هذا الامر فاقتضى رأيهم بعد تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتعبير أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الامر وكثر القيل والقال ثم ظهر ان ذلك كله مختلق من مكة من بعض الاشراف وأما الشريف أحمد بن عاتك فانه توجه الى صنعاء فأكرمه امام صنعاء وأراد ان يرسل معه جيشا لتخليص مكة له ثم مات الامام وبلغه عوائق فمكث في اليمن وتولى الامارة سنيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع الى الركابي كما سيأتي ذكر ذلك في محله وكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفي يوم النحر الاول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن راجح الحارث رجلين من حرب ورد احاجين فقبضوا عليهما في المسعى وذهبوا بهما الى سيدهم وأمر بقتلهما فقتلا على حبل أبي قبيس ولزم من ذلك ان منع عمله مع مولانا الشريف وخرج الى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعيد بن شمير معاندا وخرج معه جماعة من الاشراف وفي أواخر ذي الحجة وصل مولانا الشريف عرصحال الى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الاشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور وقعتيهم على ذلك ولام ثم ان السيد عبد الله بن هاشم خرج معاندا مع السيد أحمد بن سعيد بن شمير وأحدوا الطريق على المارة وارتفعت الاسعار بسبب ذلك واشتد الامر

من الخلافة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله في حبسه * (وولي بعده أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله وتلقبه المقتفي بالله) * وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا محسنا السيرة دمث الاخلاق شجاعا توفي يوم الاحد لثمان خلون من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة * (وولي بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفي ولقب المستنجد بالله) * وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاوس ويحكى أنه قبل أن تصير حاملا فنذرت في منامها ان ملكا نزل من السماء فكتب في كفها حمل حسن جاءت فالتأم سأل بعض المعبرين عن منامها فقال انك تلدين الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفي الى رحمة الله تعالى في يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو محمد المستنجد بالله ولقب المستضيء بالله) * وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر شاه الخلق عليه وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب الناصر لدين الله) * وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذي القعدة وهو اليوم الثاني من وفاة والده وفي أيام ظهور السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدي النصارى الفرنج واستيلائه على مصر وازالة دولة العاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب

به وانفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدي واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثابت بهم المنصور وثالثهم القائم وراعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم * توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة

كعربيات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفي شرههم والله أعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر واحتاج رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان داهية مداهنة وكانت أيامه من عسير الزمان وكان له احسان الى أهل الحرمين الشريفين وكان الكعبة الشريفة تكسى الديباج الابيض في زمن المأمون الى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود وكساء الحمام ثياب أكفانه وعرله عن سرير ملكه وتحت سلطانه وكانت وفاته في سلخ شهر رمضان سنة ثنتين وعشرين وستمائة * (وولي مكانه بعهد منه أبو نصر محمد بن الناصر ويلقب الظاهر بالله * وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهده له فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس وورث ذوي الارحام وكان العمال يكيلون للديوان بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب مولانا

وذهب أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المكس للسادة الاشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث ويعطيهم الثلث ويصبرون على الثلث الباقي الى ان ترد المراكب وكتبوا بذلك وثيقة وما طلبوه في تسليم الثلث الى ان وردت مكة قاصد معه قسطاس الاستقرار لمولانا الشريف ودخل مكة في ألاي أعظم عاشر صفر وقد نزل مولانا الشريف المسجد وحضر القاضي والمفتي والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم وأنس مولانا الشريف الجميع وقرأ بعد ذلك أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان لهم من عشر زيادة تصير لمولانا الشريف والحوارس الخاصة وأمران من الوزير يخاطبانهما أصحاب الممالك بالامر بالطاعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف بعموم الاوامر السابقة والثاني مخاطبا به أصحاب الممالك بالسمع والطاعة ولم تعهد السلطنة بغير مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات وفي أوائل جمادى الثانية تشرفت كلة الاشراف وخرجوا الى الشرفات وأكثروا اللهب في طريق جدة وغيرها وأحدثوا دحية للصحق من جدة واشتد الحال على الناس حتى ان الصخل صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة الا العسكر وبرق وفي ثالث رجب اجتمع القاضي وسردار العسكر عند مولانا الشريف واستمعوه عليظ القول بحيث انهم قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلد فعين لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان الاشراف لا تقاتل بني عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فاذا أخرجتموهم فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلتهم فقالوا هم كالعسكر من حفظة مكة ليس هذا الامر ما نعنيا اليه ولم يزل الامر يتفاقم ولا طاع أحد من جدة الامع عسكر وأشراف تجهيزهم من جدة الى مكة ثم يرجعون هم ولا يرد من جدة الا حب العسكر وارتفع السعر لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعيد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال ثم ورد الخبر انه وصل وادي مر وأرسل رجلا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن لا يدخل مكة الا بامر سلطاني ان كان مولانا ثم وصل الشريف سعيد الى ينبع ثم انتقل الى ربيع اذا حر واستمر هناك شهر الحجة وكان أمير الشامي السيد يحيى بن بركات حاء في ذي الارالك وحرج له مولانا الشريف قسطاس السنة القسطاس الوارد معه على جري العادة وخرج مولانا الشريف محسن بالناس ولم يجتمع الشريف سعيد وانحدر ينبع اذا حر الى ان سافر الحج الشامي والمصري فعرجت الاشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفي سلخ ذي الحجة جمع

الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل يتوفى على ثلاثين ألف دينار فقال ابطله ولو انه ثلثمائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركني افعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله الكيل الاوفى واثابه على عمله الصالح وفي فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة * (وولي بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله ويلقب له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم يرمثلها في مدارس الاسلام ولم يوسد في المدارس أكبر منها كتابا ولا أكثر أوقافا عليها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها لي المذاهب الاربعة ترتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها ثلاثين بيتا يأوي فيها ثلاثون كفيفا ومريضا وعليه رحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل القسط والامان وكان مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد وانهمال المهاد وطيب الماء وانطاف الهواء وغاية الاطلاق وسعة النعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكي ان أول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام (١١٧) الملك في بغداد بلغ ماء ورد الهر

مولانا الشريف النقيب وأعيان الناس وأجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطان يشكوى حالهم وما وقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتعرف الخبر من يده ولا يا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه ومضى اليه ان اشريف سعيدا والسيد عبد الله ابن هاشم كل منهما يطلب هذه المرتبة وطلب من صاحب جدة ان يبعث له عسكرا يقوون به فاتوا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف وذاكروا في هذا الامر فاقتضى الحال ان ركب الصنجق وسفائنه من العسكر ليمد والشريف سعيدا لما بلغ ذلك عسكر مصر طلعوا الى القاضي فاسمه يحيى القاضي بعض الاشراف وبعض وجوه الناس وبعثه الى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل فقال مرادي ارل دار أبي فمن يمنعني وجاء الخبر الى مولانا الشريف محسن ومرل عن شراعه مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد وجاء السيد مساعد الى القاضي لتحويل هذا البرول فجاءهم الخبر ان مولانا الشريف سعيدا وصل المسعى فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة الى منرل السيد ثقبة بن قتادة ولم يرل مولانا الشريف سائرا الى ان دخل منرل أبيه والمرادي يمشي بين يديه بالسلاح وليس معه أحد غير العامة

(الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣)

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعد ارل عما ارل له مولانا الشريف محسن من المكانة فحضرة القاضي والمفتي وكبار العسكر وعمل ذلك وبعثه القاضي بقفطان بياض عن مولانا السلطان واسعه في منرله وجلس للتهنئة ومدحه الشعراء ونودي في البلد بالزينة سبعة أيام ولم يخالف أحد من الاشراف مولى مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف وكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من الدخول له ثم رجع في ذلك واتى ونادى له بجدة بسلم محرم ثم خرج جماعة من الاشراف معاصبين لشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهرا وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيدا تولاها من

هذا الطير فاخذوا للعلم بأنه توجه الى سقوط حرمه العلم من الناس فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتخلى بها الا النفوس الشريفة الجامدة للشرف الذاتي المائلة للمعالي فاستولى عليه أخرة سلطانه النفوس الرذلة وتحصيله عند الطغام الدنيا وية انما هو لاتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الدنية الفاسدة فيذل العلم بذلك الهم ولا يشترون شيء الا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا عاطفة أرذل اليهود اشرف علم الطب وهذا حال أكثر ملة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المبذولة الان في هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم مع دأبه في الطلب واكبابه على فنون العلم والادب يرد كل وقت عجبا وكبرا ويتعاظم على كل أحد تيها وفخرا ولم يتق من أوصاف الاخلاق الرديلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما تخلى أحد منهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميلة والمرايا لفضائل الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التحلي بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب دنوبنا ويسير امرنا صائرا ويزيل عوارقلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه

*قلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر ذلك حكاية لطيفة تقلها ما حسن اتفاق ومثل الحبيب ونديم اللبيب *قال ذكر* ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبي الفتح السلجوقي قام بالدولة أحسن قيام شيد أركانها وأسس بنيانها ووالى

الاولياء واسمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل اقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصته الخالصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير الذي ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهوائيات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذي يخرجه من أموال السلطنة فسار سيطه في الآفاق (١١٨) وكثر حساده ولا يخلوا السعداء من الحساد في كل زمان كما هو مشهود بالعيان في كل أوان وما وجدوا لطعن على نظام الملك طريقا غير احجافه في الاخراج من الاموال السلطانية في هذه الوجوه وتوانيه الى السلطان أبي الفتح من طرق شتى وكرروا في سمعه ان نظام الملك أخرب بيت المال وان هذه المصارف الزائدة التي يخرجها في هذه الوجوه يمكن ان تصرف في جمع جيش كثيف يركبه ورايته في سور قسطنطينية وكانت يومئذ مملكة النصارى وهي الآن بحمد الله دار ملك الاسلام عمرها الله تعالى بعدالة سلطان ملاطين الانام وحرسها بالنصر والتأييد الى يوم القيام وانه يأخذ بذلك الحدس كثير من المسالك والاقاليم ويتسع بها المملكة ويكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك على سمع السلطان أثر كلامهم في قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع في الطبع ولو كان واهيا واهيا قائم في نفس الامر وخاطب نظام الملك وقال له يا أبي وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغني أن نخرج من بيت المال في كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني شيأ وبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي على في السوق ما ساويت خمسة دنانير وأنت شاب تركي لو نودي عليك ألف تساوي ثلاثين دينارا وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت أنا في كما بنى وضبطي وأنت منهمك في لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصي عباده دون طاعتها وشكر باوجبوشك الذين أعددتهم للنوائب اذا اجتشدوا عليك كالحوا عنك بسيف طويل ذراعان

وسهم لا يعرفه وهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والفجور والملاهي هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم وأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا بها ما تحرق السموات والارضين وسلوا سيوفا تعمل في كل حين طوالا تبلغ الى الصين فانت وجيوشك في خمارتهم تعيشون وبمركاتهم تمطرون وبدعائهم تنصرون وبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا بابه استكثر من هذا الجنس فانه الذي لابد لامامه ولما كان كل مهما قابلية الخير محبوبا فانه ما أثر عند ملكه كلام الحساد مع تكرره (١١٩) الا تأثيرا ضعيفا وزال والحال وعاد الى حب الخير

قائم مقامه في الوصاية الى عبد ذلك وفي أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد خليل الله من القعدة وأقام بالينبع مقامه ثم جاء الخبر بعد ان الاشراف تعلبوا على القعدة ولم تزل الاخبار تتواتر بمجيء مولانا الشريف سعد الى أن وصل الحج فجاء معه فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع الى الزاهر ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشيخ ولم يزل الى أن دخل المسجد وحضر القاضي والمفتي والعلماء والاشراف بالخطيم ودخل قاصدا بالامر السلطاني فقرئ بالحطيم وليس مولانا الشريف سعد الجامعة السلطانية وصعد الى داره للتهنئة ومدحته الشعراء وجاء في ري الاروام بعمامة على قاووق الا أن لسانه بالفاظ أهل الشام بحيث ان عالم ألفاظه شاميه واسمر بهذا الري ثم انه لبس عمامة العرب فعمل بعد ذلك يلبس هذه مرة وهذه مرة ووجه الناس هذه السنة مولانا الشريف سعد قال السخاوي وما أحسن قول بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت ● لك الليالي امدتها المقادير

●(الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣)●

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد وبين انفصاله من الولاية الاولى وهذه الولاية احدى وعشرون سنة وهي مدة عيشه وعند سفر الحج أمر اميره ومولانا الشريف سعيد ان يخرج مع الحج ومعه جماعة من الاشراف وفي ناسوصفر جاء الخبر بان جماعة من عبده عدوا على الحج الشامي واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف سعيد وهم جماعة وربط جماعة واوصل الحج الى المعلى فصدمت الرايات على دور السادة الاشراف على جري العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفي شهر جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غاربا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا السيد عبد الله بن أحمد بن الحرث فالزم الشريف قتالهم أخاه السيد ناصر بن أحمد بن الحرث باخذ الثار ولم يزل سائرا الى ان وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب فامتنع الشريف سعد ومن معه وفي سادس عشر رجب جاءه خبر بانه التقى بحرب ثالث عشر رجب واقتتل معهم فتأبطت الاشراف وأحموا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك الكسر وتفوت حرب ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص ووصل الى مكة في رمضان ثامن عشرة واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف فاقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذي القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن صح بالناس وفي سنة خمس ومائة وألف خرج جماعة من ذوي عبد الله بن حسن بن أبي نمي معاصبين لمولانا الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر

الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى مما فرط مني تقصيره فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم في الدار الآخرة وقد رأوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة تنشر على ألسنة الرواة ولا تطوى ﴿عدنا الى ما كنا فيه﴾ ومن جملة خدام المستعصم بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابي المستصري العلائي بنى بمكة مدرسة على عين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وبيته محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه رحمه الله تعالى وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا

جبريل عليه السلام من الرخام الاروق الصافي مقور فيه بالمدبث ما صورته ● بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الانام أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وحطب عند موته الى أن جاء الامير اقبال الشرابي الى ولده أبي أحمد المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة (فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه ان

الله تعالى وحجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى وأربعين وستمائة وهي أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان في خدمتها اقبال الشرابي الدوادار ومعه سبعة آلاف خلعة وتصدق بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد في تلك السنة فكانت مائة ألف وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الاحوال ودالت دولة غيرهم ولكل زمان دولة ورجال ولكل بداية نهاية وانتهاء * يغير الدهر من حال الى حال وكل شئ له سبب من الاسباب وعلة يدور عليها الايجاب والانقلاب (١٣٠) وكان سبب ضعف خلفاء بني العباس استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور جميع الممالك اليهم واتخاذهم من أتقياء السادات وتربية أولادهم على أموالهم وأمتعتهم الى غاية الاهمال الى أن صاروا لهم أتباعا تحت أيديهم ولا يقدرون على منعهم والاشياء صارت أمراؤهم يعيشون معهم ويعاشرونهم ويقبلون على ما يعرض الى أمرائهم ... صورهم ... أسباب زوال ... المستعصم بالله ... أحد ... الخليفة ... النابس ... المستعصم بالله ... الرأي ... الامير ... الشرابي على ... استبد بالامور ... بأموال المماليك ... المستعصم ولا يخشاه ... من ... المشارق ... الى ... يوماحين ... ولاية المستعصم ... له بالخلافة ... واحوه الى العربان والاشى أمره * ثم أعظم سبب ... الزوال ان مؤيد الدين محمد بن عبد الملك العلقمي صار وزير المستعصم وكان رافضيا خبيثا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم في الظاهر ويعاديهم في الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه في ملك بغداد ويخبره عن صورة أحوالها وضعف الخليفة واختلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر والاذن لهم في التفرق والذهاب أين شاؤا ويقطع أرزاقهم ويشتت شملهم بحيث أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين

... الشريف ... أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن يمشي مع العسكر ثم أدى الامر الى أن يخرج بنفسه في الاول مخففا الصادق أحدا من المفسدين ... بلغه ان ... الشريف أحمد بن ... بعض الاشراف ... له الاذن بدخول مكة ... أكابر العسكر ... مولانا الشريف ... القتال ... في شهر جمادى الاولى ... الصفراء ... مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب ... في الطائفة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد ... ثلاثة أيام ... مولانا الشريف في شوال ... الاخبار بأن الشريف أحمد بن ... على ... ثم جاء الخبر ... متوجها الى مكة ... الى أن ... اسمعيل باشا من جهة الروم ومعه محمد باشا ... ثم ... مولانا الشريف سعد ... أنه ... بمكة ... بدخول مكة ... ثم ... الشريف ... الدولة ... الى أن ... الشريف ... مع ... الشريف ... المذكور ... الدولة ... ثم ... الى الابواب ... محمد باشا المذكور ... الى مكة ... الحاج الشامي ... على ... الشريف ... السيد ... هاشم ... أقطار الحجاز ... الى مكة ... مولانا الشريف ... كان ... اسمعيل باشا ... العسكر المصري ... اسمعيل باشا ... أن ... الشريف ... مولانا الشريف ... مولانا الشريف ... اسمعيل باشا ... مولانا الشريف ... بمكة ... لاهل البلد ... ثم بعث اليهم مولانا الشريف ... للسلطان ... الحرم الشريف وان لم

ان آرادوا ووفر علوفاتهم فى الخزينه واظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن اموال عظيمه توفرت فى بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال ويجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه * وقد سئل بنو امية بعد ذهاب ملكهم فقالوا اقواها انا اعتمدنا على المال واستهوينا الرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وقوى به علينا وانا نعتقد ان الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبته فصار الصديق عدوا ولم نصر العدو صديقا بالاستمالة * احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مره فلربما انقلب الصديق فصار أدرى بالمضره وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو خان ساطان القوى وحفتاى من دشت قبجاق رجع على بلاد الاسلام (١٢١) وجاء بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى

يكن الامر كذلك فاخبروني عن سائر هذه العساكر وانعتوا لي الامر السلطاني الذي نفر أيوم النحر لا طرفه فلم يعيدوا له جوابا شافيا فبات تلك الليلة سمع ستة آلاف ومائة وخمسة ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدني ومدراديز العسكر وقاضي الشرع والمفتي الى بستان جيدان وكان اسمعيل باشا نائبا لابه فلما ان وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وأظهر محمد باشا أمر السلطان بيافعه عزل مولانا الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فالبسه اسمعيل باشا قفطانا ماليا المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر السلطاني بين أيديهم والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبد الله بن هاشم فلما رأوا المحاطة جاءهم الخبر ان بعض جماعة مولانا الشريف سعد سنوا في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصر عن الوصول واستمروا الى سلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بدار الشفاء وتبعت العساكر وانضمت اليهم العرب والاكشارية ووقف العسكر الى فايتباي ومدكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس فانحازوا الى المسعى وهم جماعة الشريف سعد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى وهب رباط الهديه بسوق الليل وبعض دور بمكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ معه جماعة الى باب السدرة للمسعى بباب العتيق وأرادر مية على بيت الشريف سعد فاصيب طبجيه رصاصة مات منها فنقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو واسته الشريف سعيد الى جهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

﴿ولاية الشريف عبد الله بن هاشم امارة مكة﴾

وأظهر الامر السلطاني لخصمه ان مولانا السلطان عزل الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور بلغته وانه انعم بها على مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له وهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد وبعض عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبد الله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا البلد لك ارضاه واسته د بعض أشياء لانذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعدد من قتل ذلك اليوم وكان رهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بانه قتل بعض الرعايا فامر

وكان أقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان يملك من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجمع مكاثر فظهر هولاكو وفاته خوارزم شاه مرارا وهو يكسر الى أن قتل هو وأولاده وخشوده واسباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من بها بالقتل العام وصار يحول هولاكو في الديار وباده في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاحفاه ابن العلقمي عنه سائر الاخبار الى أن وصل هولاكو حتى الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفه يطلبه اليه فاسيقط من يوم العرور وندم على عفله حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وزر الى قتاله

(١٦ - تاريخ مكة) وجمع من أهل بغداد وحاشية عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرهونون بايمن المهاد ساكنون على شاطئ بغداد في ظل نعيم وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا ذاقوا طعنا ولا ضربا وعساكر العلج ينوفون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسائب وباسل وفاتك وقاتل يثبون وثب الفردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهضمون الغمض والهجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم تفوت أذن فرسه يقطعها ويأكلها بيضه ويصبر على

ذلك أياما عديده أو يكتفى هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتهم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخميس الى الخميس فى يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وسبعمائة وثبت أهل بغداد مع براقتهم على حد السيوف وصبروا مصطربين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها واستطروا عما ئم السهام وابلها ووردقها واستقبلوا بحر وجوههم صواعق الحرب وبرقها وورد قوا فى تلك المكابدة الصبور باشهاده وارتقوا فى الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بانفسهم فى سبيل الله وأحادوا أحسن اراده واستمروا كذلك من اقبال النهار الى ادبار النهار فحجروا عن الاستطهار وانكسروا أشد انكسار وولوا الادبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار (١٢٢) ولذهم الطراد الى قتال * أحد سلاحهم فيه فرار

شقيقه مشرق بالجزيرة وبات معه فى محفة سبيل السلطان وطلع الامير المصرى بالمحمل يوم ثمان وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامى يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحاج فى طريق منى وسبيت عتيبة بعرفه من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة فاخذوا واحتاج الامراء الى ان تجمع أهل جدة ويرلوا دفعة واحدة ونزل دونه أسرى فاحسه بعضهم شئ فرجع من الطريق واضطربت الناس ولم يزل الامر فى شدة وصار الناس ينزلون الى جدة ويرى عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة فانتدب الشريف أحمد بن عالب وهو ببلده الركانى فارجع البعض الى أهله

(ذكر قبض محمد باشا على الوزير حيدان وكيف كان خلاصه)

وفى هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان حيدان ووزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحات فى أيام ولايته على سدر جده فاسرها فى نفسه ولم يبد له شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما فقصداه حوانجهما وعند قرب سفرهما توافقا على قتله فارسلا اليه وطلباه واعتقلاه فى جملة من خيام العسكر ودركابه شخصا من كبار العسكر وأمره أن يأتى به اليهما بعد ست ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وأيس من الحياة استند الى صندوق فى الخيمة وهو يفكر فى حاله فمضى جانب من الليل وهو على هذه الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به قد مكث على وجهه يصيح مدد مدد فحرك يده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه فعظم روعه ثم عمد الى الربى وأخذه بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الخيمة خيل له انهم الآن يقتلونه ويعبدونه تعلقة واهانة فعزم على العود فاحس عند ذلك بدافع يدفعه الى قدام مع زوال ما كان به من الارتباع ورفد جميع الحراس المحيطين بالخيمة فتقدم ومشى ولحقه سلام له كان معه الى أن اتصل بجدار المعلاة ثم قفز من الجدار الى داخل المقبرة واختفى ببعض المحال المقاربة لعتبة السيدة خديجة رضى الله عنها فانتبهت الحراس وأوقدوا المشاعل وفرعت الخيل والعساكر خلفه وهو يشاهدها فلما غابت عنه وزال وهمه قام ومشى فى المقابر وخرج من تربة الشيخ محمد بن سليمان ثم أخذ طريق العلق حتى وصل الى المسجد ثم قصد بيت مولانا الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فاخفاه فاصبح الامير ان يفتشان عليه ولم يجداه وانجلت القضية بدفع مال عظيم والتجاء نسبه وما زال الشريف أحمد بن عالب الركانى معززا عند شريف مكة ومولانا الشريف عبد الله بن هاشم كان يحب أن يواليه ليكون عياله وليأمن من شره ولم يزل يتلطف به الى ان وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له

معه واستمر الى الاعياء فيه

لاجلهم بارؤسهم عثار يرون الموت قدامه وخلفا فيختارون والموت اضطرار وغرق كثير منهم فى دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم الدمار ووضعوا السيف فيهم والدمار وقتلوا من المسلمين فى ثلاثة أيام ما يوف على ثلثمائة ألف وسبعين ألفا وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الحرائر والاموال وأحد هولاكو جميع البلاد وأمر باحراق الباقى ورموا كتب بغداد فى بحر الدوانات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركابا ومشاة وتغيروا لماء بغداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام

(واستؤسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا حقيرا فسجان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل دعى سلطان قاهر فاستبقى هولاكو

الخليفة أياما الى أن استقصى أمواله وخزائنه ودخائره ودفائنه ثم رمى بقاياه أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة فيرفس بالارجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بنى العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم يتل ابن العلقمى ما أراده ولم يستفد غير سلامه أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلى وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلى أرسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمى وفيه كلام

يرونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٥ صورته اذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها الخمر بن بأم الظلمة ومسكن الجبارة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أخمصة كالطواويس ثمانين كلمات الملح في الماء يأتي بوقطوراء ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالحجاب المطرقة وحراطيم كحراطيم الفيلة لم يصل الى بلدا الا افتحها ولا راية الا نكسها فلما وصل الكتاب الى هولاكو أمر أن يترجمه فلما قرأه أمر لهم بسبعة أرغفة وسلموا اسمه دلك من القتل واسهب رباه اس العلقمي بأثمه واثم من ظلم بسببه وكان من أهل المارو سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ٥ قلت وأما هذه الكلمات فما يليها بلاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوته وآثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته لرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تخفه الاحشاء والضمائر

﴿وصل﴾ كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بني العباس أحمد وتلقب المستعصم بالله الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستضد بن المقتفي بالله العباسي فوصل الى مصر وافدا على سلطانها الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وستمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعيان الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة وقاتله فرت من معه نائب هولاكو على بغداد وقتل المستعصم ومن معه ولم يسلم منهم الا القليل ولم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بني العباس أحمد وتلقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس له من الامر شيء وانما اسمه الخليفة وأولاده من بعده على هذا الحال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريد دون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكان سلاطين الاقاليم يتركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان ويكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها يتبرك بهذا التقليد ويتمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من

حجة بأن دخوله رضا مولانا الشريف وصاحبه ان لا يقع منه ما يضر بالرعية فكتب له رضي مولانا الشريف انه ما يقع منه خلاف

﴿دخول الشريف أحمد بن عالب مكة﴾

ودخل مكة مولانا الشريف أحمد بن عالب سابع صفر واجتمع بمولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في الدار المقدة وانه أحد عشر رهوا بعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للقعدة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم جسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب مضمونها ان ما وقع من السلطنة انما كان لما وصلهم من الاذاء الى قتلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهبت الحرة وكل ذلك لم يكن وأنا دا خل البلد أطلب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة فاكم والمنع فاني قاتل على الدخول من قاتلني فاستدعى الشريف أحمد أعيان العسكر وأخبرهم ان الشريف سعد امتعد وعزموا الباشا ذلك في جدة فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر وجاء الخبر بأن الشريف سعدا وصل الليث مقللا فرق العساكر على جبال مكة وعمر المدارس وفرق المدافع في الطرق وفي عرو ربيع الثاني نادى مناديا مولانا الشريف عبد الله بن هاشم في البلد بالسفير العام فاعتم الناس لذلك وفي ثالث ربيع الثاني وصل مولانا السيد أحمد بن حازم بن عبد الله والسيد حسان بن جاران من عند الشريف سعد وأخبرا بأن الشريف سعدا في أقوام عظيمة لا يكاد توصف فاجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن عالب عند الباشا من الصحى الى الظهر واستدعوا كاكا العسكر المصري من السبع ملكات ثم خرجا من عند الباشا ثم ان الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبد الله عتاق وأمر العلماء بالكتابة عليها وصورة ذلك جوابا لقتال الداخل على صاحب مكة وان القائم بأمرها تخاطب بذلك وجميع من بها من أرباب الدولة ودوي القدرة على الدفاع فكتبوا عليه وفي الطرابع ربيع الثاني تفرقت عساكر مصر عند كل رئيس منهم جماعته وبانوا ساهرين الى الصبح مخافة ان يدهمهم البلا ولم يرالوا كذلك الى ليلة السابع من ربيع الثاني وفي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة وكان أول من قابل هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن عالب فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن يليه وأظهر الهمة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلع بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله

الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة امرائهم الا صورة الخلفاء فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخه لما ذكر هؤلاء من حلهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكره منهم في تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز يعقوب﴾ توفي ليلة يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة والاعيان بالقاهرة في مصر ثم ركب من القاهرة الى منزله وكان يوما مشهودا ودفن بختم كتابه تاريخ الخلفاء وورائب في تاريخ (١٢٤) لطيف للحافظ السيوطي أيضا سماه لوقيات في الرقيات ان في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واسم يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الاشهم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى وتوفي الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أحد ومرکا الى اسطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه ودهاب نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وسار حليفة لها واستمر الى الناس أن توفي الى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة ثمان وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وعوضا سطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر منه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ... ولا كريم اليه مشتكى الحرن
واعباد قوم غير ذي حسب ... ما كنت أوثران يمتد بي زمني
ضمن قول الطغرائي من لامية العجم ما كنت أوثران يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الاوغاد والسفل

وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم الشريف في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة

ثم ان مولانا الشريف سعد الماوصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حمدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وانطلقت العربان على جمال مكة والمتارس فدخلوا من بها وفروا من واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ماحول البلد من المتارس وشرع القتل في المعلى في جماعة الشريف أحمد بن عالب والشريف عبد الله بن هاشم الى ان قتل أغلبهم واسعف الله عطرارد ما كان هالك بالمتارس من انهار وفرق بين الفريقين ورل الشريف عبد الله والشريف أحمد بن عالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا رجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فجاء وقت الصلاة الاوقد ملكت العرب جبل أبي قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فاستظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاهوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن عالب ومن معهم من الاشراف متوجهين من أسفل مكة الى الركابي بين مكة وحدة بلد مولانا الشريف أحمد بن عالب ورابه ثم ارتحلا الى الديار الرومية الى ان توفيا بها

﴿وفاة الشريف أحمد بن عالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة﴾

فتوفي الشريف أحمد بن عالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفي الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن عالب الى الركابي اجتمع باس من العلماء عند القاضي وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه في بيته وقد استحر القتل بعسكره مضر به وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفاعه فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالسداد للشريف سعد فاقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد وامتنع فيما هم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لي في أحد وانما جاءكم باس يريدون عدم القتال وذكروا له ان يولوا من الاشراف ما اتفع لهم فقالوا له أبى الاشراف الذين يريدون ان يولى واحد منهم فانك لا تجد الا أحدا يتقدم على هذه المكانة فالرأي ان نصلوا للشريف سعد ونعاد والله ونحمد والله هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا واخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فلما وصل اليه منهم الا أربعة فلما أدخلوا عليه حصل لهم خوف كثير فجعل يعدد لهم ويقول نحن قائلنا على حفظكم بعد ان كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاحتيار منكم له اليوم فقالوا له أتينا ذنبا وهلكت

بالفضلاء الفخام معونة بعين بركات المشايخ الكرام كانها عروس تتهادى بين اقمار رشموس ثم انقضت تلك السنون وأهلها
• فكأنها وكأنهم أحلام • (الباب السادس في ذكر ملوك الجراكسة لان بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام
وسبق لهم فيه من الترميم والانظام لما صاروا من سلاطين الاسلام ﴿ اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جبوب الارض
لهم مسدائن عامرة ولهم جبال ومزارع يرعون النعم ويزرعون وهم تارة يكونون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف للملك سراي
كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويحلونهم الى أطراف البلاد والاقاليم هكذا ذكر المقريزي في عقوده
قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك (١٢٥) الاكراد أصحاب مصر من شر

الناس فكانه عرف الحق فامر بالطروح وقف على أمانه جنسه فامر بالتحميل والسفر فحصل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بمجرد سوق الليل ونودي له وحصل الامن شاملا المعرب الا والبلد لصاحبها ونودي بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى مستان الوزير عثمان جيدان بالمعادة ونزل في الدي صبحي يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى آن وصلوا سرق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الرباط على قبعت للعسكر ان يعطوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو ومن معهم من العرب حتى دخل منزله وامتلأ هم ذلك الوادي ثم أمرهم الى أجيادة دخلوها وعملوا بها خلوق شيأ وشيأ الى ثاني يوم وجلس لانتهنئة يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء وانشدت البلدوتلله الحمد ونعت اليه الباشا بفروسيته اياه الا ان بعض العرب خرج بماشيهم من الاموال يبيعها في السوق على رؤس الاشهاد وما أمكن رد شيء مما شيهم وفي يوم الاحد أنس الوزير عثمان جيدان بالفرو الذي ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلع له أصحاب الادراك فعلق عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا في مدرسة ابن عتيق عند صلاة الظهر فجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف هركوبا من اصطبله بكمال العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فوادعه ونزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا هركوبا من هراكيبه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستقر مولانا الشريف وكتب للارتواب السلطانية بعتاد لهم مما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

• (الولاية الثالثة للشريف سعد) •

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان جيدان أن يصنع سماطا للعرب في سنانه في المعادة ففعل لهم هذا السماط حضره مولانا الشريف وابنه واستمروا هناك الى العصر ثم قام العرب بعد هذا مده يسيره وأذن لهم في الرجوع فرجعوا شاكرين وأتى أناسامنهم بمكة ثم جاء الحمر من المدينة بأمتعتهم من السداد لمولانا الشريف ثم عند ورود الخلعة له بادواله ثم جاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم توجها الى بيشة وأخذا منه ألفي اردب حب لاهل مكة ومائتين لقاضي مكة وربع صاحب مكة وجاء الخبر أيضا بانهم كتبوا عرضا لصاحب مصر وبعثوه ثم ان الشريف جهز جماعة

برقوق الظاهري فاشتراه الاتابك بلبغا العمري وهو من جملة الاتراك الذين مهم الرقي من ممالك من أولاد المتغلبين عليهم بمصر ومات بلبغا وهو من صغار مماليك برقوق فاستوطن عنده وترقيات به الاحوال الى أن صار أمير مائة ألف مقدم بركان أتابكا للملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من ممالك الايوبية الاكراد المتغلبين عليهم غير الجراكسة وكان من الملك الصالح الى الثامنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة غير الاسم ولزم الامير الاتابك برقوق أن يحلم الملك الصالح ويتولى السلطنة بدله فحلم بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشد

عمارتها حركسي الحلبلي وقيل له في ذلك شعر ... وأنشأ الملك السلطان مدرسة ... قائمة على ارم مع سرعة العمل

أني الحلبلي ان جاءت طلعته ... ضم الحلال لها تقضي على مهل وجهز للحرم المكي مالا لعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وسار الركب الحجازي من مصر الى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من المحامل الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر قتلهم وورا عسفهم وشتمهم فارتهم الله تعالى عدلا بالسيوف القاصمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والتخوت الرومية الاكمالية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة لسائر أهل الارض محيطة ودخل الظاهر برقوق مملكة جميع أمواله واحرازه وأكثر من (١٢٦) المحامل الجراكسة فتملكوا من الملك ولا عجب بعده المحامل الجراكسة على ملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها اتقوه واعانه الله الاسلام وكانت تجمع بمكة بوقال وجلاد وجمال وقتل نفوس بحرب السوس وثلة ونوس الى أن استقر الامر على واحد منهم فتراك في شعار السلطنة واسطلحوا على هيئته جاسه أحدهم على الملوك الايوبية الاكراد وراودوا وبها وتقصوا وكان ذلك ارتفع مقبولا عندهم فان العرف يحسن ويقبح وان كان صورة مضحكة عندهم لانا نحن لا نبالي بكل اقليم وضع جائز للاطين ذلك الاقليم لكون مهيبا مبجلا في أعين أهل ذلك الاقليم لا لفهم لا الهيئة السلاطينهم فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصمام مكلعة يحملون في مقدمها وجبهتها ويسارها شكل سبعة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من بعض اشاش يلبسها السلطان في مواكبه وديوانه ويلبس قفطانا من فاخر الثياب يكون على كتفيه اعين طراز مرصع بالذهب وكذلك في كفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الامراء ومن دونهم ويجمع هذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير يظل السلطان تلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه أربعة وعشرون كبيرا يلتفون على بابهم مجاورة عصرا كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمبرلة البكار بكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة فرون ودرهم أمير عشرة متقدم مائة بمبرلة لصنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية

من العسكر المقيمين بمكة وعلمهم ان جدة ليعرموا الى ينبع على البحر وما رأى الباشا في ارسالهم فاقاموا مرجعوا في شهر رمضان وردس الابواب السلطانية خلعة المولا با الشريف ومرسوم بالتأهب له وهو الاخبار بوفاة السلطان أحمد بن اراهم وتولية السلطان مصطفى بن أحمد بن ابراهيم فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الخلعة وأمر بالرسة ثلاثة أيام والذي في تاريخ السخاوي ان الخبر بورود الاخاه الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالرسة وأما ورود المرسوم الى مكة وقراءة المرسوم اعلى ما كان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف لعادته على العادة وابس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الخلعة بالجبة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هناك الى أن توفي في شهر جمادى الاولى توجه مولانا الشريف بارياحه الشرق وليرجع الا الذي دخل الحجة ووردله القسطاس السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي مكة عبد الله الداودي عتاقي وولد له سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر ابن أبي بكر الصديقي ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقا مع السادة الاشراف متألفا لهم الى سنة اثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبد الله مغادرة لعدم الوفاء بمعاهدهم فثار عليه ذوو عبد الله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبد الله وعمروا على الطريق ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شرفا ملاقي أمرهم ورعدهم ورل الى جدة ورل لهم معه جماعة وأحدثوا لهم من التمار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربعة عشر وطالبوه وعدوا اليهم وادعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا معاندين له حالين على الشريف ونوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم لقافلة عبد الرحيم وبعض الحاره واحتووا الجميع وقابل الشريف المشايخ ذوي عبد الله وعرفهم ما وقع من رد قافلتهم ثم سافر الى السيد عبد الكريم بن محمد بن علي بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات وذو كثرة بالدرب جدا وجعله في وجهه وقبل ذلك فارسل السيد عبد الكريم لذوي بركات الذين في الوادي وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم متى آستم أحدا من السادة الاشراف الجلوية حولكم قريبا منكم فامنعوا في تعريسا بذلك وذبرهم على شيء يعرفه فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادي قاصدا الى مكة للشريف سعد وللسيد عبد الكريم يعرفهما ان السادة الاشراف الجلوية مروا على البضاع ومعهم عروق فاستدبر درب جدة ففرح الشريف سعد عند سماعه وفرحت جميع الاشراف والعسكر واقام

يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة تعذبه بيد رهامن تحت حنكه وردونهم الجليان وهم مشاة على زؤسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه واسع من أعلاه لا يلطأ رأسه وما يلبس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طرار من مخمل أو أطلس أو مركش وفي أوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها الى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويبيعونها في أكثر مواسم الحج وبلغوا نحو عشرين ألف فارس وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم اطباق يوطعون بها المعلمين من حفظ القرآن وكان الحاذق منهم يعده أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاسحراج والصلاة والعراءة بحسب

وأقام مقامه بمكة السيد عبد الله بن سعيد بن شبير وسرح هو ومن معه وانوا بادي وسرح قاصد اللمحمل المسمى بالحاج وتقدم قبله بعض السادة الاشراف فواجهوا السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي متقدما من رهط ابنه فلما احس بهما وابه سألوه فقال قصدي مواجهة الشريف وأرسلوا الى الشريف سعد وعرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف لا أحد منكم يدخل محمد بن عبد الله ثم لما وصل السيد محمد وأقبل على الشريف نزل وقبل أيضا الشريف سعد وترادفوا والسيد محمد ثم قال له من أين جئت فقال من عند الربع وقصدي التحية فقال له الشريف سعد لا عليك يمين مال أسلف قال له العرو الذين معكم قد حرجنا قصدهم احبري عنهم ان يقصدوني قال لا سلم لي بهم فدله على ذلك ثم أراد ان يحادثه فقال له احفظه حتى ينفض سر عروبه أرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادي ومشى الشريف سعد والاشراف في ملت القوم الى ان وصل الى الحمام وسأل عن الاشراف الجلوية والعرو الذين معهم وأخبروهم انهم أحدوا على اليفاع وقصدوا درب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدة ورأوا فيها جماعة هم همتي وأخبر الشريف سان الاشراف الجلوية عروبا وهم الملما وتحماقال له الشريف سعد أعرف محلهم قال نعم قال ايت الدال عليهم مسار واحتشهم وحثوا في سيرهم وأدركوهم عند الظهر مقبلين وجميع ما أحدوه من هيتم عندهم وأقبل عليهم الشريف عن معه من الاشراف والعسكر وكان معه كعيد الوريسلمان باثاو بعض أشخاص من اتباع الوريو اقتتلوا معهم وقتلوا من القوم رهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب هيدس شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه مهب الشريف ومن معه من الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبدق وغير ذلك وردوا على هيتم جميع ما أحدوه منهم وردوا أيضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم الاحد سابع عشر ربيع الثاني ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين وافق الربو والس الشريف على معتادهم وركبت علامة الدمرقي بيت الشريف على جري عادتهم وفي هذا اليوم نزل الشريف على السيد مبارك بن يعلي فاستقر وأصبح يوم الاربعاء بمكة وجلس للناس واما السادة الاشراف الجلوية فاستمروا خارج البلد الى أواخر جمادى الثانية وفيه اصطلحوا مع مولانا الشريف وكان الساعي بينهم بالصلح السيد أحمد بن سعيد بن شبير والسيد حسين بن رئيس العابدين بن عبد الله وتوجهوا للاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهرين وكانوا اسوة رفقائهم وان

واتفقه وأمور دينه ثم يترقى الى معرفة الاعراب والاسراع ورمي السهام ثم يترقى الى الفروسية الى أن يبلغ فرس في كل ذلك ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة وكان خواص السلطنة في زمن كل واحد منهم من حين يجلب الى السوق ليباع الى أن يموت حتى ان واحدا من الخواص حلب وهو حقير واشترته قاشق اسمه العرج فقال له لال سيده هل ولد لك فرع الاعرج فاطاعه في مدة يسيرة بالجملة وقد كانوا طوائف سواح لهم سماحة وجاسة وسداقة لمن صادقوه وكانت أول فتنة في مصر بسببهم وكانت أهل مصر لا علم لهم بما يبدهم من الاوراق وكانوا سيدهم فيها مشايرهم وسماشيرهم وكانوا يتحدثون فيرتب لهم مشايرهم المصريون

مصارف فيكون للعدي وفيه يعلمه القرآن وامام يصلي به ومكبر وباشر يكتب له بخرجه وخزندار وركاب دار وجاه دار ومهتار ومراح ومكاليس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفكها وكانوا في رفاهية وكان أهل مصر يعيشون في طلهم رغدا بحيث ان أسطبلاتهم كانت تكفي سائر جيراتهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر الطعائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون بدناءة البيوت الفاخرة والمدارس والحوامع والترب وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سياستهم على حسناتهم وزادت ظلمهم على خيراتهم ومالوا الى العوايد المفسدين واخلوا شعائر الشرع والدين فاستجاب الله منهم دعاء المظلومين وعزفهم كل عمرة ودار

الظالم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿وكانت﴾ مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة • وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق ونقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحس في المكرك ثم انصب من الحابس وجمع الجيوش وقاتل وعاد على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتبع أعداءه ومن خرج عليه وحاربه الى ان صفا له الزمان وطاب له الآمان وأيس الامان من يد الدهر الخوان ومات شهيد سلطنته الى الزوال واصعق بدر حياته ولاذ من الخوافي بعد الكمال وبرق (١٢١) الزمان على رقوق يشاهد الانفصال ﴿وعهد بالسلطنة الى ولده

الملك الظاهر برقوق ولقب الخليفة بالقصاة والامراء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة أعوام وعين الاتابك يشبك الشعباني المؤيدي الملكة وتوفي الى رحمة الله ليلة الجمعة وقت الضحى منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفي ذلك يقول أحمد المعري الشاعر

معنى الظاهر السلطان أكرم مالك
الى ربه برقى الى الخلد في الدرج

وقالوا ستأتي شدة بعد موته فاكرمه ربي وما جاسوى فرج وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألف ألف دينار ومن القماش والاثاث ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والجمال الهارهة ستة آلاف ومن الجمال العتيقة خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه في كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول • وفي أيام الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة • وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الحلاوي سراجا موقدا في خلوته وبرد عنها فسحبت الفأرة الفتيلة فسقطت السراج منه الى خارجه فأحرقت الخلوة واشتعل اللهب في سقف الحلاوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام وانتهب به وعجز الناس

ماء مصر لارتفاع واستمر معهم على الاتفاق والمحبة وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية اقامة ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة ويبرز عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العالية فاجيب الى ذلك وجاءه الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع أغا مخصوص وأدخلوه مكة بالاي أعظم وجلس في الحطيم مولانا الشريف وحاجب حجدة القاضي والمفتي وأعيان الناس ودوردار الاغا في الحطيم بالامر السلطاني والتشريف للمولى الشريف سعيد وأنس أرباب المناصب على جري العادة وباب الكعبة مفتوح الى ان انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحجاج والرعايا والمجاورين كما هو المعتاد ودعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي واقتضى رأي مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة في المدرسة القريبة من المسجد فدخل مولانا الشريف سعيد فقبل يده وركابه وهو يدعو له وعيال مهمندار وقاضي شدة افرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره الى سوق الليل للمباركة ومدحه الشعراء فانصدوا

• (الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣) •

ولما كان يوم السبت طلع الاغا الوارد القسطنطينية سمور وكتاب اخراص لمولانا الشريف سعيد وألبسه الفرو الوارد عليه من الابواب زيادة في الاكرام والعناية وخوطب في كتابه بعناية الله وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ما قبلها كان بغير أمر سلطاني ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد للدس الخلعة وخرج معه والده وليس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع في هذه السنة ان أمير الحاج الشامي ذهب لمالك باشا عسكره غلام وذهب لابن أحمد الباشا صاحب جدة علام فصار كل واحد يسأل عن علامه فجاء خبر لابن أحمد الباشا ان علامه عند مالك باشا العسكر الشامي معرور افركب ليأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامي أمر بأخذه في الحديد وأحدوجعل في الحديد وخرج الباشا بالمحمل يوم عشرين وهو معه في الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد راسل في حدة لاسلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعيد الى الباشا يشفع في اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضي مكة فلم يقبل وسار به معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا علام مالك باشا العسكر الشامي فاخذ العلام ولم يطلق المعتقل وسار به الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة ومكة نحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى حدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتمادر مولانا السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا الشريف

عن طفئه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامي واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالي الى ان انتهى الى باب العمرة وكان هذا الذي اطفوا ان هذا مهما امكن السيل العظيم المهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام سنة عام حريق المسجد الحرام المعدود من أشد النكبات المشئومة التي حلت بهذا البلد الامين وكان ذلك من الوقوف الحرون وقد حاوره عن ذلك المكان والمسجد الحرام جميعه من الجوانب الاربعة فقصر الحريق الى باب العمرة وسلامات تعالى (١٣٩) باقي مسجد الحرام وكم لله من لطف خفي

الشريف سعيد لامر اقتضاه فخرج معه سباه وخرج جميع من بقي عنده من العربان ثم سمع الخبر فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل حسين وآل قتادة وأعظم الناس بالجميع المدينة في المعاليم وأحد كل بعضه أحد وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على اتحاد الكلمة فقام معه ولاد الشريف سعيد باسباب الصلح بينهم وبين ولده وقام معه في السلم جماعة من الاشراف واجتهدوا واعانة الاجتهاد أمكن وتشاعت بعد ذلك السيول وهم في الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال أحدوه وقتيل بددوه ثم ان الشريف سعيد ذهب اليهم بنفسه وأراد مرضاتهم فجمع لهم وجاءهم بما جمع لهم من المعلوم وقال لهم ان ألزمت بذي سلمه الآن بعد ذلك بخير وحسن لهم أخذ البعض وعيشه لهم وهو يأبى ذلك الا بكفيل بالمال نفسه فيرضوا بذلك وشرطوا عليه شروطا وقالوا ان عمل واقع في الطريق من الاجناب والسيل ومالهم يكونون على ما عاهدوا عليه من حفظ الطريق ومالهم ما داموا لم تتم امانته ما لم يكونوا بيد واحد وكون نحن وأنت بيده فصعب ذلك عليهم كل ذلك وقاله وأبى أن يدخل مكة معه جماعة منهم الا قليلة بينه الشريف سعيد فدخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن أخيه السيد عبد المحسن بن أحمد ابن زيد وابن عمه السيد بركات بن محمد بن علي وحسين بن عالب وسرور بن علي ودخلوا وقابلوا الشريف سعيدا وتواعدوا وداروا السعادة وخرجوا من عنده ولم يعانقهم شئ وعرض الشريف سعيد على ولده ما صار بينه وبين عمه واجتمع وأبى وقال لي أجلسه ويرجع على جميع ما أخذ وعلى الناس من الاموال وأجلسه من معاليمهم ولا بد أن يتركوا عن هذا الجانب الذي بيدهم ويعاملني كل واحد وحده فما طاعه ذلك رجعوا الى مر الظهران وبعثوا بهم حفيظ بن عجلان أن ارجعوا الشريف سعيد الى بلده فان أبى فاعزلوه وولوا غيره فان شرط عليهم شروطا فلا تقبلوا منه وقولوا له ان الحج وقت الوزير سليمان باشا حتى هذا العام ولكن هذه الحركة القبيحة الواقعة منك في ذلك الوقت فكاتب السادة الاشراف ووعدهم بما لهم جالس ما هو فيه في العام من المال ويبذل لهم ما سألته فدخلوا في الحال وشرط عليهم حفظ طريق جدة وغايته لمن يأمرون به فرضوا بذلك وقالوا له ليس لنا غير الحج فعلموا ما شرط عليهم وأرادوا الطريق وسارت القوافل في جادة واحدة من العربان فلما تسلموهم الى أن يدخل مكة دهانا بالا ثم ان سليمان باشا أخبره ولاة الشريف سعيد انه رفع ووصل له ان الشريف سعيدا تعهد في ذمتي بخلاصهم فاجابه سليمان باشا ما عهدته هو لصوص ثم ان الشريف سعيدا استدعى الاشراف وكانوا اثنين وثمانية أنفس فلما أتوه أعرض منهم أحد الا ستة أشراف كانوا في عمامته لم يحاورهم الشريف فلما

(١٧ - تاريخ مكة) المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم ينج منها مثله وكان وقوع السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الاسكاكا فواه الشرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ الفناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذي في باب العمرة عدة أساطين وخرب مما حولها كثيرة ومات في السيل جماعة رحمهم الله قال الفاسي رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير يسوق الظاهري وكان قدومه الى مكة لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو أمير الحاج المصري وتحالف عكة بعد الحج تعمير المسجد فلما رحل الحاج من مكة شرع في تطهير الحرم الشريف من الاكوام التراب وغيرها من الاماكن التي تلي أساس المسجد الشريف

بقي فاه عن فهم الذكر
وما رصاحت بريق من المسجد
الحرام أكوام عظاما
عم من رؤية الكعبة
الشريفة ومن الصلاة في
داخل الجانب من المسجد
حول الحجر من فيها وتردد
أهل المعرفة أن هذا
مقدر شاءت سليل نفع
في الناس وكان للاسلام
وقعة الحرب العظيمة فقدوم
تيمر لنك الى بلاد الشام
وبلاد الروم وسفك دماء
المسلمين وسبي ذراريهم
ونهب أموالهم واحراق
مساكنهم ودورهم كما
سيذكر وفي التواريخ
المفصلة وقال الحافظ
السخاوي في ديباجه على
دول الاسلام للذهبي رحمه
الله تعالى وفي آخر شوال
سنة ثمان وثمانمائة
وقع بالمسجد الحرام من
عشيه أن على سقوف
المسجد الحرام ولولا
العمودان اللذان وقعا
من السيل قبل ذلك لاحترق

وعن أساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامي منه الى باب العمرة تظهر أساس الاسطوانات مثل تقاطيع الصليب تحت كل اسطوانة فساها وأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وساها حتى رفعه الى سطح الارض على اتكال وارتياد بعد وقت من حمل بالشبكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة مصنوعة على شكل لبنات الرخام مربعة طول كل حجر منها ذراع وثلث ذراع وشيء في عرض ذراع وشيء في سمك ثلث ذراع وشيء فأقعدت على قاعدة من بعضها مخونة على هيئة انماط الصليب على وجه الاساس المرفوع في الارض ووضع على الدائرة أحجار مثل الاولى ووضع بينها ما بالطول عمود حديد مصبوب في الرصاص الذائب من أحجار الاساس الى أن انتهى طوله الى طول أساطين

أول جمع والاحرام فقامت لاشراف على الجمال وتوادي من الحج الناس وهم في غاية الخلوف ولم يحج من أهل مكة الا اليسير وظنوا ان الاشراف يدخلون مكة والناس بعرفة فلم يكن ذلك بل التزموا الوقوف الى أن أسدوا اليهم الوقوف بعد ان باشاهم صاحب جدة بالمال ساعر الحج وأنفر الحج أحد الاشراف في الارتحال من الجمال ويرحلوا الزاد في السابع والعشرين من ذي الحجة فشعر بهم الشريف سعيد وأرسل لطلبهم الى الشريف الشريف وكاوا من جاءهم السيد عبد الله بن سعيد بن شعبان الى المكرمة ومعه السيد عبد الله بن حسن بن جودة وبرين العابدين بن ابراهيم بن محمد شهودا على توكالة وكان الشريف سعيد قد ولى قبلهم الى المكرمة وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد الكرمي أحد السادة الكرمية المقيمين بالشام لا المصريين فاعلى السيد عبد الله وجعل وكالته عن جماعته على مولانا الشريف سعيد بما يعهد معهم من حقوقهم من مداخيل البلد ومحاليفها لهم بعطهم ما كانوا يتقوونه من كل ذلك دون سائر شركائهم وفدمت قواعدهم من زمن الشريف قتادة ذلك واليوم لا ينازعهم أحد على ذلك وان بذلك قوام معائشهم فانكر ذلك مولانا الشريف سعيد وقال ليس الكرمي وعائلته أحق من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة حلين وسع بيتهم الحال بحصره الحاضر والعلما بما لا يليق بمقامهم فتأثرت نفوسهم زيادة ثم القضية الحاصل على جماعته وجميع الاشراف الذين جاءوا بالراهر بعد ان اجتمعوا بالشريف سعيد وقاضيه على هواهم الى القاضي فاستدر وسلف لهم لا علم له بهذا المصدر فقبلوا عذره ثم ان الشريف سعيدا أركب ولده حسنا وجرح الهم في الراهر وخطأ ابنه في فعله واستعفاهم وقال هبوها لابني وسعوني في عفوكم عنه وأنا أصاب بجميع ما هو لكم فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين الاسلام مقام بيتهم فلما دخل بهم البلد أوثقه وكان ذلك آخر يوم من ذي الحجة سنة ست عشر وثمانية وألف ودخل عقب ذلك المحرم من سنة سبع عشرة وهي سنة الفرج وأسم أووفات أسامها يوم اثنين فاشتهرت بعيد الاشراف باعالي بلاد الجبال وشاع الخبر وتكاملت الحال الطويل الطال على بركة العيد روس بالشبكة وانتهوا الى الجعل بين عمرة المسفلة ومن جعل بين عباس الى الجبل الطال على سويقة وأحد باطية الشبكة جماعة من الاشراف حتى انتهوا الى مقبرة الشبكة ووصل جماعة من العبيد الى جهة المعلى هذا والجمال على الوادي يشمش لا يفوتهم الصاعد من هذه الثنيات الا الاشراف في مضاربهم فلما أبصروا الجمال تركوا ما هم فيه من الزاد الى طوى ووقعوا على الزاد وتقدم بعض العبيد ودخلوا بيت متاع أبو دي في الشبكة وكان يعرف بيت عبد الباقي الشامي نحو السبعة فاختاروا فيه وجعلوا

يصربون

عمله العدم وجودة شب يصلح لذلك بمكة دلا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا وجوده ويحتاج الى خشب الساج ولا يحمل الامس الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الامس الروم فلزم تأخيرها كلها الى احضار القدر الذي يحتاج المدد من ذلك الخشب وشكر الناس الامير يستق على سرعة قيام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومداومته الى تطييب المسجد الى ان تم بالصلاة فيه وكان داهمة عاقبة وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وجه الامير يستق في ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل الى مصر في أوائل سنة خمس وثمانمائة وكان صاحب مكة يومئذ جد سادتنا أشراف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله

عهده سوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه وهو الذي يقول فيه شمس الدين المقري الشافعي صاحب الارشاد والرضوان وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويعرس صاحب اليمن يومئذ

أحسنت في تدبيرها لكنك ياحسن * وأحدث من تركي الى أرذل موسى مرر لايطاق ربه *

في الحرب لكن أين موسى من حسن هذا الذي في يمن ياسامحك الله ومن حلوه مر وآثاره

لما رآى رباط وامشت وما ل اليه أمره بعد الحرب التي كان صاحب اليمن يعلن امر بتقهقرها فكان كما وصف من

ماله عليه الى ان عد أحسن من الاول ورأت الناس ذلك (١٢١) واما سلطان الحرم الشريف فجاءت

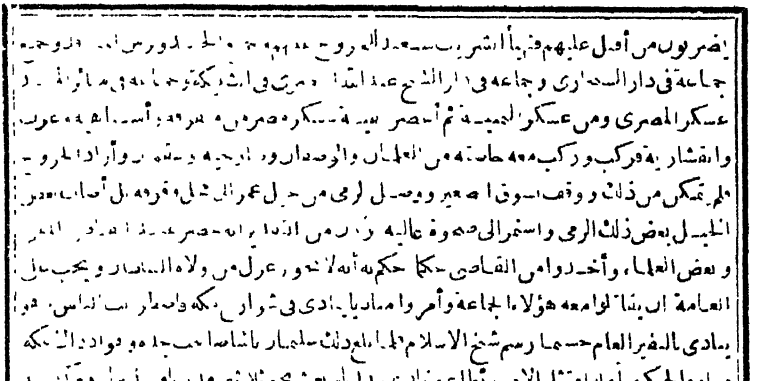

يضربون من أقبل عليهم فنهبوا الشريف سعيد الروح عبيده وحاشيته ونهبوا ما كان معه من الاموال وتوجه جماعة في دار السحاري وجماعة في دار الشيخ عبد الله المصري في اشر كبكة وجماعة في عمارة عسكر المصري ومن عسكر الجميلة ثم أحصر الجميلة عسكر مصر من معه وأسر اكثرهم وعرب والقشاريه فركب وركب معه حاشيته من العلمان والوصفان وتوجه وتبعه وتوارى الحرب فلم يتمكن من ذلك ووقف السوق الصغير ووصل الرمي من جبل عمر الى شعب قرنه بل أصاب بعض الخيل بعض ذلك الرمي واستغرق الى صحوة عالية وكان من الاتراك الذين حضروا عند الامير المصري وبعض العلماء وأخذوا من القاضي حكما حكم به أنه لا تحرر عرل من ولاه السلطان ويجب على العامة ان يبقوا لوامعه هؤلاء الجماعة وأمروا منادياً ينادي في شوارع مكة واسواقها بالناس قولوا ينادي بالصفير العام حسما رسم شيخ الاسلام فلما بلغ ذلك سلمان باشا صاحب جدة وهو قد ولاه الشكة وجاءه الحكم وأمره امتثل الامر وأطاع وخاف فاستأجر ثمانين مركبا من أجل ما كان معه من أموال وغيرها ولحقوا الشريف سعيد وأحمد محمد بن جهور وأعوانهما وأمرهما بالتوجه الى أمير العرق فأعانه على ما نوى عسكري فحرج بهم من ربيع الحرم وعطف على الاشراف بالزاهر ومروا بوادي الاشراف أول رجبهم فهدت القنفذة ساعة وانتهبها الشريف سعيد من سوق السعر وما كان معه من عسكر الى ان وصل بيت عباني وهذا الذي فيه العبد المعروف بالعباني الذي اشتراه الى ان وصل الى السوت المسامتة لبيت الشيخ عبد الله المصري كان فيه من العسكر الذين كانوا معه فوقف وقتل هنالك بيرق دار القشاريه وعبد من عبيد الشريف يحرج احرون من جماعته فوقفوا فقتل ثم عطف على سويقة على بيت اسماعيل وأمر بنهبه وانهبوا ما في قمرات من الاسلحة الى ان وصل الشامي ورمى به على البيت فهرب من كان فيه من الاسلحة وغيرها فوجد ذلك ووصل من وراء الاختلاط من كان هنالك من الاشراف حول وبيت الشيخ عبد الله المصري من أجل بيت وصوب فرس السيد مبارك بن راشد حول عمارة كهوا وأصاب السيد محسن بن حسين بن راشد ابن حسن برصاصة في رجله فقام مع الاختلاط والترقوا على الباب كما تقدم ذكره وانتهب سعيد واقف تحت دار السعادة يترجى كالعلام ثم أحضر له طعام وعبد ثم أوار بعض الاشراف ثم لحق بولده وسار واحتى وصلوا حال أبي نهب وحضر اليهم الاشراف العرب وشيخ وعرف وأمر مصاريهم فامتنع اعتذاراً من القدوم وأقام الاشراف ثم ثلاثة أيام ثم سلموا الى احمد الدق يوم الشريف سعد ونزل عليهم وشيع المشايخ معهم وسعطى معهم ثلاث الدراهم وبه اعتذر الى لهم وسمحوا به كرامة لحيشه اليهم والدم لهم العوض وأطلع الامر على ان يحسنوا الاتراك من

وبذل همته واجتهاده الى ان أسقف جميع الجانب العربي من المسجد الحرام ما عدا الجانب الشامي أيضا الى باب العمرة وتم عمارة المسجد الشريف على ثلاث وثلاثين سلسلة من الجانب الشامي وعلى باب الاسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق اسادين في الرواق الوسطاني من الاروقة التي على حكم سائر المسجد الحرام غير الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي الى باب العمرة كان في كل عقد من العقود التي بوسط المسجد الشريف ثلاث سلاسل احداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق اسادين وأما هذا الجانب العربي فكانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت عقوده لم تركب فيها هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن

الاروقة تحت العقود البرابية منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم أطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت وهي بطلمات وأقل عمارة سقف الجانب الغربي وما الحق من الجانب الشامي الى باب العمرة في سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك في الطوابق الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الشريف فأصلح الامير سيف الدين جرباش المحمودي في سطح الاروقة وأتقنها وسواها وأنفق عليها وعمرها وصحح المسجد من اعتلالات الارزاق على الجهة التي تدل على صحة ذلك لا والى الخطابة وشكر له امر على ذلك وكان ذلك في أيام الناصر برقوق بن أنس الدوادار (١٣٢) فتح بن قاصوه الحركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد

الشريف سعد شاهرة فهرب واحد وطلب منهم الدخول معه الى مكة ولاقاه الشريف سعيد ودخل معه كارهين وصبوة النهار بعد أن حدهم مهولة وكفاهم من تأخوه من جماعتهم فاصابهم الشريف بسعد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الاطعمة وأقاموا بمكة أياما قلائل وقعوا على طائل فعند ذلك ارتحل الى الحجاز الاثنان السيد أحمد بن العاشر ومن في عمله والسيد أحمد بن حزم ومن في عمله والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عمله فتصوا ما أرادوه مع القوم وعرموا على الخلاف وعصوا طاعتهم على بلادهم. وأما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم ابن يعلى فأرادا المقام بمكة وأن يكون الصلح فيما بينهم في المشاورة وادعاء الخيران الاشراف أخذت قافلة حطيبة حرمت من بلدة لوا الرمال ومنها الاموال فاشتد غضب الشريف سعيد وولده الشريف بسعد وقالا لمن كان لهم من ذي عهد منهم أعطوا الحق من أنفسكم فاسكم كنتم هؤلاء الجماعة أياما معدودة وأنتم لهم ما كانوا أعطوهم مما كانوا لهم معسرا تيسروه ثم ان السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد خرج اليهم حتى لقيهم ما أراده عمه من الصلح مع جدون أحد هؤلاء القافلة معهم معه السيد عبد الرحمن بن حمود خرج معهما من جدة وأودعه اياها الشريف سعيد في كلب كتبه اليه ومعه من العسكر الصارجية والقبطان ثم والاربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب جدة قد رحل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وحينئذ اخرج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى الاشراف في الناس واشتروا من حمود بحبوبه ممن كان مع القافلة وصاعوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها فلما رأى السيد عبد الرحمن منهم مارتى وكان معه مارتى كاتبه رحل عن فرسه ودخل مكة راجلا ورحل على فرسه مساء ذلك اليوم بسعد وكانت قافلة حطيبة موفورة منها من كل الانواع وقتل من الصارجية نحو ستة عشر وأخذت جمالهم وما تعلق القتلى من أخبار القافلة وغيرهم بضعة وثلاثين ولم يسلم الا من هرب والصارجية هم الاتراك وسلم من كان له السلامة وعدون ماله فأخذ والقافلة بالرمح وزادوا شيئا على الفلاح وأعلمهم كانوا شاوروا فيما بينهم الشريف عبد المحسن جملوا كلامهم اليه واعتمدوا في تصريف الامر اليه وبايعوه على شرافه مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد وفي بعد تأثيد ثم ارتحلوا من لحيما ورلوا ماء قرب ماس جدة يقال له عليل مصعرا وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه وأمرهم بدخول جدة فدخلها مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هراع والسيد سعيد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الاشراف وأقام الباقي بعليل فارسل اليه باشا كتابا

من أبيه سعد وولاه كما تقدم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة في يوم الجمعة سابع شوال سنة احدى وثمانمائة وكان الامير الاتابك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق لما خرج عليه ما خرج عليه من معاندة أبيه الى مشاجرة ثم الى مقاتلة وانكسر الجيش مرارا عديدة وعاد الى القاهرة والشام الامير تمر الطاهري فجيشا جيوشا الى مصر فانهزم الناصر وعساكره وخرج الناصر فلقيهم فقهرهم وقتل منهم واستولى على أموال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل برقوق الى دمشق فاستولى على البلاد الشامية وأكثرها من سيواس الى الفرات وأسر مرة له ونهب البلاد الشامية وأخرب ديارها وأقام بها وخرج الناصر فرج هاربا من مصر الى الشام فجهز برقوق عساكره فقهروه وأخذوه أسيرا وعادوا به الى مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم ظفر الناصر فرج بالامراء الظاهرية ممالك الظاهر برقوق واحتلف الاحوال بينه وبين عمه الى أن توفي برقوق في ذلك وهرب من اعتقله بعد العشاء بليلة الاثنين سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واحتوى على سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين فلما أصبح الامراء وعدوا السلطان أفاموا في السلطنة أباه الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق فقاصوه الحركسي ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة في أيامه لصغر سنه واختلاف أمراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا وكان مدة ملك المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه أمراء من ممالك أبيه وأخذ القلعة بالحراب

من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثاني يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة وبنى أخاه الملك المنصور عبد العزيز وأخاله اسمه ابراهيم الى الاسكندرية فتوجها يوم الى ليلة الاثنين سابع وسبع الآخرة سنة وثمانمائة وأنهم الناصر بقتلهما والله أعلم * ثم صار الملك الناصر فرج تتبع أمراء مصر لانهم انحصار بقلعة دمشق ومعهم أخوه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه وهزموه فهرب وأخوه الى الشام ومعهم صار وا يقاتلونه ويهزمونه وهو في أثرهم مع غاية الاحتراز منه والحرب حتى دخل بحافة لحم العصير وجميع البلاد الى أن سلم له أخوه ولا تبع وتبعوا عنه وسلموا عن الاتباع وهو يتبعهم بالبلاد الى أن سلم وهو وطائفة (١٣٣) الامير والدات وهو من معه انهزموا

للشريف سعيد والى والدة الشريف سعد وملخصه ان ارادة الاشراف برقماق ان لا يوجد بهم محاصرة جدة ومعهم أهلها من الماء وغيره ليحصل بهم خلاف على الناصر ليتمكن من دفعهم فالقصد ان يخرجوا اليهم ويحثوهم على عدم طاعتكم أو يدفعوا اليهم ما طلبوا منهم ويرحلوا عنكم وهم من الضرر عليكم وعليها ويدخلون تحت طاعته وان كنتم تخرجون عن طاعته وتخرجوا من جدة تعين لهم من يقوم محطها فرد والله الجواب ليس لهم عندنا الا السيف ونحن بالخيف فان جاهدنا الجواب استدعى الداشا مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد هو وجماعة من الاشراف وحضر قاضي جدة وجماعة من أيان الناس فألبسه الزري واطلع هو وولاه شرافة مكة ويومئذ له الاشراف بالعزة على قواعدهم السابقة فخرج من عنده الخلع التي حضر بها ثم توجه وعيرها ومعه الاشراف الى ارو صل سيل محمد باوش فخرج حتى لقاه ثم رد الى الهادي في شوارع جدة وغيرها له الامان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على الدرة وهي بيد الشريف سعيد وجعل الاشراف يدين من جهة الشريف وجعل حاس آخرين من جهتهم ثم ان الوزير سلمان باشا هنا ولا الشريف عبد المحسن كل ما يحتاج اليه الجند من غلة وغيرها وصار في وسعة وعساكر داود بن سليمان وقام معها كثيرهم من الناس والطبوع وخرج بهم الدفيه لوازمهم من كل شيء وأرسل كثيرا حفيظا على العساكر فصرف ولا الشريف على الاشراف معلوم شهري وأرسل الى المدينة لنادي له فنادوا له بها وخطب له على المنبر الشريف وكتب الى قبائل حرب وغيرهم فأجابوا الى طاعته وأطاعته حرب وجميع الجهات الشامية وأرسل الى الجبار الى بوادي الواحي فأجابوا الى طاعته ثم ان الشريف عبد المحسن أرسل أخاه السيد الناصر بن أحمد بن زيد ومعه السيد عبد الله بن حسن بن حود الله والسيد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم مع أخرين فنادوا له بالطائف وأقام السيد عبد المطلب بالطائف ثلاثة أيام ووصل اليه السيد عبد الله بن سعد بن سعد ابن زيد ومعه من الجبايشة وياقوم نحو الخمسين ومن الاشراف محمد بن أحمد بن زيد ومعه السيد عبد المطلب بن أحمد لقتالهم وجمع الجموع فأتاه أحمد بن زيد بعاديين فربطهما كلب جاءهما من الشريف سعد وسعيد وسار له لطروح عنهم ثم خرج من الطائف ليلا وقد أرسل السيد عبد الله ابن سعد ومن معه ونادى في الاسواق وأما السيد عبد المطلب فانزل الاحيضر فيه من البادية وكرهم في الطائف فأهب السيد عبد الله بن سعيد لقتاله وأتاه أحمد بن زيد العاديين وقال له ان الشريف عبد المحسن ولى مكة وسلم اليك وهذا أخوه عند المطلب يريد يرجع فلا تدعه في وقل هذا كلام لا أسمعه ثم ان رأيهم على دخول عبد المطلب مع قفاه عبد الله بن سعد

أسير كثير وقتل وه للناصر عدة ومات وجرح الامير شهاب الدين أحمد بن الله بن [illegible] المشاعلية بالمكاكين الى أن انقطع معه الوبر وسكن معه عدة من عصاة مصر فلما عزم الناصر على الرجوع الى القاهرة [illegible] صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة وأتى هذه الفعلة على سياقه هزيمة عسكر من الناس بعد ما ظنوا ان الدائرة لهم والحمد لله الذي لم يمكنهم وذلك من أعظم العبر وأكثر لمن اتعظ بما جرى للناس في هذه الايام فعدة أيام جعله وعمله وأدرجه في كفن وواراه في الثرى في قبر في باب المعراد من وفعل الله ما شاء وتكلم فرادس والرحمة من الله الكريم ان يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وان الله علام الغيوب ومن العجائب الحرمية في أيامه تجديد عقد المروة بعد

سنوطه فى سنه احدى عشره وعمارته ومنها ان ناحوا السيخ الحواجا حسين بن احمد التمرواى اوصى فى مرض موته ان يصرف على عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر المضأة الصرغتشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك فى العام المذكور ووقع فى أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان سكالة من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع جماعة ياقوت الغياثى لتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة وربطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور ورباط وراق سلطانية الى مولانا السيد (١٣٤) حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد سادتنا الاشراف الآن جل الله

بوجودهم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثى الى مولانا السيد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هذا ياحيلة الى فقهائها وأمره أن يفعل ما أمر به السلطان غياث الدين لكنه أخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاد آبائه وورع الباقى على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فمنهم وتضاعف الدعاء له على الخير والدال عليه كفاعله واشترى ياقوت الغياثى لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هانئ هدمهما وساهما فى عامه رباطا ومدرسة واشترى أصيلتين وأربع وجبات بمالى الركاتى وجعل لها أربعة مدرسين من اهل المذاهب الاربعة وستين طالبا ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسمائة مثقال ذهبا ووقفها على مصالح الرباط وأحد مدرسه مولانا السيد حسن بن عجلان فى الدارين اللتين بناهما رباطا ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركاتى اثنى عشر ألف مثقال ذهبا وأحد مدرسه مبلغا لا يعلم قدره كان جهره معه سلطانه لتعمير عين عرفة قد ذكرمولانا السيد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون ألف مثقال ذهبا وكان السيد حسن عين أحد قواده وهو الشهاب ركات المكين لتفقد عين باران واصلاحها واصلاح البركتين المعلاة وكانا معطلتين فأصلحهما الى أن حرت عين باران فيهما • وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثى خادما يسمى حاجى اقبال أرسله بصدقة اخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهر معه مالا يبنى له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جمان

من عسير قال ثم يكشفون الحبر ويرسلون الى مكة فان كان الامر غير صحيح قالت مسألة يخرج عبد المطلب ومن الكفلا يهددا وافقهم على ذلك ثم انه خرج ليلا عن معه من العسكر والعبيد ووصل الى أبيه وتحلف عنه محمد بن جار ان بالطائف فدخل السيد عبد المطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا واستمر هناك الى ان دخل أخوه مكة هذا كله والشريف عبد المحسن بجدة فجمع الشريف سعد والشريف سعيد جماعة من العلماء ومعهم القاضى والمفتى وقوم آخرون وتفرق المجلس على انهم يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأعطوا فيه الى ان قالوا ان بيد ما فتوى المفتى وحكم جوجم القاضى الشرع بكفر من تحرى على عزل من ولاه السلطان على بلد اذا كان بيده أوامر سلطانية وانه لا يعزل الا معزول السلطان وانه قد جاء بالخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف لك بالعزل والتوليه مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد جيل الله بن حمود ومعه جوخدار القاضى فلما وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدى من السلطان مصطفى بن السلطان أحمد ومن أخيه المتولى بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولى من أرى فيه الصلاح لمكة المشرفة فلما علم السيد جيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من حملة من عامله وجاء بالجواب جوخدار القاضى بما قاله الوزير المذكور فاحتاط الشريف سعد وابنه الشريف سعيد وأرسلا بطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل اليهم ان كنتما تريدان ذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضى ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون على ما بيدى من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوساطة الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثانى عشر ربيع الاول ومعه الجوع والاشراف الى ان وصل وادى الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذى طوى وأخذ الشريف سعيد ما بالى الحمور ومعه عبيده وجماعة من النفعه ومعهم محمد بن جهور العدوانى شيخا عليهم ووقوف على الجمال المظلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يافع والجبالية ولما كان يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس بالزاهر وأمر بحفر آباره وكان قد طمها الشريف سعيد فلما التقى الجمعان حمل بعض جماعة الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزلوهم عنه وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكرى آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل صوب لآخرين وأما النفعه مما بالى جاب الشريف سعيد فحاربتهم بادية من جماعة الشريف عبد المحسن فأنهزموهم قتلا وجرحا وصرباوطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل ورحلت بعد

عسكر

الحسيني فانكسرت السفينة التي فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فاخذ مولانا السيد حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ ما يتعلق بالسيد جان الحسيني لانه عصى وظهرت منه شنائع بالمدينة الشريفة من أخذه مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبرا عنه اذ أهانه به هو القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي وضرب شيخ الحرام وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة حرشة خانة وسبعة وقيس كبيرين وسبعة وقاصة صغيرا كلها مصورة بها ذهب ودع مذلول العراق وخمسة آلاف كفس وصادر الحرام بمراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فحمه الله تعالى ونهب العربان ما جمعه ومات لا رحمه الله تعالى فارسل مولانا السيد (١٣٥) حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا

عسكر الشريف عبد المحسن بمدافع معهم الى جماعة الشريف سعيد فارسل الشريف سعيد الى مشايخ الحارات وأخذ منهم الرطليين التي يطلقوم البلة العيد فرمى بها على الحال فأصاب مضر بافيه عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باستحواح مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة فأخرجوه وساروا به الى طوى فطلعوا به الى قلعة وحشوه وأطلقوه بها فأفاد الا الصوت وغارت بعض شبان من جهة أشراف الشريف عبد المحسن الى بطن الوادي تطلب العربان من الشريف سعيد فصوب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حمود برصاصة في كفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله حسين بن عبد الله ومبارك بن حمود وعلي بن أحمد بن بارو وشبير بن مبارك بن وضيل وقد حضروا معه بالحوش ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم الرابع ظهرت العلبة للشريف عبد المحسن وصار الامر على الشريف سعيد بمرل صحوة يوم الاحد المذكور الشيخ سعيد المعوفي والسيد علي ميرماه وأتيا الى القاضي ماساق الشريف سعيدا وأمروه بكتابة حجة بالدفير العام وكتب لهم حجة بذلك وأمر منادا يأتي في الشوارع كل من لم يأت الى محكمة القاضي الآن فهو مهوب الدار مصلوب الا اعتذر فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام وقرأ عليهم المعوفي الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة وسمعوم ان الشريف سعيدا قد ولاه السلطان مصطفى شرافه مكة وأبده السلطان أحمد وقد رأيتم ما صار عليه من هذا الباشا فيجب عليكم بدل اطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق فيما هو كذلك ادصاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل واطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المعوفي والقاضي ومن معه وفرت العالم من المسجد فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر للشريف سعيد واجاره مما وقع فخرج ومعه المعوفي والسيد علي ميرماه وجماعة من العلماء والمفتي وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى في هذا الامر وقال من أمركم أن تنادوا في العامة وانما في الرأي هنا لك ان يكتبوا كتابا الكيخيا الوزير سليمان باشا خطابا من الشريف سعيد وأبيه بان لهم عليهم دعوى الى القاضي فان لم تحب وتمتثل كفرت وأرسلوه مع درويش كان حاضر المجلس قال لهم أنا أصل بهذا الكتاب اليه بعد ان لم يوافق أحمد على ايصاله فأوصله ذلك الدرويش الى الكيخيا المشار اليه فلما قرأه أشرفه على الشريف عبد المحسن وكتب الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد بحضور بارو الصحبة لله ولرسوله وانك ان شاء الله عدا لابد لنا من دخول مكة والكيخيا معنا وتكون الدعوى عليه بحضور بارو الصحبة لله ولرسوله وانك ان تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد وتترك مالا طائل تحته فان أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد رئت مني

وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولي عليها علان ابن عبير الحسيني وكل ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة وفي سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع في أواسط رمضان اصلاح مواضع في سطح الكعبة الشريفة كان يتكرر كف المطر منها الى أسفلها ومنها مواضع عند الطابق الذي على الدرجة التي يصعد منها الى سطحها ومنها مواضع عند الميزاب وكان الصلح الذي في هذا الموضع نفسه مضرا يسيل الماء منه في وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذي بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان وموضع تقعر الروازن التي للقصور وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجص وكانت الاخشاب المطبقة بأعلى الروازن التي عليها الماء المرتفع في وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان الا الروزن الذي يلي الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذي يلي الركن العربي قد تخرب بعض الخشب الذي في حوضه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة وكانت الكسوة التي عليه قد زال تسبيلها فشعرت وكان الروزن الذي يلي الركن اليماني منكسرا فقلعوه وعوض روزن جديد وجد في أسفل الكعبة وقلت وهذه الروازن لا وجود لها الآن فانها سدت جميعها وأصلح في الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل شهر رمضان هذا ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم أحد من أمراء الجراكسة على التلبس بالسلطنة خوفا من محاصمة العسكر وحسبما أن يقدموا على قتله فانوا الخليفة العباسي وأمروا عليه وسلموه بالحرم وهو (المستعين

بالله أبو العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي المصري) بعد التمنع الشديد منه فولي السلطنة في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودي ثم خلع المستعين بالله من السلطنة ولقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمودا الردي وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم حاجب حجاب ثم قدم أمير ثم ولي نيابة طرابلس ثم أمره تيمور لنك لما أسر نواب البلاد الشامية ثم هرب منه وبقيت له أمور وقع من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وجهز اليهم (١٣٦) عسكرا كثيفا وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل وصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا فدادما مهيبا * وكانت أسواق ذوي القلوب بافقه عند ملوكه فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والصلاء ويجل قدرهم * وفي أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة حيث بيعت الغرارة الحنطة وهي حمل جمل معتدل بعشرين دينارا دهبا وكان عاما في جميع المأكولات بحيث بيعت الطبيخة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان في سنة خمس عشرة وثمانمائة * ومن أعجب ما وقع في ذلك أن جملا كان لجمال يحمل له الغرارة وفي يحمله فوق طاقته في حادي الآخرة من تلك السنة فرمى صاحبه ودخل المسجد الحرام وليرل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه بعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفي ووقف هناك

حروف

تحاه المعبر وبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك * وفي هذه السنة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعمدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد وفي سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبي نمي بن بركات ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشامي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وقفا المستنصر العباسي وعمره واستأجره من قاضي مكة ومئذ القاضي جمال الدين الشافعي اجارة طويلة مائة عام بأربعين

الدمة وهذا اعلامكم عليها والسلام فلما جاءهم الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا طرا روهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن علي

﴿خروج الشريف سعيد من مكة الى الهجمة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة﴾

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الاول ونزل الهجمة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن حميد وشرفا بن مبارك بن وصل وأما أخوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة قال الشيخ أبو السعيد السحاري ابن عم صاحب الترجمة أخبرني السيد الشريف عبد المحسن ان يفرش له دار السعادة وطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك وقال لا بأس قال وكان واقفا معنا الى أن فرشناه وهو أمر بالجلوس الجالسة في العرش ولما ان فرش المحل خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول طلع الى ثبان الوزير بشماس جيدان بالمعايدة بعدان أودع طارقته للسيد عبد الكريم بن محمد بن علي

* ﴿دخول الشريف عبد المحسن مكة منزلها امارتها﴾ *

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحد بن زيد من أعالي مكة ومعه عمه وهم في الدروع الصافية واللامات اللامعة الصافية في الاي أعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر بين كاوع الشريف سعد وما انصم اليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه وليرل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط في الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضي والمفتي والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما ان سليمان باشا معزول من قبلنا على الحرمين الشريفين فأينما قدم فاقبضوا عليه واقتلوه من رأى فيه صلاحا للعباد والبلاد فليرأى فيه عيرذلك عزله وسجنه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا خطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا مجميعا بتمامه بعد تمام القراءة نادى المبشرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي والرئيس دعا من أعلى رخام على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبد المحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئ له وجلس للتهنئة وقابل الناس بشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم وألبس الامراء والارباب المناصب على العادة ونادى المبادي في شوارع مكة بأن نبيه وبنيت له بمكة ثلاثة أيام واستمر اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد

ألف درهم بورن مصر وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب منه البيمارستان المذكور ويهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمم ما يحتاج الى ترميمه وأن ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به ايوانا وصهريجا ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة به والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ولا يحرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم واذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة (١٣٧) وجعل النظر على ذلك لولده بركات وأحد ثم من بعدهما للارشد والارشد من ذريته المذكورون الاباث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاء الدين أبو حامد محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من سفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما استحكم فيه المالكي لان متأخريهم أجازوا وقف المشاع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما واستمر الى أن خرب ودثر فاستبدل مرارا آخرها ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكجراتي ورباط الخواجا الطاهر واشتريت دور أخر وعمر في مكانها المدارس الاربع وبيد

حروف اسمه فعزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة ابن موسى بن ركبات بن أبي نمي فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضي والمفتي والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)

ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا اني نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة فأهل لذلك فأمر حينئذ القاضي عبد راده المكي أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبد المحسن من ولايته مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما رضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به والياً علينا ثم أمر القاضي أن يسئلوا ثانيا هذا الذعان منكم عن غير كراهة ولا اجبار على شرط أن لا تكلفوه مالا يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه مالا يستطيع وليس مرادنا الا الاصلاح للبلد وما وضع معه في اصلاح البلد وما وقع فيها من فساد فعليها ارالته فصدق عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور وبعد ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه وأتى فروة للسيد مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جري العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا هناك ساعة وتعاهدوا ثانية على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعا فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات بن محمد وجلس لتهنئة وخلع على أرباب المناصب والعساكر والخدم ونادى المنادي أيضا ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودي له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء فقصائد وأما رهم هذا وأما ما كان من الشريف سعيد فانه توجه الى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا اليه ما فعله به ابن عمه واستنجده فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل بني ابراهيم واستمر بديارهم أياما حتى اجتمع اليه بعض حرب منهم ومن جهينة وآخرون من لفق هناك فأخذ يدبر فيع وأرسل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالحارية وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر وارتبن حبا من حب لاهالي مكة وجدة كان هناك من بقية

(١٨ - تاريخ مكة) مؤلفه مدرسة الحنفية فيها جزى الله خيرا من كان سببا في انشائها وسيأتي بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص ممالك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أتى على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وهو الخامس من مماليك الجراكسة وصار يدبر بمملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الى أن صفا له الوقت فعلم الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة للسلخ بقيت من شعبان سنة أربع

وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطعونا فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة * وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين ططر الظاهرى فى يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق أتقفه وقدمه ولا زال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة الدوب ثم أمير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الامراء المخالفين له وقدم المحالفين وله آثار جميلة ومقاصد حسنة جليلة * من أعظمها

أنه فر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب تحمل له من خزينة مصر فى كل عام وجعل ذلك له فى مقابلة ترك المكس على الخضر والفواكه والحبوب وغيرها بمكة وأمر أن يكتب عهده واعتراف بذلك على سوارى المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا باسقاط المكس الذى كان يؤخذ على الخضر والفواكه من المأكولات وان لا يكلف شريف مكة على أحد القرص منهم والسوارى المكتوبة بهذا العهد موجودة فى المسجد الحرام الى الآن * ثم لما سخر الله للملك الظاهر ططر مملكة الشام وحلب عاد الى مصر فرض فى أثناء الطريق وصار يتعلل فى مصر ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة ولا كمل فرحه بالملك وما أمهله الدهر بل سلبه الملك وأسلمه الى الهلك وتوفى يوم الاحد لاربع مضين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوما شعروا

* وولى بعده فى يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر * وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار اتابكه ومدبر مملكة الاتابك جانى بك الصوفى الى أن تغلب على الاتابك سباى الدقماقى فقبض عليه وأرسله الى سجن اسكندرية وصار أتابكا فى مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه فى يوم الاربعاء لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما واستمر بعد الخلع عند والدته فى القلعة الى أن توفى بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما * وولى

الحرابة وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمر سائرا به ينفيع الى أن جهز عليه مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله بن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف وعسكر فرحل بالصفراء على مبارك بن رحمة فكساه وكسا بقية المشايخ وأقام هناك يستجلب العرب ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوى بركات وذوى شنبر وآخرون من بنى حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا فى الرعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد الله بن محمد بن بركات ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم جوابا غير لائق فأقاموا معه الخلاف فسارت الاشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بما معه من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر فما بهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم محروا طلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة فألبس المبشر وداره على دور الاشراف كما هو العادة فى خبر النصرة فألبسوه الملابس الحسنة وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبوه الشريف سعد فبعد أن خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة عنده مكفولا مكفوفا معاملا له ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبد الكريم بعث اليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فاجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحى الشرق ثم بعد رحيله جمع جماعة من الروقة ومحلد والسفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصده وكيل الدرة السيد عبد الله حسين بن جود الله وكان معه من الاشراف السيد مبارك بن أحمد بن زيد وعبد الله بن أحمد بن أبى القاسم وجماعة آخرون كانوا بالطائف فى عملة الشريف عبد الكريم وكانوا يخافون على السعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم من تغلب بنى سعد وغيرهم وتجهروا للقائه فهم بملاقاتهم فشبطه السيد أحمد بن زين العابدين بكتاب منه عرفه فيه ما أوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبد الكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى المعابدة واستمر هناك متهيأ للقائه فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد الى الهجاه ونزل بها وهى محل على ميل من مكة تماما يلى الجعرانة وسار فى آخر الليل بمن معه فما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برسباى السلطنة وتلقب الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى ﴿ وهو الثامن من مماليك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس وبيع فى بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الامير دقماق الظاهرى نائب ملطية وقدمه الى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وحرت عليه سكاه وجيوش الى أن ولى الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم جعله دواداراً واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذى قدمناه واستقر فى السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه ﴿ ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو فى تحت ملكه عصر لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سياسيا ذا وقار وسكينة متحملا فى مادته (١٣٩) وموكبه محبا لجميع المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسى وعمر بالقاهرة المدرسة الاشرفية وهى من محاسن مدارس مصر ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما فى سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفى أول سنى سلطنته أرسل الامير مقبل القديدى وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بناءها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تأكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التى ترتبط فيها كسوة الكعبة قد تأكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة عمل مسمار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الاحكام وأتقنه غاية الاتقان ﴿ وفى سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الاشرف برسباى أمير الحج بمكة يقال له مقبل القديدى الاشرفى بقلع الرخام المفروش فى باب الكعبة وجدرانها من داخل لتجربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا عبر منكسر وكذلك يصلح الاساطين التى فى جوف الكعبة الشريفة ويحكمها وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا فى سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التى تقابل باب البيت قد مال رأسها عن محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباى فى لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه فى جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة وهو الامير مقبل القديدى الاشرفى والناظر عليها الخواجا على الكيلانى تاجر السلطان وحضر فى العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم

شعروا به الا وهو قد وصل بيوت المعابدة مما يلى اذاخر فهجم من معه من البدو وأهل المعابدة فركب الشريف عبد الكريم بمن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومعاربة ومعهم كجيبة سليمان باشا وبعض أشراف من آل أبى نمى فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الخرمانية محل قريب من الهمجاء ووقعت العسكرية فى البدو وعمل السيف فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن جاران ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصلمان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد ابن شنبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من الاشراف معاتبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر فى المقاتلة الى الساعة الثالثة من النهار فصوبت فرس الشريف سعد برصاصة وصوب السيد أبو نمى بن بارس هاشم بن عبد الله برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ما ينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الخرمانية الى رأس الشعبة من ريع اذاخر دماء الناس والخيل والابل وفى الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد وولوا هاربين فحمل عليهم الشريف عبد الكريم عن معه جملة واحدة وصاروا يقتلون فيهم وصاروا هاربين وخرج من عامة الرعية أكثر من عامة المحاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى أن أوصلوهم الهمجاء فكمن الشريف سعد بستان هناك فيه اسة الشريف سعد بنت سعد بن زيد فوقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد عبد المحسن من جانب ووقف لوقوفهما من معهما من الاشراف والعرب الاسهم رموا الرصاص على نفس الدستان وكادوا يصيبون الشريف سعد فخرج من الحائط الآخر وتبعه من سلم من القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهمجاء وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد ومن معه من الاثرالة والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سليمى وهم يتحنون القتل ويهبون ما قدروا على ذهبه من الابل والخيل وقتل بين سليمى والهمجاء أكثر مما بين الهمجاء واذاخر فصاح الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله فأدخله وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام ويقيم ببستان سليمى فحكم فيه الشريف عبد الكريم فى ذلك فامتنع وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه ابدا فرجع السيد محمد بن عبد الله وأخبره بما قاله الشريف عبد الكريم فيهما هو يحدثه اذ غدره اس جهور ابن عدوانى وهيدس شيخ الرقة فطعنه ابن جهور فى يده وخدشه هيدس بالرمح فى رأسه وهربا فأخذ فى طلبهما فاقتفاه اس هيدس

الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر صفر • وفي أول هذا العام عمر الرخام الذي في أرض الحجر في باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الامير مقبل المذكور • وفيها عمر باب الحجارة أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضي الله عنه أمام هذا الباب واعلم أن باب الحجارة لا يكاد يخصص بدخول الحجارة منه الى المسجد للصلاة عليها وانما سمي باب الحجارة لانه كان مخصوصا بدخول الحجارة منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوي ويقفون بها أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعي (١٤٠) والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم وأما الحنفية في الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الائمة لجورو هذا الفصل العظيم لان مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطال ما سمعت كتب الفتاوى وتسمعت عن رواية أئمتنا الجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى بجواز ذلك وهي رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه وفرحت بها كثيرا كأني ظفرت بكنز عظيم فلا تعجل عنها فانها من مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين يعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أثبت في هذه المسئلة فقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر وهو رواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فهي قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فأحد بها تصحيحا للعمل بجواز الله والعشرين وجواز بيعه صلى الله عليه وسلم في الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي نقلده رضي الله عنه ﴿ وقد رفع الى سؤال في ذلك صورته ﴾ ما قولكم في مسئلة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المكي ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للعبد ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو معمول الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم

وطمس ورسمه في بعدها وقارا أنفسهما ثم ان الشريف سعدا سار مارا بستان سليمي وبات بالرميماء وتفرق من بقي معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مصاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر في الاي أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل مرله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة وامتد الحال الى العشاء ثم ان الشريف سعدا الماوصل الى كلاخ يامس عن طريق عفار الى اللسث ثم الى القوس ونادى في بني حسني وبني عمرو بقية قبائل وهران وعامد واطمعهم في أخذ ما تفقدة وما فيها من الاموال وأبيلوه فأخذوا القفقدة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر وبرسليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن بركات وصلوا القفقدة وحاصروا أولئك القوم فعرجوا منها وركبوا بعد اساءة عليهم وقد وقعوا اليهم كثير من العربان حتى بلغوا ثلاثة آلاف ومعه نحو خمسة أشراف فعرج الشريف عبد الكريم من مكة لملاقاتهم وحرجهم ومعه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لهم كما هالك وأمرهم بالتؤدة الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا ان يهزموا الكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح المصر فانكسرت قبائل الشريف سعد وطاب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسعوا له بذلك بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يرد لهم جوابا وكان ذلك عداسة فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد أن أوقدت قبائلهم فلما طهر للاشراف ذلك اختار بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فرجعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا بها الشريف عبد الكريم فقفوا به ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد وقصد الشريف سعد أرس عامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب فأقام الشريف عبد الكريم بالقصيدة وحمر أحاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من ان الشريف سعدا يقصد الطائف فلما دنا من الطائف بلغه ان الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلاثمائة من عامد وبرهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان وبادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا أمما كثيرة واما السيد حامد فدخل الطائف وبادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا حضره القاضي والمفتي والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك الحضر بالمسجد عند مقام الحنفي في الشامي

الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا لبركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي نص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منظر حافي باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير (فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب) اعلم رحمنا الله واياك ان شرف المسجد الحرام و روضة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ورول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا للمزيد التبرك (١٤١) والاستر حام ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأني من ذلك أو الانكار على فاعله مع انه سائغ في مذهب غير الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين رضي الله عنهم ولا يقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة مع اختلاف الائمة رحمهم الله تعالى عاملهم رحمة ونحو ما للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وان خالف امامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت بخط الصحيح للمحدث البرهاني عن الامام الثاني ان في روايته عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رضي الله عنهما وصورة ما نقل واحا نكره الصلاة على الحمارة في المسجد الجامع ومسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا يكره وهكذا أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية اذا كانت الحمارة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي ان أفتى بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسئلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الائمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الامير قبل القديدي باب الحمائر على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب ما بين هذا الباب والباب

والعشرين من رمضان وقال لهم الباشا ان الشريف سعدا جمع جموعا وقصد مكة وأحدها بالعلية والحال انه رسل عيالها ولده الشريف سعيدا وقالا دعائه المجمر عن القيام بها واعرا لها انه الشريف سعيد العدم رضا بني عمه به حيث قطع معاشهم ووقع بذلك فسادا لطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ما شاهده العالم من القحط والغلاء ووصل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه رسل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبد الكريم بما رأى وبه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من رأى المحاسن نعم لا صلح لها الا هو ثم قال اعرضها على الاعوان عند رضا أهل الحل والعقد ثم سأل الحاضرين عن الحكم في هذا المنعلب فقالوا على عسكر السلطان وعونه الاسلام دمه وقتاله حكم القاضي بذلك وكتب بموجب ذلك حجة وأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج عند الطلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم وانوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة وبرزوا في المتارس فلما أقبل الشريف سعد وقومه برزوا على متارسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا ان الشريف سعدا لما رجع الى عامه دورهران راجع بقصده وقطع أمله وعاد الى الله وسط عدد ملء مه وعديمها هو كذلك ادجاءه بعض الرمالين فقال له ان أردت ان تنال أمر مكة ولا تدلك من دخولها ولكن ان صبرت محمدا فانك تملكها فاما ام الشريف عبد الكريم بأرض اليمن فعند ذلك حدد العزم وشمر مجدا في ليله ونهاره قاطعا للجبال والرمال وجعله لعدم سلوك الجبال مركوبه في ثلاث الا ما كر فما راع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بارض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الا شرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة السيد محمد بن عمر وبن محمد بن بركات فتهيأ من معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تلفق معهم وأطلعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وجعلوا عسكر مصر الانقشاريه على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف وقاطروا وادى ابراهيم المعروف بالحريق ومعه بعض العسكر ورموا الرماص الى ان تكاثر عليهم العربان وانتشروا في الجبال كالجراد ورأت العساكر من مراكزهم ملكها حينئذ فجاءه الشريف سعد وصار رميهم بالرماص يصل الى محل وقوف الاشراف بالحريق فلما وصل الشريف سعد استمان الامر على علمت الاشراف ان لا قدرة لهم عليه فعرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير ان السيد عبد المطلب بن أحمد بن ريدكان واقفا على باب داره مواجها الاهله فجاءته رصاصة فسقط من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم

الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانتان الرخام اللتان تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة مصونة حتى ارتفع وعمر أماكن هذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الاقصلية انتهى • قلت ورباط المراغي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو من أمير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الاقصلية هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أصلهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة حديجة رضي الله عنها في هذا الباب يقال له باب الحرير بين لان الحرير يباع في هذا الباب قلت وعادة الناس في زماننا ادخال الجمائر من أبواب العباس ويخرجون من (١٤٢) باب السلام وأنا أرى ان تدخل الجمائر وتخرج من باب الحرير بين مابين مدرسة قايتباي ودار الحواجا عباد الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر تركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام واعا يقال له باب القفص لان الصياغ يصوغون الحلي في أقفاص للبيع بقرب هذا الباب • قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفي انعم الله تعالى وفي انعم الامير مقبل المدكور وعده عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المسنونة الى القاضي أبي السعود اس طهيرة الى باب الحجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي النحس من هذا الحساب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الاول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجدار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وحرب وباب علي وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب الحجلة وهو باب واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض عاليه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى • وفي هذه السنة جدد الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي على باب الحجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهي مدرسة وخلاوي

أبو في ثالث عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سبب الشدة قيامه في دفع الشريف سعد كما سنراه وتعلمت البادية التي مع الشريف سعد على الذهب من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأواعي والدكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فجاز الواحد بهون الرفيع والوضيع ويا ومونهم الصرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات فجأة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما حل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالاماس ليسكن الشاش عيرانه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عنده بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر في البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له انت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسني خلعة الشريف نتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والبادي فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي والمفتي وجماعة من العلماء وبني عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس اني كنت رلت عن شرافة مكة لولدي سعيد فلما لم يصلح لها عزلته بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه رل عنها للشريف عبد الكريم والتمست منه اقامة أودي فأبى بعد الرضا بذلك وثبت عليها الآن فهل ترون اني أحق بها وأهل لها فقال الجميع نعم فقال اذهبوا الى سليمان باشا وألزموه ان يلبسني خلعة الشريف لتقر العباد والبلاد فذهبوا اليه فقال أمر سهل لكن على شرط ان يكتب بحجة شرعية تتضمن ان الشريف سعد قد أفسد البلاد وأضر بالعباد وان ذلك سبب قيام بني عمه عليه وعزلهم له وانهم ولوا عبد المحسن رضاهم وانه رل عنها بطيب نفسه للشريف عبد الكريم رضاه ورضا بني عمه الاشراف لكونه أحق بهذه الشرافة وأصلح لها وانه خرج لاصلاح بعض الطرقات فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته ودخل مكة فلما بلغ ذلك الشريف سعد عجل بادبه بكتابه ذلك فكتب بذلك حجة وأرسل له باشا فقطانا ألبسه اياه بعد أخذ الحجة فنادى منادية في شوارع مكة سادس شوال بالامان والاطمئنان وان البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد ابن زيد

(الولاية الرابعة للشريف سعد)

وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية عشر يوما كما سنراه وثاني يوم النداء سابع عشر شوال جاء الخبر ان الشريف عبد الكريم في الحسينية قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة

للفقراء فى غاية الاحكام والاتقان والمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد التجار بين أئمة مقام الحنفى يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر درثت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا فى طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فخ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما أطل لى أحر اقيما أعطيه وقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لى تعالوا الارحن تضفوا عما تحبون ووالله ماهذا عندى وهذا الحصى الاجمرة واحدة وكان حرج على الهادى (١٤٣) العباس عمكه وقاتل خالد اليزيدى ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخر من قبل الهادى ورأى الحسين ابن على فتح وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة أشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحملت رؤسهم وهى مائة رأس يقدمها رأس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الصحيح اليه يشير ورد ى أبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نعى فصلى بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل هذا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين يبرأ الله بأكفانهم وحنوطهم من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعند الباسط هذا هو ابن خليل ابن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى أيام الظاهر ططر فى بعده كان عربا رئيسا كريما نافذ الكلمة على الجاه واسع العطاء كبير الهمة له فى كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبعزة وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له محابة للفقراء تنصب لهم فى الطريق ليستظلوا تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والفستق والبطيخ ويطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى مكة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر موسم الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان منكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها وعماها الى ان فاضت وكثرت فى

وحرب واستمر هنالك الى الظهر وانتقل منها الى المغمر وقاومته هذيل وقوموا شرارا لحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جار الله معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فانهزموا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره هو ومن معه الى المغمر خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقى ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة وزل المعجى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل تمروا على ساعد الجدود خلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف فى بعضهم البعض فصرعت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الارض ونودى عليه ودخل على السيد عبد المعين بن محمد بن حوفا كب عليه ومعه من الطعن ويقال انه طعن ثلاث طعنات فاركنه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع لقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل فى جماعته وهرب من هرب منهم الى جمورا لعدوانى ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سليمان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة فى أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودى فى تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالعلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فأديت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم ترهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع تلك البادية وبات تلك الليلة هنالك ودخل فى الصبح ثامن عشر شوال فى ألاى عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما رأوا هزيمة بين دخلوا دار السعادة وجماعة دخلوا دار جوهر أغا وغيره من البيوت وجماعة فى جبل أبى قبيس بزاوية الشيخ بابق والبيوت التى حوله فأقاموا بوهم وليلتهم محاصرين الى الصحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التى فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب ودخل العسكر وقتلوا كل من هنالك وربطوا جماعة ودهموا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هنالك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق

زمانه * وقد ذكر شيخ الاسلام قاضى القضاة بمصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى ان الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثى قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها فى كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع تلك القرية الى ان وصل أمرها المؤيد شيخ الى الربى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فمنعت وكثر ريعها وبالغ فى تحسينها بحيث يحير الواصف عن وصف حسنها حراه الله على ذلك خير الجزاء اه وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل فى مثل هذا التأليف العظيم * ورأيت أنصافى شرح ايضاح المسالك للسيد نور الدين على السمهودى الحسنى عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية فى هذه الاعصر من وقف قرية يقال لها اسديس فى طرف القليوبية مما يلى القاهرة اشتراها السلطان الصالح اسمعيل بن السلطان محمد بن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها لان تكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية فى كل خمس سنين مرة على ما قاله الربى المراغى ودلك فى عشر السبعين وسبعمائة * أقول هذه القرية موجودة الآن بمصر لكن ذكر لى من كتبة ديوان مصر الفاضل الكامل مولانا مصطفى جلبى بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف المدبر كره الله تعالى بالصالحات ان هذه الاوقاف سمعت جدا وقل محصولها وصارت لا تفى بكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخر اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهى باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة فى كل عام * ولنعد الى تكميل ترجمة القاضى عبد الباسط * كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة وتولى السلطان الملك الاشرف برسباى يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة * وفى يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائى ولا زال يقوى أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباى بعد ان تسلطن نحو ام خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد

الاسم توارى ثم تعوام كانوا فى جبل أبى قبيس فقتلوهم حتى وصلوا بالقتل الى الصفا وكانوا نحو السبعمائة وكان يوم سمط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة القتلى فى ذلك اليوم ألف ومائتا رجل حتى نحر الناس عن موارثهم وصاروا يحملونهم على المحلات ويرمونهم من رواشن دار السعادة واسطحتها الى الارض فيحرونهم حر الرمم ويلقونهم فى المحلات ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس فى حوش الشريف وحملت فى الحيش ويبنى منها رحمهم على نمار رحمه سبيل السلطان مراد فى المعلى لعتبر المارين بهم ولا حول ولا قوة الا بالله واستمر الشريف سعد بالعامرية مريضا حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاحد خامس ذى القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتى الصديقى بوصاية وعهد منه اليه وطلع فى جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن فى قبة الشريف أبى طالب عبد والد الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة الاولى مدته فيها ست سنوات الا احدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدد الولايات الاربع خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام مع تفرقه وولادته سنة اثنين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة رحمه الله تعالى وفى هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات وصارت الناس توحد من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل ان تجد أحدا يمشى منفردا وحده فيها لكثرة العربان وانتشارهم وكثرة القتل والنهب سيما جهة المعابدة ومما اتفق ان عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هديل واثنين من قريش قريبا من السد فحرجت هديل فى صبيحتها فى نحو مائتى مقاتل الى ان وصلت المعابدة فوجدوا هناك حيا من عتيبة وفيهم هيدس شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم فى الطريق وركبوا خيل الخدمة وصرخ صارخهم فارتحت لهم الارض فركب السيد أحمد جاران فى جماعة من الاشراف فأعطوهم الامان فلم يأمنوا الا ان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالمعابدة فلم تزل بهم الاشراف حتى رحلوا عنها بعصر واحد وأقاموا عشرة أيام وبادى السيد أحمد جاران الهديل انهم فى ضمانه وأمانه ووجهه ثم ان عتيبة رحلوا عصايا ونزلوا بالحجيت على عير رصى واستمر الحال والخوف الى أن دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن بادى بان هديلا وعتيبة الكل منهم فى وجهه لا يعد أحد منهم يده على رفيقه وسكن الاضطراب وأمنت الناس وفى اليوم الحادى والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله ابن

الاسم * وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر
الدين أبا سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من
جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك أينال اليوسفي فنسب اليه فقيل له جقمق العلائي * ثم انتقل الى الظاهر برقوق
فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا * ثم صار في دولة الناصر ساقيا عنده * ثم صار أمير عشرة * ثم صار في دولة المؤيد خير دارا * ثم
صار من مقدمين الالوف * ثم في دولة الاشرفية صار حاجب أحجاب * ثم أمسى أحور كبيرا * ثم أمير سلاح * ثم صار أتابكا الى ان تسلطن
فخرج عن طاعته الامير قراقاس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم (١٤٥) قتله * ثم خرج عن طاعته نائب حلب يلبغا

اس بركات بحيران الشريف سعيد اقدم من الحارية الى ينبع ومعه من لفائف العرب جماعة يريد أخذ
البندر لما بلغه ان أباه دخل مكة فحرجه الله وردد باه مرجع الى الجارية وأقام بها وبعد استقرار
الشريف عبد الكريم بمكة كتبت عروض مصر ومن سليمان باشا عا بالوط العلماء والاشراف
بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر أخروها عصر لمواطئ بين أيوب بك أمير الحج المصري و بين
الشريف سعيد لما كان في نفس أيوب بك من صاحب جدة وكتخداه من مصر عوضا عنه بها
وأرسلوها الى الابواب السلطانية فعرضوها على صاحب جدة عزل الشريف سعيد وولى الشريف
عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان
يجهز عسكرا بتجريده ليرجعوا الشريف سعيدا الى مكانه ويكون باشا التجريدة أيوب بك فلما
علموا الامراء السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بك أمير الحج المصري وابوار بك على
ارسال التجريدة الى مكة اعانة لشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض
الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة ووصل بها الى الابواب فاراد الوزير كتمها
فما خبرها الى السلطان أحمد فامر باحضارها فقرئت بين يديه فاستدرك الامر وكتب الى سليمان
باشا صاحب جدة بان يطرد محمدا هو الاصلح للحرمين وهو من الله الامر أن يولي من فيه الاصلاح
فجهز صاحب مصر التجريدة وجعل ابوار بك باشا التجريدة وأيوب بك أمير الحج المصري ومحلوا
محروسهم وباعوا حب السلطان المعين لاهالي مكة واستعانوا بشمه على ما أرادوه فوردا ابوار بك
بالتجريدة الى ينبع في ذي القعدة وسألوا من الشريف سعيد فاخبروهم أنه بالجارية فبعثوا اليه
واستدعوه وقد محلى من كل أحد الا السيف وأمسى حي من طروق الطيف فاعادعا يهم الجواب
بالاستدراك لعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه في هذه القضية فعادوا اليه عما يليق
بمقامه من جهازه وخدمه وطعامه فاقبل الى ابوار بك في أردية الاقبال محفوفا بالعز والاجلال
فعلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود أغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له
بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من حضر مصر من
كل بلد رجل ودخلوا الى قاضي مكة وبيدهم كتب من ابوار بك أمير التجريدة ومن الشريف
سعيد وبها خطاب لقاضي مكة وللسراديز وفحواه ان السلطان أنعمت على الشريف سعيد
شرافة مكة فاتم أطيعوا الله والرسول والسلطان وابا كم والمخالفة وقد أرسل قفطان الشرافة
الذي ورد به محمود أغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد وهو وارد صحبتنا ووقع هذا الحال
ورود ابينبع ثالث شهر ذي القعدة ووقع بمكة لموجب هذا الشان رجة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف

رمش * ثم أينال الحكمي
نائب الشام فهزمهما
العساكر فقاتلوهما
واحدا بعد واحد وظفر
بهما وقتلهما وبعد حول
صفا له الوقت فاخذ
وأعطى وأقدم وسطا
وكان متواضعا محبا
للفقهاء والعلماء والصالحين
يميل الى تربية الايتام
ويحسن اليهم عفيفا عن
المنكرات طاهر الفم
والذيل لا يعلم من ملوك
الجراكسة قبله ولا بعده
أعف منه وكان على
قاعدة الاتراك الدعوى
عنده لمن سبق بذاكر
مسائل فقهية وتعصب
لمذهب أبي حنيفة رضي
الله عنه وملك مصر نحوا
من خمسة عشر عاما الى
أن أورى الدهر له من
زنده نارا واتحد بدل
عيشه الاخضر بالموت
الاحمر ولم يحد له أنصارا
واتحد تحت الارض بعد
تحت الملك قرارا وانصرف

(١٩ - تاريخ مكة) الارض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة * وكان الظاهر جقمق أول ملوك الشفت
الى مكة المشرفة وأرسل خلعة وأمر اسيم للسيد بركات بن حسن بخلاف ولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدي ليكون أميرا على
خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة
انه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة
فدتا كل وتأكل خشب الروازن الاربعة التي كانت في سقف الكعبة التي كانت للصوء فعيز ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة
واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين

حمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورمم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة تجاه بابه وأصلح الرمرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التي تلصق بدار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله التي هي علامة للسعي بينهما وعين في كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم اشريف في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان نصي. للمعتمرين وفي بعض ذي الحجة للاعانة على الحج اذا أرادوا السعي وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة ثم عمر الامير سودون المذكور ما تثلم من المواضع المأثورة في مني وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد عمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المارين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحامل عند مراحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت السراق تكمن تحت الاشجار وتذهب جميع ما تظفر به من الحاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخور الكبار وسط الطريق ووسعها وشكره الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تصير في طريق المسلمين والا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع درحمه الله تعالى وأثابه الجنة وكذلك الامير خوش قلدي نائب جدة في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمائة

عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع ماينا في ذلك وان القفاطين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر مزيف وبه قيام أيوب بك أمير الحج المصري مع الشريف سعيد لعرض في نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا في المسجد جمع فيه القاضي والمفتي والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا اني دخلت مكة وقد حل بها ما حل من العلاء وانقطاع الطريق وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون اني ظللت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعد أن وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث مني من المظالم ما يوجب رفعي عنها قالوا حاشا الله قال هل ترضون بولايتي عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لا نرضى الا بك قال هؤلاء الاتراك يريدون توليه سعيد وعزلي فقالت العامة باطل باطل على لسان واحد ثم ان الاشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضي ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لا نسلم لما جاء به ايوار بيك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد فنحن لا نعصي أمر السلطان غير ان السلطان لا يرضى علينا الحلاف ولا يولي علينا الا من رضاه فسجل القاضي صورة ما وقع في هذا المجلس وكتب به محضرا ورسمت خطوط الاشراف والعلماء والسادة عليها وبعثوها الى ايوار بيك فاجاب ان صحبتنا أعانة من أغوات السلطان معه أمر سلطاني ناص بان شريف مكة لا يكون الا سعيد اوليس لنا قصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا به فاذا وصلتنا نخ والشريف سعيد اليكم أشرفتم على ما أمر نا به ويحصل هذا الاتفاق ان شاء الله تعالى فاعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يحاس في موضعه الى ان يرحل الناس من الحج ثم ندعوه الى مكة ونظر في الامر فقال ايوار بيك لا نمكن دخوله صحبتنا فارسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم بها عنوة بالا السيف فاجهدوا وبعهد بعد ذلك تحالف ايوار بيك ومن معه من العسكر المحررة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالحوم من وادي مر وهم الشريف عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو يقاتلهم فصرح رابع ذي الحجة الى نرطوي في عبيده وتلاحقته بنو عمه الاشراف فما غربت الشمس الا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادي وهو بحر عاص بالبوادي واستمر الى سادس ذي الحجة ومن الغريب انه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر سلطاني من البحر مصحوبه اتقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيمال على ما في يده من تفويض أمر الحرب والامر اليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن يرضاه أهل

قطع أشجار السلم ما بين المارين وكسر الاحجار ٢ في سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك الحل عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون تحت تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتي شيء من عمارته فيما بعد ان شاء الله تعالى ٣ وفي موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم ٤ وفي سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام وأجاط رأسا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين الصاعد الى المعلاة صار الآن في عصرنا ستارا بعمره خوجا فيني مولانا محمد بن محمود أفندي ٣ بياض بالاصل

وسعى مكة المشرفة فى سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه لخانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكى سلطان رحمهما الله وهو الآن فى تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة * وفى موسم سنة خمسين وثمانمائة أضاح وريمن وراء السلطان مراد اشاى طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جزيلة لاهل الحرمين الشريفين ورمى فى ركبه العباس بالحرم الشريف ثلثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرجها السقاؤن الى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله * وفى سنه اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجاى الجانب الشرقى قطعة من جدار المسجد الحرام يلى (١٤٧) رباط السدرة الذى هو الآن رباط الشرف قاينه اى وعمر شباك الخلوة منسوبه للشيخ عفيف الدين بن عبد الله أسعد اليافعى وشباك الخلوة منسوبه للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدى وجدد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود وعمر أيضا عين حسين وأصلح مجاريها ورممها ترميما محكما ووصل فى ذلك العام كسوة للحرا سمعيل مع كسوة البيت الشريف لانه لم يجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت فى البيت الشريف ثم كسى بها الحجر الشريف من داخله فى العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة عدان حفظت فى جوف البيت الشريف سنه كاملة * وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة مرات فى عرصة كانت دائرة معلوة بالتراب فأخرج تراها وأسفلها وساق اليها الماء من الآبار التى بقربها يشرب الحجاج منها وعمر مسجد عمره بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما فى جهات الخيرات رحمه الله تعالى * ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجى الامير دبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ورد حل صبح تلك الليلة من أعلى مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالخيف وهو موضع بمنى الى عشر جمادى الآخرة بمضى انه ولى نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون متسببا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشر هذا مع التمكين وعمر فى أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام * وفى هذه السنه آجر قاضى القضاة أبو

الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده وبعث سليمان باشا للشريف عبد الكريم يخبره بذلك فارتاحت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فالناس القاصد ودق الزير وأظهر السرور واستفاض الخبر عند القاضى والداى ففرح الناس بهذا الامر ثم ان سليمان باشا خرج من جدة ونزل طوى مع ولا يا الشريف عبد الكريم ثالث ذى الحجة ثم لما كان خامس الشهر دخل سليمان باشا القاضى والمفتى وبعض العلماء وأكابر العساكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر الانقشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبد الكريم والوزير سليمان باشا وتشاوروا فى هذا الامر واتفقوا على انهم يرسلون لابواريك ومن معهم ويعدلونهم عما فى نفوسهم ويحذرونهم فتكة بنى حسن الاشراف ويعرفونهم عما جمعوا من العرب وان هذا أمر يترتب عليه ابطال الوقوف وأداء المعاملين والسلطان لا يرضى بذلك فان كان معكم أمر بعثوا به الينا ونحن مطيعون لامر السلطان وكتبوا ذلك كله وبعث القاضى بالكتاب مع جوخدار وبعض المماليك فلما قرؤه اصطربوا وشاوروا الا بعضهم اليه الا انه كان من قضاء الله وقدره ان سليمان باشا نزل الى القاضى بالمحكمة سادس ذى الحجة قبل ورود الجواب اليه من ابواريك وأراد ان يجمع وجوه الناس عند القاضى ليظهر أمره الذى بيده ليشهد عليه الناس وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم وان عزله للشريف سعيد وقع فى محله فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الانقشارية على الباشا والقاضى والعلماء ورماشهرت السيوف فى المسجد فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده وعند القاضى فاخرج القاضى سعورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الانقشارية وصموها ما فدولياالشريف سعيدا مكة وردد باه اليها بعد عزلكم فاتبعوا أطيعوا الله والرسول وأولى الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراد وقال له الا ترالا ادهب أنت والقاضى وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من لمد السلطان والاقاتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضى وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى فسألوه ان يحقن الدماء ويقسم شعار الحج بحروحه من البلد الله ورسوله فجمع الوادى والاشراف وأخبرهم بما جاء به القاضى والوزير والعلماء وأطاعوه بعد تأب من الاشراف ورحل ممن معه يوم السادس من ذى الحجة الى الركابى وبعث الى الشريف سعيد والى ابواريك والى أتوب بيك أمير الحج المصرى ان ادخلوا فانى آخرت اللقاء الى بعد الحج وعودى للشريف سعيد بالوادى وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحرث ومحمد حروح الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق وحصل النهب فى طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن

السعادات بن ظهيرة الشافعي رباطا رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفي ثم أمر بعمارته رباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف الناجي ردينل وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذي هو باق عليه الى الآن وفي سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تقضي الامر باحراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباي وان تبقى كسوة الملك الاشرف الظاهر جقمق وحمدها ففعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك الراكز بمكة الامير جانبك النوروزي وولي عوضه في منصبه ناظر الحرم الناجي ردينل وفي (١٤١) سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر

وحضر عرس الحج خلق كثير ثم ان الشريف عبد الكريم ركب من الركابي وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي ومعه جماعة من الاشراف واجتمع به في وادي الحوم ثامن شهر ذي الحجة وسار معهم من الغد اسيرا مانولا مسه الدافع الكثير كما ستراه ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم السابع من ذي الحجة ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري ومعه صوأر بعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد الكريم في عساكره وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط في الطيم وفتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذي بسوبقة *(الولاية الرابعة للشريف سعيد في ٦ ذي الحجة سنة ١١١٦)*

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا وأراد أن يبيت بقطان الى مبى فاتم الشريف سعيد من تأخيره وبعث به اليه وأنسه في منزله ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا وحرمي ولم يبت بها وقف الناس وكانت الجمعة بالجمعة وحصل للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد في هذه السنة من العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحي غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصري والشامي غير جماعة من أهل الحوامع المحم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم اشترى كشا بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى باطرا السوق الذي كان في زمن الشريف عبد الكريم وهو مصطبى الحاشجي وأنسه في زمن الحج قفطان الناظر في السوق والعادة الجارية ان يبطل حكم الناظر في زمن الحج وفي الخامس عشر من ذي الحجة ولى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف نواحي السعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا أمير الحج الشامي فبعث اليهم الخيام والصواوين وجعلوا بيدهم سميرا السيد عبد الله بن عمر وبن بركات فتقدم عليه مولانا الشريف سعيد وبعث اليه يهاه على الدخول الى مكة فسمع ذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله المذكور السلطان وأنا باشا السلطان جاعلين همهم وأتبعه بيرم باشا عسكر يعشون معه أينما أراد وكان يمشي بهم في شوارع مكة كرها واستمر الشريف عبد الكريم بالسعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا في بعض ليالي الحج واستمر عنده الى نصف الليل أو قريبا منه ورجع عنه وفي مدة اقامة الشريف عبد الكريم بالسعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أدى للناس بطرقهم الطارق أمما ولا يسير الى مكة أصلا ولم ترل الرسل بينه وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامي ثم ارتحلت الاشراف الى البقاع من أعلى الحوم وشاع في العامة انهم يريدون أخذ الحج المصري وقتل أيوب بيك ودخله من الخوف ما أخره

عن

جقمق رادينه مرصعة فخلع نفسه من السلطنة في يوم الخميس لتسع بقين من محرم من السنة المذكورة لولده أبي السعادات محمد الدين عثمان * ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة وورثى الناس به واطمأنوا وهو الحادي عشر من مماليك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل الاتابك أينال العلائي أمير كبير القبة والطير على رأسه وجلس على تخت الملك في قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفي والده بعد سلطنته ولده باثني عشر يوما وقعت وسنه تسع سنين الا مراء فخلع الملك العزيز عثمان * وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر أينال العلائي في صبيحة يوم الاثنين لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وهو الثاني عشر من مماليك الجراكسة وأولادهم وهو وحركسي جداه الخواجا علاء الدين

الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل في الدولة الى ان صار في أيام الاشرف برسباي أمير مائة مقدم ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله تابكا واستمر الى أن تسلطن وتم أمره في الملك وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية تحيث اشتهر بأينال الاجدع وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا عن الخطأ والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم في الناس وفي ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الامير بردبك التاجي وولي عوضه أمير الترك الراكز بمكة شيبك الصوفي وطوعان شيخ الحرم ومحتسب مكة وولي مشدا على

جدة جانى بلد وهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبار وغرس فيه ما قدر عليه من الاشجار حتى شجر التمر هندى وأدركه فيه ووقف عليه مستغلات بمكة ولم يقع فى أيام الاشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا الى ان خلع نفسه من السلطنة وعقد لولده * (الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد أبيال) * فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابك حين قدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام أو ولى السلطنة عوضه * (الملك الناصر سيف الدين جقمق العلائى الظاهرى) * يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو (١٤٩) وردى جلبه الحواجا ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تغلب فى الدولة الى ان جعله الاشرف أبيال أتابكا لولده فجعله وتسلطن مكانه وكان محببا للعسكر يركبى الكعبية الشريفة فى أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرف والحاجب الشامى بيضاء حمامات سود وفى الحمامات الى جانب الشرقى بعض ذهب وأرسل فى سنة ست وثمانين وثمانمائة مسيرا وكان من خشد فركب فى يوم الاربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى المحرم وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصفا تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفى فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة * وتسلطن فى ذلك اليوم خشقدم الاتابك الناصرى * (وهو الملك الظاهر ابو سعيد المؤيدى) * فخلع على الامير عز بعا الظاهرى الاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من مماليك الجراكسة وأولادهم وكان صغيرا عن تدبير المملكة فجعله الامراء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين الا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه * (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى) * وهو الخامس عشر من مماليك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا الى ان جعله حاجبا ثم سلحدارا ثم حرندارا كبيرا ثم دوادارا ثانى ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الظاهر خوشقدم فصار مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر يلباى أتابك العساكر ثم

عن السفر فى معتاده عقب النزول من منى يومين أو ثلاثة فقامت عليه الحاج لشدة ما لحقهم من الغلاء وعدم الوجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذى الحجة وكان سبب اقدامه على السفر بعد ما حصل له من الخوف ان السيد ناصر الحرث وجماعة من كبار الاشراف خرجوا الى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤا معهم على حاله وتكافلوا على ما يصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الامير مسافرا وخرج سالما الا أنه وقع نهب فى أطراف الحج المصرى وهل تحرم الحرام افتاح سنة ألف ومائة وسبعة عشر وفى سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من الاشراف طمعا فيما يجرى بينهم وبين السيد ناصر الحرث من العهد المتقدم فمر لوا على مولانا الشريف سعيد داره التى بسوق الليل ولم يحلف الا ذرو بركات فان الشريف عبد الكريم أظهر أنه يريد التوجه الى الشام بمن معه من دوى بركات ثم عن له أن يرتحل الحيماء ثم ارتحل منها الى محل يقال له دغيم ومعه من المال وما لا يحصى ولم يزل الى أن نزلت عليه قبائل حرب فشمتهم وقالوا لا نفارقك حتى تموت أو تموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الامر فجمع كلوا الاشراف وأطلعهم على ما لعه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب اليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه اليهم فما أجابه منهم أحد الى ذلك هذا فعل من معه فى عملته وأما بقية الاشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلموا منها ما هو لهم فاخذ فى جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيأ بعد شئ ثم تحهز وخرج الى طوى وأقام بها أياما الى أن لحقه الاشراف الذين فى عملته ثم سار مريدا الشريف عبد الكريم وأودع البلاد السيد احمد بن حازم وبعث الى هدبل فاقبلوا عليه فلما رصلوا منى مروا ما وجدوه من أموال الناس فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب فلما شارف الشريف سعيد جدة زحف اليه الشريف عبد الكريم من معه فركب اليه جماعة من الاشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى يطرق أمرا مع معه ومعن فاجابهم الى ذلك فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بان الشريف عبد الكريم مقابلك بعد ان خرجت اليه فان لم تصلحه والا فلا بعد هذا الا الملاقاة وقد أخذ منك مهلة ثلاثة أيام فجلسوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفى أخروا أن يقيم حيث شاء غير مكة الى أن تأتيه أجوبة كتبه من الابواب فرضى الشريف سعيد بذلك فرجعوا الى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال انه يقبض هذا القول ولا ثلث فأعطوه العهود بان يمضى هذا فقصوا عمامته وعاهدوا الشريف عبد الكريم ويكونون وإياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا الى الشريف سعيد

تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسى الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا فيها ويرمى أحسن رمى يفوق غيره فيها مع القوة التامة ومع ذلك ماسفاله الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه أبعد رمى ومازال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى السلطنة أتابك العساكر يومئذ (السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى) * فى ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة ثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من مسارى الحمراكسنو أولادهم تقديرى مولده سلادركس تقريبا فى صبح وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فسبى اليه واشتراه الاشرف برسباى وأعتقه الظاهر (١٥٠) جقمق واليه انتسب وتنقل فى المراتب الى ان صار فى دولة الظاهر

وأخبره بذلك فقال له دلك ثم قال مروه فليرحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك انا اصطلحنا فعملوا له دلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك فارتحل من محله الى محل يقال له شعثاء قريبا من جدة وبقى بها مدة والشريف سعيد ساقه جدة تارة على طريق جده وتارة تؤمن الطرق وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف سعيدا احدث نفسه بالنزول الى جدة ومقاتلة سليمان باشا فسعى من دخولها ومع جماعة من الاشراف اعنهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بعد جهد جهيد وحاول الباشا ان يأخذ له من التجار شيأ للشريف سعيد يستعين به فما وافقه لاقرضا ولا على الرالة وأمرهم بالرجوع وأن لا يدخلوا جدة لخوف ان يؤذوا أهلها فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يريد مع عبد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة فأتاه فتوسل به ان يرسل الى الباشا ويأخذ له شيأ من المال يستعين به أو يحمله على الرالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معه للاقاة سليمان باشا فقال له وكيف نقاتل أحد ورراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى ابواريك صارى العسكر المصرى والى الانفشارية وسائر البالكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقى فى حيرة عظيمة متقلا من المال والرجال ففارقه من معه من الاشراف لذلك ولما تقدم لهم مع الشريف عبد الكريم من العهود والوفاء والمفارقة له وذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكامات الاشراف عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثاء ويا ليت صبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما استحس بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة ويودعه عزته وسرى من ليلته فاصبح بمكة وذلك تاسع شهر ربيع الثانى ولما وصل الى مكة أطلق المنادى فى شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوى شنبر وذوى حازان وذوى بركات وذوى نقبة وغيرهم ورحالهم ان لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارف السادة الاشراف من الخوف ما أوجب انهم يأووا بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن عالب والسيد أحمد بن عارم ولاموه على هذا الداء وقالوا له هذا لا يكون فانه يتأتى منه سالفة بيننا ان كل من خرج من البلد تذهب طوارفه وتقتل وهذا أمر لا يمكن الوفاء عليه لكونه مصرا بالعالم فرجع المنادى عند العصر ينادى بخلاف النداء الاول وان النداء الاول مرجوع عنه وعليهم الامان ثم انه ثانى عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتى وجماعة من السبع بالكات الى الشريف

حوشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تعرز منه وتمنع وحصلت له الاشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محمد الحسير معتقدا فى الصلحاء * ويحكى عنه أنه كان يحكى عن سيده أنه لما سافر الى مصر للبيع وهو اما من اهو أو باع كان معه وديعة أحد الملوك الحلب فتعاد نوا مع الجمال فى ليلة من ليالى شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يجيبه فقال قايتباى اما أنا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال انشانى ما أنا أطلب من الله أن أكون أميرا كبيرا وانتقلنا الى الجمال وقلنا له أى شئ تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وسار صاحبه أميرا كبيرا فكان اذا اجتمعا يقولان فار الجمال من بيننا عبد رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا باذلا له اليد الطولى فى الخيرات والطول الطائل فى اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة رباط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وعرة آثار جليلة وخيرات جميلة أكثرها باق الى الآن وجميع عمائره يلوح عليها لوائح السورانية والاناس * وفى أول ولايته أرسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولايته الحرمين الشريفين والى قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعى بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان يقرر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف فى باب السلام

وفي آخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة والتي قبلها بنى مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل في وسط المسجد قبة عظيمة هي حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى وبيت جدرانه المحيطة به وبنى أربع دوائل من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم وباصق القبة مأذنة التي على عقد باب المسجد ثلاثة أدوار صنعة الاستادين وبنى دارا بالصق الباب وكانت مسكن أمراء الحاج وعلى الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يملأ من المطر وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذي أنزلت فيه سورة المرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم بان (١٥١) الى الآن من آثار المرحوم السلطان

عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم والتوا معه ذلك وقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الاشراف منهم الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شبير وأحمد بن هراع وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد ابن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على ابوار يك فأخذوا ابوار يك معهم ووصلوا الى القاضي واستدعوا الشريف سعيدا فنزل ومعه السيد أحمد بن حازم فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقاولة اشتد زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا في اليوم الثاني مع جماعة من الاشراف في بيت ابوار يك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع الكلام وحملت المبايسة فانصرفوا على غير صفاء والاشراف يطالبونه بالوفاء ثم ان الشريف سعيدا اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على انه يعطيهم ثلث المكس وعلى ان يسعوا له في الثلث ويصيروا عليه في الثلث الباقي ووافقت الاشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح فعقدوا مجلسا لذلك الامر في منزل السيد علي بن أحمد بن بار باجياد ليلة التاسع عشر من ربيع الثاني فبيناهم كذلك عند الصباح جاءهم الخبر ان الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من الاشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيدا أرسل اليهم مرسولا يبلغ السيد علي بن أحمد يقول لهم ما هذا بيني وبينكم وهذا عين الغدر فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده وانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطبيداوي مما يلي الشبيكة وأرادوا ان ينفذوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل ووجد بعض مضاربهم وهم عسكر وعبيد للشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا ما لهم فنهبها العبيد وما فيها فبيناهم يطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشبيكة فتلاقيا فاهزم الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبي لهب ثم كر بمن معه من الاشراف وغيرهم من جماعته على الشريف سعيد فانهزمت قومه ووقع فيهم القتل فقتل نحو السبعين من جماعته ولما وصل الشريف عبد الكريم الطبيداوي وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الاشراف السابق ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد ومن معه من الاشراف حتى أوصله الى دار السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفا فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلى وترك البلد فانها أخذت فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت سردار الا بقشارية واستعانت بهم فأجابوه وحربوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت ابوار يك وعنده عسكر

فابتداى وقد غلب عليه الدثور عمر الله من عمره أو تسبب في تعميره وعمر السلطان المذكور مسجد نمرة في عرفة وهو المسجد الذي يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جمع تقديم في يوم عرفة للحاج المحرمين في ذلك الآن ولا يجمع عند أبي حنيفة في غير ذلك الحال جمع تقديم الا في ذلك المسجد ولا جمع تأخير الا في المزدلفة بين المغرب والعشاء للحاج وجعل في صدر ذلك المسجد رواقين عظيمين يتظلل بهما الحاج وقت الصلاة من الشمس وجدد العلمين الموضوعين لحد عرفة والعلمين الموضوعين لحد الحرم وبنى المسجد الذي بمرتفعة على جبل قرح وهو المشعر الحرام على رأي وجدد عين عرفات واتخذ المعمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادي نعمان

فوجد الماء بكثرة واقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ ثمانمائة وخمسين سنة وكان الحاج يقاسون في يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح ركاياها وبنى قبتها وامتلأت البركة وعم النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل مبرخشب للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة الى مكة المشرفة في البر وركب في جهة باب السلام وحوالي المطاف وخطب عليه الخطيب في أول ذي الحجة وفي سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقي وغير رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصصت الشقوق التي بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف * وفي سنة اثنتين وثمانمائة أمر السلطان فابتداى

وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يشتري عماير الامير سنقر الجمالي وان يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ويبني له مدرسة يدرس فيها علما المذاهب الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا وسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى الفقراء وأن يقرأ له سبعة في كل يوم يحصرها القصاة الاربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرة ورباط المراعي بكاملتين وكان الى جانب رباط المراعي دار للشريف بنى حسن اشتراها منهم وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة وجعلها كبيرا ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المدعى (١٥٢) الشريف ومكتبا وأدبة وعمر الجميع المذكور مدرسة سماها بالرخام

المعروف وقرر فيها المكتب فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على ابواريلن وقالوا له ابن هو الذي ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عند الكريم بالرصاص فظن ان جميع الاتراك خرجوا فخرج معهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجمال فأشار اليهم بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الراهور والحق به الشريف سعيد الى الراهور فتناظروا هناك وأخذ كل من صاحبه مهلة على مواعيدهم ثم رجع الشريف سعيد الى داره وصوب من معه من الاشراف جماعة منهم السيد أحمد بن علي بن أبي القاسم برماحة ثم مات منها وأصاب السيد أحمد حارم برماحة مات منها بعد أيام وأصاب من الاشراف الذين مع الشريف عبد الكريم أخوه السيد حامد بن محمد بن يعلى وأخوه بركات بن محمد بن يعلى والسيد شديد بن جار الله وشريف آخر من ذوي حرار الاراضي اسمهم غير مضرة بهم ورجع الشريف عبد الكريم الى دعيم وأقام هناك الى ان وردت الى سليمان باشا الاخبار السارة بحدوث من كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها انه ورد الى مصر المحروسة في السابع والعشرين من جمادي الاولى محمد باشا حاووش ومعه أربعة أوامر سلطانية أحدها بعزل أيوب بك عن امارة الحج لما تحقق ما حصل منه من الفساد وتولية حسين بك امارة الحج والثاني بعزل الشريف سعيد وأعمامه على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة وان أمره ورسمه ألف ومائة وسبعة عشر وأشار الى أن أولاد ابواريلن اذا وجده ومرادا وصول سليمان باشا الى حضرة والرابع بالانعام على الشريف سعيد بسكنى مصر وأطعماه بعض واديه ورتبة له كفايته من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تتقوى مع الواردين في المراكب المصرية وتنتشر في الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال واهتم الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي الى ان بلغهم ان الشريف سعيدا أجرى أعاوانه الاقشارية على ابواريلن لاجل مسألة اعارها له ابن عمه الشريف عبد الكريم وصالوا عليه عشية وحصروه في بيته وأنهبوا الشريف سعيدا ابن ابواريلن وورد اليه غرة جمادي الثانية وكان من بدو عمرة تعشهم اليه برم باشا من طريق الشام يخبره ان السلطنة وصلت اليه منهم أخبارا بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم شرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد الكريم حمى الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على ما بيده من مال المسدر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على ابواريلن مع كونه في الاصل والسبب في تأييد شرافته ودخوله مكة فخسره في مرله وهب أثاثا كان له في دار السعادة واضطرب الامر بمكة وأظلمت خمس صلوات بالمسجد الحرام بموجب القتال

سنة وللمدرسين والمؤذنين وغراء الاحراء مما لغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع في ودور تعمل في كل عام محولها في ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل في كل عام الى مكة وعمل من الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك لسلطان قبله وذلك باق الى الناس الآن كله هذا استولت على تلك الاوقاف وضعفت جدا وهي آئلة الى الخراب وصارت المدرسة مسكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج ومسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة في وسط السنة وصارت أوقافها مأكلة للظلمة عمرها الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان انفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحريريين في سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالي رحمه الله تعالى

وفى هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباى الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبره ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن على بن ظهيرة وباشا الترك الراكز بمكة الامير قايتباى اليوسفى والامير سنقر الجمالى والدوادار الكبير الامير جانى بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام بمرس أبى راج الشيبى والشيبيون الحدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن خارجها قدر قامة وغسلوا أرض (١٥٣) الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك فى يوم الخميس ثمان بقين من ذى الحجة الحرام من السنة المذكورة

﴿فصل﴾ ومن أعظم ما وقع فى أيام السلطان قايتباى من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوى ذكر ذلك استطرادا لانه أمر هائل عظيم

وتفصيل ذلك ان فى ثالث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية العالية فى ركن المسجد الشريف المعروف الرئيسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متواترة الغيوم فسمع رعدا هائلا وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المأذنة فاشق رأسها

فى جوف المسجد واحتازت الستة بلكات الى ابواز بيك ولم يخرج عن طاعته الا الانقشارية ثم أجمع الانقشارية على الهجوم عليه فى بيته وقتله وهجموا أسلحتهم ورولوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فنزل بنفسه الى القاضى بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم ان يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضى قالوا له ان لنا دعوى على ابواز بيك واحضره لنا متعديا على بدك فبعث اليه القاضى فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلى وأعيا احتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر امهلوا ما هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة اذا جئت فى ذلك المكان فاذا تفرقت العساكر حضرت أنا وحصمى عبد القاضى ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضى مقاله على الشريف سعيد والحاصرين من العسكر الانقشارية فلم يقبلوا ذلك الا أن الشريف سعيدا صرف جنده وبقيت الانقشارية على حالهم فارسلوا امرسولا آخر الى ابواز بيك فقال لهم مادامت الانقشارية موجودة عندكم فالعدو واضح وليس لى قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولى قدرة على مكافأتهم ولكن ما فى المهلة بأس فان الامر ما يحمل قتل المسلمين فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده فاظهر للقاضى غلاظة وقامت النعرة من الانقشارية فى المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عصى الشرع فاكتب لنا حجة بعصيانه فامتنع القاضى فهجموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هناك من العلماء وحاقوا القاضى ولووه بالايادى ورمى بعض الناس فى جوف المحكمة بالبساتير فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما فى نفوسهم فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانقشارية بالهجوم على ابواز بيك فى بيته فسار بعضهم من ثنية باب السلام على يسار المبرقا صدين بيت ابواز بيك فلما وصلوا الى مقام المالكية نادر علمائه الى البادق وكسروا حلف عواميد المسجد مما يلى بيت مولاهم فلما أقبلوا طلع فى وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى أن دخلوا باب الزيادة واجتمعوا فى زيادته وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فسلط على ابواز بيك عسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فكسروها هاتك ومعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمى من البيوت والمدارس فى جوف المسجد من الفريقين وابواز بيك ومن معه من البلكات محصورون فى البيت ولم يزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى فى البيوت وخارجها وفى المسجد وسطح المسجد وما بين الاروقة وعز السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقى الامر على هذا الى اليوم الثانى والتمس الشريف سعيد من ابواز بيك الصلح وبعث الى القاضى يأمره بارسال جماعة من

(٢٠ - تاريخ مكة) ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودى بالحريق فى المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن رهير الجمالى وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل الخدمة والقوة الى سطح المسجد بالمياه فى القرب يسكبونها على النار لتطفأ فالتهبت وأحدقت فى جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار وجدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والرعات وكانت كثيرة نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لجى من نار يرمى بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التى فوق

قبة النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ماسقط عليها مما وأمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وقد سلمت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ماحول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض تحوم حول النار كانها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها • قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله (١٥٤) السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية باسط من هذا في كتابه خلاصة

العلماء الى ابوار يلك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو جماعته واتفق الامر على ارسال جماعة من رؤس المكيات حضروا عند القاضي فامرهم القاضي بالسعي في الصلح فسعوا في ذلك بعد التأبي الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لابوار يلك مايساوي مائة كيس من القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين ابوار يلك والشريف سعيد عنده وأبان ابوار يلك حجته وذكر ما أخذ عليه وقال الشريف سعيد أرد كل ماقدرت عليه مما هو لك ومالم أجده أعطيك ثمنه وقاما من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

• (ورود أغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة) •

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني شرافة مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وانه وصل الى جدة وان الوزير سليمان باشا أرسل القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أحاب بان البلاد للسلطان ونحن خدم له فان كان الامر صحيحا فانا مطيع الامر وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا للسليمان باشا عليه خطوط من معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه ان الشريف سعيدا متول بامر سلطاني ولا يعزل الا بمثله وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الاشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر انهم نزلوا وادي مرفا وارسل اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاوش زجره بالسب واللعن ومن حملة ماقاله له لولا أن رسول انقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا هم ذاهبون الى الوادي واحدهم جملة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحد أغاة القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على ابوار يلك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وحلفوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف سعيدا ذلك أرسل الى ابوار يلك يلومه على هذا الفعل ويحثه في رول هؤلاء الاشراف عنده فاجابه ابوار يلك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما

الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أثرها الله تعالى للانذار فحص بها حضرة المدبر الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باطهار المحارة بها يوم العرض قال الله تعالى ومايرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره للصلاة فيه وعمل في ذلك أمير المدينة وقصابها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا الى الله تعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباي رحمه الله تعالى فتهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم باطال جميع العمائر هؤلاء

المكية وغيرها وان يتوجه شادها السيد في سفرا لحالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحو من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومتاعهم الخارجة نحو مائة ألف دينار فاكثر وجهز المؤن الكثيرة الى ان امتلأت البلاد بها كاطوروا البيع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى أن كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمآذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان • وذكر السيد السمهودي رحمه الله تعالى في تفصيل كتابه خلاصة الوفا وراجعه ان أردت احاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفاء

الوفا أخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباى أن يبنى له رباطا ومدرسة وأذنه حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب حليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل علائها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم الكل شخص ما يكفيه من الحب طول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب فى العام مسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وراد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباى لمكة والمدينة حرى الله المحسنين خيرا

هؤلاء الاشراف فاهم يعرفون قواعدهم وهم يردون عن أنفسهم الجواب وارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فلم يواعدوه الصحق ليوازيل ذلك اليوم وجعل لهم العداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه فى البلد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال جمع عساكره وعرج بهم أفهمهم ان بيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبى لهب وبساتين العمرة وأمر صاحب الزيران يدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاووش الانكشارية وكان يعتمد عليه فى الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم فى الوادى وما وقع من أغاة القفطان وان الامر سلطانى صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد وفى ذلك الوقت أخرج ساعده ودشم من البيت وأرسل الجميع عند كريمه الشريفة سعدية فلما كان قرب الفلك بيركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ابوار بك وأرسل معهما بعض ممالكه وعسكره وبادوا فى ذلك الوقت فى شوارع مكة البلاد لله والبلاد لله والبلاد مولانا السلطان أحمد خان والبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن على وعسوا البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهى الولاية الثالثة له سنة ١١١٧)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاى الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا عسكر الامير ابوار بك وأغاة القفطان أحمد أغا اش جاووش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فدخلوا الى الحطيم فوجدوا القاضى والمفتى والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا فى محله على جارى عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطانى بالفر والسمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كجية سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقيه أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطانى وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفى ومصموه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقيه الرعايا والحاج والتجار والمجاورين والوافدين وبادفع لما الشريف سعيد عن شرافة مكة لموجب

وصاعف لهم ثوابا وأجرا

(فصل) وفى يوم السلطان قايتباى اعلم ان ملوك الحراكسة ماج منهم أحد غير السلطان قايتباى لكثرة حكمه فى الممالك وكثرة ما فعله من الآثار الجميلة فى الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير شيخ الدوادار بالقاهرة بمصر وحرج الى الحج فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوى بنحو عامين وكان أمير الحاج حوشقدم خرج بالمحمل الشريف وكان الحاج المصرى فحرج السلطان قايتباى لقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن محمد بن حسن صلى الله عليه وعلى آبائه وأجداده صلوات الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعى يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتهيأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات لملاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهى نهاية الربع الاول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحمد قزاده ليسقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر عناية اللطف والمجاورة وأكل وقسم على أمرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جميلا (ويحكى) من لباقة السلطان قايتباى انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذى جاء باسم هذا عندكم

هؤلاء الاشراف فاهم يعرفون قواعدهم وهم يردون عن أنفسهم الجواب وارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فلم يواعدوه الصحق ليوازيل ذلك اليوم وجعل لهم العداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه فى البلد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال جمع عساكره وعرج بهم أفهمهم ان بيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبى لهب وبساتين العمرة وأمر صاحب الزيران يدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاووش الانكشارية وكان يعتمد عليه فى الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم فى الوادى وما وقع من أغاة القفطان وان الامر سلطانى صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد وفى ذلك الوقت أخرج ساعده ودشم من البيت وأرسل الجميع عند كريمه الشريفة سعدية فلما كان قرب الفلك بيركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ابوار بك وأرسل معهما بعض ممالكه وعسكره وبادوا فى ذلك الوقت فى شوارع مكة البلاد لله والبلاد لله والبلاد مولانا السلطان أحمد خان والبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن على وعسوا البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهى الولاية الثالثة له سنة ١١١٧)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاى الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا عسكر الامير ابوار بك وأغاة القفطان أحمد أغا اش جاووش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فدخلوا الى الحطيم فوجدوا القاضى والمفتى والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا فى محله على جارى عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطانى بالفر والسمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كجية سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقيه أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطانى وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفى ومصموه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقيه الرعايا والحاج والتجار والمجاورين والوافدين وبادفع لما الشريف سعيد عن شرافة مكة لموجب

فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا * ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منه الى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد بن هيزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة قبلهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى مرلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة * قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير خرج السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وبدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام وقدمها طلوع الفجر من (١٥٦) يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب دورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وباجاه بالتسليم وارمس ذلك بالخط الجسيم ثم ثنى بصحبه رضي الله عنهما عند ان صلى بالروضة الشريفة التي وعفر جبهته في ساحتها السنية وعرس عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فنعاطم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم * ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين قراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامه برهان الدين بن الكركي * ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة وان الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين وشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يرل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر صلاة الجمعة قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى وبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص

كانت مسألة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد طيب الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأطيب مما قد رأى بصري

وطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة وفاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نزى تقلب وجهك في

السماء فلتولينك قبلة ترضاها فقول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فأقيمت الصلاة في أثناء ذلك فصليا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل علي طالبا للجواب وذكرت له ان رسولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكي في تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين ايما بين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا باسماعها واستمر يناجي على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصليا ثم عرضت عليه رقع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة (١٥٧) وأمر بإزالتها وجعل لأمير المدينة في مقابلة ذلك ألف اردب قرر لها له في كل عام ومرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو مائة الاف ذهب وحصل لي منه خير كثير واحسان جزيل ثم رزق في اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودي ملخصا قال العزاس فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به في مرية الصفراء والتقيا على ظهر الجبل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقي من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وصار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مساعاهم ويطمئن خواطرهم ويجاورهم بالمكالمة ويصت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى أوطاقه فرجعوا عنه الى محيمهم ثم صاروا يسايرونه في الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدي لهم وافر الانبساط وأنبسم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادي مر الظهران ورتبوا هناك سماطا حافلا جميلا للسلطان ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد مستهل ذي الحجة وصل السلطان محيمه بالوادي ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جميلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ

وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذي كان في رمس الشريف سعيد والقيام به فليتقدم وأنا أرتل له عن الشرادة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فانتدب السيد محمد ابن أحمد شيخ ذوي عبد الله وقال قد سمعتم ما قاله الشريف لكم فأجيبوه بما في نفوسكم فأجابوا جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضي ما سمعه من رضاهم في المجلس وكتب عليهم بموجبه حجة شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية فاذا وصلت ان شاء الله بالسلامة اجتهدت لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفي عرة شهر رجب توجه الامير ايوار بيك الى حضرة الشريف وطلب انعقاد مجلس فاحضر له الشريف معظم من تقدم ذكرهم ثم ادعى ايوار بيك على الانفشارية بتجميع ما وقع عليه من الحصار والنهب في رمس الشريف سعيد وأثبت ذلك عليهم وكتب بعصيانهم ثم انهم حاولوا العقاب من السلطنة فدخلوا على حضرة الشريف والقاضي وطلبوا العفو من الصحق فعفا عنهم وفي رابع عشر رمضان أمر الشريف بشنق أحد عشر رجلا من هديل من بني مسعود فعلقوا خمسة في سوق الصغير واثنين في المسعى عند البزازين واثنين في المدعى واثنين في سوق المعلى والسبب في شنقهم انهم تعرضوا للمورق لما كان الشريف في طريق جدة بالمحل المعروف بأبي الدود وأحدوه وصوبوه فرجع المورق وأخبر بما صار عليه فارسل الشريف خيلا وأرسل معهم السيد عبد الله بن بركات فأحدوا أثرهم وقصوا جرتهم الى ان وصلوا الى مراح هؤلاء المشنوقين فادركوهم هناك وتراموا معهم بالبندق ثم طفروا بهم وامسكوا منهم هؤلاء الاحد عشر وما بقي منهم فر الى الجبال وفي ثامن شوال رحل ايوار بيك الى جدة وفي النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بان الشريف سعيد ارتحل القنفذة وعرس لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وانه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع العبائل وأرسل اليهم بعض الاشراف يأتيه بهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع المفتين وبعض العلماء وأعوانه العسكر وقال لهم تحيطون علما ان الشريف سعيدا جمع أشقياء العرب المفسدين الباغة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربها فقولوا وأجابوا جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كان عبد الوزير سليمان باشا وأخبر بما نقل هذا فأجبنا بالسمع والطاعة ولبس مينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدي اقامة أحد اخواني بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا في محافظة العباد والبلاد وأنا خارج لمقابلته خارج البلد فأجابوا جميعا نحن في عند مثلك وتحت أمرك

الاسلام القاضي ابراهيم بن ظهيرة وولده القاضي أبو السعود وأخوه القاضي أبو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين التكرتي الحنفي واستمروا الى أن دخلوا الى مكة من أعلاها وكان القاضي ابراهيم هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والآية الى أن دخل السلطان من باب السلام البرابي وطلع بشريفه عند محفل به جواده وسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس الى أن تقدم المهتار وعضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطان فلبسها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن ينزل ويدخل محترما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى • ثم لما وصل الى عتبته الداخلة من باب السلام نزل ونزع نعليه الزيني بيديه الزيني بيوت

جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد

الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كفى بالله شهيدا ثم ادرع بردة للسلطان وأمر من حوله من أهل الاصوات ودخل من باب السلام وهو ولا يا القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء الى أن دخل الطواف ووصل الحجر الاسود وهو الذي يطوفه ويلقنه الادعية والرئيس ينادي بالدعاء من أعلى عتبة رخام والناس شيطوف بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى أن تم طوافه وصلى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء فلما خرج من سعيه عاد الى الراحة وباب في صحنه

وركب في الصبح في موكبه ولاقاه مولانا السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القصاة ببرهاني الاول ابراهيم بن ظهيرة وابنه الحمامي أبو السعود وأخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء وأعيان الناس وأكابر التجار فعلع السلطان فايتباي على الجميع ومشوا وراءه في موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النساء والرجال حتى المحدرات ودخل بهذا العنوان الى أن وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومدله بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك بعد له سماطا ليلا الاسمطة الخيلة ومدله في ثاني يوم قاضي القصاة البرهاني سماطا جميلا واستمر السلطان بمدرسته ماطهر لاحد غير انه يتصدق بالليل كثيرا وركب مرة لدرب اليمن يشاهد ما قدم له مولانا السيد الشريف من

وأمر السلطان ثم طلب منهم جماعة يمشون معه من العسكر وأعطوه مدالوبه وقرؤا الفاتحة ونفروا وفي عاشر ردي القعدة زار الشريف بعسكره عسكر مكة ماجن وخرج اليه جميع العربان الذين بجمعوا وخرج أيضا الوزير سليمان باشا بعسكره ثم توجهوا الى الحسينية وجاءهم الخبر ان الشريف سعيدا ومن معه رحلوا الشرفية ثم انتقل الى ان وصل العايدية فارسل اليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله حمود وعرفه ان هذا الفعل ليس بصواب وان مجيئك بهؤلاء القوم كالذي الجار ما ترعى به السلطنة والاولى ان تحقن دماء المسلمين وترجع بهم من حيث جئت فما التفت لهذا الكلام لان قومه كانوا في غاية الكثرة فاعترضهم مرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما معه من الشريف سعيد فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبد الكريم فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقرى وتحصنوا برؤس الجبال وركبت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا فاهزموا وركب حلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره الى أن نزل جهة مسجد غرة ونزل الباشا بعسكره بعرفة وبات تلك الليلة ولما أصبحوا شمروا على الحرب ووقع بينهم الرمي بالبندق من بعد وفي هذا اليوم وصل الامير ايواز بن عسكره من جدة وحصر الحرب ووقعت مقتلة عظيمة فانهزم الشريف سعيد ومن معه وتركوا ما وقع لهم من مال وجمال وبقر وغير وغير ذلك من الذخائر فعمه من كان مع الشريف عبد الكريم وصاروا الناس يأتون بالكسب الى مكة فوجا بعد فوج ووصل الشريف الى مكة فحصل بها السرور وأنسه قائم مقام الشريف عبد الكريم ودار المشرعلى بيوت الاشراف فاسوه وتركت علامة النصر في بيت الشريف والاشراف وفي الزبر وفي ثاني يوم وصل الشريف عبد الكريم الى مكة ومعه الباشا وايواز بك والعساكر وكل من كان معهم ودخلوا في الاي أعظم وجلس الشريف في داره للتهنئة ومدحه الشعراء بقصائد وحمد الناس فعله حيث خرج لهم خارج مكة فوقع الحرب بعيدا عن البلد والناس آمنة مطمئنة والاسواق عامرة وجماعة المعتمد قائمة فجزاه الله خيرا ثم بلغ الشريف عبد الكريم ان الشريف سعيدا دخل الطائف فارسل جملة بعض اخوانه مع عرب ثقيف فخرج من الطائف ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان وخرج مولانا الشريف عبد الكريم للقاء الحج على المعتاد وليس الجمعة وحج بالناس على المعتاد في أمن وأمان وبعد توجيه الحج المصري والشامي سافر سليمان باشا وحملت سنة ألف ومائة وثمانية عشر وفي أواخرها ورد الاخبار بأن الشريف سعيد اجتمع جموعا من العرب يريدهم مكة فشرع الشريف عبد الكريم يتهيأ للقائه وجمع جموعا وبرز عسكره بالابطح أوائل ربيع

الابل والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكبا الى جانبه وهو شيخ الشيوخ البرهاني ابراهيم بن الكركي والامير شبل الحمالي وأولاد القاضي يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضي أولاد القاضي ابن الجيعان ورمضان المهتار ووقف بحبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمه القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين وأناس مع الناس وأتم حجه وفرق الاضاحي غنما كثيرة وأهدى شيأ كثيرا وكان المناسب ان ينحر شيأ من البدن هنا أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصري وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لاهلها من المدرس والطلبة وقراءة صحيح البخاري وقراءة الرعية وخادمها وخادم المصحف والفراشين (١٥٩) والوابين والوديان والحمادين والسقائين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وما أمر المدرسة والوقف الحالي والصيرفي وأصحاب الحلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد كما يليه من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك فيها وعمل من الحبرات ما لم يسبق اليه وحضر نفسه يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة الحرام الايوان وقد أقامه المحتسب على كرسي ووقف على الحاجز من أجزاء الرعية الشريفة وتناول السلطان حرامها كاحد الفقراء وقرؤا الى ان ختم القاضي ابراهيم ولم يؤخذ من السلطان الجراية التي وضعها نفسه وجمعت الاجزاء في صندوق الرعية ودعا الداعي للسلطان ومد للحاضرين سماطا حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي ابراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكرا وسوبية وفرق عليهم فقوحا رصرصوا وكان في السلطان سبيله على يمين الداخل الى حان البزازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبري على يمين الذاهب الى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان في ظهر يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعوله على قبة زمزم ومشى الفقهري الى أن خرج من باب الحرورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة ابراهيم بن ظهيرة الى الراهو ثم ردهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته

الاول وبعد عيد المولد توجه عن معه للاقاة شريف سعيد ونزل الشريف بهاء الخبران الشريف سعيدا دخل الطائف ثامن عشر ربيع وان قومه أربعمائة فتوجه اليه الشريف عبد الكريم فبرز اليه الشريف سعيد جهة المليسا

(عزل المفتي عبد القادر الصديق وتولية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١١١٨)

وفي هذه السنة أعني ثماني عشرة وقع شيء بين المفتي الشيخ عبد القادر الصديق والشيخ تاج الدين القلعي فسافر الشيخ تاج الدين للدواب السلطانية ثم رجع من أبواب السلطنة ومعه أمر سلطاني بعزل المفتي عبد القادر الصديق وتوليته وكان وصوله في السادس عشر من رمضان استأجر هجينا من ينبع فقطع من ينبع الى مكة في ثلاثة أيام لاجل حضوره المجلس السلطاني بالمسجد الحرام ليلة سبع عشرة من رمضان التي يحصل بها ختم السلطان ثم أرسل مولانا الشريف عريضة الدولة العلية يطلب فيه ارجاع المفتي عبد القادر الى الفتوى فاجيب الى ذلك وجاءه الامر بذلك في رجب سنة تسع عشرة فاعيد المفتي عبد القادر الى الفتوى واستمر بها الى أن توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأقيم في الافتاء بعده ابنه الشيخ يحيى وتوفي سنة احدى وأربعين ومائة وألف ووقع القتال بينهم فانهزم الشريف سعيد وتوجه الى جهة ليه فمشى حافيه الى الجمال ثم رجع الى الطائف وجاء الى الشريف بمكة ثامن عشر ربيع واستمر الشريف عبد الكريم بالطائف ومعه ابوار بيك بارلا في المئتي في سنة أحدى سعيد مما يليكه وعساكره الى شهر رجب ثم رجع الى مكة وفي شعبان رجع ابوار بيك الى جدة ورجع الشريف من الطائف في شوال ودخل مكة في الاي أعظم واستمر الى الحج وفي عرة ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وصل ابوار بيك من جدة وجاء لمولانا الشريف أعاقه من السلطنة ومعه القفطان وسنجق مرصع ومعه مرسوم سلطاني وفرق بالحطيم على المعتاد ومضمونه ان الحجة والمحضر المرسلين من أهالي مكة المكرمة وصل كل منهما ووصل بعدهما من طرفكم مكتوب بالصداقة وعروضات الى باب دولتنا فعرض على سرير سعادتنا حلاصتها واستدللنا بذلك على حسن سيرتكم وصفاء طويتكم وسرير بكم وأطلعنا في المرسوم عناية الاطلاع ثم قال وقد وجهنا اليكم جميع ما طلبتم ومن جملة ذلك ما كان معينا من مصر في صدر جدة للشريف سعيد وهي أربعون كيسا وما كان معينا الجوهر أعانا بالمذكور وهي خمسة أكياس من سفاش الهند المجموع خمسة وأربعون كيسا زيادة على ما هو مقرر لكم تستعينون به على مصالحكم وتقوية أموركم عناية منا بكم واحسانا اليكم ولما كان يوم الخامس من ذي الحجة دخل الحج المصري مكة فخرج مولانا الشريف يوم السادس للاقاته ولبس الخلعة على المعتاد ثم وصل الحاج الشامي

ولم يختل عليه شئ من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهى نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر الملك وتدربه فيه وضبطه رحمه الله تعالى * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية فى اللطف والمؤانسة وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا وبلا واعتدالا وأكثرهم فى جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وأدوارا وأطولهم طولا ورمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تجلى كالعروس فى حلل الجواهر والذهب وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغدا * ونهرت العلماء فى أيامه وعوا فصاروا كالنجوم الهدى الى ان انتقله الرمان الجائر (١٦٠) واستقطت له دموع الليالى والجدود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية فى أنثالها الاصاغر والاكابر ودأبها فى السلاطين والملوك العوابر والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على فاينما يريد أجله وما أعنى عنه ماجمعه من خيله وخوله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج فى أكفان أعماله بعد ما سال بدموع حسره وأرل من سرير الملك الى اثنيوت الى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدى ملك الملوك الحكيم الحليم

اذا أمسى فراشى من تراب
وصرت مجاور الرمس الرميم
فهل يأتى أحبابى وقولوا
لك الشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى فى أواخر يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه الشريف يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التى بناها فى حياته فى غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف دارة عليهم الى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى * وولى بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد * وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة * يحكى عنه أمور قبيحة * منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه

وأمير سليمان باشا الذى كان متوليا جدة فحرج مولانا الشريف للقائه على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس ولما كان يوم عرفه حصل بين المحملين مشاحرة فى التقدم عند المغفر وجبت المراماة بالرصاص مع ان القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصرى ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع أرسل بعض الاشراف الى الامراء لتسكين الفتنة لحفظ الحاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشد الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم فحراه الله عن المسلمين خيرا وأرسل مولانا الشريف هذه السنة هدية سنية للسلطنة العلية صحبة يوسف أغا شيخ القراء وتوجه مع الحج المصرى ودخلت سنة ألف ومائة وتسع عشرة وفى ثامن عشر جمادى الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف ضحوة النهار وطاب الصيفة من أهلها فجمعوا له شيأ وقد موله وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف عبد الكريم ذلك فتجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه من مكة الى شعبان لامور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل فى شعبان الى الطائف وجد الشريف سعيد اقد حرج منها وفى هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية فى شأن السيد يحيى بن بركات واستأذنهم فى أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فاجيب الى ذلك فوصل الشريف يحيى بن بركات مكة فى رمضان ومعه يوسف أغا الذى توجه بالهدية من مولانا الشريف عبد الكريم ومعهم اعاذة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بجلعة ومرسوم سلطانى وسيف مرصع فدخل مكة مع الشريف يحيى فى الاى أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات فى برى الاوردم بانقا ووقى على رأسه قدهب للسلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة بمثله وأنزل كلا منزله فشكروه على ذلك وكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف وصل فى شوال وبعد وصوله قرأ المرسوم الذى جاءه الاعاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفى يوم السبت رابع ذى القعدة احتمع السيد يحيى بن بركات وشيخ الحرم ابو بكر وقاضى الشرع وأصحاب الادراك من السع بلكات وبروا الى الاسواق والارقة وشرعوا فى هدم الدكك التى قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد من الاشرعة والظلل والمباسط التى فى الطرق والاسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك غاية السعة فى جميع الاماكن ولما وردت الحجوج حرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس فى أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفى هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة ألف ومائة وعشرين وفى شهر صفر جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فاراد

فى خيط أعده لنظم فروج النساء • ومنها ان والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن هيأت له جارية جميلة جدا وجمعتها به فى بيت مرين أعدته لهما فدخل عليها وغلق الباب على نفسه وعليها وطفا وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهى جيفة فلما سمعوا صوتها وبكائها أرادوا الهجوم عليه فأمرهم لانه على الباب من داخل فاستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالاثياب وخرج يظهر لهم استادیته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله فى صنعته • ومنها انه مر وهو فى موكبه ذات يوم ببيع الحلاوة واسطته قد امه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله امرأته يشترون منه وأحد يده المبران وصار يرين لهم الحلاوة الى أن جبرت وكان له حركات من هذه الخرافات منها

ما ذكر عن نفسه انه كان يبكى الى أن سقط من أعين

الشريف عبد الكريم أن يركب عليه بعسكره فارسل الشريف سعيد يطلب منه مهلة خمسة عشر يوما فاعطاه المهلة وبعد عامها توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تنافروا مع الشريف عبد الكريم فحرجوا معاصبين وانضموا الى الشريف سعيد وساعدوا حولا من اليمن واستولى من اليمن فاخذوها فارسل خلفهم جماعة من الاشراف والعسكر ثم لحقهم بنفسه فلما قربوا منهم هربوا بعض الين وأطاعوا فى بعضه الباقى وأخذوا البعض وأودعوا البعض وتركوا البعض الذى عجزوا عنه وقربوا بعضهم الى المخواة وبعضهم الى دبرة بنى سليم فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما اودعوه وأخذوا ما اودعوه ورجعوا الى أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان الشريف سعيد اجمع جموعا وقصد مكة ثم فى رجب جاءت الاخبار بانه دخل بجموعه دوقة وأخذ الشريف عبد الكريم بغتة فاستولى على قوافله وأرسل فى طلب القبائل فجاء كثير منهم فتوجه بهم الشريف عبد الكريم مع العساكر الى الحسينية فى شعبان فلما بلغ قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج اليهم فى قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد ان وصلوا الى العابدية ثم سعى الاشراف بينهم وأخذوا له مهلة وجعلوا له فى كل شهر ثلاثمائة أحمر وشرطوا عليه أن يمكن باشه وافاق على ذلك وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف واستمر ذلك المعنى ولم يتم واستمر الشريف سعيد فى العابدية الى دخول رمضان فصام هناك وأرسل الى مكة وطلب بعض أهله فصاموا عنده وبعيد فى العابدية وجاءه هذه السنة أيضا أمانة القفطان سلخ رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع فقرئ وفعل كل ما جرت به العادة وفى المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف فى الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم وعاد كرقى المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر أطراف الحجاز الى أن قبل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولكن كراكب الكميت المتمكن من صرعه بدبره حيث شاء ويستجلبوا الخاير الدعاء وارسل الشريف سعيد بانه رحل من العابدية ومن هذه الجهات وأطراف الحجاز وان حصرة السلطان ألزمنا بذلك فرحل الشريف سعيد هو وأتباعه وتوجه الى اليمن ثانى شهر ربيع القعدة وتعرض لقافلة جهة اللث فأخذها وفى هذه السنة عزل ابو ذهيبك من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامى يوصوباشا ولما جاء الحج خرج الشريف بالقافلة على العادة ولبس الخلعة وحج بالناس وتوجهت الحجاج بالسلامة

•(دخول سنة ١١٢١)•

ودخلت سنة ألف ومائة واحدى وعشرين وفى شهر ربيع الاول توجه الشريف عبد الكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفى خامسه دخل الطائف بالتوبة والعساكر

(٢١ - تاريخ مكة) الشيب وصار يرقيه بواسطه وزوجته خوند ادم الناصر محمد لما مات له الاموال والحرائر وأرادت افاقته مقام ولدها الناصر وأرادت تقويته واقامته واصلاحه • ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر • فما استكمل الجندى الثالثة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأبى له فعلوه بعد أن ساسهم سنة وسبعة أشهر وأحرجوه من الملك فى أواخر سنة خمس وتسعمائة ﴿وولى بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الاشرف جان بلاط﴾ فى أوائل سنة ست وتسعمائة وما تهنأ بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر ﴿وولى مكانه الملك العادل طومان باى﴾ وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه وما قدم أحد على السلطنة وكانت الامراء متوفرة وكلهم نشير بعضهم الى بعض فى الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على أن يولوا

فانصره العوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة فأشار واعليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم شرط أن لا تقتلوني واذا أردتم خلعي من السلطنة أخبروني بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه بالسلطان الملك الاشرف أبو النصر قانصوه العوري ﴿ في سنة ست وسبعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سموا تعدد السلاطين وسرعة تقصي ملكهم بل فرح العامة وأموالهم في الحماة وكان قانصوه العوري كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم (١٦٢) واعتنى بعمارة المعاهد ﴿ ومن جملة عماراته الجامع والتربة ﴾ بين القصرين بمصر وكان في محله أرض يمر بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وما قدر له دونه وبيابل دهب تحت سابع الخليل وما عرف وما يدري نفس بأي أرض تموت * وله آثار جميلة في طريق الحج في عقبة أيلة وما بين مكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الامراء ما لم يرتكبوا أمرا من عنده شديد عليهم ولا اظهار عظمة أو سمو ذلك في السداد أمره الى أن تملك من قونية وأسسه * ملكي شهاب الدين أحمد بن موسى بن محمد العمار المعربي الاصل ثم المصري دلال الحرمين الشريفين وهو من أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الاقلام من ديوان السلطان قانصوه العوري رحمهما الله تعالى قال اتفق العوري وهو اذ ذاك أمير أربعة أراد الامراء اعدامه فاتهموه وأرادوا أن يجعلوها مقامة للعامة من السلطنة فلما استشعر العوري ذلك منهم عمل دبوانا جمع فيه الامراء وقالوا والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كما جرت عادة الامراء والمقدمين الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط في الاكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى ما يقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا أمراء جمعتكم لاسألكم سؤالا خطر لي وأطلب جوابه على الوجه الذي ترونه صوابا فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة محتومة وأودعوها عنده فقال انما استودع منكم هذه الوديعة بشرط ان تأتوني وتطلبوا وديعتكم مني بلا نزاع ولا خصومة فأردد وديعتكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا

ثم بعد أيام رجع الى المحروسة واستجار الى شعبان ثم رحل الى صالحية وعراقيلة مطيرا وأخذهم أخذة عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشره رمضان وفي الخامس والعشرين من رمضان توفي محمد باشا صاحب جدة الذي جاء بدلا عن ابوار يلك وأقام مولانا الشريف مقامه خزندار الباشا وصاره الى أن يجيء بدله ثم جاء في شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا مواليا على جدة وفي شوال من سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه ان نصوحا باشا أرسل اليكم مكتوبا يشكو منكم بوجه تقصير وعدم ملاطفة فاستعد بسداد لك منه لعلمنا بحسن سيرتكم وصفاء طويتكم فالمأمول أن تريلوا ما اللّٰه على فرض وقوعه وتبدلوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم وشاع بين الناس أن نصوحا باشا عرض في الشريف عبد الكريم يشكو منه وانه يرد اليه أمر بالقبض على خرم الشريف أمره وجمع العربان واعتد لمدافعته فلما جاء الحج خرج للاقائه على المعتاد ولبس الملعمة ولم يحصل شيء وحج بالناس على المعتاد ولم يحصل شيء للّٰه الحمد ورجعت الحجوج

(دخول سنة ١١٢٢)

ودخلت سنة ألف ومائة واثنين وعشرين وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الاشراف من ذوي مسعود وذوي عمر وذوي عبد اللّٰه وذوي مارون والنواعي على الشريف سعيد وتعرضوا ثلاثة من الحلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا مكة مع الشريف سعيد فجهز الشريف عبد الكريم للاقائهم بالقوافي شهر ذي القعدة عند المحرم ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الاشراف فأصلح بعض المعاصين وأدخلهم في الطاعة ووصل الحج فخرج للاقائه ولبس الملعمة على المعتاد وحج بالناس في أمن وأمان الا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا ما فوره ما ان حمره أمير الحاج عليه لبعض السادة الاشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فتوى في هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى نصوح باشا ودخل عليه وأراد المشي في صحبته فأرسل الباشا جيلاوكسكرا من جماعته الى باب الامير حرة لاخذ كرازه وحمله مع الاشراف دلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستعرب من الباشا هذا الفعل وأرسل اليه يعرفه بالعوائد والفوابير وان هذا الرجل جاء صحبة حج الحسا وهو من جملة الذين جاؤا صحبته لمن وعليه دراهم فتوى بعض الاشراف فيها التفت الباشا الى هذا الكلام وأعاد الجواب الى الشريف كلاما أغلظ بعضه فوقف الشريف العاصي والباشا احدى جدة وأمير الحاج المصري وأموات السبع بلكات على كلام نصوح باشا فكلهم صاروا يلومون نصوح باشا بين

الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع وضراب معي كما اشترطت عليكم فقالوا لا بد لنا معك من الخصام والنزاع فايهم على الباطل وأيهم على الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا اني كأحدكم لا أمنازعكم بشئ وهذه السلطنة أسلمها لأيكم أراد ولا أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأدعوا له بالسلطنة وسألوه في استمراره سلطانا عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى ربطال معه الحبل الى أن صار يأخذهم واحدا بعد واحد ويقاتل ثم يحتال حيلة أخرى وعلة أخرى لاحدهم وأحدهم (١٦٣) وهاو يوقع بين الاثنين ويأخذ هذا ذلك

وقالوا له لا سبيل لك الى هذا فجمع الشريف من بقي من أهل وأعوانه في بلده واعتذر الشريف لهذا وعنه فلما رأى عرم الشريف وشدة بأسه بادر بالارتحال وتركه الشريف وأعرض عنه واستخلص كتابة محضر في نصوح باشا على لسان السادة الاشراف ومحضر من أهالي مكة ومحضر من صاحب جدة وكتبت الحاضر ومضمون الجميع شكوى نصوح باشا ورفع أفعاله الى الدولة بجميع ما سلكه في الحرمين وأرسل المحاضر مع هدية سنية صحبة رجل من الأروام وحادث أخبار بان عربان حرب جمعوا جموعا كثيرة وقعدوا للنصوح باشا في جبال الحيف وأرسل جماعة من عسكره تكشف له خبرهم فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل عالم العسكر الذين أرسلهم وشد عليه الكرب ثم رفع لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيسا فأرسل مبارك بن مضيان الى العرب وفرق عليهم الدراهم وتعاهدوا معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا حال وصل اليه مرسولي ارحل بالحج لان العرب جمعتهم عندي وفرقت عليهم الدراهم وبعد ذلك رحل الباشا بصرته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة وتأخر كثير من الحجاج وكان بعض العرب وهم عوف انتقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم لكثرتهم فحصل بينهم وبينهم مواقفة ثم تكاثروا عليه وحملوا الحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وحصل للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر وأرسل لمبارك بن مضيان يقبح فعله ويتهدده ويعرفه ان سيف السلطان طويل وأما نصوح باشا فانه لما وصل المدينة طلب من أهل المدينة محضرا مضمونه ان جميع ما صار على الحجاج من نهب وتعب وكلفة بأمر من الشريف عبد الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا اما عبد الله فما علم بذلك وكيف يكتب شيأ ما شاهده فلما أيس من ذلك سكت في شيخ الحرم وزيره وبسببه الى الواس مع الشريف عبد الكريم وحرب وجميع أكابر الحجاج وقاضي المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم أرسل اخوانه الى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج وانما رأينا اخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أراد ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من عنده ما أراد وأرسل الجميع صحبة الحجة الى الدولة من اثناء الطريق وأرسل صحبتهم كيسه

(دخول سنة ١١٢٣)

وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية أصدرت توجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الأمر الصادر من الدولة العلية ومعه

وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت في آخر الأمر سدى وتفرقت بيد العدا وتمزقت بددا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المكتوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك ما معه وهيهات ان ينفع مال حصل بأيدي كل حزين وسلب بالقهر والعسر من كل محتاج مسكين وكيف ينفع ماله وما معه صاحبه وكيف يتهنأ به من اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه الا ان مالا كان من غير حله * سيحرب يوما أهله وأقاربه وأما الميراث فيطل في أيامه وصار ادا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء الا ان استحى به اعتباط كان اجعل له ورد ا يسيرا من مال أبيه وأحدله نفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه في آخر أيامه واستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

رب العالمين • حكى لى والدى رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى انه رأى بمصر فى أيام السلطان الغورى جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو ممتنع منه فقال له الدلال بينى وبينك شرع الله تعالى فصربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندى بالمتاع وما قدر أحد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب على مشاهدة هذا الحال ورفعت يدى الى الله تعالى ودعوت على الجندى المزبور وعلى سلطانه وعلى الطلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وتلك الليلة على طهارة وأنا مفكر فى أمرهم وأحدث نفسى بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأت حدوده الارض وانى للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا ويطمئن فى

كتب من نصوح باشا الشيخ الحرم وللقاضى ولاغاوات الاسباهية وأغاة القلعة ومضمون الجميع ان البلاد صارت للشريف سعيد وأمرهم بالنداء له فى المدينة فوقف شيخ الحرم ثم تعلب على بعض أهالى المدينة والقاضى بواسطة بعض الناس ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال وريموا المدينة وأرسلوا صورة الامر لاسمعيل باشا متولى جدة وطلبوا منه ان ينادى فى جدة فامتنع من النداء خوفا على البلد والطريق لئلا يقع حال عوجب ذلك وفى تاسع شهر ذى القعدة وصل جماعة من الطائف وأخبروا ان الشريف سعيد اوصل قرب الطائف ومعه قوم وأمر الشريف عبد الكريم عسكره الحبالية والسقمايية ان يمروا الى المعابدة ثم بعدهم بيومين يرحلوا الى الابطح بقية عسكره وعسكر مصر وا نسادة الاشراف ورل فى محميه وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه ثم جاءه الخبر انه وصل الى شداد فأمر بدق الريز واجتمع الاشراف والعساكر وتوجهوا الى عرفة فى الثانى والعشرين من ذى القعدة ووصل الشريف سعيد ليلا ونزلا بها وبات كل منهما وعبد الصباح وقع الرمى بين الفريقين بالبندق واستمر الحرب الى آخر النهار ووقع الصياح فى الحشير وقتل البعض من العسكرين ثم ان الاشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين فانتقل الشريف سعيد الى المشعرة بلا ددوى حاران والشريف عبد الكريم جلس مقابلا له بينهما مسافة ساعة فركب الشريف عبد المحسن من أحد بن زيد الى الشريف سعيد وقال له ياسيدى طلبنا الكف عن الحرب بيننا يومين وقد مضت والآن قصدى ان تكون الاجلة الى ثالث عشر ذى الحجة فان كان الامر السلطانى جاء لك فتكون هذه المدة لك ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة فتم الامر بينهم على هذا فركب الشريف عبد الكريم عن معه ورجع الى مكة ورل فى استان الوزير عثمان حيدان واستمر فى الستان من ظهر يوم الثلاثاء ليوم الخميس وبه طلع اليه جميع العساكر الا القشارية والمتفرقة فانهم تأخروا عن الطلوع وطلع أصحاب الاشراف لتصدر وله بالاولى على حرى العاده وكان بعض الاشراف فى مدة الاجلة رل الى البلد بصورة الفرمان الوارد للشريف سعيد وبيت الامر ليلة الاجتماع بالقشارية والمتفرقة والقاضى ومعه اخروج العسكر للاقاى اجتمعوا عند القاضى وسمعوا صورة الامر الوارد واجتمع خلق فى المحكمة ووقع الهيل والقال فحصل من ذلك صيحة عظيمة وأرسلوا المنادى ينادى فى البلد للشريف سعيد ومع المنادى شريف من الاشراف واما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك واجتمع عنده السادة الاشراف والعساكر الذين خرجوا الملاقاته فركب وركبوا معه وساروا من استان الوزير عثمان حيدان الى ان وصلوا الى الدروبشية فلقيه السيد طاهر بن محمد هناك وأخبره

دولته البرايا وأحسد على السوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة تنزل من السماء وبأيديهم كاسات يكسرون الجراكسة من أرس مصر ويلقونهم فى بحر النيل فاستيقظت من النوم وأنا أقارئ يقرأ القرآن فأنصت له فاذا هو يقرأ قوله تعالى وانتقمنا منهم فأحرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فما مضى قليل الا ورد الغورى بجنوده وأمواله وخزائنه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر بعد قليل بانه انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل فى مرج دابق وهرب بقية السيوف من الجراكسة وصاروا الدويدار طومان باى سلطانا والسلطان سليم فى اثرهم بفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج اليه طومان باى ومن معه الى قتاله بالواقع فحاصل هو ومن معه الاساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه فى الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باى الى البر وصعد الى شيخ عرب وجاء به الى أوطاق السلطان سليم خان وأمر بصلبه فى باب رويلة حتى يراه الناس ويصدقون بانه مسك وصاروا يرعبون بانه احتفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار فتنة الفساد وكثرة القيل والقال فأمر السلطان سليم بصلبه فشنق اللفتة وكان صلبه فى باب رويلة فى حادى عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الاتراك والاكراد والعبيد وهكذا شأن

الدنيا فى أبنائها تتقلب بهم وتتحول عنهم أى تتقلب وأى تحول كما قيل ما اختلف الليل والنهار وما
داوت نجوم السماء فى الفلك الا لنقل السلطان من ملك ● قد زال سلطانه الى ملك وملك ذى العرش دائم أبدا
ليس بفان ولا مشترك وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم طومان باى ومدة ملكهم
مائة وثمانية وأربعون عاما وليس لطومان باى أثر لقصر أيام سلطنته وللاشرف قانصوه ما تأخر جملة وتفصيلة رحمه الله
تعالى وسامحه ومما عمره السلطان قانصوه الغورى بمكة المشرفة باب ابراهيم بعقد كبير حمل عليه مصروفى جانبه مسكبين لطيفين
وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا أصح ووقف (١٦٥) دلك القصر لانه فى هواء المسجد
وكذلك المسكبان لان أكثرهما واقع فى أرض المسجد وما أمكن العلماء ان ينكروا عليه ذلك فى أيام سلطنته بدولته لعدم اصغائه الى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين للطمع فى الدنيا الدنيه والخوف على ما صهم الاعتبارية ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن أعظم مصائب خارج باب ابراهيم على يمين الخارج من المسجد وقد طلت الآن لان رواتج عفونتها قد تصل الى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وعلق فريبا فى سنة ثمانين وتسعمائة بالامر الشريف السلطانى ومن آثار الاشرف الغورى أيضا الترميم الواقع فى سحر البيت الشريف عمل بامره فى أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة

بالواقع وان المنادى وصل الى سوق المعلاة وان بعض الاماكن متهدمة فأحد الشريف يفكر فى عاقبة هذا الامر فساخت عنده السادة الاشراف وقالوا لا يدمن الدخول الى البلد فعند ذلك قوى الصعيف
الشريف عبد الكريم من دلك وقال تحشى على ارضيه تدهب سدى دلك ويهلك القوى والصعيف
وعدرى منكم يا رفاقى ما معتم وأمه مكة فقد أعطيتها حقها وذبت عنها ودفعت من أراد دخولها
وجميع ما وقع فيها من ولس ومجاورة انما كانت فى وجه جماعة من آل بنى عمى والرأى أن ترجعوا
شفقة على البلاد والعباد ثم مشى الى الحجون الى أن وصل طوى فوقف هناك الشريف ثم ساحت
الاشراف أيضا وعزموا على دخول البلد من الشبيكة فمنعهم أيضا ثم اسدى السيد عبد المعين
ابن محمد بن حمود وأودعه طارقه ورجاله وجميع ما يتعلق به كما هو عادتهم وتوجه الى الوادى بمن
معه من الاشراف والاتباع ما عدا العسكر الخيالية فانهم حدوه كل متول وأما الشريف سعيد
فانه لما ودى له بالبلاد وجاءه الخبر بأن الامر قد تم له ومحل عبد القاضى أقبل ووصل الى المعابدة
عصر يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة ونزل بالاباى والعساكر والاشراف ونزل الى دار
السعادة عند غروب شمس وأصبح يوم الجمعة فطاع اليه الناس وسلموا عليه وهنؤه وودى له
وبالامان فى شوارع مكة وبالزينة سبعة أيام وفى عصر ذى الحجة وصل جماعة من الاشراف الذين
كانوا عند الشريف عبد الكريم وسلموا على الشريف سعيد وفى ثالث شهر وصل الشريف عبد
المحسن بن أحمد بن زيد وسلم عليه أيضا وفى رابع شهر وصل الباشا من جدة وفى خامس ذى الحجة
وصل كيفية نصوح باشا ومعه الامر السلطانى والعقد محاس بالحطيم حسب المعتاد وقرئ المرسوم
على جرى العادة ولبس الشريف سعيد القفطان الوارد وألبس أهل المناصب على العادة الجارية
ثم أرسل الشريف صيوانا وأمرا ان ينصب فى العمره وهيأ سماطا عظيما لصوح باشا وخرج
لاستقباله واستقبله وألبسه ولاه الشريف القفطان الوارد صحبة الحج على حسب المعتاد وجمع
بالاباى الى بيته يوم السبت سادع ذى الحجة ثم عرض لامير المصرى على القانون المعتاد ولبس
القفطان الوارد صحبته ثم مج بالناس على جارى العادة ولم يحصل شئ من المخالفات ولله الحمد والمنة

﴿الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٣٣﴾

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد واستمر فى هذه الولاية الى ان توفى سنة تسع وعشرين ومائة
وألف وان حصل من الشريف عبد الكريم بعد هذا حركات فهى غير متعلقة شئ فانه فى شهر ربيع
الاول من سنة أربع وعشرين ومائة وألف حاجت الاحمار للشريف سعيد بأن الشريف عبد
الكريم وصل الى خليص وبيته لوصول الى مكة ومعه جماعة من الاشراف والعرب فمرر الشريف

ومن آثاره بمكة سور جدة فانها كانت غير مسورة وكانت العربان فى أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها وأسرت عربان زيد
فى أيام الفتن الحاج محمد القارى وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فحملوا الى بيته وأركبوه على السطح وأركبوه معهم على
ظهور فرس ارتدفه واحد من زيد وأخذوه الى أماكنهم وهو قرب عتبة السوق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم الى
أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه الى مكة بعد أن استوفوا هذا المقدر منه ومن جدة مرارا فى الفتن التى وقعت بأرض
الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بن أولاده وجرت أحوال يطول شرحها فأرسل السلطان الغورى أحد
أمرائه المقدمين وهو الأمير حسين الكردى وبهرمه عسكرا من الترك والمغاربة والاوجاقية نحو خمسين صرابا لدفع صرر العربان

في بحر الهند وكان مبادي ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة اذذاك في جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير حسين الكردي الى جدة بنى عليها سورا في سنة تسع عشرة وتسعمائة وهو الباقي الى الآن وكان ظلوما غشوما يسفك الدماء ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء فاذا حيم أو طافه في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيبا حاصلا الرهاب من حضر ونصب أعوادا للصلب والشق والشكاة وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والهدلة فأي مسكين وقع في يده قتله أو في سلب أو عذبه بالمقارع أو صلب اظهار الياسه وس الفرعوني المهيب واحافه للحلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الحاج دخل بلدة وصادف انسانا يعد دخوله وأمكه (١٢٦) وأمر بضربه وقال له أي ذنب تضرب بني بسببه فقال أريد ارهاب أهل البلاد فجعلني

فسلك ساعة فضربه جميعه سوط ثم أطلقه

وكانت للامير حسين المذكور واسطة ممدودة في سائر الايام وكان اكولا جدولا للطعام سجعاني المؤاكله والاطعام يسوي الحروف وحده مع أرغفة عديده ومائس له معدة مكان كرديا جميلا في وظائف الحراكة لا يملأ عينهم ولا يعبر وبه فيما يهم وأراد السلطان العوري اعاده عليهم حمايه لهم وكان معتنيا به فأعطاه بندر جدة على وجه الثوار وجهز معه عمارة لقتال الفرنج الذين طهروا في سائر أرض الهند واستطرقوا الهند من بحر الظلمات من وراء جبل القمر الذي هي منبع ماء النيل وعاثوا في أرض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان العوري دفع أذاهم عن المسلمين ارسال الأمير حسين الكردي الى جدة فلما أتى جدة سورها وبنى ابراجها وأحكمها وهدم

ولايته

كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتدينين وضيق على الناس بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجيء فلما جاء قال ان يبني عليه فبنى عليه واستمر قبره جوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد وبنى السور جميعه في دون عام من شدته وعشمه واقدامه وطلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال وتأثل وتوجه الى الهند في حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بالسلطان بكجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه وعظمه وأنعم

سعيد للاقائه وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطاب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى الزواريه ثم منها الى الوادي ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شيء بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده الدخول في الحمى بلاده وطن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاعتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شيء غير أن السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طابوا الدخول في البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحمى ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة طويلة ثم سافر الى مصر واستمر بها الى ان توفي الى رحمة الله تعالى وذلك سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وولايته كانت على مكة ثلاث سنوات

﴿عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر﴾

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر بها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم بالهين كما تقدم وكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة في التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذي الحجة تمام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بامر سلطاني وصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فاخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطاني كما تقدم وبعدها لم يعد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا أنه في الولاية الاخيرة استحكمت أحواله وكثرت أمواله وتوفرت أجناده وتعددت أعصاؤه فلما انقضت المدة لم تسع العدة رحمه الله رحمة واسعة وفي أواخر سني ولايته الاخيرة تورد من الهند صدقة لاهالي الحرمين قدرها خمسة لكول روبية فحصل بذلك للشريف وللناس سرور وخير وعم ثلث الصدقة الخاص والعام وانتفع بها خلق كثير وكان وروده اليها في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

﴿وفاة الوزير عثمان جيدان سنة ١١٣٣﴾

وفي هذا الشهر انتقل الى رحمة الله الحاج الوزير عثمان جيدان رحمه الله وكان وزر له عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال ما لا يحصى ومشى في جنازته جموع مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان في مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد

عليه بتم طائفة عظيمة جليلة ولما سمع الفرنج به ارتفعوا عن بنادر بكرات الى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة منفذة محكمة لهم هناك هي تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوزة بانكاف الحمية المضمومة والوا والشديدة المفتوحة بعدها هاء ساكنة بسر الله تعالى لسلطان الاسلام وقطع سيفه دابر الفرنج اللئام وكانت عادة الاصنام والاصنام وقد أحس من قول أعباد المسيح بحاف صحي • ونحن عبيده من حاق المسيحا ولم يستقر الامير حسين في بكرات بل عاد الى الريس واقتفع في طريقه على عوده تملكة عين بني طاهر ملوك الحبس فلما وصلوا ما في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد أمور أولى شرحها ورتبها ما تأتي له في زبيد امعه رسل حركيس ورسل السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا لوكا (١٦٧) من أعمال سنة والحماسة ظاهرين في الاستعداد ظاهرين على أهل الدع والالحاد رحمهم الله تعالى واقتدر بسببه دولة بني طاهر من الريس وعاد الامير حسين لمدينه وبلده كما بحاث عنها بطاعته وقدم الى مكة وكان دولة الطراكمة قد انقرضت عصره وملكها السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وبقي عهده صوب الرضا والغفران • وفيه سيد الورى مولانا الامام الشريف العالي سيد السادات الاشراف وتاج رؤس الاشراف من بني عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدين أبو الدين محمد أبو نمي بن بركات حلد الله سعادته وأبد دولته ومد ظلاله أرسل له والده الشريف بركات ليلتمس من السلطان سليم خان المذكور في عصره وعهده الثاني عشر عاما حاصل له بذلك غاية التعظيم والاكرام وبلغ بذلك جسيم ما طلبه ورام وعاد الى والده الشريف بمعظم ما رامه وأحكام شريفة بكل ما طلبه وأراده وأرسل حكما الى السيد عزاز بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله يقتل الامير حسين الكردي المذكور وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأخذه قيدا الى جدة وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له أم السمك فأكلته الاسماك بعد أن كان بعد في الاملاك وكان طعاما للحيتان بعد اطعامه الصيفان وغرق مقيدا في الاصفاد بعد أن قتل ماشاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بددا ووحدوا ما عملوا حاضرا ولا نظلم ربك أحدا

والباب السادس في طلعه وآل عثمان خلد الله سلطنتهم الفاخرة الى آخر الزمان وذكر بدئه ومن

ولايته شرافة مكة كانت خمس مرات

عدد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشرين وسبعة أشهر

الاولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف أحمد بن زيد واستمر حسبة أشهر وانتزعها منه الشريف أحمد بن عالب وولي مكة ودخلها ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وانتزعها منه الشريف محسن بن حسين بن زيد ثم بعد كثرة الاختلاف بين الاشراف نزل فيها للشريف مساعد بن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهي مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصرا مكة محمودة مرل الشريف مساعد عن الولاية للشريف سعيد في ذلك اليوم ودخل مكة الشريف سعيد في سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف وهذه هي الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر بها الى سابع ذي الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية فكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة الا أياما الى وصول والده وان نظرا الى وقت ولاية والده تكون مدتها ثمانية أشهر ثم ولاية الولاية الثالثة للشريف سعد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة فحين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر بها الى ان حصل الاختلاف بينه وبين الاشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد في الحادي والعشرين من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائة وألف بعد تسعة أيام نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر الولاية الرابعة للشريف سعيد في ذي الحجة سنة ألف ومائة وست عشرة حين جاءته المراسيم السلطانية مع الصريدة ان كان عليه الوزير ثم واستمر بها من سابع ذي الحجة الى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التي جاءته بواسطة بيرم باشا في سادس شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة وكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة الشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة صوج باشا والي مكة سابع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر بها الى وفاته في المحرم سنة ألف ومائة وسبع وعشرين وعمره أربع وأربعون سنة لا زوال له كما تقدم كانت سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهرا واحدا فهذه ولاياته كلها ثمان سنين وسبعة أشهر

(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)

ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف

مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه فى بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذى هو عليه الآن وفيه فصول ﴿ (الفصل الاول) ﴾ فى ذكر الفتح الخاقانى ودخول ممالك العرب والعجم فى سلك العثمانى ومدة من ذكر أسلافهم الكرام طريق الاختصار خلد الله ملكهم العثمانى مدة الزمان وأبقى ملك الارض فيهم وفى عقبهم الى انتهاء الدوران ﴿ لما أراد الله تعالى بأهل الارض احسانا واصالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقوية أهل السنة المستمسكين بسنن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واقامة الشرع (١٦٨) الشريف على رغم الملاحدة اللئام اطلع فى أفق الخلافة العظمى شموس الايادى العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور العدالة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعظم ممالك الاسلام وفتح على يديه أكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم وأدطم الطالم من كل طالم أوظلام وشريعته جناح الامن والامان على أهل الايمان من الانام فأحد أحاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ كن فيكون ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ طبق الديار بدماء سيف قهره كما ملأ أهلها اواسة سيف عدله وسبب لطفه وبره وتشرفت بذكره فى الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنائر وعمرت مساجدها وأقيمت بعمارة مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الحنيفية وأحيى ما لها من مآثر الملك المالك الهمام واللبث الباسل الصرعام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم حبر حلق حلفاء الرحمان شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازى تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وأدخلهم جنات النعيم من الملك الفانى بالملك الباقى فى غرف الجنان وأبقى السلطنة فيهم خالدة كما نادة الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم عار وكلهم ● حبر الملوك صنايد الصنايد

كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان عائشا فى نواحى الحجاز وطاعة والده لما اشتد مرضه بجاه وحضر وفاة والده ثم جمع الاجناد والعساكر وفرق جاسمها فى البيوت وحاشا فى المنائر حفظا للبلاد ودرأ للفساد وأراد الاشراف كافة ان تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه فى ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واقترح ان تكون للشريف عبد الله بن سعيد المزبور ولم تخرج طائفة الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام بملاطفة الناس واستعاد العساكر والارزاق وقبض الجميع من أيديهم ورغبوا وتضرعوا الخاضعة على ما كتبه بزيدون بوايه فطرحها عن أكتافه فأخذها ورفعها الى الشريف عبد الله بن سعيد وأمره اياها فى داره ونودى له فى البلاد

﴿ (تولية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٢٩) ﴾

وكانت ولاية الشريف عبد الله بن سعيد يوم الحادى والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك فى أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة معاتبا له واصلا الى اليمن وعجز الشريف عبد المحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبد الله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر الشريف عبد الله بن سعيد فى اختلال الى عزة شهر جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين فكان عزله فى هذا التاريخ وكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله بانطباق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وهو ممتنع من قبولها فطلبوا منه أن يولى أخاه الشريف حسن بن بركات بن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من توليه أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولايه الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم اجتمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له رضينا بتوليه علينا وتختاره فاستحسن حسم المادة وايضاح الحادة ولاية الشريف على بن سعيد أخى الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف على المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله فلما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث نفسه بذلك واغتنم الشريف عبد المحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف يحيى بن بركات تؤول الى المخاصمات والمنازعات بين الاشراف وطلب الشريف على بن سعيد وأقاص عليه جماعة

أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا • ومن سواهم فلغو غير معدود لو خالد الدهر ذو عمر لعمرته • كانوا أحق بتعمير وتخليد

وجده الاعلى السلطان عثمان العازي رحمه الله تعالى أصله من التراكمة الرحالة النزالة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغول بن سليمان ويتصل نسبه الى ياوث بن نوح عليه السلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماؤهم بلغاتهم قبل التعريب لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مذكورة في التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا في الشرق في بلاد ماهان قريب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان (١٦٩) شاه من بلاد ماهان مع ستين ألف بيت من التركمان الى أرض الروم ومر محلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه في الفرات وأخرج منه الى شرقي الفرات وأقبلي الحلبان ودخل امام قلعة جعبر وعبر فرق من معه من التركمان في أطراف تلك البلاد وديارهم موجودون بها الى الآن • وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهم توجها الى بلاد العجم وهما سنقدر وداندار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغول ولوبد وعدي وقاما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان السلطان بلاد قرامان وحدها مملكة قونية فأكرمهما وأقطعهما في الاقامة في أرضه واستعاد بهما في جهاد الكفار واجتمع بهما طائفة من العشائر وصار رأيهم الجهاد في سبيل الله وكان مقرهم ما بين قره حصار والجلق في محل يقال له سكوجان صيروه قشلاقهم وجبل يلانجي صيفوه ويلاقهم وسلموهما مع مواصلة الغزاة والجهاد ووقع التكفرة حول تلك البلاد الى ان توفي ارطغول في سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولاد اتحدا اتحادا أشد هم بأسا وأقواهم جاشا وأعلاهم عراسا السلطان عثمان وكان مولده في سنة ست وخمسين وستمائة فدأب في خدمة والده في الجهاد وتعرس في الغزاة في سبيل الله مسدد شأمع الاولاد واستمر مع والده مع الكفار في القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجلاد وعلم فاعليته وشجاعته في فتح أطراف تلك البلاد فاكرمه وأعزه وأمده بأنواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والرمز وسمه باسم السلطنة تقوية ليده وشد العضد فلما وصل الطبل والرمز عملوا نوبة

الولاية وقال الحسين بن مطير في ذلك

وكم طامع في حاجة لا ينالها • ومن آيس منها أتاه شفيعها

•(ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠)•

وكانت ولاية الشريف علي بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الاشراف والعلماء وأعيان الناس محضر للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف علي بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد في شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفي هذه المدة حصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار اللصوص في أطراف مكة وبالليل في مكة أيضا وعظمت دولة العربان نواحي مكة واستمر الى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وفي هذا الشهر خرج السادة الاشراف برمتهم الى الوادي ونواحيه لقطع معايشهم وعوائدهم المقررة من أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادي الى قدوم الحج الشامي ولم يقع منهم خلاف في تلك الاطراف فلما وصل الحاج الشامي رفعوا أمرهم الى أمير الوزير وحضر اثنان وأربعون رجلا منهم يريدون عزل الشريف علي بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف صالح بن أحمد بن زيد وسألهم الوزير وحضر اشاعر كبير الاشراف الذي يرجع اليه أمرهم فأجابوه بأن الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الآن لم يحضر معهم ليوثق بمرأيه وهو مقيم بالحديبية والشريف يحيى بن بركات كان مقيما بمكة فلم يحضر مع الاشراف بالوادي وكتب الوزير رجب باثنا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة وأرسل الكتاب مع حاجة من الاشراف ومعهم أخيه الشريف صالح بن أحمد بن زيد والامر لم يكن محرورا ما الا عليه فجاء جواب الشريف عبد المحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة لم نحصها الا بكتب عن توليه أخيه واعتذر بأمور عظام منها انه سيسأل تعب هذا الامر اليه

•(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لاخيه الشريف صالح بن أحمد بن زيد في توليه وعزله عن ولاية مكة وما يترتب على ذلك من العزل والطرد عن مكة)•

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا اسطار العزل واداد ار العزل عدوت مطرودا في جميع الطرق والمسالك وأجمع السادة الاشراف على ابعادك عن عشيرتك وبلادك وهل أحزن من شراقتك عن عداوتك لرفاقك وأخيك فيما أوله فيك وأرجوه وفيما أكلمته من جميع الوجوه من المال ستكون الجامع لاهلي وعيالي اذا كسعت شمس وغاب هلالي وهل بعد اختلاف الدرعين تصبح أمي فيك هل عن ذلك واقتدي بي وسر على بعض هديي ثم شرع يحول مع

(٢٢ تاريخ مكة)

بين يديه بعد اول سماعه اول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى الآن فالهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة اربع وتسعين وستمائة واتفق فيها قدوم حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه ففيه كان من أهل العلم اسمه طورسن فتحه * ثم افتتح قلعة حصار * ثم كوري حصار * ثم قلعة لجك * ثم قلعة اس اذكى * ثم قلعة يوند حصار * ثم قلعة اله كول * ثم قلعة بكي شهر * ثم قرجه ولاه أورخان على بلاد قره جاتون بنت تكفور صاحب يار حصار فعمل أبوها سماطا عظيما فلما حضرت العراقة اتوا بالمرصعة وقالوا

الى اعادة الاشراف ممن يصلح لهم ويرضاهم من السعادة أملهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات فكتب الشريف عبد المحسن كتابا للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتابا للشريف يحيى بن بركات يعلمه بان الاتفاق قد صار عليه وأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف يحيى بن بركات كان أخوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل وأعيد الشريف أحمد بن زيد كما تقدم ورحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى الشام واستمر بها مكرما من طرف الدولة محكوما بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامي وصيرته باشا فحج بالحج الشامي سنة ألف ومائة واثنين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلبت به الاحوال الى سنة ألف ومائة وثمان عشرة فاستأذن الدولة ان يرجع الى مكة ويجاور بها وعرض له في ذلك أيضا الشريف سعيد الكريم كما تقدم فجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضدا للشريف عبد الكريم الى أن عزل بالشريف سعيد فلزم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على ذلك الى وقوع هذه الحادثة فاتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

(ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠)

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن من أحمد الشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا وولايته شرافة مكة امتثل الامر وكان يحيى الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت فسار ووصل الوادي قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار ووجد الاشراف في انتظاره فافاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وحج الشريف يحيى بن سعيد من البلاد وسار من غير حرب ولا حصار ومكثت عدته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعد له ولاية مكة الى أن توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته الى يوم الاربعاء السبع خلون من شهر رجب المعظم سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين

(عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢)

فعزل عنها الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة وتسعة أشهر ويوما واحدا وعدة ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١)

وسبب ذلك ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفي في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وقد قيل بعد وفاته احتلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد ورود له عن

الشرافة خمس وثلاثين سنة وعمر الثانية بين سنة وهو الذي افتتح بلادبورسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار يسمى بلوغ رصولي * وكان السلطان اورخان والد عثمان في الجهاد وفتح البلاد ففتح بورسا في أيام والده * ثم قبون حصار وقلعة اربق في سنة احدى وثلاثين وستمائة ثم قلعة كوبيك وقلعة بالي كسري ولايته وقلعة كوحاستي وقلعة الوباد في سنة خمس وثلاثين وستمائة وقلعة قرلجه طورله في سنة ست وثلاثين وستمائة وفتح عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته * واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس

ومدة سلطنته وسبعين وستمائة وحلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم في سنة ست وعشرين وستمائة

يسمى سلطانها وسلطان لان والسرن وأجمعوا أن يتعدوا من بلاد رومللى الى بلاد ناطولى ويقاتلوا السلطان أورخان فى محله وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده ان يتعدى الى رومللى ويقاتل الكفار لعل الله يفتح عليه قبل ان يصل الى ناطولى فأجاره والده ملبيا رأى بجالته وشجاعته فتوجه مع جدامه فسمع به الفرنج فجمعوا من الشجعان والفرسان والابطال مشهورون فعدوا الى رومللى فصادفوا الكفار فى حصله وهم يريدون العبور الى ناطولى فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون ونصر الله الاسلام وذل النصارى اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار (١٧١) ثم ان عدات الروم وجمع

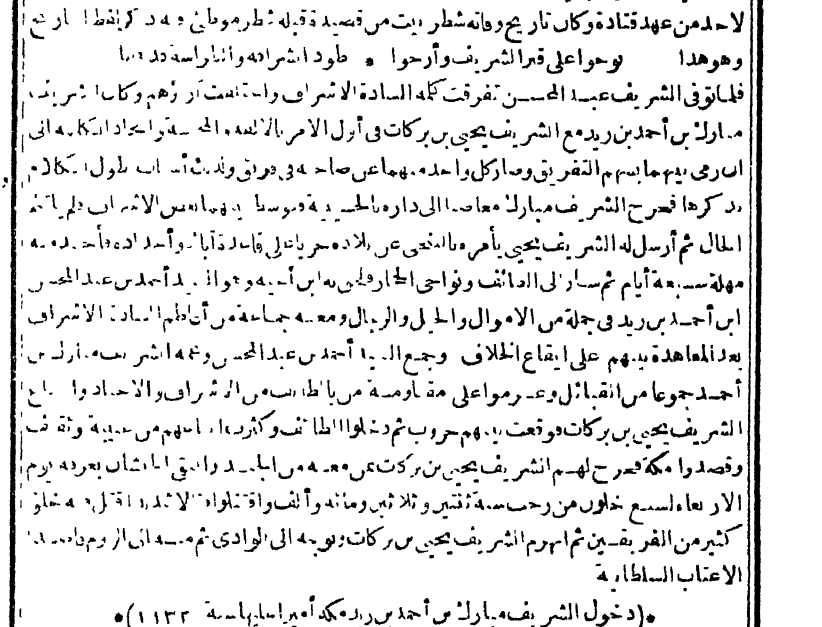

انشرافه للشريف عبد الكريم بن محمد بن على الى حين وفاته كان مرسما لجميع الاشراف لا يتولى ملك ولا يعزل آخر الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وباشملك بلاد السيادة لم يصر لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قيلت فى تلك الواقعة فقط التاريخ وهو هذا

وحوا على قبر الشريف وأرخوا ✽ طود الشرافة والسيادة قد هوى

فلما توفى الشريف عبد المحسن تفرقت كلمة السادة الاشراف واختلفت آراؤهم وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات فى أول الامر بالاتفاق والمحبة واتحاد الكلمة الى ان رمى بينهما بسهم التفريق وصار كل واحد منهما على صاحبه فى فراق وقد تقدم أن طول الكلام يذكرها فخرج الشريف مبارك معاصما الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف فلم يأتم الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتخلى عن بلاده خوفا على فادة آبائه وأجداده فأجابه الى مهلة سبعة أيام ثم سار الى الطائف ونواحى الحارث فلقى به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن ابن أحمد بن زيد فى جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعظم السادة الاشراف بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع اليه أحمد بن عبد المحسن وعمه الشريف مبارك من أحد جموعا من القبائل وعسكروا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاحداد وبلغ الشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثر قتلاهم من جهة وتقهقر وقصدوا مكة فصرح لهم الشريف يحيى بن بركات عن معه من الجند وأبقى الباشا بعده يوم الاربعاء لسبع خلون من رجب سنة ثلثين ومائة وألف واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من الفريقين ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادى ثم منه الى الروم وانقاد الاعتاب السلطانية

✽(دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢)✽

ودخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى فى الناس بالامان وبسط العدل والامان وعمما ساق له مما لم يصر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية انه دخل تحت طاعته ما كان شريدا المقدار فقد وليا شرافة مكة قبله وهما الشريف عبد الله بن سعيد وأخوه الشريف على بن سعد سنة ثمان المتقدم المعيد وكانا فى اليمن فى أيام دولة الشريف يحيى بن بركات وكان قد أرسل اليهما من يبعدهما عن بلاد الاقطار فصار بينهم حرب شديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك بن أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما اليه فأتوه فما راعهم الا وجنده فى الموضع الذى كانا فيه بعد فتكمن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى عن مكة فلما سمعا بذلك

وكانت له صولة عظيمة على الكفار واحتمعت النصارى على سلطانهم استعدت دعاتهم السلطان مراد خان الغازى لاعلاء الله لمال الكفرة واهرم الكفار وأطهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلواش وتقدم لقتال السلطان مراد خان فلما وقع بينهما أخرج خنجرا كان أعد به كمه فضرب به السلطان مرادا فاستشهد الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فصار يقال ان لا يدخل على السلطان ايلچى أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه ان يدخل على السلطان بين يدى السلطان مبارك ولى السلطنة بعده ولده بلدرم بايزيد خان مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولى السلطنة وعمره اثنان وأربعون سنة وحدد سلطنته ستة عشر عاما ولما تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تسمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم

ملزم ان يستولى السلطان بلدرم بايزيد خان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كريان أخذه وحبسه مع بعض وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمور لنك وهرب أيضا ابن مقتشا منه وحلى لحيته وحواجبه وصار فى صورة قلندرى وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب فى صورة سقطى يبيع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار وملوكها وصاروا الى تيمور لنك وشكوا امر السلطان بايزيد خان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم ويصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل ميرانوجان وسفك الدماء وعاث فى تلك البلاد وأسر أهلها وهتك المسلمين وشرح ما فعله فى بلاد الاسلام يطول جدا وذلك مذكور فى تاريخ الاسلام لمن رهبن وسير واستمر تيمور يفسد فى الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى أذربيجان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى السلطان هرب من عساكره طائفة التتار وجملة عسكره مشاة وعسكر كرمان وركبوا السلطان بايزيد خان وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى مشرع عسكره فى الابهر امر ثبت هو وقليل من معه واسر بقاتيل الى ان وصل الى تيمور لنك فقبل بسببه المشورة الى ان وصل الى تيمور وقد حجر راعه ورموا عليه سلطا وأمسكوه وحبسوه فحصل له جمى عظيم فمضى الى رحمة الله تعالى فى سنة خمس وثمانمائة وسلطان بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وواسع وصار بينهم النزاع والقتال حتى انتشر عشرة سنة الى ان استقل بالسلطنة

(السلطان محمد خان بن السلطان بلدرم بايزيد خان) وفى سنة ست عشرة وثمانمائة وموله فى سنة عبد

الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطاب منهما المعاهدة ففعلا له ذلك وسلكا معه أحسن المسالك وا- تمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف حدثت بينه وبين الشريف عبد الله مقتضيات الفساد ولعب بينهما بروق الدوى والبعاد وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساد ما وثب عبده ابو يحوم حول منصبه وبلاده فعزم على ارجاعه الى اليمن فامضى عزمه وأخرجه الى الينبع واستعمل مقبله من بيته السيد الخبيث وما فعل ذلك الا لانه تحقق ان الشريف عبد الله يريد اتمام مطالبه بملاقاة أمراء الحج وأعيان الدولة العثمانية وصار الشريف عبد الله يتنقل تارة عند ذوى حازان بالجعدى وتارة بوادى مرونارة بنواحى الطائف وأما أخوه الشريف على فبقى على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع عالب مقرراتهم فصرح عن طوعه لذلك جميع نفر فوانى الطرق والمسالك وكان ابتداء ذلك فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم اجمعوا أمرهم فى الوادى واستقر رأيهم على ان يكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن بدوان بعد اولاد عمه الشريف مبارك وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وانضم اليهم وكذلك لحقهم أخوه الشريف على بن سعيد الا انه لم تعترف الامر الشرافة بل كانا لدى الخلافة وأقاما مدة من الايام وآرازهم تقضى وتارة تكون نهاية الامر ولم يزل هذا حالهم الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه فى طرقه بين ويرمونه بالبعد والبين وهو مقيم فى مكة بلاده محصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس فى مكة شدة وبلاء يفطر الاكباد وكذا الشريف مبارك اصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين فى الوادى على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل لحقا وصبروا قبائلهم بالزاهر وصرح لهم الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم فى اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم معركة عظيم اعظيم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم وطلبوا منه الامان على ان يمكثوا ثلاثة أيام فى ذلك المكان ثم يرحلون ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبد الله بن سعيد ثم اجتهد هو وبقيه الاشراف ورفعوا ما كان بينهم من الخلاف وصفى لهم جميع حقوقهم وأدى اليهم ما ترتب عليه الحال فى مشاهراتهم ودخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبد المحسن صحبة الشريف

الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله وأما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله فى الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله فى التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما مات قام بامره مولا ياحيدر الحبى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلت وسكنت الفتنة * ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورسا فجاء السلطان محمد خان من بلاد رومللى ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم مشهور انهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فعانهما عفا عنهما واصدق عليهما احسانه كتبهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول

من عمل النصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان

عبد الله المذكور ورسموا الاحوال لجماعتهم وحاؤا ممتاعين وهذه المرة ثانية لدخول الشريف عبد الله بن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

* (ذكر الفتنة التى وقعت بالمدينة بين الاعاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤) *

وفى مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن ريد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقعت بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاعاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم امر نجبى المدفون بجنة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل ولخصها ان رجلا من توابع الاعاوات سعى على قماش أراد ان يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل فى العسكرية فامتنع من ادخاله كاربا العسكر حيث انه كان فى العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أعاوات الحرم لا بد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافى أهل المدينة كاربا العسكر فى عدم ادخاله ووقع فى المدينة صدمة واتسع الامر حتى آل الى القتال واسدادك على وما ومن كان معصدا له من الاعاوات وكان معهم نحو من قنابل حرب فصعدوا بها الى الحرم الشريف وترسوها وأطلقوا أنوات المسجد وترسوا بعض البيوت التى بحائط الحرم النبوى وعرموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كاربا العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضى الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما فى الحجرة من الاموال وما حدث من القتل ونهب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضى الشرع للاعاوات يعلمهم من الفتنة وبطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الحضور عند القاضى فحكم عليهم القاضى انهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة فى قتالهم وسبقوا بالهم من كل باب وقتل فى تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة فى المسجد النبوى فجمعوا للسلم وامتنع العساكر وأهل المدينة الا بعد احضار الاعاوات القائمين مع على قتلوحدسهم فى فعله السلطان بالوجه الشرعى ثم يرفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن ريد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كاربا الاعاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا فى القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا الى مكة وحضر معهم مفتى المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة وعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من حاء من المدينة المنورة وقاضى مكة وابراهيم باشا والى جدة ومفتى مكة وجماعة من حلمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاعاوات وأمر الشريف مبارك بحبسهم فى داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتى الجواب فجاء الجواب من

آلاف وخمسمائة دهب للشرفاء السادات من خزينته فى كل عام مثل فتح المتوحات ولين الجوحات وعهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين * ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وفاتل قرال انكروس وكسرهم وأسرهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتح الديار الى أن انشأ له ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح فى غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ فى معيشا بحسن رضاه ﴿ فتولى السلطان محمد بن مراد خان فى سنة ست وخمسين وثمانمائة ﴾ مولده فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من أعاظم سلاطين آل عثمان وهو الملك

رحمهم الله تعالى فلما تم أجله فى أم الدنيا أراد الله تعالى نقله الى جنة المأوى ودعاه من ملك الفناء الى القاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء وان الى رحمة الله الرحمن وكانت وفاته بمرض الاسهال وكان له من البنين الشهادة أيضا وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى ﴿ وولى بعده السلطان مراد خان بن شهد خان بن بلدرم بايزيد خان ﴾ مولده فى سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقدما واسكاشجاعا عادلا واسع العطاء حسن للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته فى كل عام ثلاثة

الضليل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأثبتهم جاشا وافواهم فؤادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وفتن لهم قوانين صارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام وصروات كثيرة أصلاب الصلبان والاصنام • ومن أعظمها أنه افتتح القسطنطينية الكبرى وساق لها السعد تجرى رخاء براو بحرا وهيم عليها شهوده وأبطاله وأقدم عليها بجيوله ورجاله وحاصرها حصرا يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودرياق النصر والتأييد ولج ومن (١٧٤) قرع الباب ولج وثبت على متن الصبر الى أن

أتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اسطنبول فى اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى أيا صوفية وهى قبة تسامى قبة السماء وتحاكى فى الاستحكام قباب الاهرام وما وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما كأن أراجها أراجح الاطلال ومسامير أبوابها نجوم السماء تفرق منها جلابيب الظلمان والاسلام وحلع عليها سلاح مساجد الاسلام وأيدها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها من نور الاسلام شعرا وحبورا لا زالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار لقلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعراف مستقر السلاطين آل عثمان • (الولاية

الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الاعاوات وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفى لبعضهم ثم مازال الاعاوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجى وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاعاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أوائل الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين • فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم وعمر ولده قبل مجئ الامر الى مصر ونفى والده السيد عبد الكريم بالمدينة فصعب عليهم قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وبرجدة أبو بكر باشا وأنفذه الى جدة وحبس بالقلعة

• (ذكر قتل المظلوم بحدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجى سنة ١١٣٦) •

ثم أمر بقتله فقتل خنقا ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفى مدة اشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك فى شرافة مكة الى ست من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية وكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك ان الشريف يحيى لما هرم فى رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يحتج حتى احتج بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الا قليلا وصار بينهما حديث طويل فاهم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامى ومعه الوزير على باشا كاهيلى متولى سدر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامى على باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع فى عسكر جرار ودخلوا مكة لست خلون من ذى الحجة وخرج معها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف وسمع بسعى جرجة بعدو ادريسه قريبا من بلاد عمالة

أهل المعدلة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • وقد أسس المرحوم المقدس فى اصطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخشى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وفتن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول وترغب فى طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حلل القبول بعد الخمول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومحبيها أجزاء أكثر ثواب فانه جعل لهم فى أيام الطالب ما يسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاجتهاد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى وانه رحمه الله

استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف باحسانه العام اليهم كمولانا على القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الانام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين فلدها في أجيادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعدت مآثره لاستغرقت مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة ﴿ثم ولي الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي﴾ ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٧٥) وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون عاما وعمر أبيه وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء يفرع من شجرة ركنة دلمية أصلها ثابت وفروعها في السماء وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتربيت في حجره رؤس المفاخر وترضعت ثدي كره صدور المفاخر وامتلأت عدائح أوصافه طيور الصحف والدفاتر وامتلأت الصوامع وغيرها في سبيل الله أعظم العروات وهو ما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وفاتحه أخوه السلطان جم صدر السلطان بايزيد افتتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم ومر الى مصر ووقع في رمس السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي اكراما زائدا وذهب الى ورسق وجمع طائفة من العوام وبارع أخاه على الملك وقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فارسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموسى مسمومة وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركي ● ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة مئون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة ● وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور عجيب

● (الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤) ●

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رفقته ورأسه ما الاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف برعامة وقطاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بأيام الكيفية أصوب وأولى مع اعتماده على من جاء معه من الاروام والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية الاضطراب مع بقور والاعراب والحال أن الشريف مبارك وذويه آل زيد بن محسن مقيمون باطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضي جدة علي باشا كاهيلي ثم وجها هما تمهيد الامور واحلاء بعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها اعادة السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شئ من ذلك أما السادة آل زيد فقد كرنا أنهم نزلوا باطراف الطائف فوق قرية تسمى ليسة في موضع عزيز يسمى حرجه قرب بلاد ثمالة وكان في حرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف ونزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعد بن سعد بن زيد ومعه أخوه الشريف علي ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين وماية وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلي باشا كاهيلي الى الطائف على طريق محملة بالحمول والعساكر وسار اسيرا معهما حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها ليلا بدلالة بعض شيوخ ثقيف وصبحاهم تحت الحصن المذكور واستولت العساكر على أثاثهم ولم يسلم منهم الا أشخاص وكاد وايدهون قتلا لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم وهذه العارة انما كانت على الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف علي فقد رحلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع ما معهم ورجع الشريف يحيى وعلي باشا الى الطائف وأقاما أياما يعدان أقطار الطائف ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أحدوه من الاوباش كتابا خط بعض أهالي مكة ممن يسب الدين باشياء كوجه الدين عبد الرحمن بن علي بن سليمان عليا باشا وقع له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فذهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب وساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية تحيلة وناصرة وبني سعد وثقيف واجتمع معه نحو الالف وأقبلوا على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا للقائه الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد في أول الامر حملت

واسيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فتك فى البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الاضلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل فى ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية فى تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الامجاد وطهر من اتباع شاه اسماعيل المذكور فى بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولى أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه عوام لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به فى ذلك الفطر العثمة فارسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى وأيده بجيش عظيم (١٧٦) لقطع حادرة هذا الطاغى فاستشهد على باشا فى ذلك القتال واسكسر

شيطان قولى المفسد التعيس وعسكره من جنود ابليس وقتل مع طائفة من أعوان الابالسة وأسكن الله تلك الفتنة بعد ما طمت وكفى الله شر أولئك الاشرار بعد ما عاثت فتنتهم وعمت وذلك فى سنة خمس عشرة وتسعمائة وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مثواه من المجاهدين فى سبيل الله الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناوأهم منصورين على من شق عليهم العصا وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى عمار ال عاريا فى سبيل الله مظفرا منصورا على أعداء الله الى أن صارت بيسة الاسلام بسيوفه مجمة محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله واعانته مصطورة ملحوظة وكانت أيامه من أحسن الايام وأكثرها أمنا وراحة وجمع قلب للانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال حاسئة مقموعة وتولى وحدث

الجبل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته والبادية الذين معه انحصروا فى الجبل المسمى بالخطة ووقع منه قتال أهال الاثرال وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه الملكات السبعة بعساكرهم بل ومن ينتمى اليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر شديدة فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الاثرال وغيرهم ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم لدفاعهم عنوهم الامان وبذلك سلم بقية الاثرال من القتل ورحل البادية من الجبل وتوجهوا الى الطائف أمسين مطمئنين ويقال ان على باشا أصابه صواب فى تلك الواقعة وكان الهزيمة فى هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع الى الطائف ثم خرج من الطائف بعسكر وجهه اليه الشريف يحيى وبقى فى أطراف الطائف الى شهر رمضان من السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن على واستقر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين دخول الشريف عبد الكريم رعيم الاشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى وهو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن محسن فتولى الامر ودب عن الرعية وأرسل كتابا مع والده السيد عون للشريف يحيى بن بركات وعلى باشا يعرفهما بذلك فارسلا بالجواب فوصل الى مكة واجتمع بهما معا ثم على باشا بمفرده وتواطأ على أن يكتب الشريف مبارك كتابا بالملاطفة ويعده بأشراف مكة بعد الحج وأن يرسلا له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من كان عنده من البوادى ويستقر بالطائف آمنا لا يعرض لشئ من الاحكام وتعهد السيد محسن للباشا بأنه مهما خالف ما تأمره به وأبا أمضى اليه بنفسى لاجل ذلك وفى ضمن ذلك يطفئ الفتنة ان شاء الله تعالى ويتطفئ ثائره الاشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لابد من تسليم شئ لهم فعاصوا فى ذلك واستمر الامر على تسليم علاوة شهر للاشراف بقدا ثم سلم ذلك اليهم على باشا من حراسته ثم توجه السيد محسن الى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الاشراف وأعطى الشريف مبارك كما كان من الباشا والمبلغ الذى له وأرله مما كان عليه وأعطى الاشراف الذين معه علاوة شهر بقدا وتفرقت البوادى واستقرت الاحوال وأمنت البلاد ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن الى مكة ومعه جماعة من الاشراف وجماعة من عيون أهل الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم فوجدوا على باشا قد توجه الى جدة فلحقوه بحدة فاكرم السيد محسنا ومن معه عالم يعهد مثله وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الامر فى كل ما أمر به فسر بذلك وشكر من السيد محسن فيما فعله فرجع السيد محسن الى مكة

ودخل معه الخلوة مجلس أربعين وارباص مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة مولانا والد أبى السعود أفندى المفتى المفسر رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الصيافات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والحسور ورتب للمفتى الاعظم ومن فى رتبته من العلماء العظام فى زمنه كل عام عشرة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى اليمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان فى كل عام سبعة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى شرح

التحرير ألفى عثمانى وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق الى الله ومريديهم وأهل الروايا لكل واحد على قدر مرتبته وصار فاوضا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم انصرفى كل عام وكان يجهز الفقراء الحرمين الشريفين فى كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يستعينون بها ويرتفقون بها ويدعون له وادا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد يهتم بأمره ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلاة عظيمة ومواهب جليلة ومن ورد عليه فى شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيى الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقى والشيخ شهاب الدين بن الحسين العفيف شاعر (١٧٧) الخطاء رحمهما الله وأسكنه فسيح الجنان

وحدث على باشا مرض طال به الى ذى القعدة ثم توفى بعده وتوفى بعرب أمامه وأوصى عليه وعلى ولده واستقر فى مكانه بعده كيخيته اسمعيل باشا وأقام على طائف العسكر على عاداتهم مع على باشا وكانت هذه التولية برأى الشريف يحيى وقاضى الشرع وأعيان الدولة واستمروا الى شهر ذى الحجة الا أنه صار فى العسكر تعاريات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كاستناده والاشراف فى بهائه الاضطراب أيضا مع شحهم الشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد قد تحرك بالطائف جمع الدية والمير الى مكة تعاونا على باشا المذكور ولم يزل الحال كذلك الى أن وصل الوزير عثمان باشا المكى ابى طوق أمير الحاج الشامى

(ذكر دخول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥)

وكان فى مكة أعيان الدولة كحسين أغا اغا السعادة وأيوب أغا شيخ الحرم النبوى باشا وغيرهما تواطؤا على أن الشريف يحيى يزل عن الشرافة لولده الشريف بركات ويصير هو شيخ الحرم المكى فاذا فعل ذلك ذهب حقوق الاشراف الدعة وتقوم لهم الشريف بركات بما يفهمهم حالا وفى هذه السنة قتل وفاق على باشا صارت قصبة بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر على باشا أفضت الى قتال بين الفريقين فانهزم الشريف يحيى ومن معه من العبيد والعساكر فى الوقت على باشا على الآخرين فحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا فى جبال مكة فارتفعت فى حواط الاشراف على مباحهم الشريف يحيى ولم يحصل هذا الامر وحصل فى هذه الوقائع بعض شروح بعد وصار على العسكر دل لم يعهد له نظير لهم تقاسموه من العسكر فى الحاربة الواقع من الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما يأتى ذكره والحاصل أن هذه السنة صارت فيها حوادث جمة ومخاصمات وخارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة قحطة ولم يزل الحال كذلك الى شهر ذى الحجة وفيها كان رواله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل اخر السنة المذكورة أعنى سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف حتى ظهر الخلاف فى جميع الاطراف لاسيما اقتضت دلك أحداثها مع عصيده الوزير على باشا وثباتها تحرك الشريف مبارك وأطرافه لموت الوزير المذكور واحترام ما كان بينه وبينه من الوعد وثباتها الشريف يحيى عن ايفاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحوج الشامية والمصرية وعربها معهم الشريف يحيى الى عرفات وكانت الاشراف معهم فى بحبوحة عدم فلم يعاطوه وأبوا كلهم الا الدولة الواصلين فى ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامى الوزير عثمان باشا أبو طوق بكه

تاريخ جامع الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يحلو من مواد لطيفة • ومما نظمه الشهاب العفيف فى مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية طالما طالعها

حمد دوامن ثنائى موجب
الحمد والشكر

ومن دراقطى طيب النظم والنثر

•(ومنها)•

وارا كاينسرى على طهر صاهر
الى الروم يهدى نحوها طيب الاثير
ان الحادان وهبت رمى مصريا
ويريد الاصطبول سامية الذكر
به ملك لا يبلغ الوصف كنهه
شريف المساعى باهر الاثر
الى ابن الحليم والملك الذى
حمى حوضه الاسلام بالبيض والسمر

(٢٣ - تاريخ مكة)

وحرد للدين الحنيفى حاميا • أذل به جمع الطوائف والكفر
وجاهدهم فى الله حق جهاده • رجاء لما يبغى من الفوز والاجر
له هيبة تملا الصدور وصولة • مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس • ودان له ما بين برص الى مصر
هو البحر الا انه كامل الصفا • ودر الحليف الغوص فى معظم الشهر
هو الغيث الا أن للغيث مسكة • ودر الا يزال الدهر سهل بالقطر
هو السيف الا ان للسيف نبوة • وفلا ودما ماضى العزيمة فى الامر
سلاطين بنى عثمان والسادة الالى • علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم • وهل ينبت الديباج الا الى الدبر
محوا أثر الكفار بالسيف فاعتدت • بهم حورة الاسلام سامية القدر

فيا ملكا فاق الملوك مكارما * فكل الى أدنى مكارمه يجرى لئن فقتهم فى رتبة الملك والعلا * فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرا لانها * سرار وأنت الدرى غرة الشهر تعاليت عنهم رفعة ومكانة * وذا تاو أوصافا تجلى عن الحصر

لئن العزة القعساء والرتبة التى * مواعدها تسمو على منكب النسر سموت علوا ان دنوت تواضعا * وقمت تحق الله فى السر والجهر
خلدت بك أهل الروم ترهيبا ملاحة * وترويل فى ثوب الحلاوة والمر أنست ابن عثمان الذى سار ذكره * مسير ضياء الشمس فى البر والبحر
يسار روى عن يسار رباثل * وورد يروى فى الشاشة عن شثر والى اصواب الدر قلائدى * عن المدح الاولى بأملاك العصر
فقابل رعاك الله شكرى بمثله * وقابل المعروف من أكرم الدهر فلازلت محروس الحمى مؤيدا *

من الله بالتوفيق فى العصر والدهر

وتحكى ان القصيدة فلما وصلت اليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العليف بألف دينار وهذا جاره ورتب له فى دفتر الصرر فى كل عام مائة ثم زدها فصار اليه فى كل عام وصارت بعده الى أولاده * وكان المرحوم السلطان عدة أولاد صاروا ملوكا وصار لاولادهم أولاد فهم السلطان جهان شاه والسلطان أحمد والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأجدهم وأعرهم وأسعدهم وأكملهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصابيح الدنيا ويقوم لرحوم شياطين العدا نشؤا فى مهد السلطنة وحجرها وعواما بين سررها وثمرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا عروان يجود الحواد كالله ونلوح لاحقا

محايل الليث على شبله والولد سر أبيه فى فصله وشله وكل شئ فى الحقيقة يرجع الى أصله ملوك بنى عثمان من طاب أصلهم
* كرام لهم فى المكرمات مفاخر اذا ولد المولود منهم تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر ولما ترعرعوا وترعوا أخرجهم
والدهم الى الساحل المقابل له فى بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ممالك الاسلام وقلدهم الامور الجسام
فجعل لاكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسية وما والاها وكان يتوقع منه أن يكون ولى عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم
على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقود مملكة * تشاوتوا بعها وجعل للسلطان سليم مملكة

ما التفت اليهم ولا أحد أيدهم واعمال مع الشريف يحيى فاستقر الرأى بينه وبين الشريف يحيى
وأعيان الدولة ان يعزل الشريف يحيى عن الشرافه ولولده الشريف بركات وعهد اليه بتهذيم
حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال وبدا خاطرهم الشريف بركات بحسب جهده ففعل
ذلك الشريف يحيى ورحل لاسته الشريف بركات فى مجلس الوزير عثمان باشا أمير الحاج الشامى
وخصوص قاضى الشرع وأعيان الدولة على أن الشريف يحيى يلبس خلعة مشبعة الحرم استقلالا
عن صاحب جدة وكان المعزول المذكور فى اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين
وتسعمائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثمانية أيام والاولى سنة وسبعة
أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يوما من فراد الانتظار لما عرف السادة الاشراف أنها
حيلة على ارداها حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن
بركات فلا يردولا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن
حسن بن أبى نمى ما دات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى
ان ينهاهم عن ذلك لاطاعته لهما وما بين السيد محسن بن عبد الله على العراق وكذا جملة من السادة
الاشراف وأجمعوا على الارسال الشريف مبارك بن أحمد ليصل بمعه من الاشراف والعامة
وسيروا على مقابلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أرمع رأيهم على ذلك فارقوه على
مقتضى قواعدهم ورووا الى خارج البلاد وحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة
وألف وتلاقوا هم والشريف مبارك فى عرفات يوم عاشر الشهر المذكور وفى اثنائه لمدة لم يزل
المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وكان فى
أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع السادة الاشراف والشريف مبارك ثم
وصلوا جميعا الى أعالى مكة

(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)

وخرج لملاقاتهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده وعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة
بعساكره وخشاشهم بالعوائد أمثال الشريف مبارك ومن معه وتلاقى الحزبين بهم بأعلى مكة
عند المدرج اليوم الاربعاء الثانى عشر من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمى الوطيس واشتد
القتال فى القتال الى نحو ثلاث ساعات من النهار فحمل السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف
بركات ومن معه وهزموهم هزيمة شنعاء وقتلوا فيهم قتلا ذريعا لم يسمع مثله حتى امتلأت أعالى مكة
من القتلى ورأوا مدبرين ثم جاء السيد محسن بن عبد الله وأمن العساكر اليمنية ورحلوا بهم الى مكة

طوابرون وهو الذي جرى في حليه السعادة فسبق وسبقت في علم الله تعالى سلطنته وكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد امالكة الكفار وما يليه من بلاد التتار وكلهم ملوك أمراء وسلاطين كبار من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ٭

مثل النجوم لدى يهدى بها السارى وأسعد الله مهار شاه ومحمد او أحمد لوها في حياة والدهم كما دام الله تعالى القتال وصار حال ما عدا السلطان سليم انما حال رحم الله تعالى جميعهم أو نيل الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار ٭ وكان والده السلطان بايزيد خان استولى عليه مرض البرقرس وهو أكثر مرض ال عثمان رحمهم الله تعالى فصعب عن الحركة وترك السير سبعين معتمدة فصار العسكر اطرافهم (١٧٩) وأكثر أحشائهم وشكوهم يطلبون سلطانا شابا قوى الحركة كثير الاسفار ماهدهم في سبيل الله تعالى ويجهوا من الكفار حدائهم ورأوا أن السلطان سليمان أجلد من سائر اخوانه وأقوى على دلك لقوة جسمه وعلو شأنه فمالوا اليه ومال الرأى وتوجه بالعطف والحنو عليه وحرج على والده عارا وزاد عليه معاتبا ومعاصبا فقال له أبوه مهما رمه ورلى عارا ثم عطف على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واحتشادهم له على والده واجماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم وآثار عليه وراوه أن خروج عن السلطنة للسلطان سليم يطلب سليم وحار استقامة في أدرنة في عز وتعظيم وأمروا عليه في دلك فما رأى الا الى اجابتهم الى ما طلبوا وموافقتهم الى ما سألوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التاج وتوجه مع حدامه الحواص الى أدرنة فلما وصل الى قرية خور لوا كسير رياح مراجه وعجز الاطباء في علاجه وسقاه ساقي الحمام كأس أجله المحتوم وسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وقدم على الله تعالى الحي القيوم وزرق مرتبة الشهداء ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفاني الى الملك الدائم الباقي وكان دلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة ٭ وولي موضعه السلطان الاعظم السلطان سليم خان ٭ كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى محله ومأواه ٭ مولده في أماسية سنة اثنين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة

لاحقاهم الشريف مبارك حتى أوصلهما اليه في داره بالعامرية وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادي مر بأجلة وكفلاء على قافلتهم المعتاد ثم توجه الشريف بحيى الى الشام ثم توفي بها وكذا الشريف بركات

٭(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)٭

وكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادي بمكة للشريف مبارك وبالامن والامان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأقامت العادة دخول محمد السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستقر الحال على أحد ما يكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولكل أنصار الاول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما ان السيد محسنا أراد الدخول وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليمان وزيرا آخر فلم يفعل وعصى الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف وتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتأنف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر الشر ان بمكة المشرفة ليلا ولم تلتفت الشريف مبارك لشيء من ذلك ثم خرج في أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة لتأمين الطريق فلم يحصل أمن بل أحد انقطاع ما سافر بنا من الموضع الذي كان نازلا به ولم يشرع ثم رجع الى مكة صحبة الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن فلم يجدهما في مكة وقد كان الشريف عبد الله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند ما رام الشر بصر بركات بعث عرضحالا الى الدولة العلية عما عند بعض أمراء العساكر المقيمين بمكة معمول العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وابه فقتل جميع الامراء وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولا بد عنهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبد الله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فما كان جوابه الا عزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبد الله بن سعيد فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادى الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد وصادف دلك ما هم فيه من الاحتفال فلما جاءت الاخبار الى مكة بذلك رجع الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصار احتفال الشريف مباركا فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجميع أمراء العساكر المصرية وأشهروا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة وطلبوا من القاضي عزل

سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا اربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا جبارا كثير السفك قوي البطش عظيم الفتك كثير التفحص عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والباس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعة في الاسواق وفي الجمعيات والمحافل وربما سمعوا بما ذكروه في مجلس المصاحبة ويعمل عقتضى ما يسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت (١١٠) جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة

الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله سعيد وقوف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغلب عليه الاتراك مع الرام السيد محسن للقاضي بان البلاد قد حرجت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا والوالي أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر الشريف عبد الله سعيد لهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وعمه وهذه الاشياء توجب العزل حث السيد محسن حضرة القاضي على العزل وقال العامي تحتي وقوع فتنة ومال تكة المشيرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله ما تكدر على المسلمين غير انكم أحضروا الملبوس ولا تصدموه على الشريف عبد الله سعيد الا اذا دخل بيت الشريف مبارك فعلوا حسب ما أمرهم وذهب السيد محسن وحذر العساكر المرية من الحركة وأخبرهم ان الشريف عبد الله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي وهاهو قد أقبل ثم دخل بيت الشريف مبارك

(الولاية الثانية للشريف عبد الله سعيد سنة ١١٣٦ وخروج الشريف مبارك من مكة)

وعلى هذا ردت أليس القاضي الشريف عبد الله وخرج من الحكمة على جهة سوقه ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحول للعمال فوطد وأرجى كعادته عن ذلك وأخبره ان الامر قد تم وان الحركة ليست بيده فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى ركة ماجن بيد الحميرية وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة أشهر والاولى سنتان ونصف الجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له عوده الى الشرافة بمكة واستمر باليمن الى ان توفي سنة ألف ومائة وأربعين رحمه الله فتولى الشريف عبد الله سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الله سعيد وكان دخوله هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قليلة بتواتر خبر اطلاق تكة المشيرفة وما حولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان اتكسر لهم عسكر في ذلك العام مبلغ عظيم من معالفهم ولم يكن عسكر ما يهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل الدعاوي بينهم وبينه عند القاضي رفع وعطم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة واقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات ونحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعساكره فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمآثر وكر على المقاتلين له الرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار

السلطان سليم المرحوم معهم وانصف معاشرتهم لهم وشدة ضبطه ودهائه وتحفظه مع كثرة اطلاعه للتواريخ وتمرسه في اللغة العربية وتمكن سلطانه بالفارسية والرومية بحيث وافق بسببه فصحاء الطائفتين ورأيت بين يدي العربي بخطه الشريف كتبهما في علوم القياس في الكوشك الذي أمر ببنائه بالقرب مصر وكان الروم قد انحسى للاول الزمان مداده ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك شحنة ما مقبلا لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبدل بالدخول اليه لعظمة بانيه وارتحلت الى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر الهيل السعيد فصحوا هذا الكوشك لكبار بني مصر يومئذ حسرة وباشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم المصري فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا المذكور ورأيت على الرخام الابيض كتابة خطيه لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين

الرحمة
الملك لله من يظفر بسيل مني * يردده قسرا ويضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أقله * فوق التراب لكان الامر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المفحم وان كان قد تمثل بهما وغيره فهذه أيضا مرتبة عالية في حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم

العربيه فضلا عن سلاطينهم المشهورين بضبط الممالك وحفظها والفائقون في ذوق الشعر العربي وحسن دأبه من العلماء والموالي في غاية القلة معدودين منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لان ذوق الشعر العربي على وجهه كما ينبغي قليل أيضا في علماء العرب الامن توغل منهم في علم الادب وتعب في تحصيل ودأب وقد كانوا اعدادا وافيلا ... وقد صاروا أقل من القليل

﴿ثم لما استولى﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة ورجع من دمشق والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد فرأى السلطان سليم عسكر أحمد وبني في عدد قليل فاحد أسبابه أن أخاه أمير السلطان سليمان مات بمدينة قونية في تاسع عشر شوال سنة سبع وسبعمائة ثم مر السلطان قورقد الى كوتاهية وأراد التوجه (١٨١) منه الى مكان يعرف بمكانه فسلك وبني

الرحمه المعروفه بماء الشريف يجري من بركات تلك الحلات وأمدد ظل ... وعراك الفوارس فهو عاطل سلب الرجي من المتارس وأعلام الفهم في يوتهم ... عن الفريقين الا اسمهم في آخر الامر حصوا الى اعانة الشريف عبد الله بن عبد الله بن كان ... وبين السادة الاشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فرفضوا تلك العهود السابقة لما أملوه حصل له النصر فأحرج الدين فاوموه من القصور ومكسورين بعد ان قتل من العربان بعض أشخاص وتوجهوا جميعا الى طوى وهاموا ثلاثة أيام لقضاء ما ... وجاج أمر اصبهم ووصل الشريف عبد الله بن سعيد في أثناء ذلك الاصلاحهم وأحدقوا اطرافهم حربا على حين انام فلما رأوا له وما أحدق ذلك بعساكرهم والى وادي مر فاحدقين بالاقاة لوا ... ثمان يا أتي طوق أمير الحاج الشامي ليعرضوا عليه حقا ... أحوالهم لانه كان أمير الحاج سنين عديدة والى قبلها فلما جاء الحج احتجوا له وشكوا ... ما حل بهم اليه فما لهم بالاجلال والاكرام ووعدهم بقضاء مطالبهم فلما وصل الى مكة واجمع الشريف عبد الله أخوه واحتماياته الاشراف به وشكاتهم اليه وأفهمه عما ... دهم به وأخبره الشريف عبد الله عما دار ما بينه وبين الدراهم ومقدار ما يحمل اليه من المحصول الا ... الذي عما طلبوه به واستقبال الوزير المذكور حين صادفه في حاسه ثم ان الشريف مع الوزير المذكور ولي تفحص معاملهم ... ولي يوم فيها على قدر المحصول ولا ... وكتبوا بذلك دفترا ... طوى على العشر من مشاهيرهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة وأمرهم ... باحضار ما ... عليه ليجمع عند الالتفاف اليه ويناظرهم ... ودعهم ثم أمر من مقرراتهم من عرق أيلان السادة الاشراف في سائر الاطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالي مكة ممن كانت له مع أولئك السادة الاشراف

﴿عزل الشيخ محمد الشيبي عن سدانة البيت الحرام سنة ١١٣٦﴾

من جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي وطوقه الادهم وأثبت عليه الذنب المقتضي ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودعه معه ... ودفع ذلك دفعة وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب وتسلمه الى ابن عمه وبعد ذلك من الاعتقال أمر بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا انه أغار على شيخ الحديث في عصره العلامة الشيخ سالم ابن الشيخ عبد الله البصري وألزمه بمبلغ جسيم من المال عجز عن تقديم وأفهمه بأن الامر به من عصره الوزير ومنعه من الوصول اليه وشكواه اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذي طلبه منه حتى باع عقارا نفيسا وكتبه وسلم جميع ذلك وعد على رجل من علماء الاروام يدعى

﴿فلما استقر﴾ السلطان سليم الملك وهيأ له أمر الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وأحاله الشاه بالاستقرار على سرير في ظهر المملوك وأحد الممالك والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والمسالك وقد أنقبل شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصوفي كما ذكرناه مجملا من ذلك في هذا الفصل الثاني فانى ما طفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرني نفر من أعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره فهم حذق من أهل عصرهم هلا كذيكون على يد ولد له بعد ما ولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم مطلب امر أة معتمدة عنده سماها حواريه الموطوآت وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الديانات وقال لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن صبيا فاقتله ولا تبقه حيا

به اليه فعل وكذلك ... السلطان محمد ابن السلطان شاه ... والسلطان عثمان ... ابن السلطان سليم شاه ... والسلطان مصطفى ... السلطان أورخان ... والسلطان سليمان أولاد ... السلطان محمود وسمه ... أولادهم وسمع في المهد ... حتى لم يبق له ما ... في نور ساو كانت ... السلاطين كما ... ويقولون لا ... شيرا حاأعطوهن سراح ... الحلق من أعطاطو يلا ... كلب من الحبش الجارية ... سوده فاسمه اسم الاسود ... ويسمين ... الاسود كأنهن ... الاسود والنعم الحسود ... الحبشي ألوان أسود ... أسود وليس حين الليل ... باب الحداد ويسمهم ... بالاسود وكان أمر الله ... قدرا مقدورا ويسمى ... النساء بعد التصاعها ... ما ... المهور ... المعوزي ساق عدة ... ولا المعوز ولو ماشا الى حين

واذا وضعت أشى اتركيها تعش مع بناتى وأكد عليها فى ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى أن ولدت السلطان سليما والدته فرآته صبيا فحرمت عليه وتساولته الغائلة لتصفعه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت باى وجه ألقى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت يا ريدة قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أحبر بذلك سماها سليمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه غير الله تعالى والقابلة والام وصار كلما ظهر وانتشأ ظهر عليه سيما العلية والنهر وادا احتمعت البنات وجلس بينهن للطعام الى جانبه وضرب ونهر ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا يحسدونه فدخل السلطان بايزيد فى يوم عيد الى داخل السراياو أمر بالمكان مرين واستدعى (١٨٣) كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه سليمة فشرع فى مداعبته على عادته وخطف ما بين أيديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يدى بنته سليمة والكل خائفات منه هائبات له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتامله حدا وفى أثناء ذلك دار حولهم بعسوب كبير أرادوا مسكه فحاروا عنه وهو يلسع من يريد مسكه ويهرون منه فقد السلطان سليم يده اليه وهو طائر وله مصاده بكفه ومرسه وحبصه ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات عندالا يكون هذا كشفوا الى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبى ولبس بنت فقال لها وكيف حاضتنى أخرى وما قبلته فقالت خفت من الله رب العالمين وحاضت دمتان ودمى من قتل معصوم لا ذنب له وكرطوبلا ثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته الى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى ﴿الفصل الثانى فى قتال شاه اسمعيل واسرامه﴾ البلد هو شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد ابن الشيخ ابراهيم خواجا على ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفى الدين ابن اسحق الاردبيلى واليه تنسب الاولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفى الدين صاحب زاوية فى أردبيل وله سلسلة فى المشايخ أحد من الشيخ زاهد الكيلانى وتنتهى بوسائط الى الامام أحمد العراقى وتوفى الشيخ صفى الدين فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار مسكن أردبيل وبعده تولته جلس فى مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره ومن زاره والتمس بركته تيمورلما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيأ فقال أطلب منك

فصالح أويدى كان له عند الورراء مكانة وصيت فتلطف به الى أن اقتصه ووجهه الى ناحيه القسطنطينية خشية من افساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لانه كان له لسان يفحم به المصاقع ويعيى البلغاء المواقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بانه ورد أمر سلفيه من الدولة العلية وقد كان سابقا من جملة أعصادهم ومن أعاظم أنصارهم وأنجادهم وهكذا كانت عادة الرجالين الاولين معه فرع عليهم فى جميع أفعالهم وأدافهم مرارة سكاله ومن جملة ذلك أنه أورد وترا منطوى على أسماء الحارسكان مكة وجدة والواردين من جميع الاقطار توريع مال خطير وجعل المدولى لجمعه حضرة الورير وكانت هذه السنة من أقسى الاعوام على سكان بلد الله الحرام ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر فى الشدة الى دخول شهر ذى القعدة فوصل والياعلى جدة الورير أبو بكر باشا ثم وصل الى مكة ومع الشريف عبد الله عن معه تلك الاشياء وقد كان فى شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن حسين الى ناحيه الشرق ومعه جماعة من أتباعه معاصين للشريف عبد الله المذكور لما حصل بينهم من التنافر مع ان السيد محسن ما بهمه نسنم دروة الملك وسريره وما كان تمام الامر له الا بتدبيره ولما خرج السيد محسن الى نواحى الشرق استقبله بالاكرام الوادى وأولته الايادى ثم أرسل اليه الشريف عبد الله سعيد سرية فوقع بينهم وبينه قتال ثم صار بينهم له مصالحة وافترق الحال فمكث فى تلك النواحى الى أن بلغه وصول أبى بكر باشا وكاتبه ثم كتب السادة الاشراف محضر الابى بكر الشاميه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له الشكايات بهم وجميع أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيدين العابدين بن ابراهيم فلم يقع ذلك الاحسط حاطر أبى بكر باشا وان يجمع عساكره عن معاونه الشريف عبد الله بن سعيد ان حصل بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيدين العابدين الى الطائف فى اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام افتتاح سنة ثمانيه وثلاثين ومائة وألف ثم تردد الرسل بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبدل لهم مقدارا تطمأن له المال ليسعرم ذلك الاسعاف واجمع رأيهم على قبول المدفوع فسلم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف وقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم سار وامعه الى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون وكان ذلك فى ثمانية عشر من شهر ربيع الاول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأعظمها شدة ونعاوما وطى أحد من أرباب العقول أن تكون حاقتها على هذا المنوال الا انه استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا

أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركنا فأجابه الى سؤاله وأطلق السركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليين من ذريته الى الآن وحج والده السلطان خواجا على وزار الى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وتوفى هناك وقبره معروف فى بيت المقدس • وكان ممن يعتقده مير راشاه روح سر تيمور ويعظمه لما جلس الشيخ جنيد مكان والده فى الزاوية بأردبيل كثر مريدوه واتباعه فى اردبيل فتوهم منه صاحب اردبيل يومئذ وهو السلطان جهان شاه ابو يوسف التركمانى من طائفه قراقويونلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرق عنه الاقربون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك من على بك من طائفه آق قويونلو جد (١٨٣) أورن حسن بك الماريدى وهو أول من

السلطان من طائفه آق قويونلو جد اورن حسن بك ويولى سنه واحدى وثلاثين وثمانمائه فاستولى على ملك فارس من طائفه قراقويونلو وأول سلاطينهم قرا قويونلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنه والقرمن ملكهم على يد أورن حسن بك المذكور فى شوال سنه ثلاث وسبعين وثمانمائه • كان أورن حسن بك ملكا شجاعا مقداما من ملوك مازندران فى حروبه وغزواته الا انه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد خان حرب عظيم فى نامبرت فانكسر أورن حسن بك وقتل ولده ورسل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى أذربيجان وملك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد الى طائفة آق قويونلو صاهره

البلد المصيف واستقر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الاشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه الى انقضاء سنة تسع وثلاثين وثمانمائه وألف وفى أوائل سنة أربعين وثمانمائه وألف خرج الى الشرق لحيله وعساكره وبنى عمه المطيعين له فى مصادره وموارده الى ان وصل الى محل يقال له القوسية فاستمره الى جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم رجع الى مكة بعد ان مهد تلك المهامه والوهاد

•(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريف قيمة المشخص والاحمر والريال)•

وكان هذه السنه من أرخى السنين لكثرة الامطار قال العلامة الرضى فى تاريخه اشتريا العرنهمين بالمايتين الكيلة بار بعة دينارية ونصف وجسه دينارية والقمرة الصاعية بسبعه دينارية والشعير بثلاثة دينارية ونصف والعدس الرطل بأربعة دينارية والقمرة دينارى ونصف والزبيب النعمانى بار بعة دينارية ولعوا كه كثيرة جدا رخيصة الى الغاية وصرف القرش بار بعين دينارا والاحمر بعشرين والمشخص بار بعة قروش والريال بقرشين ونص وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين فى هذه السنة خرج الى نجد ووصلت العشائر فى أواخر جمادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها طهير على ورن أمير وجمعوا الفا له جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولايته الشريف عبد الله الى خامس عشر ذى القعدة الحرام عام سبعة آلاف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وجمسه أشهر وعشرة أيام والاولى كانت مدتها سبعة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما

•(وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنه ١١٤٣)•

فانتقل الى رحمة الله تعالى مرض أياما وكان انتقاله فى التاريخ المذكور ودفن باسفل مكة بوصية منه فى موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن ابراهيم بن آدهم ودس عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا فى أطراف اليمن أرسله والده قبل ذلك الاطراف مع جمع من العساكر والاشراف واستمره هناك الى ان دعى بعد وفاة والده لشرافة مكة وكانت وفاة والده فى آخر المهارم عمدا كان له طوى خارج البلد فأتى مونه الى آخر الليل وتولى الامر والتدبير اخوة المتوفى وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مصر بن سعيد والسيد مساعد بن سعيد وغيرهم من بقيه الاخوة لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد لانه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع النواصى والعساكر المصريه وبعض السادة الاشراف بدوم جانب من المال على ان يكون المتولى بعده وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد نقمة

أورن حسن بك وزوجه بنته خديجه بيكم فولدت له الشيخ حيدر ولما استولى أورن حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قوقويونلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مريدوه واتباعه وقوى أورن حسن بك لانه صهره فلما توفى حسن بك ولى موضعه السلطان خليل سنة أشهر ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فروج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائه وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قويونلو وقراقويونلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهوره وكان الشيخ جنيد جمع طائفه من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله فتوهم منه سلطان مريوان خرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه

ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزاة في حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الأحمر لأتباعه واجتمع عليه خلق كثير فأرسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن أوزون حسن يخبره من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل إليه أميرا من أمرائه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره أن يمنعهم من هذه الجمعية فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه وقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر ولده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه اخوته وجماعته وجاء بهم سليمان الى السلطان يعقوب فأرسل (١٨٤) هم الى قاسم لك انعربانك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها … الى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ست وتسعين وثمانمائة وولي بعده السلطان رستم وأرجع في السلطنة أخوته وصرف المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفي السلطان رستم وولي مكانه السلطان مراد بن يعقوب والوند بن عمه وكان شاه اسمعيل في لاهجان في … في … فمال له جم … وبلاد لاهجان … كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم تعلم منهم شاه اسمعيل في صغره مذهب الرفض فإن آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا منتسبين … رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وكان له من أمراء الوند … جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى أن يسلمه لهم وأنكره وحلف لهم أنه ما هو عنده … رمى … عينيه وكان تحت … في بيت … وكان … يريدون الدخول فيه ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى أن أراد الله ما أراد وكثرت داعية الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المصادمة بين العباد لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وحينئذ كثرت أتباع شاه اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج بثأر والده وجده في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده وكلما سار مرحلة كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى أن وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته فانكسر عسكره وأتوا به شاه اسمعيل أسيرا فأمر أن يضعوه في قدر

(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)

واجتمعوا بعد انفصال … وادي … باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد … وكالة وحصل الاتفاق على الصلح الأول وقد استقامت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الأعيان والعساكر ودعي له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الخلوع السلطانية فلبس الشريف محمد الخلع العثمانية

(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٣)

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ثارت العوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا جاءوا من … الحج وإقامتهم سنة ثلاث وأربعين فأقاموا بمكة … سنة أربع وأربعين وكانوا جماعة … وصاروا يترددون على المسجد الحرام للعبادة والطواف فرجم بعض العامة إياهم ووضعوا … بالكعبة المعظمة وثارت … بسبب ذلك المساعدة لعساكر المصرية للعامة ومشت العامة الى … الشريف فهربوا من المحكمة … أغا كبير العساكر الاقتداء به وساروا معه الى أبي بكر … كان قدم الى مكة في تلك الأيام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأخرجوا … من العلماء ذوي … واجتمعوا عند الوزير أبي بكر … دعوى … موجود … معلوم … بحضرة المفتي في ذلك … والكلام غليظ وأقوال غير … ونفوا … الوزير حتى أخذوا منه أمرا باخراج العجم من مكة … ومشوا في أزقة مكة بالمنادي بان من جلس بمكة … من العجم … ونهبوا … وعن غيره بعض السادة الأشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يعترضهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند … القاضي … أن يرسل الى الشريف محمد ويأمره بالكتابة على ما بيدهم من الصكوك … الشريف محمد من ذلك … ما اقتضاه الحال والوقت … على ذلك فأطلقوا … أمر بخروج العجم … الطائف … ثم سكن الأمر ولا … الشريف محمد … لمن كان السبب لهذه الفتنة وأخافه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف … وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا … قال … كان هذا … من أراذل الناس … والا فأهل مكة المحققون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الوفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك الى أن

كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمر وأكلوه * وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوند يلك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلا ذريعا ولا يمسك شيأ من الخزائن بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بك ابن السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها ويهب جميع أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز وادربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكان أشد على الروم به فوكان له عسكر يأمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من النفوس ما قتله اسمعيل شاه وقيل عدة من أعظم العلماء (١٨٥) بحيث لم يبق أحد من أفضل العلم

في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف أهل السنة وكل ما عثر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها واذا قتل أميرا من الامراء أباح روجته وأمواله لمن شاء

﴿ومن جملة مصحكاته﴾ انه جعل كل امرأة من كلات السيد أميرا ورتب له رتب الامراء من الخدام والبكجية والحجي والسماط والبكيلار والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالامراء وسقط منديل من يده الى الصحراء وكان في جملة شاهق مشرف على النهر المذكور ورمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا ونفروا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية وانه

رمى الله بينه وبين عمه سهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم حرب بينهما مناوشات ومصادمات نشأ منها عداوة ومرارة وقعت رصد في اثناء المدة حتى ان عظيما لم يؤلف مثلها في قديم الازمان احداهما ان أحد السادة الاشراف آل بركات كان معاصرا للشريف شميد وأمره الشريف محمد بالخروج من البلاد فلم يفعل وكان نازلا في بيت السيد عبد العزيز بن درين العابدين بن ابراهيم بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد وطلب له مهلة الى الليل وأبى أن يعطيه المهلة الى الليل مع كونه اتما دخل مكة عاجلا ووجه على القانون الجاري بينهم فلم يكن من مولانا الشريف محمد الا انه ركب بحيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذي كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر رمي الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فأصيب منهم بعض أشخاص ثم اشتد القصيبة بوصول كبار السادة الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره بعد ان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا في بيت رعيم منهم للمفاوضة في ذلك وتعيين من ينبغي ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على الفراق واقامة الحرب على ساق وخرج البعض الآخر منهم الى قول مارد عليهم من حضرة الشريف محمد من الاعذار الواهية وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تحويف لكل ملك عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم في تعيينه وتحسينه الى الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك واتفاقا له كان لهم ذلك رفعة وعلو مقام وكان له مانعا عن الاقدام على مثله مرة أخرى وما نعا لمن يأتي بعده من ولاة هذه الممالك وان توقف عنه وأباه فهم من ذلك مطمحه ومرماه وقابلناه بالمبايعة والعراق واحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق وكان هذا الرأي نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله حسن لما أجمع رأيهم على ذلك خاصوا في بيار ما بين اربيل وقفر ضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتذار بالحاطة عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضي به وفعل جميع ما قالوه فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثاني انه بعد ذلك بمدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقاربه في بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك ان عبدا للسيد عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبي بكر الحبيلي واختفى العبد في بيت سيده السيد عبد المعين فطلبه مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب والعبد القاتل معهم فأمر بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت

لا ينكسر ولا يهرم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة فلما وصلت أخباره الى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية العصبية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعدها القتال من أعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنيفية على مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما أراد فتهيأ السلطان بحيله ورجله وعساكره المنصورة ورحله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاوزه وجداله وهو يخرج بحمس العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران في قرب تبريز ورتب السلطان عسكره ورتل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فجالد الفريقان وتطاردت الفرسان وتعانق الشجعان هدرون كالحمائم القواطع فوق البحور

الموانج وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم أطواد الجبال وسارت نجوم الابطال ورجوم البطش والقتال فزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وسواعقها بروق البيض من ريق الصيقل ورعودها صليل السيوف في أعناق الخيل وغيومها صيب الدم من أوداج ورؤس تحز وتفصل وأحجار المدافع كالجلمود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هواء وردهت قواهم هباء وولوا على أدبارهم ادبارا والهزم شاه اسمعيل وولى فرارا ولم يحد من دون الله أصارا وضاقت الارض حتى ان هاربا اذا رأى عريش طه رحلا وظل مالك حسوده وأمرائه وساقت العساكر المنصورة العثمانية من (١٨٦) ورائه وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه

الذكور فلما أحس سادا تهم بذلك نزلوا بمحدثي عبيدهم موقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح في عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف عند بيت السيد عبد المعين لانحاد رأيهم وكادان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حصر مولانا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وحملوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع لعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة في أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف عنه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يرمون حبال العزل وينقضون ما أبرمه من العزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم مدركا لما مولاه بسببهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمحمود الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلعوا من حوله من عربانه ونواديه وصرح منادي عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة خمس وأربعين ومائة وألف وقد تقدم ان عمه الشريف مسعود هو الذي أجلسه في منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور وحسده بعض ذويه وشرع يرمي الفتن بينه وبين اخيه فصارت بينهما هجرة ومباينة ومباعدة من حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة صار عمه يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل محدث جانب ثم حدثت القصيتان السالفتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان اجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستقروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم رحلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كراء وسبب ذلك انهم لما أطاعوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه بمن معهم وكان مستعد الهم بعساكره وخيوله وجعد على طريق يمرج فلما وصل الى قرن المنازل أقام به ذلك اليوم للاستراحة وهم اذ ذاك بالطائف لم يرتحلوا منه ولعلهم وصوله الى قرن وتأهبوا للملاقاته يومهم ذلك فلما جاس وتأخر في قرن ولم يصلهم استحسنوا ان يعقبوه ويتوجهوا الى مكة وجعلوا له أشياء تفهمه اياهم ماراوا ما كثين في الطائف مستعد بر له وذلك انهم أنفوا الشمال الديران وصرب الطول بالطائف وحواليه وسروا ليلتهم على طريق الثنية فلما جاءه الخبر باندحارهم الاصحى اليوم الثاني وهم في اليوم الثاني قد وصلوا تهامة

وترك ما تحوله في مخيمه من أثاث جملائه وكان لا طيق له بمحاربة عسكر السلطان سليم ووافت جواسيسه أوس تبريز فمضى فيها وأمر وقتل من أراد وأمر وأعطى الرعية عام الامن والامان ونشر فيها أعلام أهل الايمان وأعد من أراد منها من الافاضل المتميزين في الصنائع والفضائل والشعراء الاماثل وساقهم سركا الى اسطمبول على اثقالون وأراد ان يقيم في تبريز للاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فلما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العلقة عماني درهم وسبب ذلك ان القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لان تقدمه بالميرة والعليق والمؤن تحلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجدوا في تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحب والشعير وسبقوه وعيد ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه واخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قاصوه الغوري فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغوري يتهم بالرفض في عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغوري هو الذي أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتال السلطان الغوري أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال شاه اسمعيل ثانيا * فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية في تخت ملكها الشريف تهيأ لاخذ مصر والة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى

ناحية حلب في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وخرج الى قتال قانصوه الغوري بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم والتقى العسكران بقرب حلب في مرج دابق * وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراء حيز بك ومن جان بردي الغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك وأمرهما ان يتقدما بقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا أمامه ووقف الغوري بحواص عسكره الذي يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد أن يقدمهم خلف حيز بك والغزالي وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والصرر في أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن حيز بك والغزالي لذلك وكاتبا رسولا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرههما ويديم عليهما فارسل (١٨٧) السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بما يليق من خاطرهما وأن يوليهما مملكة مصر وانشام فقبلا وافقاه على ذلك قبل القتال فلما التقى العسكران راسطرهما بيران البنادق في مرج دابق فرجع حيز بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواصه وجلباته في انقاب فاطلقت البنادق والصرر فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدري أين سلك واستمر القتال نهارا وليلا مطلما بالدخان واشتد بأس الفريقين لشعث الحفظ والسيران وعاد الغوري تحت سنابك الخيل ومحاور العدل طلام انظم كأنما عوا النهار الليل وذهبت طلمات الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وأكلت السلاح الوحوش والطير وكان لم يكونوا شيأ مذكورا وقتل من الجانبين خلق كثير لا يحصى عددهم الا الذي وسعت قدرته كل شيء وانتهت الوقعة الى عرقة ورجع القهقرى نهاية الطمع ومريد الاصطلام الا انه حال بينهم وبين قصدهم الدارين على عقبة كؤدا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقابلة وهو حيل الخيام الكائن على يسار الصاعد الى عرقات وعنده صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجاب في مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل وقد حال بينهم وبينهم موجه الاشراف ووجوه الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يراوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك الممالك وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية واغارت عساكره وطبوله الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

(ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهي الولاية الاولى في ١ جمادى الاولى)

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوما وقتل في هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فمن قتل من الاشراف السيد سليم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله حسن بن أبي نمي أخو السيد محسن بن عبد الله حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل في هذا اليوم ما أذهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تقطر لها الكبود حتى قال بعض الاشراف كانسمع شجاعة علي بن أبي طالب حتى رأيناها عيانا من السيد سليم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر طعنة وقتل تحته فرسه المسماه بالجوهرة وهي من الصافنات الجياد المشتهرة وانسلب وقوعها السعود عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن فمنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفي يقول في مطلعها مخاطبا للسيد محسن

صبرا أتاعون نفوس ثوابه * من فقد من بذل النعيم نوى به
صبرا على فقد الكريم أخي الكريم ابن الكريم ابن على أسابه

وهي طويلة بليغة ذكرها الرصي في تاريخه ومن قتل في هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شبير والسيد بشير بن مبارك بن شبير وهؤلاء الثلاثة والدين أصهر وا بالحراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما فاختلف على بعض الاشراف على قوا بينهم

وسقوه الى عرقة ورجع القهقرى نهاية الطمع ومريد الاصطلام الا انه حال بينهم وبين قصدهم الدارين على عقبة كؤدا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقابلة وهو حيل الخيام الكائن على يسار الصاعد الى عرقات وعنده صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجاب في مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل وقد حال بينهم وبينهم موجه الاشراف ووجوه الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يراوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك الممالك وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية واغارت عساكره وطبوله الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

(ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهي الولاية الاولى في ١ جمادى الاولى)

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوما وقتل في هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فمن قتل من الاشراف السيد سليم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله حسن بن أبي نمي أخو السيد محسن بن عبد الله حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل في هذا اليوم ما أذهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تقطر لها الكبود حتى قال بعض الاشراف كانسمع شجاعة علي بن أبي طالب حتى رأيناها عيانا من السيد سليم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر طعنة وقتل تحته فرسه المسماه بالجوهرة وهي من الصافنات الجياد المشتهرة وانسلب وقوعها السعود عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن فمنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفي يقول في مطلعها مخاطبا للسيد محسن

صبرا أتاعون نفوس ثوابه * من فقد من بذل النعيم نوى به
صبرا على فقد الكريم أخي الكريم ابن الكريم ابن على أسابه

وهي طويلة بليغة ذكرها الرصي في تاريخه ومن قتل في هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شبير والسيد بشير بن مبارك بن شبير وهؤلاء الثلاثة والدين أصهر وا بالحراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما فاختلف على بعض الاشراف على قوا بينهم

رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احرجت من اسالة الدماء وطلب أهلها منه الامان وانسلم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرج على كواهلهم خلع اللطف والانعام ونصب أنواع الصدقات الجارية على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ في المدح والتعريف وماراده الا أنقاب فخر وسؤدد * باطناب ذي مدح واكثار ماتح وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأصهر خيرا جميلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين

الشريفين وأظهر الفرح والسرور بلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمهد الممالك ويجري أحكام المعدلة والسياسة ويحسن الى الغرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الأمن والامان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ماسألوه وبسط لهم ماطلبوه وأملوه فقبلوا الارض بين يديه ودعوا للعراق الدعاء المديد وأم دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف حلة الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام موكبه الشريف الكريم وأقام به (١٨١) لتمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم

المعتاد ثم توجه تلقاء اليمن وليزل في مسيره الى ان اتصل بالمحواة ثم نكب ذروة سراة بحيلة ثم رجع الى الطائف وتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدم بعضهم ومال بقصده الاسى بسائهم فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون لمحاربته فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود وتلاقيا بوادي المشاة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين فاختار الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها مجال لوعارة تلك الجبال فتواثر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فالتزم

(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)

واستقل الشريف محمد باشرافه وتوجه الشريف مسعود بعد أن أحد الاجلة على المعتاد وتوجه الشريف محمد الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها مفاسد وأمور عجيبة فكانت سببا لرجوع اشرافة الشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الاقشارية المقيمين بمكة حسين أغا الى بستان بأعلى مكة منزها بأهله وأولاده وحشمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر المجيبة مدام مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر المجيبة بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين آغا المذكور وبادروه برمي الرصاص وأداقوا جماعته حر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفرش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمد ما صار فركب وركب وزير العسكر ويحرر ما بقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف وفتح الطاقة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر فمات بعد ساعة ثم مات ودفن هو وخادماه في يوم واحد فتوله من قتله من عظيمة ومتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستعدوا وما فدا الارقة واستعرضوا متاريس في تلك الدور وأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فاجابوا باجوبة سقيمة وأصدروا أرقاما الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد فاصدر اليه ادهاشهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر وداره لم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا

وقال الناس نفس صاعد ووجه يتهلل سرورا وجبين أغر يملأ الارجاء بهاء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه للفقراء الشيخ المرحوم وعمل عليها متواليا وباطرا يجمع الربع ويصرفه في جهات الخير وأظهر أعظم الانظار في بلاد الشام الى الناس وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الحرا كسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن رؤية الشيخ رضي الله عنه هي التي جلبت السلطان سليما طيب الله ثراه الى سلطنة البلاد العربية وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير

* واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والاصر وواصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آق شهر يحرح منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل بنفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وسار كالماهر ببلاد وقريه أو قصبه في طريقه أحسن الى الرعايا وطريق المعدلة والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر

في اثناء تحررهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا له شيأ من المال ليستعين به على جمع الرجال ففرض المدل ثم رحل الى وادي مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف ووصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم اليه وكان خاطرهم باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ما صدر من عسكره ليس هو عن مراده ولا هواه ومع هذا لما وصل قويت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأخذ منهم مهلة ثلاثة أيام ففهموا منه أنه يريد الاصلاح فهبطت نفوسهم فجاء محل اسمه القاضي ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم خاض مع الحاضرين في تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة العلية وانه هو يكفل عليهم عدم الاعتراض ويكفل على مولانا الشريف وعساكره عدم كل السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حاط الطرفين وأمر حصره الوزير بالسفر ثانيا في المسعد والبلد الحرام ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مر واظهروا التعلل على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بالبلد وأحكامه وشرعوا يشددون الدحارير الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصره بعد الصره الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل على الحديدية وبر شريف مكة اي طوى وجعل يهاجمها ويناوشها وأكثر الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة ما عنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مصر فاعلى أمرهم عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا بهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود ومن معه من الامداد وقطن الشريف محمد لما أصحروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فيما بينهم ذلك وهم في اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديدية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم مرجع العساكر الى بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا في تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير أبي بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم دهنتم لقتال الشريف محمد وظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة كلكم واعما يكون هذا الفعل المستحيل

في اثناء تحررهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا له شيأ من المال ليستعين به على جمع الرجال ففرض المدل ثم رحل الى وادي مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف ووصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم اليه وكان خاطرهم باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ما صدر من عسكره ليس هو عن مراده ولا هواه ومع هذا لما وصل قويت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأخذ منهم مهلة ثلاثة أيام ففهموا منه أنه يريد الاصلاح فهبطت نفوسهم فجاء محل اسمه القاضي ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم خاض مع الحاضرين في تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة العلية وانه هو يكفل عليهم عدم الاعتراض ويكفل على مولانا الشريف وعساكره عدم كل السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حاط الطرفين وأمر حصره الوزير بالسفر ثانيا في المسعد والبلد الحرام ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مر واظهروا التعلل على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بالبلد وأحكامه وشرعوا يشددون الدحارير الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصره بعد الصره الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل على الحديدية وبر شريف مكة اي طوى وجعل يهاجمها ويناوشها وأكثر الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة ما عنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مصر فاعلى أمرهم عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا بهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود ومن معه من الامداد وقطن الشريف محمد لما أصحروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فيما بينهم ذلك وهم في اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديدية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم مرجع العساكر الى بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا في تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير أبي بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم دهنتم لقتال الشريف محمد وظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة كلكم واعما يكون هذا الفعل المستحيل

وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وأمر ان يبنى له في علوه كوشك كما بمكة مدة اقامته بمصر فامر بعمارات اشلاء النقلي ثم ان شيخ العرب عبد الدائم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باي أسيرا وأنعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باي عنده وأراد ان يكرمه ويحمله باتباعه بمصر اذا رجع عنها الى الروم وصار يحضره في مجلس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فارجف أهل مصر عن طومان باي انه لم يقع في الاسر وانه اختفى وانه يجمع عسكرا وينهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مكة أحد وشاع السلطان سليم خان أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن مادام طومان باي محبوسا فأمر ان يركب على بغلة ويحف بعسكر اليسكرية ويمضي

سنان باشا وأسف السلطان سليم على شهادته ومن جملة مكتبه انه قال عند ما أخبروه بقتل سنان باشا اي فائدة في مصر بلا يوسف وجه الحكمة أن يوسف لقف الناس في عرضهم وبعد ان ثاروا عساكر كثيرة وقهروا وتمردوا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باي الى البحيرة على شيخ عربان بني حرام عبد الدائم ثم تقرب وصل السلطان سليم الى مصر ونزل في ساحلها في الحريرة الوسطانية وطاف عسكر سنان باشا وأتوا بالناس واركبوا على وجوههم الخوف والرأس بعد الجراكسة فلما هم اذا طرحوا رؤسهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فأمر بنصبها قدامهم ورمي جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤسهم الكوام وأما بعد الكوام الى ان عفنت الحريرة وقع القتلى

اى باب زويلة ويصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بانه مسك وصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضى القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضى القضاة نور الدين على بن يسر الطرابلسى الحنفى قاضى الحنفية وقاضى القضاة الدميرى المالكى قاضى المالكية وقاضى القضاة شهاب الدين احمد بن الحنبلى قاضى الحنابلة وولى ملك الامراء خير بك مصر وولى جان بردى الغزالى الشام كما وعدهما بذلك وعهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تحت مملكته القسطنطينية العظمى فى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين (١٩٠٧) وتسعمائة وأخذ معه كثيرا من أعيان مصر سركا الى الروم كما هو قانونهم ووصل الى تحت ملكه ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكر الله وحده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا وانما قصد حزانه فوجدها فصرف ما فيها وانه كان قد صرف فى هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قرمان وبلاد قرمان الى اقليم مصر خزائن عظيمة يعجز اللسان عن وصفها لانه وجد سلاطين قد تراكمت عنده اموال كثيرة جدا لا يعلم مقدارها الا الله تعالى لان الدولة العلية ما حصل فى هذه القضية فارجو ان يصل الامر السلطانى باطلاقها باسم الشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام ونزح مصورا تجديد القتال وأما الشريف محمد فانه لما بلغه وصولهم الى جدة أرسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده مكاتبات لبعض اصحاب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم وعلائفهم على المعتاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال ووسط بعض الاشراف أن يصلح الحال مع الشريف مسعود وتسليم ألف أحمر عاونه شهرة فقبل ذلك منهم فى الظاهر وهو مصمم على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى ليلا على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وقصد الطائف وأحرج من فيه من اجناد الشريف محمد وهب بيت اعانة العسكر فلما بلغ الشريف محمد دخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم أمير امن السادة الاشراف وأرسلهم الى الطائف فلما بعدوا عقبة بعرج بلغهم أن الشريف مسعود فى غاية القوة فتصاوا فى حصن العقبة رأس عقبة بعرج واستمروا هناك مدة طويلة لا يقدرون عليه لاشتغال تثقيف وغيرهم من العرب اليه ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بالى مكة المشرفة فسرح اليه الشريف محمد عساكره اليمنيه وتقاتلوا يوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده وهزموهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

﴿الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦﴾

وكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما هذه الولاية الثانية للشريف مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين فأمن البلاد والعباد وانبسطت يداه وبعد دخوله بيومين قتل بعض اخوانه وجلا معربيا بسبب للعلم الا أنه كان مسلوب الاختيار بجانس النساء فى اللبس والمشية وكان له بالشريف محمد محبة واتصال لما توهم فيه من العلوم الغريبة كالسحريات والطلسمات وما أشبه ذلك مما يستعين به على دفع الشريف مسعود وبقى فى الواقعة التى دارت بأسفل مكة راهبرم وبها الشريف مسعود انه حصر هذا الرجل وكان يقابل الشريف مسعود او قومه ويقرأ بعض الاشياء ويرمى بحوهم بالحجارة وتحيرت فى دائها العقول الابباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت والرمل توضع الدجاجة فى حرحه فتموت بحره وشوهدت معاليق أكباده فى جوفه من خلف ظهره وأشفت المنية أطمارها فيه فما نفعه التمائم والرقاوى بالاموال والارواح فى قبل الفداء وقال ولو قبل انفداء لكان يفدا * وارجل المصاب عن التفادى ولكن الدنوب لها عيون * تكثر لحظها فى الانتقاد فقل للدهر أنت أصبت قلبى * ورغم بيك أثواب الحداد وقضى نحبه ولقى ربه وقضى سليم بقتاب سليم فادعا على الله الكريم العفو الرحيم وتوفى أمقعده من سرير الملك بجلة الوارث السعيد كذلك يؤتى الله الملك من يشاء ويسرع الملك لمن يشاء وهو الفعال لما يريد * وكانت وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل

عليه شآبيب المغفرة والرضوان في سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴿الفصل الثالث فيما عمره المرحوم السلطان سليم خان في الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين في أيام سلطنته﴾ كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يحملها والده المرحوم ويقسمها فيهم ثم انه احسن اليهم أول السلطنة وعمر وسلك في ايالة الرومية على معهود الاسرة الكرام ما قرره والده المرحوم لاهل الحرمين وأول السلطنة بالمدينة الشريفة وعمر بها عمارة [illegible] وأرسل له جماعة من أهل مكة وهم الخطيب محيي الدين العراقي فحصل لهم في هذا العام (١٩١) جزيل وخير جميل ونيل في دفتر الدرمائة

والرمل الى ان اجره واقصاره لمحلة عبد الشريف محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك ويمدح به حتى قتل بسببه ولما دخل الشريف مسعود الطائف واستمر تلك المدة الطويلة من غير منع مع توافر الجنود من البادية عنده بسبب ذلك التعطيل الى هذا المعربي وكل هذه الامور كانت ترفع للشريف مسعود في مراسلات خواصه ثم لما كان قضاء الله لا مفر عنه ومتى دلك المعربي رأسه الى الطائف ليكون عمله بمرأى من الشريف مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه ومعروفه به فقبض عليه وحبسه واهانه وأمر جميع الحشم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذي معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعي المسير معه على صاحبه مكة المشرفة فكان الشط من عقال ولما توجه الى مكة كان دلك المعربي معه في السلاسل والاغلال وأفهمه بانه ان صار لنا انتصار عفونا عنك وان لم يصر لنا انتصار أهلكناك فقال هكذا يكون فحصل له الصبر حمدا لله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الحشم في الحابس الى أن يسلمه مولانا الشريف مسعود ويتمم عليه ويطلقه كما وعده فحدثته نفسه بحادثة أوجبت القتل بعد دون اطلاع مولانا الشريف مسعود وهو انه هرب من الحبس ولجأ الى بعض بيوت السادة الاشراف الى ان يريد فلحقه أخ لمولانا الشريف مسعود فقتله وكانت هي القاضية ودفن بالمعلى في مقبرة الشيخ محمد ابن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي رئيس الاشراف في ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية محبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي ووعده بان يتمم له أمر شرافة مكة فلما حط رحله بالشام عرض لمراجه بعض الآلام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم الى ان دعاه الحق الى مجموحه جنانه فتوفي بالشام سنة سبع وأربعين وماية وألف في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى

﴿عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله جد سادات آل عون ووفاته بالشام سنة ١١٤٧﴾

واعقب من الاولاد السيد عونا والسيد أحمد والسيد حسنا والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفي ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى ... وبلها دائما بأوفى الزياده

فوق رمس به لقد حل مولى ... أشرف كان عقد جيد السياده

محسن الاسم وهو في الوصف بر ... حسن سير المكارم عاده

الى ان قال في البيت الاخير وفيه التاريخ

جدة لما اسمه الخواجا قاسم الشرواني وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر وصادف دخول السلطان سليم الى مصر حدمه وتقرب الى خاطره الشريف وأرسله الى مكة أميرا في سنة واحدة أميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البلد وأرسل السلطان سليم من أمرائه الى مكة الامير صلح الدين دلدم بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومي فوصل في صحبته أمير الحاج المدري المقرر العلائي بالمحمل الشريف المصري على المعتاد ورز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة المحملين الى سبيل الجوسق هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نمي أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار أمام المحمل المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما واستمر في هذا الموكب الى أن فارق المحملين وأمير الحاج والامير صلح ديناردة او فرج بمن قدم عليه من الحجاز بين وأنعم على كل شيء وكان رسل الصدقات الرومية في كل سنة فلما افتتح مصر وحدها من قضاة مكة قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيره وكان السلطان الغوري حدمه مصر من عيد سبل لطمع ولما خرج معه أكرمه من مصر الى مرج دابق أخرج كل من في حبسه من أرباب الجرائم الا القاضي صلاح الدين فانه أبقاه في الحابس فلما انكسر وقتل في مرج دابق أخرجه السلطان طومان باي من الحابس فلما دخل السلطان سليم الى مصر حاء اليه القاضي صلاح الدين وأكرمه وعظمه وجلع عليه وأحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان عصر جماعة من الحجازيين أحسن اليهم كلهم وأكرمهم وولى أمانة

الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباى ونزل أمير الحاج المصرى فى مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بادة كايركم من مماليك الركن وقد هدمت الآن فى ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة لحد الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر دحوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطانى فى سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية فى يوم الجمعة لاربع معين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فى الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة من المجاورين لكل واحد مائة ذهب بهم مولانا نور الدين حمزة بن الناصر محمد على القرمانى ومولانا زين الدين على القرمانى وقرر باسم مولانا السيد الشريف أبى عمى أطال الله تعالى عمره الشريف جمعة ديار ذهبا فى أول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف نقيب له فى كل عام وفرقت بعد هذه الدجيرة وهى صدقة كانت تفرق من حريسة مصر من دخل مماليك الحراد كسبه أقفاها السلطان سليم على حالها وأجراها فى كل عام من حريسة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك فى طريق الحج وهى باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التى تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتحمل الى الحرمين الشريفين وتحمل لها الصر الحكمى وهو باق الى الآن وقد ضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لسعة الاوقاف المصروفة واستيلاء الأكلة عليها وحول الظلمة فيها أحياها الله من أحياها وأعمى حياة من عمرها وعماها وبعد الفراغ من توزيع سلطان الصدقات قرنت حمة شريفة فى الحطيم الشريف حصرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزأ شريفا قرآنيا فى كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة فى كل يوم يهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مقررا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثنى عشر دينارا ذهبا فى دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم فى كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها الفرقة وكتب أسماءهم فى الدفتر ثم كتب سوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامى من فى ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة

وارو تاريخه بفوزندى * بال بالشام محسن للشهاده

وأما الشريف محمد بعد اجرامه فانه صار يرتحل من أماكن كثيرة الى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة واحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له ولم يقع شىء من ذلك ثم احتمع بامير الحج الشامى الوزير سليمان باشا ابن العظم وحاوله هو وكاربحرب أن يوليه الشرافة فامتنع الوزير المذكور ثم لما وصل الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود الصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما وثائق وعهودا وجاء الشريف محمد الى مكة وقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرير كل ماله ولجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب فى دكة شيخ الحرم التى فى باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه جمعة أقفار وفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود ساكر وفرمانا من السادة الاشراف لقبائل الاشراف ذوى حسن المقيمين بالشاقتين بطريق اليمن وهم يمتدون الى الحسين بن حلال بن زمينه فيجتمع بسهم مع الاشراف آل أبى عمى فى الحسين بن حلال المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا فى أطراف اليمن بالشاقتين وأقاموا هناك حتى صاروا عددا كثيرا وملكوا أملاكا وزروعا ومزارع وتصرفوا فى الاعراب المجاورين لهم وعند أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هناك شأن عظيم وهم بطون كثيرة حدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره لهم مع عمه الشريف مسعود بعد ما كان بينه وبينه من الحرب الشديد وصار عليهم بذلك الجيش الى ديارهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من ديارهم وقصدوا مواضع حصينة لحصرهم فى تلك المواضع التى تحصنوا فيها وأخذوا ما تقدر على نعمهم وأتباعهم وظفر بمن دله على دفائنهم من الحبوب والادباش والذخائر والاموال فامر العساكر باحدها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا فى ليلة من الليالى الى ديار بنى سليم فلحقهم الشريف محمد بمن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار أن قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعثهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدرى ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة فامنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفى سنة سبع وخمسين ومائة وألف كما فى تاريخ الرضى حصل بمن بادر شاه طهماسب

دنانير ذهبا والحق ذلك في دفتر الرومية وسماها البيوت وهي باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم في حوش كبير وأعطى لكل واحد ديناريين ذهبا وسماهم العامة وكتب أساميهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وتوالى على أسس فعل الخيرات جار في محاسن حسناته الى يوم القيامة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى السويري خطبة التروية في سادس ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقرر بالمحمل المصري الى عرفات وباتوا في يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب في مسجد عرفة ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه (١٩٣) الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وأمير الحاج المصري بالمحمل المصري ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكرر ذلك سائر الحاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة يوم الاربعاء الموافق لثاني عشر مسرى ثم أفاضوا بعد غروب يوم الخميس الى مزدلفة ونزل شيخ الكعبة من مسجد المشعر الحرام في يوم الجمعة ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وابعادها ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستدعاء الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يوسف الحضرمي والشيخ عبد القدوس بن أبي بكر الحضرمي وشيخنا الشيخ محمد

سلطان العجم وخرج على كثير من ممالك الدولة العلية بالعراق واستولى عليها وأرسل كتابا للمولى الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري وان يصلى امام خامس في جميع الاوقات في كل الجهات يصلي الصلوات الخمس بالامعارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية في جميع ممالك الاسلام وأصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام ويجعل في كتابه شيأ من التهديد والترغيب فحصل للمولى الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالي مكة حتى أرعج سكان أم القرى ما طلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ما ذكره من الاتفاق وورود هذا على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى فاستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويستمهل الرسول مدة الذهاب والاياب ويأتي بما قابل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرس الورير أوزكر باشا صاحب جدة هذا الرأي بل قال لابد من قتل هذا الرسول وأبى مولانا الشريف أن يسلم الرسول للقتل وقال لابد أولا من انهاء الامر الى الباب العالي وأحاط علمه بتكبير باشا وتعصب واتهم الشريف انه اعتقد هذا المذهب فحشى الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد ● (سبب لعن الرافضة في المنبر والمقام سنة ١١٥٥) ●

وأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فرأى من خواطرهم ذلك لاتهامهم فجاء الامر من الدولة العلية بتكذيب ما افتراه شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليصر الى الباب العالي فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام فهذه القصة هي أصل التصريح باللعن في المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوش القتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة مشهورة مذكورة بالبسط في التواريخ وبما كان في دولة مولانا الشريف مسعود أيضا مع الناس من التظاهر بشرب الدخان ورفع من الفقهاء والاسواق وصار حاكم يقبض على من يراه عنده من الاطواق ويقبل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لاينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما الناس تابعون اشرافهم في الشوارع وتعاطاه الارذال والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء في الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ولزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا اما شاربا أو في بيته من يشرب أو شاهدا فما خرج أحد من الثلاث عن واحد فيبقى لا يوجد في المسلمين عدل خصوصا والعدالة شرط في شهود المحاكم ويترتب على هذا ان الاكثرية على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب حسيبه مع أن القائلين

(٢٥ - تاريخ مكة) ابن عبد الرحمن الخطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المالكي والشيخ أيوب الازهري وجماعة من العلماء وأحضرلهم دواب ركبوها الى التنعيم عند مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والدة السلطان سليم خان وأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة ولما عنها عادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة الى محياها ثم أحسن اليهم ورتب لهم الصرف دفترا صدقات ودعوا له وللمرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى ● ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة مجراز سفاش مسمار به فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر أمر السلطان

سليم وهي سبعة آلاف اردب جاء منها ألفا اردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطاني أن يوزع ذلك الامير مصلح الدين فجلس في الحرم وطلب قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي والقضاة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي ونائب حدة الامير فاسم الشرواني وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم في توزيع ذلك وذكروا له أنه لا يدمن عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه في ذلك فأرسل اليه ساعيا وكتب له صورة الامر الشريف السلطاني واستدعوا رأيه العالي في ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من حب (١٩٠) الصدقة الشريفة على المستحقين حسب اتفاق الامراء من أعيان أهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رأيهم على بيع بعض ذلك الحب ليصرف في قلته من جدة الى مكة وأن يكتب أسامي الناس على العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد اسقاء المصارف وأمر شيخ الاسلام الصلاحي أن يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم أسامي الناس الشيخ رضي الدين الحلواني الشاهد العدل كبير الشهود العدول في باب السلام المكي وكتب بيوت كل محلة وكتب ما في كل بيت من أعداد الافراد وحالا وانسا وأطفالا وخداما وما عدا الاحرار والسوقة والعسكر وكانوا اثني عشر ألف نفر فخص كل نفر وباعي تكيل الربع الكبير الذي هو أربع كيل عن أربعة وعشرين قدحا بالكيل المصري المستعمل الآن وأن يدفع مع ذلك لكل نفر درهم فورع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربعة ثلاثة أرادب وزيد في اسماء بعض الناس بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطاني واستمر الى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة والمجاورون يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم اما في جميع السنة أو أكثرها ولو فقد ذلك والعياذ بالله هلكوا وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد أقامت في الرقاب لهم أياد ... هم الاطواق والناس الحمام فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدا الزمان

بالتحريم لا مستندا لهم صريح من الكتاب والسنة وانما ذلك بمحض الاقيسة المحتملة مع أن الفتوى به عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب في جواب سؤال سئل فيه عما يقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور شجرة البن سنة ست مائة وتسع وتسعين وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلي عن البن أخبري ... هل له في كأسنا ايماء
قلت ما حط الكأس شيء ... ثم أرخت يوم تأتي السماء

٥٦ ١١١ ١٣٢ ٩٩٩

ومما كان من الحوادث أيضا في دولة الشريف مسعود انه نادى على جميع العربان من جميع الاجناس بالتوجه الى بلدانهم وأمر بتكرير ذلك المناداة وأغلظ في العقوبة على من أهمل ذلك وسبب ذلك كثرة العربان بمكة حتى انه دوهد اركبي فقطعوا الطريق عن أهلها الحجيج وصاروا يتعاطون بيع الاقوات واستولوا على أغلب ما في الدواخل السلطانية من المرتبات فتوجه بعد ذلك اخلاق كثيرة وكان الامر بذلك سنة تسع وأربعين وسبعمائة وألف وكذلك المنع من شرب التنباك وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بجيش يعرف بجيش محمد وصحبهم أحد مماليكه عدتهم من المواشي والدهم وقتل جماعة منهم وسالم الامر تحصن برؤس الجبال ثم دخلوا في الطاعة ورجع الشريف محمد ومن معه سالمين وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وألف حج مولانا الشريف مسعود بنفسه فنازل عضل حوالي الليث لقطعهم الطريق وكثرة افسادهم فأغار عليهم وأخذ منهم أخذا وبيلا وكان ذلك في شهر صفر وفي شهر رمضان من السنة المذكورة جهز جيشا عظيما على قائل القوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد فعراهم في سفح جبل حصن وأرل عليهم الخيل والمحن ونهب أموالهم وقتل كثيرا منهم ورجع آخرين ورجع سالما هو ومن معه وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة وألف حصل مطر عظيم في أيام مني والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بحجاب من الحجاج وأموال كثيرة وكان ذلك آخر الليل وأغلب الدنيا حتى لم ير الانسان من بجانبه فاجتمع الناس بادرين الى مكة وهم في غاية البعد والمشقة يعرون وأشياخ دكور وإناث وأطفال قد طمهم السيل وفي سنة ستين ومائة وألف حصل الشتاء في هلال عيد رمضان ثم أثبت بالطريق الشرعي صحة ذلك اليوم فتأهب الخطيب للصلاة وصفي بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف

فان دولتهم الشريفة هي عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في أيام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة في نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصور وجوده من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم عليها سلطانهم كما دام عليها برهم واحسانهم ﴿ومما جدده الامير مصلح الدين﴾ المذكور بناء مقام الحنفية فانه كان مستقبلا الى أربعة أئمة في صدره فخرب عمل سبعة احدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبلة وأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمة والعلماء والاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم أبا حنيفة رزق الله تعالى روحه اشرف روائح

الروح وأزكاها والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام وقد ذكر بعض العلماء أنه لا شك في عظم كل واحد من الائمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات في مسجد واحد لا يستقيم لكل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت واحد ونحوه أنكره بعض العلماء غاية الانكار في ذلك العهد ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة ناطقة بأيدي الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وحتوا من قال بجوازه ثم ان نفس المجلس على حضر اتفاق * ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن السباك الحنفي ان جده القاضي أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك

للناس ليلة العيد ومن الاناسة والحلوا والاسطة المدينة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصل المفاوضة في ذلك في مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالي باظهار الاسف على انحرام محاسن المعاد وذهاب رونق العيد وما يصير اليه من طلوع أهل الحارات على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه بالقصاص لمخالفات وأن يعمل في الليلة الآتية ما كان يعمل في الليلة الماضية الا التكبير والخطبة والصلاة للتوقيت المستفاد من اشراق الشريف ولان الصلاة والخطبة قد حصلا فصار في الليلة الآتية طبق ما أمر فعلت الاسواق وطلع أهل الحارات على جبالهم وصنع ما هو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلوا والملابس والاسطة وهذا أمر لم يعهد قط وفي سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير علي باشا صاحب جدة وسببه انه بارع مولانا الشريف في كثير مما هو مقرر له من المحصولات بمدر حدده فابر له مولانا الشريف ما يبدده من الاوامر السلطانية وما كان يبدأ به آباؤه وأجداده ولم يمتثل الوزير المذكور لشئ من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينجع ذلك نتيجة بل ازداد الباشا تجبرا وترس البلد وحمى السور وبعدى على كثير من خدم مولانا الشريف واتباعه وبعد ذلك جهز عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش اخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك الجيش وأحاط بمن معه على دائرة السور وحاصر الباشا المذكور ووقع بينهم القتال ثم أرسل بعض أهل البلد للسيد جعفر ان يحمل من جهة اليمن من معه من الجنود فهم الجند على سور البلد من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه وركب الباشا البحر وحاسه وتمكن الشريف جعفر من البلد ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر وأرسلت الدولة على جدة غيره وحاز الامر من الدولة ما حرره ما هو مقرر لمولانا الشريف على حسب ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف في ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس وستين ومائة وألف

﴿ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد﴾

فرس في أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما ولا زال ثم توفي يوم الجمعة ثاني عشر الثاني من العام المذكور وولي شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف ونودي باسمه في البلد وأقبلت له جميع السادة الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن بيعته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم عاملوا الحنفية ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وجمعوا أولاد عمر ولم يكن معهم الشريف

فشرع الامير مصلح الدين في اتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عليه من الحجر الاصفر والاحمر الشمسي وصرف على ذلك دهيا كثيرا واستمر مقاما يصلي فيه امام الحنفية بالحجيج الى أن عينه الامير خوشكلدي أمير سفر جدة وهدم القبة وبنى المقام مربعا ناطحا فتبين جعل الطبقة العليا للمكيين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق الى الآن على هذا الحكم * ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبي صلى الله عليه وسلم وكتب دفتر الاسامي وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأتى له ذكر جميل وحصل ثوابا جزيلا رحمه

الله تعالى ﴿الباب الثامن في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض ما فعله من المآثر الحسان والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى الله عهده مصائب الرضا والغفران﴾ كان سلطانا سعيدا ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأييدا (وولي السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة ومادمي أنف واحد ولا أرتق في ذلك محسمة قدم * ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا محمد حليمي قاسم الرومي في حاشيته كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشري سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولي السلطنة ستا وعشرين (١٩٦) سنة واستمر في السلطنة تسعا وأربعين سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان عارف في سبيل الله مجاهد لنصرة دين الله مرعم أنوف عداه بلسان سيفه وسنان قناه كان مريدا في حروبه ومعاربه مسددا في آرائه ومعاربه مسعودا في معايبه ومعايبه مشهودا في وقائعه ومراميه أيام ملكه ثلاث وابى توجه فتح وقتل وأسر سافر سفر وسفك وصلت سراياه الى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخمد الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه البواتر وأقام الملة الحنيفية وأحيا مالها من مآثر وطهر مذهب أهل السنة والجماعة وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الالحاد وقمعهم وأهانهم من ناصر وكان محمد دين هذه الامة المحمدية في هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذي يقصر عن شأوه كل أديب وشاعر ان نظر بعسجد عقود الجواهر أو نثر بثر منثور الازاهر أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركي وآخر سديم اسطيرا بالفارسي يتداولهما علماء الزمان وتحبر أن تسمع على منواله فصلاء الدوران تتناقله الركبان بكل لسان وتستلذ معانيه العقول والاذهان وكان رؤفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتعاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوئ الاخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال ديانته ولا يشك في ولايته

محمد المذكور ولم يطل مولانا الشريف مساعد ان له مهد امع الشريف محمد لانه أول من حصر المبايعة ولم تكن معه ممانعة فقارل يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبونه الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف يطلب الصلح ومعهم اس أخيه الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمد وأظهر هو نصه أنصافي ذلك وجمع بقية المراسيل وأحضروا مولانا الشريف عماشاهدوه فحصل بمكة اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبد الله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل فتوجه فوجد الشريف محمد اقد رحل بالليل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بها الى الطائف فملكه بعد حرب يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادي الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة أيام توجه عن معه الى مكة وترس بهم في موضع يقال له دقم الور وخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا شديدا ثم انهزم الشريف محمد وبهت خزانته ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين وماية وألف ثم جمع كثيرا من العربان وعادهم الى مكة في ثلثي شعبان وخرج له عمه والتقيا ليلا في تلك المواضع الشريف مساعد مقابلا للموضع الذي فيه الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح طلعه ان ابن أخيه قد انثنى وتخصص بجبال المحصب والمضا ووجه خلفه طلائع جيشه السوانوز وارتحل ومار ال يقفل ويحب حتى التقى الجمعان بوادي المحسما وقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف محمد ومن معه ونعرفت عساكر تلك البوادي وتوسط السيد عبد الله الصغير بينهما بالصلح وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاء بذلك فدخل مكة في النصف من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الصغير بعروض من مولانا الشريف للدولة العلية ورجع في سنة ست وستين بقضايا مطلوب لمولانا الشريف مساعد ثم ان الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد في سنة سبع وستين خرج الى المبعوث فاقام به برهة يسيرة وعينه بعير الملك لم تكن قريرة ثم توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا في سنة تسع وستين توجه للزيارة ثم قصد الرجوع الى مكة

﴿ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٦٩﴾

فتوفي وهو راجع عند ثنية عسفان فحملوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح والده

ومائتاهيت فى ثنى محاسنه • الاوآكثرمما قلته آدع وقد آهانى الله لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا بتلالا وهيبة ألبسها الله مهابة وجلالا وجبينا تصوع ضياء وجمالا وألسنى تشريفة التشريف الشريف وشملنى باحسانه الوافر الوفير فيها أنا الى الآن أتقلب فى حرير انعامه وأعيش الى الآن فى فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة الجميلة كما تذكرت احسانه وجميله وأحادثه ذكره الحسن فى أوان الليل والنهار وأرقمه فى صفحات دوائر الايام حيث لا يمحوه كر الدهور والاعصار ولا يزيده الايام لا حمدة وصاره ولا يزال عصا طريا جديد البراعة والعمارة ﴿فصل فى ذكر أولاده﴾ (١٩٧) الآكرام وأحفاده ... اما العظام﴾ كان أكرمهم

والده قبالة شيخ محمود وعمره اثنان وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعد وفاته صدقا الوقف لمولانا الشريف مساعد واستقامت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف فحصل تنافر بينه وبين السيد عبد الله المعروف بالحج الشامى وكان أميرا عليه عبد الله باشا شخى وأمير الحج المصرى كشكش حسين بك فدخل عليه السيد عبد الله المعروف بحسن له ان يلبس السيد مبارك بن محمد بن عبد الله بن سعيد ويدل له شيأ جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكروا العواقب ووافق على ذلك جماعة من السادة الاشراف والسرادرة المصرية فاتفقوا الامر بالحضة الشريف مساعد لا علم له شئ من ذلك الى ان حج الناس فلما كان الحادى والعشرون من ذى الحجة البسوا الشريف مباركا المذكور عمدا قاضى بعير فرمان سلطانى ولا أمر بالنوى وخرق العساكر على أسنة العساكر والمغاير واتحدوا جميع المغاربة وناوة وتارس وترس البيوت المطلة على دار السعادة ومنزل مولانا الشريف مساعد فبيما هو نائم فى داره لم يشعر الا ورمى الرصاص كالمطر مسائل أرتال وتسعى من ذلك وأخبروه بما وعد ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بما طال ورأى الموت تقصير الآجال ومازال الحرب بين الفريقين فى الليل الى الصبح فاخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جماعة من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عسكر النبى بأهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى طهرت الصولة والعلمة لمولانا الشريف مساعد على يديه وبعد ذلك طلب السيد مبارك الدمه وأحمد الامان له وللصحبة كشكش وكان قد أحدث دحيرته نفائس أمواله ثم بعد اعطائهم الامان توجه السيد مبارك الى وادى مر الظهران والتمس الصحبى من مولانا الشريف مساعد ان يرجع له ماذهب ليرتحل بالحج فأمر ان يرجع له ما يلقونه بأيدى الناس فجمع ماوجد وشاهر اطا مرا كالخيام والقرب والخلف والحامر وأحد ما تحصل له وارتحل ونادى خلفه لسان شؤمه الى حيث ال ثم ان السيد مبارك أقام بالوادى أياما فدخل بينهما الصلح السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى وتمما له كل ما طلب من مولانا الشريف فى عرة المحرم سنة ثنتين وسبعين ومائة وألف وفى ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض على يده وصحبه الى تمام السنة وتوفى ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف ان الذى كان من تولية الصحبى للسيد مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله المغربى اشتد حنقه عليه وأمر بالقبض عليه وأحضر من أقطاره فارتحل وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء وأكرمه الامام وعرض عليه أن يعيده بالرجال والاموال فامتنع السيد عبد الله المغربى من ذلك وقال الاولى ان تطلب لى الالتجاء من مولانا الشريف

وأنجبهم وأنجدهم وأسعدهم وأرشدهم وخلاصة حضرة وريث حضرة ومهد مشيد أركان الملك العثمانى السلطان سليم الثانى أجابه الله على سرير القرب والتدانى وعوضه ملك الفردوس الباقى عن الملك الفانى مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة كما يأتى فى محله ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاد مولده سنة احدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من الفيل الى ولاية مغنيسا الى اركلى وهو متوجه الى مرزلاحد بلاد المجم فوصل اليه ممتثلا أمره بادلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه أمر فلما نعة من الكلام بحنقه فحنق صبرا وقتل ومراق الحرث قال سنة تسعين وتسعمائة وألف سادل

فى تاريخه طلم فى حدود آخر شوال • ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم فى يوم السابع والعشرين منه مراد فحضر اليه وخنقه ووالده ألحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الامر الفظيع الذى قطع القلوب أى تقطيع الا لتكين الفتن واطفاء ثائرة المحن ماظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظا للنظام الامين والتظمين ومن أولاده العداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفى على فراشه بأجله فى سنة خمس وتسعمائة • ومنهم السلطان السعيد الشهيد العريف الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجالسا واحدا فى وحاتى الثانية الى الروم فى سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعانى وأنا مارعليه بقرب كوتاهية يقال لها قراويك وكان الامر مدبرا بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه

وحضرت بين يديه فاقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمني وعظم أمري وأكرمني فوق قدري وباسطني وخاطبني بدون واسطة وقربني وأخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع الذي أراد كشفها وتحقيقها الا سألني عنها بلطف وتؤدة وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظة وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء الى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألني في الاقامة عنده لمصاحبته فما تمكنت اليه وكررذلك فابيت عليه وكان الخير في ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما مللت حديثنا نحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد صلاة العصر والمسي آثير فيه وأحس (١٩٨) الى ثواب سوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اصطنبول

وتوفيت والدته الملكة أم السلاطين الخاصكية بعد دخولي وحضرت جنازتها وما أجرى من الصدقات عليها وكانت هي كالملهم للسلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشماتة به وبين أخيه السلطان سليمان أدى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا ثم لما انحرس مقاومة والده وأخيه هرب الى شاه طهماسب فصرح به وأقام باموسه ويحرس حفظه فشرع طهماسب في المكر والخداع وتعريفي سيكره والاعتذار بضعف بلاده عن أن يسلمهم فسرقهم ثم استولى عليه وحبسه هو وأولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد واغتنم منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه لوالده فلما تأكد طلبه من طهماسب ذكر أن صرف عليه خزينة مال وأنه لا يسلمه الا بأن يعطى له فسئل عن قدر ذلك فذكر مقدارا عظيما يكون ان

لا عودا الى الوطن وأرسل الامام لمولانا الشريف يستدعيه ويستأذن له في الرجوع فأذن له فعاد الى الوطن في جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الامير عليه الورير عبد الله باشا الآتي في العام الذي قبله عزم على نزول مولانا الشريف بحيلة دبرها وذلك انه بعد تمام الحج نزل بالمحصب وعقد مجلسا للنظر في أحوال عربستان وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس وحضر فيه القاضي وأمر الحوج فلما تماس الحديث بينهم في أمر العين أغلظ الباشا المذكور في المقال على مولانا الشريف فأثلأمت أعطشت أهل هذه البلدة الحجة وأحرمت العين السقيا العادية مع ان هذه المقالة افكة آفاك وعير بريدة لا ركب هناك وقد كذب عليه من قال له ذلك فاجابه مولانا الشريف بان ذلك غير صحيح ولم يقل منه ذلك

﴿ذكر اقتضاض علي الشريف مساعد ونزاله أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فامر بالقبض على مولانا الشريف والبس أخاه السيد جعفر بن سعيد وولاه شرافة مكة فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب في مكة ووقع الحرب في الاسواق فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع امراء الحج والقاضي ووالي جدة ونزل المسجد وأبرز مرسوما من الدولة فوسمت له الامر والنظر في شأن الحرمين وتوليه من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلد وأمر بالدعاء له في المسير والمقام وأطلق الشريف مساعد لوجاهه أخيه الشريف جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العادية

﴿ذكر عزل الشريف جعفر عن الشرافة لاخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فلما توجهت الحوج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان ويبدل لاخيه الشريف جعفر شيأ من الدراهم والنقود فرضي بذلك وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف جعفر الى الطائف فاشترى بساتين

﴿وفاة الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٨﴾

ولم يزل يتردد بينهما مع الاتفاق بينه وبين أخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة اربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد وسببه أن وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أذن لعبيد من عبيده فضرب مولانا السيد أحمد بن سعيد متوجها عليه ان يستسمح له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده ليضرب سيده وطلب منه السماح لذلك العبد فقبل توجهه في ظاهر الامر وسمح وبعد خروج مولانا السيد أحمد

ابن سعيد قتل بالعبد وصير بالسياط وقيده وهرب العبد فقيد الى البيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره عما جرى بعد خروجه فاهتم الامر لاخيه مولانا الشريف مساعد ولم يلتفت لقاله ولم يتكلم مع وزيره بشئ لانه كان مقربا لديه * وقد قيل فى المثل ان عدم الصفة بين الخدم تفضى الى الندم والمنافسة بين الخدم سم فى دسم وتعدى الخادم على طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فعصب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى وادى عمان وجمع شيأ من العربان جاء الحبر لمولانا الشريف مساعد فجمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جاء من معه ورمل فى التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التى حول أبى لهب ووقعت بينهم ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وأسفر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم وهربت خزينته ثم طلب دمه من أخيه وارتحل لوادى مر ومكث هناك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وأرله المحل الذى يرضيه وأمر الوزير أن يقاد لاخيه ويستسمحه فيما جناه فذهب اليه واستسمحه عما هنا لك فسمح له عن الدم وعفا وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف عبد الكريم بن محمد بن على مشاورة تولد منها حراب كبير مرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادى واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات شرافة مكة فوافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل مقدرا عليه من المال وسووا أمرهم على أن يأخذوا قبل ذلك بمدرحدة ويستولوا على ما فيها من الاموال فتوجهوا ممن معهم من الجموع وأحاطوا بها وحدة من كل جهة فحصص أهلها ورموهم بالمدافع والقنابل فلم يجدوا لهم حلا صاقبلوا فى العشش التى هى خارج البلد عسى ان تفرق كثير من جمعهم فرموهم من جدة بمشاشيب حديد النار الكبريت الموقدة فى رؤسها كالرياش فاحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعد أرسل من أخرجها فرجع الشريف عبد الله بن حسين الى الوادى ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك على بك كبير ساحق العرق قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولى أمرها من الدولة وصار الحل والعقد بيده حتى انه عند هذه المدة أرسل جيوشا ملأ بها الشام كما هو مذكور فى تاريخ مصر للعلامة الجبرتى فلما وفد السيد عبد الله بن حسين لعلى بك مستجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصرى وكان الامير المذكور ممن له كلمة على بك يسمى محمد أبا الذهب وأكد عليه ان يسعفه مراده ويجتهد فى تمكينه فى خدمته من شباب ممالكه من هو على الوزارة طائرا اليها بجناحيه ورأى سلطانا شابا يميل لى أقرانه ودوى اسمائه وهو بينهم لشيخوخته وكبرسنه لا يباسمهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله فاجتمع للسطرى حاله وماله ورأى العين كماله عدم ثبات الدهر فى أحواله وأخذ فى زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات * من آثار عمارته فى ادرنة فى دار سعد وكان محل قطاع الطريق يهب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجدا جامعا ورتب لذلك كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرا باقيا على صفحات الزمان وجبين لابد كريه ويد على له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخر غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى * وكان عزله فى سنة تسع

﴿وصل فى وزرائه العظام﴾

كان أول وزرائه آصف زمانه ورجحهم أوانه معدن الرأى والدها موضع العقل والنهى محمد الحامى الصديقى المعروف ﴿بمبرى باشا﴾ وزير الوالده وانتقاه على وزرائه فوكان السلطان سليم تقع فى أول سلطنته طوائف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأى فلم يجد أكمل عقلا منه وكان قاصيا فى بعض النقصانات فقربه وولاه وزارته العظمى واستمر فى مدة سلطنته ووزر لاعده لم يعزه وسلم من قتله الكمال درجة مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأى عاقلا بصيرا بالمثل نفر استه وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر للسلطان سليمان رأى

وعشرين وتسعمائة وولى مكانه فى وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص ابراهيم باشا وكان شابا قدامته بلا غصص نضارته عماء الشباب ولا رمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه فى الخدمة أحمد باشا ولكن أن الوزارة لا تعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فراعه فى صدر دست الوزارة وجلس بقوة دلاله تحدم السلطنة الشريفة فى محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فدرى ارادته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها تيمارا له واقطاعا يستحلب به

خلفاؤه الى مصر والى

عليها وصار يتقصد ابراهيم باشا للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر

لجماعة من الامراء المسطورين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله بالامر الشريف السلطانى وولى أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة بكلربكى مصر وأرسلت هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام فى يد أحمد باشا قبل أن تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكر لهم ان امر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فسلمهم ثم ولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوى الى حصن يعتصم من السلطان وانه يقاتل ويقاتل جيش يلحقه من مصر فاندى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه على الممالك وأمر بدعى لنفسه على المنابر فى أيام الجمع ورتب عسكرا من العوانيه وجمع

بعناية اجتهاده حتى يحاسبه على كرسى اشرافة قضاءات الاحكار لمولانا الشريف مساعد فاخذ فى أسباب الاحتراس عنهما فلما وصل الحج المصرى الى الوادى توجه الى مكة ونزل الشريف عبد الله ابن حسين يجمع له كثيرا من الوادى فوصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد للبس الخلعة الواردة مع الحج المصرى فلبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصرى شيأ مما فى نفسه فلما أتم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامى وهو عثمان باشا الصادق ونزل محمد المولا بالشريف على تقديم سفر الحج المصرى واخراجه من مكة قبل أوانه فلما علم المقصد منه الشريف عبد الله بن حسين فامروه بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذى الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل الامر وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده ثمانية أيام الحج الشامى فلما بلغ الشريف عبد الله بن حسين خروج الحج المصرى حصل له غيظ وحنق وبذل المال واجتهد فى جمع الرجال وذق زير الحرب واجتمع عليه كثير من القبائل والاشراف ماعدا آل حسن وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال اضعاف ما جمعه الشريف عبد الله بن حسين مع ما عنده من العساكر والرجال فاقبل الشريف عبد الله بن حسين بمن معه من الوادى وحيم بالجبال التى حول الزاهر فجرح الشريف مساعد بمن معه لقتاله ومكن كثيرا من جنوده من احتلال المعابدة والمعلى ووقع القتال بين الفريقين فى اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين وماية وألف واشتد الامر وسالت الدماء وكانت ملحمة عظيمة ظهر فيها من الشجاعة للقائد مثقال ذرة لم يدر ولا بالشريف مساعد مما لا يحطر بالبال حتى انه رفع السيد حامض طهر فرسه وهو مدرع ورفعه على قائم بندقه ورماه بين يديه ثم طعنه بالسيف فجرحه وجرحه ثم اسعرت هذه المعركة الواقعة المرتبكة من ابهرام السيد عبد الله ابن حسين فتوجه الى الوادى وطاف ذمة واعطيها لى المعتاد ثم توجه الى مصر قاصدا مرزها على بلد مشكى اليه ما قاساه من الاهوال فأمده بالرجال والاموال وجهز معه مملوكه محمد بيدق أبا الدهب ومعه جرده خطيه فيها خمسمائة وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وجعل الدحادر والاثقال تسارهم فى ثلاثة مراكب فى البحر وأكد عليهم ان يمكنوا الشريف عبد الله حسين من سيادته ويجروا الشريف مساعد من دار سعادته وقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤

وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة أربع وثمانين وماية وألف وكانت مدة

وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير صادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل ولايته

جمع عليها الشطار وأحدثوا الحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقدوا نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحراوى ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أحرقا أحلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسر الحبس وخرجا وصاحا سلطانيا وبادا من أتباع السلطان فلبسوا ثياب لوائه فاجتمع تحت السوق خلق كثير وحمى صعير وصار مرادهم محمد بك وجانم الحراوى عثمانة الوزير وتوجها الى العسكر الى الحمام فكسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعمله النصف الثانى هدوم العسكر السلطانى وهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر واتجه الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن نفر وقوى العسكر السلطانى

ونهبوا ماجمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به مسوكا فقطعوا رأسه وطافوا به فى مصر وعلقوه فى باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك فى سنة ثلاثين وتسعمائة وضبط محمد بك وحاشم الحمزاوى مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكاملها واستمر ابراهيم باشا فى وزارته العظمى معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما مدلا مسفرد ابالامر والنهى الى أن أفرط بالدلال وزاد فى الاذلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور وأنفت العبرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة محبه وادلاله وطلبه السلطان فى ليلة من أواخر رمضان عنده وأنعم عليه على جارى عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع مافى

(٢٠١) محلسه من أوانى الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده فى مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصعر عليه الى أن غلب سلطان الكرا على مقلته وأماقيه وأمر بذبحه وأخطأ الداخ ذبحه فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره وأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ ابراسه وأحدث أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم ردا وسلاما بل زادته حراوا ضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس وشكر مكارمه التى زادت على الحد والقياس نفعته عند الله فى الدار الاخرى ولعله صدقت بيته فى بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فليكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من اسار ويدخل به صاحبه

ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف سرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعز والشريف غالب والسيد محمد والسيد بدلوى وكان قبل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبى نمى

﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولى شرافة مكة أخوه الشريف عبد الله المذكور وألبسه قاضى الشرع الشريف ونودى له فى البلاد فنازعه فى الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال أنا لها أنا لها فعزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفى وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبد الله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد على والسيد عبد العزيز والسيد دخيل الله المشهور بالنواجى

﴿ذكر نزول الشريف عبد الله بن سعيد عن شرافة مكة لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

وولى شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وطهر عقب ولايته فى شهر صفر نجم ذو السماء ذو شعاع وله ذنب مارأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثر فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الشامى نؤذن ان بعد ظهوره تبدو أمور عبرة جديدة والقصيدة مائية وهى تدل على ظهور طائفة الوهابية ولنذكرها تتميما للفائدة ثم نتم الكلام على الجزيرة الى جاءت مع الشريف عبد الله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين ● كثير الشعاع طويل الذنب
اذا مابدا فاحسبوا بعده ● ثلاثين عاما ترون العجب
خوارج تخرج من مشرق ● تدوس البلاد بكثر العطب
يكون لقوم حروب كثير ● وتلقى العشائر أقصى التعب
وتبدو وتسرو رنعم البلاد ● الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وأربابها ● ومن حل فى حولها او اقترب
براعه بعد تلك الثلاث ● يأكل ريف وتمر وحب
وفى الخمس ينبعث المشرقى ● يبيد البلاد بكثر العطب

(٢٦ - تاريخ مكة) الجنة مع الشهداء والابرار ومات ظلما للعبيد وكان قتله فى الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولى الوزارة الوزير الثانى وكان من الاربوط من ممالك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا فى طائفة العلماء معتمدا فى أحواله صادقا فى أقواله قطوفا فى آرائه وأفعاله اجتمعت به فى أول رحلة الى اصطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدى ويلتمس دعاءه فاكرمنى وأقبل على وأحسن الى وربانى عند السلطان وأخبره عن والدى وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند فى عصره فحصل لى احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عنى أحسن الجزاء ورجه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى أن توفى مطعونا فى سنة (١) وأربعين وتسعمائة ﴿ثم ولى (١) بياض بالاصل

بعده الوزارة العظمى لطنى باشا وجنسه من الارنؤط وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واشتغال ومشاركة فى بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه وله آثار حسنة فى وزارته منها ابطال الاولاق وله كثرة فى تلك الايام وعم ضررهم المسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتى أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولى الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا فى المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جدا فقل (٢٠٣) ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة

وكانت الخلفاء تعد خيلا ترتبط لهم فى كل بلد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها الى أن يصل الى قرية أخرى فيجد بها أيضا خيل البريد فيركب او يركبه الاولى وهكذا الى أن يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذى يؤمر به وكان لهم حرام لمثل هذه الخيول معلومات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر الناس الى أن وقع بينه وبين روسيته مشاحنة وهى أخت حضرة السلطان سليمان وسعيها كثر ميله الى الحوارى وشكنه الى أخيها فطلبه عنده وصيره بالقوس على رأسه وأمره بمفارقتها ففارقها مكرها وطلب الاذن فى الحج فأذن له فحج فى سنة تسع وأربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأراني تأليفه واخذوها

اذا ما تقارنت الزهرتان ... لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد فى سيره ... على المشترى طالعا وانتهب
فذاك دليل يكون الكسوف ... لآخر جمادى وأول رجب
اذا تكسف الشمس عند الغروب ... صحيح رواية أهل الادب
تعسر وخوف وعيث قليل ... يقول المحرر فيها احسب
يقيمون فى الدل دهرا قليلا ... وتفنى الحائر والمكاتب
وفى الست ظهر سبط الرسول ... كريم المناقب عز العرب
يبيد النساء وأبناءه ... ويذهب فى الخير مع من ذهب
وتقلب الناس نحو البراه ... يجيشوا اليها جميع العرب
ويأتى على عام به عوسجة ... لمن عاش من بعد ما قد ذهب
وفى السبع ظهر داعى الهدى ... أعز البرية أماب
فتصفو البلاد ويحيى العباد ... ويحكم فيها بما قد وجب
فطوبى لمن شاب فى وقته ... وطوبى لمن هو طفل يرب
فهذا رسم امرئ عالم ... بما سيصير بما قد كتب
فان قل ما قاله كاذب ... فلعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عند الشكور فى تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاما من هذه العصبة قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادى فى لاميته وانه متحقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو فى المحاجم طويل ... له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل القمرى يبدو ... بانواع الغواية والضلال

قال واللامية طويلة ذكر فيها أعاجيب ما سيقع فى البلدان وعدد القمرى والشرقى يتفقان فى الحساب بغير شك ولا ارتياب

﴿ذكر وصول الجردة﴾

ومن الحوادث فى أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك الجاسر الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافة فلما وصل ينبع قابله وزير الشريف الذى كان بها وهو درويش أغا ثم هجر

وعاثوا في البحر وأخذوا سفائن الحجاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بالسلطان بجرات السعيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية فأمر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن بركبها مع عسكر جرار الى أرض الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الاقطار من الكفرة الفجار ففعل بحوسبعين غرابا وسفائن صغارية كثيرة لحمل الاثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لاذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الامير حاتم الخراوي وولده الامير يوسف وكاماس الصناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضا (٣٠٣) الامير داود بن أمير الصعيد وكان كريما

فاحذوها وقتلوا الوزير المذكور ونهبوا المدوكان الشريف عبد الله بن حسين قد تقدم وصل الجردة الى الوادى وجمع جموعا من العربان ومن أطاعه من الاشراف وناع أمر الحرة عصته فارسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة ممن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهول ومصعب وناظر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلى من الدرهم والدينار فاجتمع عنده رديسير ثم تفرق أكثرهم وفى اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادى وأرسل الشريف أحمد المفتى على بن عبد القادر الصديقى والسيد عبد الله الفعر الى الوادى لكشف هذا الامر فاما خوا على أبى الذهب بوادى مر وحاطوه فى هذا الامر فرآوه لا يرضى الا بمجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافه فأرسلوا له ذلك يخبرا الشريف بما شاهدوه ثم رجعوا وفى اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالراهر وصف المدافع تجاه شرطوى فخرج الشريف أحمد عن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصاريع التى فى الربع وهو للقضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لا فائدة فى اللقاء والحرب فاودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين احرامه واطرافه تأمينا فى ذلك اسلامه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وباب مدحل مكة ثم توجه الى المعاهدة ثم الى الطائف ﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين البركاتى سنة ١١٨٤﴾

وفى يوم الجمعة ثمانية عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأت جنوده كل ناحية وسكة ونزل بدار الملا والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس فى هذا اليوم على كرسى الشرافه وولاه الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى وحسين والد عبد الله بن حسين يسمى ايضا السادة الاشراف من ذوى بركات المشهورون الآن بذوى حسين وقد ثار الله فى أولاده حتى صار منهم العدد الكثير فانهم يفوقون على بقية افخاذ ذوى بركات مع أن المدة الآن سواء بين جدهم حسين المذكور وبين مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبد الله بن حسين سكن بدار ابائه الكرام المسماة بدار الهنا وتودى فى البلاد باسمه والبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات فى أيامه السيد أحمد بن السيد على طويلة أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة فجاء بيت المال عثمان البوشى بقدجريل وقال له قد مات أحد أعيان التجار وأخذ جميع ماله من هذا المقدار فزجره عن أخذ شئ من أمواله وقال كيف تأخذها مع وجود أهل وأولاده أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

ولا حافظ للاد الصعيد بعيد ذهاب أتاه ثم توجه الى الهند وصلت صاحب عدن فى طريقه مع أنه فتح له باب عدن ودرس الاسواق بوصول العسكر المنصور السلطانى فيه بعد رد وصوله اليه صلت على صارى السفينه وحمل صحبتها فى عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال كفار الفرنج منه ضررا وكان الامير أحمد صاحب بيداد ذلك من جملة اللوند الذين استولوا على تلك الديار وأعطاه الامان وطلبه عنده وقتله ولى بعده أميرا من كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالى وأشفر سعرته على أخذ زبيد وعدن وكان طالما عاثما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يقتل من يقع فى يده

مأمورا معلولا ودعاء المرحوم السلطان سليمان لخدمة والده السلطان سليم اصدقه فى الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفى باشا لما عزله واستمر وزيرا أطهم مدة يسيرة الى أن عزله ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا﴾ فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليم خان فلا عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الارنؤط من بيت السلطان سليم طار رحمه الله تعالى وكان ذكيا لمعيا حاذقا طيارا كيا ذا مال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأى حليما صبورا وربما وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفات الكمال مالم يجتمع فى غيره من الرجال ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى

جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أعالى الهمم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر فى الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتحيله وتدسيسه حتى ان بعض الطرفا جعل تاريخ ذلك مارعم انه ألهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذى كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحملة الغيم وبقلة لما أضمره السلطان فى خاطره الأشم الى أن قدر الله ما قدره فى الازل ودنا منه وقت حلول الأجل فعند بروزه من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه (٢٠٤) أمر بقتله عند الباب الداخل من السرايا فقتل هنالك وأخرج ملفوفا فى بساط وتفرقت عنه الأتباع والأسباط ومضى الى الله الكريم وقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل آرائه ويتفرد بانفاذ الأمر وامضائه لا يعارضه أحد من الأركان بل يطيعونه ويدعون له غاية الادعان وصار لا يتصرف قضاة العسكر والدفتردارية والبكلربكية وسائر الحكام والنظار فى منصب جليل أو حقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كفطنته ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منها شئ الا فى قتنة السلطان بايزيد ولكل شئ حد محدود وأمد من المقدور ممدود فان السلطان فارسل

ثم أمره ان يعيد المال لى أهله بعد ان يجمعه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان واكا ذات يوم فطعنه رجل من الدراويش المساكين فى فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش محذوبا باعا بأنباء الوجود يعتقد الناس فيه خيرا فاراد قتله جميع الخدم فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفة وكرما وعلى كل حال فقد كان مولانا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربى الطباع وله فضل فى البرية شاع لكن أبو الذهب الذى جاء بالجردة صدر منه ومن اتباعه أنواع الجور والاعتساف

(ذكر محبس مفتى مكة وتعريمه عشرين ألف ريال)

من ذلك انه سجن مفتى مكة الشيخ على ابن المفتى عبد القادر الصديقى ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة بالظلم والاعتساف ومدار المرحوم الشريف مساعد التى كانت فى سفيح حيادم أخرج من بقى من آل زيد من مكة ووقع حريق فى دار السعادة فظن بعض الناس انه بأمره لكن تبين ان الامر ليس كذلك لانه كان ساكنا فى تلك الدار واحترق فى النار بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صار وا يحرجون اذا شه باعظم مشقة ومن الظلم الذى حصل من اتباعه انهم فى مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد ولم يرالوا يحورون على الناس فى الاسواق هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادى لية وجمع بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبد الله بن حسين وهو أخوه السيد عبد الكريم بن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول ونودى باسمه فى البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم ابن يحيى فافسد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل للشريف عبد الله بن حسين يطلب منه جانبا من عساكر الانراك فاتفق مع أبى الذهب على ارسال حسين بيك شبكة ومعه جملة من العربان على الخيل السوابق ومعهم نحو اثنا بين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وأمر عليهم أخاه السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولى مسرعا وفر فى اليوم الثانى والعشرين من ربيع الثانى فقصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بنى سعد وثقيف واباح بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا معه يوما كاملا وكانت جنود هم تزيد على جنوده باضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مرارا ثم صعدوا له دسيسة ومكيدة وذلك انه جاء جماعة من عسكر بفيع ونكسوا اعلامهم وقالوا نحن معك ومعك واليك فاطلعهم معه على الجبل الذى كان فيه فلما ان تمكنوا فانلوه وأقبلت عليه جنود أبى الذهب من كل محل فطاب الامان وقد احده ومن معه الجوع وتحقق عند أبى الذهب ذلك فارسل

اتهمه بالميل مع بايزيد ورأت بسبب ذلك مرتبته عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان فى شئ من أحوال بايزيد وكان يشاور على باشا فأدى الحال الى ما أدى ولو استشار رستم باشا وأطاعه فى رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وما قدر الله فهو كائن والاقدار تدور حول أولى الاخطار وكم أريق فى هذه الفتنة دم لاذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مطلومة لاجرم لهم فى هذه البلاد ونوائبه لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم واستمر رستم خائفا يترقب الى أن

أمر ضة الوهم وأنحله فصار في فراشه يتقلب الى أن وافى أجله المحتوم فمات وقدم على الله الحي القيوم وهو عليم بما تخفي الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكانت وفاته في سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن في تربة بقرب تربة الشهيد السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿ وولي بعده الوزارة العظمى علي باشا ﴾ وكان من حبس البوسنة وكان حسيما طويلا فهما فطنا بيلا على خلاف ما يتراءى من عظيم هيكله وسمين بدنه فانها مظنة البلادة في الاكثر وإذا أخطأ فيه مقتاصه رادت انفطانة غاية كما تنقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه فانه كان في غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا له فضيلة في الانشاء ولطرفي التاريخ احتمعت به في رحلتي الى اسطنبول في سنة (٩٠٥) خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لديد المصاحبة ذكر لي بعض مروآته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتحمها منهم وقال له ارسلم يعيد ما ذكر به بالبدوين بدهب من الحواضر ولا يسلم نفسه بعد سنوات طويلة وادعى من كان حاضرا في هذه الغزاة في خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك مطلقا وينمحي حكمه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب علم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين في أخبار الدولتين لابن أبي شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين ابن أيوب وعزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد وبعدها ومنها على الجهاد وهو كتاب في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصي والداني مخلد فيه ذكرهما مزيد في اطراق أوراق الدهر أثرهما وعما في الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكار بكي مصر وأتاني بكار بكي الشام فلأي معنى لا تتركون أخباركم وآثاركم مدارجة في الكتب مخلدة في صفحات الاعصار والحقب فالعجب كل العجب كما لي كثيرا وأمر فاصل ذلك الوقت في الانشاء العربي صاحبنا المرحوم المقدس مولانا علي جلبي الحميدي المعروف بقمالوزاده أفندي أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى مثواه أن يكتب شيأ في ذلك فشرع وأتى بعد هنالك في ثمن من هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت المواضع من حصول ذلك المرام

فارسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كيلة من حلي الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسن وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر في عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغا شبكة وجعله والياعلى جدة وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد لاحد الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشيبري عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ورلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج نقيلهم الشريف عبد الله بن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المصاف وقتلوا أربع ساعات واقبل العربان الذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فاسعرت هذه الملحمة عن اهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من اهالي مكة الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بني ثقيف واسمه قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب دمه وتوجه الى الوادي ومعه الصحق حسن شبكة

﴿ ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسن البركاتي سنة ١١٨٤ ﴾

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومن حد دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فذهب الناس جميع ما في دار آل بركات ومر بوا الدور التي للرجال المعينين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادي توجه منه الى جدة ودخلها فارسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع ووجه اليه من الاشراف والوادي والعساكر ما يوف على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله مسعود ومعه من قبائل اليمن حرود لم يلق مثلهم الحرب الساق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصحق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكثار على العدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرعامة ثم تعود صباحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل وأقاموا على موضع يقال له عيسل وأرسلوا كتابا من الشريف أحمد الى كبير العسكر ليفسد من معه من العسكر في الدر وجعلوا له شيأ من المال

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ❊ فكأنها وكأنهم أحلام واستمر على باشا على وزارته العظمى فى صدر صدارته الاجل الاسمى ناهد الامر عالى القدر صاحب الصدر الى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعى الفناء الى حفرته فعاش سعيدا ومضى الى لحده وحيدا فريدا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء جيدا وما صحبه مما تحوله غير ما قدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده فى كرمه وافضاله ﴿ثم ولى مكانه الوزارة العظمى﴾ فى ذلك المقام الارفع الاسمى آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ﴿حضره محمد باشا﴾ أبقاه الله تعالى فى صدر اصداره على الثبات والدوام (٢٠٦) وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الايام وناهيك به عقلا وحزما وسراما وعزما وأقداما وحزما ودقة وفهما وذكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحدقا وفطانة رصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة واجلالا وسعادة واقبالا ونظرا فى عواقب الامور وراعاة لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا فى الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء والضعفاء وقال فيه

وما بلغت كف امرئ متناولا ... من المجد الا والذى نال أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحة ... وان أطنبوا الا الذى فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته الى أن أظهر اليه البيضا وكمال التدبير والمضا بحيث نحيه العقلا. فى ثبات جاشه وعدم نفرته واستيحاشه وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخيس العرمرم وهم فى أرض العدو فى حومة القتال وقرة الحرب والصيال وشدة الجلاد عدم والجدال وقد نوى السلطان سليمان فى ذلك الحال فلم يقع شئ من الاختلال وانتظمت الاحوال وأخذت قلعة سكتوار من القرال وهى محشوة بالعدد والعدد من الفرنج الاطال والسلطان فى السكرات والعمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الاعوان وأرسل الى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أصرمت المجاهدون نارها وعمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام وانهدم ركن الاصنام وخذل الله فى هذا الطال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب

فسعى فى نقض تلك المبانى وتواطأ معهم ان يفتحوا من الباب اليمانى فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية وملكوا جدة فى غاية جمادى الآخرة بعد ان قتلوا جملة من الاتراك وأخرجوهم من القلعة ولم يبق فى أيديهم غير القلعة فترسوها بناء على أنها تصومهم فاجتمعت عساكر الشريف حولها وتحقق الصحيق أن القلعة لا تصونه ولا تمنعه فخرج من الباب الصغير الذى فى مؤخر القلعة وخاض بحر الماء وتوجه بمن معه الى رابغ وتبعه الشريف عبد الله بن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تلك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا واعتصموا على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة وانما توجهوا الى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة منجحيا فى حكمة الله الباهرة وكيف يمضى عليه هذا كله فى أقل أيام تولى الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه الى أرض الروم ومكث فيها الى أن توفى رحمه الله تعالى لكن عسكر الشريف وجنوده المذكورين دخلوا الى جدة وملكوها فى هذه الواقعة مهما عالى دور أسيافها الكثار والحواصل التى فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد انعمار وكان فى جدة من الاقوات شئ كثير فانقطع هذا حصول علائمكة وحدة وتقيه الاطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى ان ابادية كانوا فى مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح واستمر الامر هكذا الى آخر السنة ثم انحلت العقدة فى سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها فلما باعوها من الجوع فى مدة الغلاء حتى انه اتفق انه أخرج الى السوق خمسمائة اردب فى يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الا ولم يبق منها شئ حتى قال بعض الملاحين ان الجن عددهم مثل ما عدد الناس من العلاء وفى هذا العام انقطع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفى سنة خمس وثمانين مع امام اليمن جميع التجار من ارسال شئ من البن لهذه الاقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور وقفل على الشريف المدخول فارسل السيد عبد الله بن أحمد العفير الى اليمن لاستعطاف الامام لست بقين من شهر الصيام ورجع فى شهر الحجة مخبرا ومبشرا بان الامام أطلق للتجار ارسال البن ولما وصل وجد الشريف سرور اقد جلس على كرسى الشرافة فبارك له وهنأه وكان السبب فى ذلك ان الشريف سرور كرسى الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد ان الشريف أحمد فى شهر شوال من سنة خمس وثمانين وسبعمائة وأنف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين ابن ابراهيم الشامى فوجهه الى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجا بامر العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه فى الاغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الامر من عمه حاضرا فى مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الامر مكتوما فتولد من

المصيب وتدارکها بما يجب تداركها بالقلب الرحيب وكل ذلك لالهام والامداد من الله القريب لقريب مع كثرة احسانه وتوتر انعامه وتأنس أطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وانشاء للفقراء وغير ذلك من المآثر الجليلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يجمل أن تفرد بالتأليف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله ما ترى أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الرقراء بالمدينة الشريفة بعد صعفها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال آخره معروفة قبا. من أعذب آبارا المدينة ذكر الحافظ الفيروزابادي ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا عثمان (٢٠٧) المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

عدم كتمان هذه الامور كثير من اشراف فسح الشريف سرور من المحاس وركب راقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل أن يصلوا اليها ورأى عدا الوزير يوسف قابل وأخبره بالامور التي قصدوها وعونوا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف قابل معهم الشريف سرور وقال أنا له بحيث وطل بينهم يد بسه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة لملاقاة الشريف أحمد ويكون انتظاره اليه في أنه يمين يوسف قابل أو يكرمه فخرجوا جميعا من البلد فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم شمالا وصمم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على ذلك باموال يوسف قابل كما زعم بذلك

والليالي من الزمان حبالى ٭ مثقلات تلدن كل عجيب

فلما أصبح الصباح عليهما الا وهما على وادي مرظب الشريف سرور ربه حيامه وقف وأرسل لعمه كتاب الدب فارسل اليه عمه يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استهون أمره ولم يدر ما يجري به القضاء وانما استهون أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن في ذلك الوقت كان عمره ثماني عشرة سنة ورحم الله القائل

لا تحقرن صغيرا في تقابله ٭ ان الدبابة تدمي مقلة الاسد

ثم ان الشريف سرورا أرسل له بلة ستينية وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادي جمع ليل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال فتوجه بهم الى العابدية وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل فلم يرد جميع ما اجتمع عنده على الثلثمائة فتوجه بهم الى المعما فعرج له عمه ومعه من عنده من العسكر ومعه الجيل الحياد وصمرا نقاء فوقعت ملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم هربت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقد ملكه وتبددوا وتالت عنه الدنيا وولت وهذا حالها أينما حلت ومعود بالله من اقبالها وادبارها فطاب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام وتوجه محو بعمان واتفق انه عند احرام الشريف أحمد وهب البادية الخزانة ثارت نار في شئ من بارود الجخانة فهلك من ذلك محو خمسين من العرب

٭(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)٭

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي وكان دخوله يوم الاحد ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودي باسمه في شوارع مكة وأمنت البلاد والعباد

وغير جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به وتركت عليها اثني عشر باصطبلا لرحها فعلهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول العين التي أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه وأسفت هذه العين الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ٭ ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دلالا من مائها الى مصب عين الزرقاء وصرف على ذلك أموالا عظيمة فصوبت العين وأضاف اليها مياه آبار أخر حلوة قوي بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دلالا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دلالا منها الى حمام عظيم مكلف بناؤه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوارد ون عوالة باخير وصار ثوابا جاريا ٭ ومن خبر انه أوسع بئر ذي الحليفة ويقال لها بئر علي رضي الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة حفرها ورل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر الا خمس يوقع النحاسة فيها وجعل أحد جوانبها الاربع درجا يرل من أعلاه الى أسفله حيث كان محل الماء وصار كل أحد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ومحمود لذلك وهذا خير عظيم جزيل ٭ ومنها أنه أمر أن يبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا

وخيرات أخركلها مثوبات عظمى * ووردت صدقاته فى سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة فتصرفت فى الحرم الشريف على الفقراء والصعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عمره وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه فى صدر الصدارة الكبرى مادامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحى الدى لا ينام مصونا من نوائب الليالى والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا ما شامل النفع للورى * فيارب قابل بالقبول دعائى ﴿وصل فى ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان﴾ (٢٠٨) كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد فى سبيل الله باذلا نفسه

(الواقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه فى غاية من الفترة فجرح لقتاله عساكره من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة السلم فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبددوا أحد دمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التى كانت بينهما وكانت فى رابع ذى الحجة سنة ست وثمانين وثمانمائة وألف ولما كان اليوم الثامن من ذى الحجة أراد الشريف سرور الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عند عمه سبع جوامك ويقولون له ان أسلمتنا اياها توجهنا معك فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عند ما يرجع الحوج وتعودوا عطاهم هو بالمشقة فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه وبعض من عشيرته وذويه ومعه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن وسرور ولما رأى الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامى وطلبوا منه ان يعزل الشريف سرورا ويعيد عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التى امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف سرور الى الشريف أحمد وطلبت منه ان تصل اليهم ويقووا بحمايته ورجاءه الى كرسى الشرافة فدخل البلد مختفيا وتوارى فى بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذى الحجة قبل الصلاة والشريف سرور عامل لم يعلم شئ مما صنعوه لم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبى قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فاخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستحق من بقى عنده من القبائل الذين عرضوا عليه فى أيام الثمان وشمر عن ساعد الجد ثم خرج عبد والده منهزما أعار طلب من ابراهيم بك أمير الحج المصرى ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل فى ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

(الواقعة الثالثة)

وفى صبيحة يوم السبت دق بابه زيرا الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا مثقال أعالى الصعود فى طلب الرصاص والبارود فأعطاه ستة صناديق من الفشك وجاءه من الرجال فحملت القوم على القوم فاطفر جماعة الشريف أحمد بثمانية يريدون فلما ظهرت العلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة وبات ليلة فى المعابدة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف سرور باخراجهم من البلد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم

وثلاثة لا يملكها الله يؤثر التعب فى ذلك على الراحة ويحب العزو ويرغب السيئة عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا وانصرة للدين وأكمل عدة وآلة لقطع دابر المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وأشفى للشرك وحزبه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا لدين الاسلام والمسلمين وأشد غضبا لاهل الايمان وأنصر لاهل الله فى هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم فتح بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله وحاصر قرسه واجتاحها وجاس خلال معاقلها ورباعها وافتتح ضياعها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام ومبانى مساجد الاسلام ولو نشرت صحائف الدول لكانت دولته عن عزة تلك الدول ولو عدت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طرازا تلك الحلل وان عزانه يحب افرادها بالتأليف لتبقى فى صفحات الدهر ذكره الشريف وتأهد التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا فى هذه الحالة ونعدد أعمالها فى غضون هذه الرسالة فان فسح الله فى الاجل وساعد العمر على ذلك الامل حررنا آل عثمان تأليفا جليلا وكتابا جليلا طويلا ليستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه فى كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى ﴿نقول أول عزوانه﴾ عند ما ولى السلطنة عزوة ايكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع

وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا ويصل الجبال الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا متاعها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها ورقاعها وأعظم ما افتتح قلعة بلعراط وهي قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنائم الكثيرة وآثروا الآثار الاثيرة وعاد السلطان الى داره ملكه سالما غانما ظافرا منصورا مؤيدا بنصر الله طافرا مسرورا ورينت البلاد لانتصاره وكان الله من أنصاره وذلك أول فتوحاته وغرة سعاده وبروانه وكان عوده الى سرير ملكه في شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى (٣٠٩) حاسردي العراقي الجركس

عن القتال فعرج العسكر مسكيني الاعلام مفرقين بين يمن وشام وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور

(ذكر وفاة المفتي علي بن عبد القادر الصديقي مفتي السادة الاحناف سنة ١١٨٧)

وفي شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف توفي المفتي علي ابن المفتي عبد القادر الصديقي وكان تقلد الفتوى بعد أخيه المفتي يحيى المتوفى سنة أربعين فكانت مدة مباشرة المفتي علي للفتوى تزيد على الاربعين سنة وبعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبد القادر ابن المفتي يحيى بن المفتي عبد القادر الصديقي وتوفي سنة احدى وتسعين وتقلد الفتوى بعده المفتي عبد الملك بن عبد المنعم القاضي ومكث فيها الى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وفي سنة تسع وثمانين سرح كثير من الاشراف مسافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات وصنعوا السبل وقطعوا الطرقات

(الوقعة الرابعة)

وفي شهر ربيع الاول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد فجمع له مولانا الشريف سرور الجموع ووصل بينهما القتال في أول الامر حصلت هزيمة للشريف سرور وطاب ذمة ثم حمل بنفسه حملة أي حملة فانهزم الشريف أحمد وأخذه ثم توجه الى المعدن وهذه الوقعة الرابعة بينهما ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني وملك الطائف بغير قتال

(الوقعة الخامسة)

ثم قصد مكة فعرج له الشريف سرور بعبيده ومن عنده من العسكر ووصل القتال بينهما في المعابدة فانهزم الشريف أحمد وتوجه الى خليص وهذه الوقعة الخامسة

(الوقعة السادسة)

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبد الله الفعر الى الطائف واتفق مع السيد سليمان بن يحيى ان السيد عبد الله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص فبلغه الخبر فتوجه للطائف فامتنع السيد عبد الله الفعر من اخراج الدراهم ثم نزل الشريف أحمد الى بعمان فبلغ الشريف سرورا فحوله فعرج له فدهده الى موضع هديل يقال له صبحة فلحقه وأثار عليه الحرب وارتفع الى جبال شاهخة رأى بها حصانته فرجع الشريف سرور الى مكة وهذه الوقعة السادسة وكانت في رمضان

(الوقعة السابعة)

ثم توجه الشريف أحمد الى الهدا وجمع عربانا وأحد الطائف بغير قتال وأخذ من أهله جملة من أمير الامراء باشام وجمع طائفة من عصاة العرب وبعض أشقياء الحراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه مرهاد باشا فقابله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأرسل من المسلمين صرده ورأسه وأرسله الى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين شره وذلك السبع مضين من شهر صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة

(العروة الثانية عروة رودس) هي جزيرة في وسط البحر ما بين اصطنبول ومصر وبينهم وبين الكفار حصاصيد وحصارا في غاية الاستحكام مكينا اتخذه الكفار مكمنا لاخذ المسلمين وأنقذه غاية الاتقان والتمكين بحيث رفع أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى مجرى الشرطين والطين يطرون الى

(٣٧ - تاريخ مكة) السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يحجون اموالهم اليه ويدعون في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه نقوبا وضعوا فيها المدافع الكثيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويحرسون أعرابه مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا اليها تلك الاغربة بهم واما فيها من الاموال وأسروا المسلمين ويقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هداداتهم ومحررت ملوك المسلمين

عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها وترول مخيمه الشريف فى أسكودر متوجها الى هذا المرول لعشر بقين من رجب الفرد سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها فى شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن من فى البران يتقدم من حصار رودس للعدو العظيم الذى حولها مع ما هو بالمدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من فى البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد فى البحر والرمى على من يقربها بالمدافع الكثار وحصار وايصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت (٢١٠) عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا بها وصاروا يقدمون قليلا قليلا الى أن وصل التراب الى الخندق واستلأ به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار اشجار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الدنيا قبل الآخرة الى ان تحيروا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويعمروا ان أرادوا وأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان بهاء الورزاء عن أمانهم فلم يبق لهم معه ولا قوة وان الاموال التى أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا نجوا من هذه الحربة أمكنهم التقوى بها وجمع العساكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عرضهم ومعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم وما يعز عليهم ثم أخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد العرب وعمروا قلعة فى مملكة اسبانيا من جزيرة الاندلس فى غاية الحصار والمتانة ويقال لها مانطة وصار يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين الا ان أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد قدم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لاخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفيدياري سردار وقع بينه وبين القاودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان فى ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لاخذ مانطة وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى * وكان فتح رودس لست

الاموال وتوجه قاصدا مكة فى معه من البادية فخرج لقتاله الشريف سرور وحصل بينهما قتال ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف سرور ومن المعاندة الى الحسينية وذلك فى سابع شوال فأدركه ثمة وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف سرورا فبادره وأخذ جميع ما عنده من العبيد وما أبقى له شيأ فتوجه الشريف أحمد الى وادى مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج وأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها فى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وألف رسولا بالشريف سرور الى جدة ومكث بها مدة وأهدته التجار وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معالجهم وشددوا فى الطلب فقال لهم أعطيكم ان قبلتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ما كان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامى والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم انه معاصد له ولا بالشريف سرور فواجه أمير الحج المصرى وعنده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين ولا بالشريف سرور فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق وريحى عبد الشريف فلم يقبل ذلك الرجاء وأبى من الصلح مع المذكور وقال ان لم يرتحل لاركبن عليه وأقصده فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى اليافا فلما بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستفر فى المعدن وفى أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو بقتاله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر فى حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وأتموا الصلح وعاد الشريف الى مكة فى رجب وفى شهر شعبان عرا قبيلة من هذيل يقال لهم الضبيان فأخذوا شيهم وحقن دماءهم حتى صار والله كالعبيد

* (الوقعة الثامنة) *

وفى شهر رمضان بلغ الشريف سرورا ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمع قبائل وأتوا لاعلى الطائف فاستعد لقتالهم وكبل الشريف بالطائف وجمع لهم جمعا وهكصا على أعقابهم وهذه يبغى ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

* (الوقعة التاسعة) *

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع في ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من أكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى علي بك بن شاه وار أمير أمراء دلفار فانه كان يظهر الشاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة حقانية له ولاولاده فوصل اليه علي بك بن شاه وار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت (٢١١) الى الديوان الشريف وضبطت بلاده

ثم رجعا وهما على الطائف في الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالمثناة فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بني سعد الدين كانوا مع الشريف سعيد مرودا من النار ودفي بيت الوكيل فأرادوا قسمته فثارت به نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه ممن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا هاربين واستقر الشريف سعيد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر في لياوهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامي فوجده قد راث عنه وما أمكن مقاماته فارتفع الى الحرة فلما حضره الشريف سرور أرسل سريته من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور بن بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل في طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله وأمر الشريف سرور بحبسهما في القصفدة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله وبقي السيد عبد الله الفعر محبوسا هناك ستة أشهر ثم أرسل الشريف سرور بلده فلما كان في أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به الى اللحية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أرعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول له ان هذا الفعل يورث بيننا حقدا وضغنا فأرسل الامام للامير فرحان يأمره ان يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان وأرسل عدة أنيه الوزير بشير فأحضره وسجنه في القصفدة حتى مضى عليه حول ثم أمر بقتله في بيت مسجن في بيت مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل في السجن خفا والله أعلم

﴿الوقعة العاشرة﴾

وفي أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سريته من الركب والخيل وصحبوا بعض قبائل هذيل وفي سنة تسعين غزا بعسكره على الشيابين وصحبهم فأتوه صاغرين وفي أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا معهم ونزل بهم وادي نعمان فأرسل الشريف سرور سريته أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثون وصوب خمسة فرجعت السرية وبقي الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

﴿الوقعة الحادية عشرة﴾

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب الشريف سرور بنفسه الى العادية وجمع معه

وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تحت ملكه الشريف اصطمبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل الهاني آخر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿وفي هذا العام﴾ خرج معه كاشف الشرقية الامير جانم الحركسي عن اطاعته وخرج معه كاشف البحيرة ازبك ثم واجتمع عليهما طائفة من الحراكسة المناحيس وجماعة من عصاة العربان الاالسنة وأظهروا للعيان فارسل اليهما كاربكي مدبر يوشد مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالي وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها ودخل في محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿العروة

الثالثة﴾ عود السلطان سليمان خان الى كفار اسكروس ثانيا فاصطلك اسكروس المسمى قرال فظهر منه الخلاف والجدال فتوجه اليه لقطع جادرته ومحو أثره وعاد بتمه السلطان المرحوم بالجيش الاعظم والجيش العرمرم وضرب أوطاقه للظفر في حلقة لوبكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفي ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام ومزقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت في هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون الشديدة المعمورة وصارت من

جلم القلعة أو بيلن وقلعة تيروان وقلعة أبلوق وقلعة راحمة وقلعة برقاص وقلعة وكاى وقلعة ولثوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها قاعدة بودون محل تخت الكروس الملعون فانها قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تطاع الثريا وتسامى السها وتطاول الحوراء في غاية الاتقان والاحكام واستحكام الوضع والبنيان وهو تخت سلطنة الكروس ومقر سلطة ملكهم المنحوس وعند ما أحاطها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان بها من جنود الشيطان فحرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وسلم كثيرا (٢١٢) من الاموال والانفس والارواح وقتل بأعداء الاسلام وسفك دمهم

كثيرا من الاشراف والقبائل واقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

(الوقعة الثانية عشرة)

وفي أول ربيع الثاني من سنة احدى وسبعين ومائة وألف خرج السيد لباس بن عبد المعين الحودي أحو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوي حمود وهذيل فاخذوا قافلة من طريق الطائف وفي شهر جمادى أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعادية فجاءه الخبر وركب خلفهم فسار قليلا فلما راوه طرحوا ما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فحمله وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد لباس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية وقبضوه في الشرفية وحبسه وجوه في اطلاقه ذووحمود فلم يقبل رجاءهم وأرسله الى بيشع ليحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج معاصيا ومعه السيد بركات ابن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجها الى جبال هذيل فوجدوا الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده كثير من العربان فمروا جميعا الى وادي نعمان وخرج الشريف سرور الى المعاندة بمن لديه من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي ثالث شعبان من هذه السنة أعني سنة احدى وتسعين وماية جماعة من ذوي حمود في طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد لباس فتركوا خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم وراعهم قطع يده رصاصة وفي ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرورا ان جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن واقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الحودي والسيد عبد الله بن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجي وابنه فلما بلغ ابوادي نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعود العواجي وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم وحبسوهم ثم أطلقهم وسافر العواجي الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى اليمن ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف ورجعوا الى مكة ومن كان مغاضبا الشريف سرور السيد مبارك بن مريبن من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادي وتعب الشريف سرورا في أمره وكان يعطي الدور على القبض عليه وكان لا يستقر في مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاءه الخبر في رمضان بأنه مقيم في اطراف

المطاول المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا ووصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة في أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

(العروة الرابعة عشرة بيع)

اجمعت كفار الماني ومعه قرال وفردوس وأغاروا على قلعة بودوس وأحدوها من المسلمين على حرة فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم ومعهم وزير من اصطمبول الى حلقة لوكار للبلتجين مصمتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى المخيم العالي امر أقمن ملوك أكروس اسمها أردل مانوا وداست السلطان الشريف السلطاني والتزمت باداء خراج بلاد الكروس كل عام فقويلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها الحرة

في أواسط ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطاني الى أن وصل العسكر المنصور الخافاقي الى قلعة بودوس وأحاطوا بها احاطة الاطوق بالاعناق وبياض العين بسواد الاحداق في أواسط ذي الحجة من السنة المذكورة الى أن فتح الله بودوس وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة ثم فتحت قلعة بتاق حصاري ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيع وهي محل تخت نجيه القرال الخائب الاثيل وأحاط بها مخيم مراد ذات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب

الحبيب وهرب منها نحمه قزال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بعفانيحها الى حضرة السلطان فأعطاهم الامن وأخذ قلعة بيع وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأحرقت وهب أطراف تلك القلعة وسبب أولاد النصارى ونساؤهم وركبت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرح الحديد فوصل الى اسطمبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿العزوة الخامسة غزوة المان﴾ لما وصلت الاخبار الى (٢١٣) الابواب السلطانية ان نحمه قزال جمع طائفة من كفار المان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين وغزو من دار الاسلام اصطمبول الى حلقة لوكا لعشرين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وضبط الاساطيل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان ثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح ونظير اليهم بأجمعهم الزباح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة واجتمع عدة وعلاع من البلاد الاخر فرغ انفجار وأرعدوا الكفار واستهولهم الى عذاب النار ووصل الحضرة السلطانية مع الجيش المذكور الخافاني

الحرة فركب الشريف سفسه في معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقتله فحشمت له المقطة وكان نزيلهم فعدوا على الشريف سرور وقاتلوه وقتلوا أربعة من عبيده وفرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفي آخر شوال عزا الشريف على الحيلة من هديل ويقال لهم الفرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والمال وتحصنوا هم برؤس الجبال وفي عشرين من ذي الحجة اجتمع صحق الحج المصري وبدوي بن عيد شيخ طوائف حرب في مجلس الشريف وارادوا التوجه بهديه الى المعلوم المقرر وأبى بدوي بن عيد وتهدد الصحق وتوعده ثم علم انه أخطأ في ذلك وذهب الى أمير الحاج الشامي فطلب منه الترجي عند الشريف في العفو عما صدر منه في حق الصحق في مجلس الشريف واظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه ومنعه حتى مات بالحدري في السجن فتعصب قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشيخ عليهم أخاه مرعي وابنه طاهرا وسكنوا وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنين وتسعين جاء الخبر ان الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هديل واجتمع معه خلق كثير

﴿(الواقعة الثالثة عشرة)﴾

فخرج الشريف سرور بعسكره ورحاله الى الراهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه أخذ واحد منهم جرة ليختبر البارود فاحرقه وطار شئ كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هديل تفرقت عن الشريف أحمد فمكث باطراف نعمان ثم انتقل الى الشبيه ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف رجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فاكرمه أهلها كما هي عادتهم في اكرام من وفد عليهم تصديقا لقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم وهذه الوقعة الثالثة عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان مراد ولا بأس الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مريين فاخذ مواشيهم ووقع بينهم وبينهم قتال وقتل له عبد ومرس وصوب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم مرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالحبت جماعة من هديل بقصد قطع الطريق وارسل اليهم مرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا أنعامهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع عاطما على آل خالد وقتل منهم أربعة وصوب ثلاثة وأخذ أسلحتهم وقتلوا هم أعانه من أعانوات العسكر ومعه عبد وعضب لذلك جميع هديل فابيوه جهارا وصمموا على قطع الطريق فيهم واقفلا وهم قاضي الطائف في حريق الرأس وأخذوا قفلا آخر في وادي نعمان وقتلوا أربعة وصوبوا نعامهم

الى مملكة المان وحزوات وسواس ذراري الكفار أولادا كالنجوم الدراري ومن الامات والنساء حرائد كالكنس الجواري وهبوا الاموال وقتلوا الابطال ودهكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وسعلوكهم وغلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترقيع حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿العزوة السادسة سفر الجم﴾ أرسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا عسكر معظم وجيش كالبحر العظيم طمطم وهيئة كبيرة كالجيش العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل

الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السليمانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطانى والمخيم المكرم الخاقانى العثمانى الى اسكودر آخر شهر ذى القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها لمصر المحمية الشريفة الى ان وقع طوائف الروضة البدية الى ان وصل مخيمه الشريف العالى الى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى أخذ سلطانيه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطانى الى قصبة أبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو القادر ووصل الى ابهر السلطانية الشريف العثمانى فحصل له التشريف (٣١٤) الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد

(الوقعة الرابعة عشرة)

ولما جاء وقت اقبال الحج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامى فأبى الخروج من المدينة فى اثره وانه يريد خليص ظهر الشريف سرور وصرية وأمر عليها السيد ناصر بن مستور وأكد عليه ان يتربص الشريف أحمد ويقبض عليه فادركته السرية على حين غفلة فحملت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية وعصا الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر فى القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفى الرابع والعشرين من ذى الحجة أغار هذيل على شريف من ذوى عامل وهو واتباعه ومرروه ضربا بالسهام منه المقاتل فمات بعد ذلك وفى السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوى جاران فهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقتلوا معه رجلا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

(الوقعة الخامسة عشر)

الوقعة الخامسة عشر من الوقائع التى جرت بين الشريف سرور والشريف أحمد بن سعيد وهى آخرها انه فى سنة ثلاث وتسعين فى شهر جمادى الاولى بلغ الشريف سرورا ان الشريف أحمد مقيم رهاط وهو وضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف سرور بنفسه فى قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار فاستسلم للقضاء وقبض عليه وعلى ولديه وتشتت عبيده وأسدفاؤه فاركبه خلف واحد وأمر بحفظه وأسرع السير ونزل به الى سدر حدة ثم أركبه فى سفينة فى البحر وأمر بحبسه فى ينبع وحبس معه ولديه السيد راجحا والسيد الحسن وقاسوا فى الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وعدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كاس الهوان وقد كان بالامس فى ملك مصان وانعم لفعلها بملك مطاع كانت تعد للعمال منه بدوباع ملك ملك اقليم لحمار وصار تحت قبضته بالحقيقة الحمار طال ما أمر ونهى وامتطى باحصنه هام السها فصيرته فى السلاسل والاغلال وأدلته غاية الاذلال ان فى ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهى الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام المقصية لقد صدق الحريرى فيما قال فى قصيدته التى هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنيئة انها ... شرك الردى وقرارة الاكدار

دار اذا ما ضحكت فى يومها ... أبكت غدا تبا لها من دار

الى ان استولى البرد الشديد على العسكر المنصور وول الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقاتل وصار تعادع وتقاتل فلم توجه الى بغداد لحصون الرجال والاموال فلما سمع بوصول العسكر السلطانى حاط بغداد من جانب قراباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فخاز بعضها أتيحها الى الوطاق السلطانى ودخل بعسكره المنصور بغداد وأعطى الامان لاهلها واستكنوا فى بيوتها وصارت من مصافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حولها من جميع البلاد والقلاع وسائر الحصون والقلاع وكذلك المشعشع والجزائر وواسط وأمر ببناء الحصرة السلطانية بحصين قلعة بغداد وحفظها وسورها من أهل الالحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضى الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل وهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة ووصل فى بغداد وقد داره المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر جلبى تهمة الخيانة فى المال السلطانى برمى أعدائه وحساده وراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما نبيلا حسن الخلق محسنا ماحاب من قصده ولا حرم من أمله مع الفضل التام والتكرم العام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الاعلى ونوأه من الجنات الدرجات العلى ويوم الورود ابراهيم باشا برمى به وما حال عليه الحول حتى ألحق به واجتمعا فى دار الحق بين يدى الحكم العدل

اللطيف الخبير • ثم توجه الركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم بها فقصده للقتال ومحوا ثره من صحائف الايام والليال فلما وصل الى منزل صاروقامش وصل من الشاه ومن باج لوحام ايلجيا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة الفرلداش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتهيأ جميعهم واظفروا بهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية بطرق باب الصلح وتحقق حصرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ماطلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه (٢١٥) الجيم الشريف السلطاني الى العود من

وهي طويلة ذكرها في المقامات فسحان المعز المذل الذي لا يزول ولا يتحول يفعل مايشاء ولا يسئل عما يفعل

•(ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٩٥)•

فمكث الشريف أحمد محبوسا في ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة ومازال محبوسا الى ان توفي في عشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحمد ولد يومات في الحبس وأطلق الآخر وبعد ان قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من العتاة وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يمسي في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشا الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وأتلف من أفعاله الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم من معهم مما يأتون

•(ذكر الجماعة الذين أراد وا قتل الشريف سرور)•

فاتفق جماعة على انهم يترصدون الفرصة لقتله واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج بعس وليس معه الا القليل من الخدم بان يجلسوا له في بعض الازقة والطرق وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فمم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوي رأيه ومعهم مايوف على الخمسين من باس ملثمين وزعموا أنهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب وبلى مكانك السيد دياب وابن سالم بن علي عبد الله هو الوزير وقد عرفوا المناصب على الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل وبنا جيل قال فلم يصدقه في الحديث الذي رواه وأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم وليرى عدده حتى أزهرت النجوم وأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبره بانه وجد المذكورين في الازقة والاسواق حاملين السلاح وثبت عنده صحة الخبر وبادر وامسا كهم من غير امهال فامسكوا بعضا منهم وهرب البعض فمن امسكوا السيد مسعود العواجي وابنه السيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبد الله بن سعيد وسالم بن علي ومحمد جابر المجرح ونحو العشرين من العبيد فحبسهم بحوشه ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن علي أن يصاب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذي هرب منهم السيد دياب وأولاد عبد الله بن مسعود فأقاموا بدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات عصرو منهم من مات بالروم

بلاد النجم وعمم السلطان في تلك السفرة أخذ البلاد وفتح عراق العرب وألف تاريخ ويل ويه ﴿وقيل العراق﴾ وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العساكر المظفر العثماني الى محل انخت الشريف السلطاني مع العصر وات تأييد الرباني والفتح العظيم السحاني لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين ومائته والف ﴿العروة الوثيقة بعروة ألويسة المعروفة بكورس﴾ وهي بلاد الكفار الفجار من أتباع اسبانيا العدار توجه اليها في البحر كابه الشريف العالي وأرسل في البحر لطي باشا والقاودان حيدر الدين باشا ابن حسن باشا عراب مشحونة بعساكر البحر الى ان رسل بمجموعه المصور على أولويسة في سنة ثلاث وأربعين

وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا وسبيا وافتتحت في جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وعمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين مالا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره المجهزة براوبحرا الى تحت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين ﴿العروة الثامنة عروة قرطاجنة﴾ توجه بنفسه الفيسة لافتتاح تلك البلاد ان وبر بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وقتل وأسال الدماء وسفك واقتحم القلاع وأخذ الرقاع والنفاع وغنم أموالا ومعادن كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تحت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح

الجديد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة التاسعة غزوة أسطوبورس بلاد اسكروس﴾ وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على اردبالو بتلك البلاد وبلغها انها توفيت وان عمه قرال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال عمه قرال لانه أراد أخذ بودون ووسوست له نفسه ما يحيله المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني دهرها الى الجبال وتفهقر عن القتال فتبعه الابطال ففرمنهم في أطراف تلك الجبال فغالت العساكر المنصورة (٢١٦) السلطانية في تلك البلاد وقتلوا أهل البغي والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر واطفيان وسبوا الاولاد والاطفال والنساوان وركبوا يار الكفر فاعاصفصفا وغنموا مغانم كثيرة ودخائر تحار وتصطفق وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت

وفي شوال سنة ثلاث وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ انعامهم ومواشيهم ثم ركب على هديل فحدرتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكمنوا له في الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فادروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوي باطراف الفرق فأجتاحه وركابه وصنعهم في اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره بما طال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه من ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الاباش والسلاح وفي موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاي محمد سلطان العرب ابنته ليزوجها للشريف سرور وأرسل معها أخويها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فخرج بنت سلطان العرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفاتي والعلماء وباشر العقد لها مولانا الشيخ المفتي عبد الملك القلعي وفي هذه السنة حصلت مسافرة بين مولانا الشريف ومراد ابن صنجق الحج المصري بعد تمام الحج فاراد مراد بن عزل الشريف وتولية السيد سليمان ان يحيي وجعل كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرورا فطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض عليه فخرج ذات ليلة متنكرا فرى رئيس فقبضوا عليه في طريق الجون وحمله مكة ثم أرسله الى ينبع وحبسه هناك ولما بلغ الصنجق القبض عليه اشتد غضبه وأراد القتال واستعد لذلك مولانا الشريف ثم ان الصنجق ثنى عزمه عن القتال وارتحل وتعرضه في الطريق جماعة من حرب وكان معه جملة من شيوخهم رهائن فعوزفهم بعد ما مر تلك الجهات ولم يعطهم في ذلك العام شيأ من المعاليم التي لهم

(ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤)

وفي سنة أربع وتسعين سرم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بأهله فتجهز وخرج من مكة في أحسن نظام كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة ومن العربان خمسة آلاف ومن مراحله أنعام وخمسمائة من السادة الاشراف ومن الخيل مائتان وخمسون وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال وتوجه من مكة ليلة الاربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه أهلها بركب الصندرو عرضوا عليه وقدموا له الهدايا ثم وسوس لهم الشيطان وادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مرت بهم وقوابين وادعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمرة ثلاث ساعات وانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا ومن بقي فدخل بعض

الملك اصطنبول بالجيش المتوافر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة ديو وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع السامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تساطح السطح وتساماك السماك وتوازن الميزان فافتتحتا في غرة ربيع الاول من ذلك العام وصارت من مصافات ممالك الاسلام • ثم فتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام أشد في احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها بجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء وطاق سطحها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى في قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى

شيوخهم

فما منعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين بلعراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يحلق مثلها في البلاد كأنها من بناء شداد أخذت ونسبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دردار اوحصاريه وقاضيا يجري الاحكام الشرعية وشحنها بالاستظهار وصارت من مصافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطاني الى سرير ملكه وتخته (٣١٧) الطاقاني مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا في العشرة الحادية عشر من شعبان القادم وهي تحتاج تفسيرا طويلا لا تحتمله هذه العجالة ونعدل عن الاسهاب والاطالة ومجملها ان القاس أخو الشاه لايه وكان واليا على شروان ووقعت بينهما منافسة في السلطنة فتوجه القاس الى الابواب الشريفة السلطانية وقابل البساط الكريم الحاقانية السلطانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة عالية وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بان ينصره على أخيه ويؤيده ويعلي كلمته ويوليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجميلة ففعلوا ذلك وحازوه وخطسوه وناصروه وكان ذلك في سنة أربع وأربعين

شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرورا أربعة عشر ألف قرش وأعطوه روائط فاحتد منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الحراملعه ان ولد بصارس عطية سعد الجبل وتوارى عنك وأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة في اليوم التاسع من رحب فمرح أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالساحة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف وشربوا منها من الذهب والفضة الكثير حتى التقط من ذلك الكبير والصغير وأمر رهائن حرب وشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم في رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن حربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت حيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقصوا على من يجدونه منهم وجدوا ليلة بحاذا خارجا من المدينة ومعه كتب من الكواحي لقبائل حرب يحثونهم على الاقدام عليهم بقصد الحرب على اثر قتله من داخل المدينة وأتتهم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواحي وقرأها عليهم فانكروها وقالوا انها مزورة عليهم فقال لهم ان كنتم صادقين فاعطوني القلعة حتى يتصح لي الحال فامتنعوا فاقاموا عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصنها بمن يختاره فوجدهم قد ترسموها للرحال وتعددوا من اعطائها لشيخ الحرم وتعددوا بامارميا عند سيدنا بالزور والبهتان ولا سلمها الا تأنيا منه بالامان ﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة﴾

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها فلم يحفظوا الا والرصاص فيهم كالمطر فقرهوه ومن معه عنهم وأصابوا واحدا من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخي وشيخ القلعة وجعلهم في الحديد فاشتد بابا الرمي على بيته وقتلوا رجلا وجلبي ونقل أهله الى بيت بعيد عن القلعة ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج الى مضي ثلاثة أيام وماتم لاحد من الفريقين مرام فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي فتنهوا لهم فلم يملكوها ورجعوا ثم أرسل لهم بابا قد سمعت عسكم فاخرجوا لكم الامان فرصوا شديعة منهم وأخذوا مهلة ثلاثة أيام وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن دخل منهم فمنعهم الرمي من الطرفين وأرسل عسكرا تترس البيوت التي حول القلعة من كل جانب وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول ومن أراد الخروج يتركوه فلما علموا انه ترس البيوت التي حولهم عروا انه تنبه لخديعتهم فاحرقوا السلالم التي صنعوها في الحال وشرعوا يرمونه بالرصاص فامر

(٢٨ - تاريخ مكة) وتسعمائة واستمر ملتحفا الى الطال الشريف الوريف الممدود على القوي والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويواليه الى أن صمم العزم الجزم وشد الحاق الصرامه والحزم وزر بعسكره المظفر ونصب أوطاقه في اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاس مبيرا مكرما تكريما ومعززا تعزيزا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أحد تبريز وأمر القاس مبيرا أن يشتي في بغداد الى أن يمضي زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصور في بلاد العجم فاستقر الركاب الشريف السلطاني سائرا بالعون السماوي والنصر والفتح الرباني الى ان أخذ قلعة وان بعساكر أهل الايمان وجعل فيها بكلربكيا وعسكرا قويا فاقفل راجعا الى العجم وحصنها

بآلات الحصار والخدم واستمر القاسم ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى دركزين ووصل الى همذان وتعدى الى ادربيجان وهرب تلك البلدان واستلم أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى الحريم الشريف السلطاني والوطاق المحفوظ الخاقاني بمالهم من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وعلى برد الشتاء فشتى بحضرة السلطان بالحريم الشريف السلطاني في جانب وجهر جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وعرا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الاوطاق الشريف السلطاني بغنائمه * وأما القاسم ميرزا فانه بعد بعض الورراء وخرج من بغداد معاضبا وأظهر الفرور من جانب السلطانية الشريفة ولم يراع الايادي الجميلة السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعلم أخوه به وأرسل اليه وخادعه واستدعاه عنده وداهاه في شروطهم أزره ومحا ذكره وورق شهادة وساق باشهداء والى الله المصير * ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الورير سريعا مؤيدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية في ركاب الحضرة السليمانية الى دار ملكها السعيد بالنصر والتأييد والسعد الحديد والعز المشيد في أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة ﴿ العروة الثانية عشرة سفره الى الشرق ﴾ لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تحرك طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية بجوشها المنصورة العثمانية الى أن تشتى في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء تتوجه الى أحد قزلباش فيرر الوطاق الشريف السلطاني من دار ذلك

﴿ ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق ﴾

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى ساحة السفر ثم توجه على طريق الشرق فصر اللشر ولما وصل الخبر بذلك عليه وعلى من معه للماء وحصلت لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه باهله الى الطائف ودخله سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها في السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له كتاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر وارسل اليهم سرية تجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب فاتفق ان الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فمرت السرية خلف جبل أحد وأرسلوا للوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا للقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير فالتقى الصفان في الساتين التي خلف القبيع في عرة ذي القعدة ووقع بينهم حرب قطيع وقتل وصوب جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة في الثاني عشر من ذي القعدة هذا حاصل ما كان في زيارة مولانا الشريف سرور بعايه الاحصار والافتفصيل ذلك وبسطه طويل وفي هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصري قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين ولما رجع من الطريق الشرقي قصد والله في طريق القرا فاقتتل معهم وقتل منهم أربعة وازوا وأما الحج الشامي فانه لما وصل الى المدينة اجتمع بامير أهل المدينة وأخبروه بما صاروا عنوا بالادب وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه السماح وأن يطلق المرابط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامي في

الاسلام القسطنطينية المحمية الى اسكودار في أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى أن وصل الى اركلي يقطع المراحل والمنازل فاستقر أو داقه الشريف العالي خارج اركلي واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل أمره الشريف ودخل الى جركاه العالي وقرر الاقي تابوت حمل على الاستاق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه في بورسا أيضا عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والريحان وقع ذلك في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمرها أيام الشتاء وتوفي بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وثمرة فؤادها

عسكره قتالهم واستمر الحال يومين ثم ظهر عجزهم فربطوا حمارا وصاروا يقاتلون به ويخرجون من القلعة خفية فجاء الحمار برمي مدفع على بيت أعاة القلعة فاحترق واهدم وأرسل خيلا تطلب الذين خرجوا من القلعة هاربين فطلب الباقون الامان واعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا ما فيها من الاثاث والنقود وكان عالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم الثمينة في القلعة فدهشت شدة مدرو قبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم في السلاسل والحديد ووضع وزيره في القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين فحملهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطاني رهائن حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقه

لعشر ليال بقين من ذي الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهز ثابوته الى اصطنبول في ذي الحجة سنة ستين وتسعمائة • ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني الى الحوران من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى أماسية وأقام ليكر على بلاد العجم تاليا فجاءت رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترويحا للعساكر السلطانية وصونا للدماء الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما التماه وأمرت بارسال أحوية حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تخت ملكها الشريف ممدودا ظل سلطانها الوريف واستقرت ذاتها (٢١٩) النعالية قريرة العين بالسعادة الباهرة

ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما طلع الشريف ذلك أرسل المرابط الى العابدية فلما وصل الباشا رحى في اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أحضرهم بمحاصارية لمواعدته وشاع عندهم أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وعلقوا الابواب واستعدوا لقتاله فلما وصل الحج المصري أخبرهم بان ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفي سنة خمس وتسعين في غرة جمادى الآخرة ورد كتاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على يده مرو أحضره أنه استصاف نصار بن عطية ووعده انه اذا رجع ومر عليه يصحبه معه الى مصر فارسل الشريف لوزيره في بيع بابه يترصد نصار بن عطية اذا رجع الحاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عشرين على جمل وركاب فاحاطوا بنصار ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاؤا رأسه لوزير يبيع وهرب ابنه وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع وأحاطوا بالوزير فقاتلهم ثلاثة عشر يوما وقتل من القوم نحو الخمسين ثم ركب البحر وترك لهم ينبع فملكوها فلما وصل الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فاخبره الخبر

﴿ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزاته سنة ١١٩٥﴾

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يعمل جملة من أغربة اليمن وشيعها بالذخائر وتوجه الى مكة في غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه في رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده كثير من الشيوخ فاعطاهم الدراهم والبن الحوح ثم رجع الى مكة وأراد التوجه في رمضان فتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطاق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيأ كثيرا من المال أعطى كل رجل اثني عشر محبوبا وللجمال عشرين محبوبا واستعد بشئ كثير من الذخائر والرصاص والبارود وأمر وزيره بجدة ان يشحن الاغربة والسواحي والداوات بانواع الذخائر ويرسلها الى ينبع مع شئ من العسكر ليحرجوا من بها ويملكوها فلما وصلوا وقربوا من ينبع خرج لهم جهينة في داواتهم مستعدين للقتال فانهزمت الاغربة وعادت الى جدة وفي الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن نجيف وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراجلة نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثني عشر ألفا ومعه من الخيول الطوال خمسمائة ومائة وجمال من أرباب الصنائع من المعلمين والبارين وعبيد العين وغيرهم ومعه من الحمال التي تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى حليص وأراد التوجه •

القعلد والاحتمال فمنعه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الغزي المصري وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء في سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بشوشا وبسيطا ملاطفات ومراسلات أدبية ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من اكمام أعصانها رد الله مضجعه وأنزل عليه من رلال رحمته ساسبيلا وسقاه من الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يتسع السلطان المرحوم عن السفر ولم يطب الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أن أموت عاريا وأبذل روحي في سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده ورايته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع

السيف على تخت الخلافة الملوكية بدار الاسلام قسطنطينية لا زالت سيوف السلطنة العثمانية محروسة محمية آمين وذلك في سنة احدى وستين وتسعمائة ﴿العروة الثالثة عشرة عروة سكتوار وهي آخر عرواته الكبار﴾ لما كان دأب هذا السلطان الاعظم المجاهد في سبيل الله والنصرة دين الاسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرئ من دهره ما تعود وعادة الجهاد في سبيل الله أعظم دخرا عند الله وأعود تافت نفسه الشريفة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصمم على السفر الى بلاد وده سكتوار وكان مراده الشريف متوكلا باستيلاء مرئي القرس عليه ويتألم الماشي بدا وتصير صبر الرجال ويظهر غاية

انقاض حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطف أبصارهم ببوارق الاسياف والصواعق * وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر يموج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على ففير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك الماج المالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكثار بجسور محكمة بنيت عليها وسفائن كالاطواد صرفت فيها لتدغم الجسور اليها الى أن أمكن تعدية ذلك الجيش العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم ورلوا بعد (٢٣٠) الخط والترحال ومعاناة الاهوال على قلعة سكتوار من أعظم قلاع الكفار وهي أعظم قلاع دمشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق ودارت حولها وعليها دوران الافلاك على الافق وهي مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة واسعة الباع في حضيض الماء شامخة الهواء الى عنان السماء في غاية العلو والتحصين والعلاء درجات الاستحكام والتمكين وأقوى مايد الكفار من المكان الحصين كما فيها في الارتفاع والتشوق نواطح الناطح وتعاون العيوق وكان برق بيارم المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع مملوءة بالمكاحل الكبيرة والمقانع موسوقة بجيوش الانصاري واطلاعهم موسومة بفتيانهم الشجعان من ربانهم فحفروهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم ومنعوهم فحصن الكفار في قلعة سكتوار ورموا على المسلمين بمقامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المحاجيس وحمى الوطيس وتحمس الحميس وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المخبورين من أظهر بشجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وعمرته عمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار في حزيمة بارود

امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة في المسير فامتنعوا وأغلظوا في الجواب فضرب واحدا منهم بمشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تعمد بها قتله فسلمه الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فارسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الحمودي وأمراء يتلطفهم ويقول لهم قولا لينا لعله يفيد فلما خاطبهم قالوا انه ان تردد ملك مكة فامش معنا ونحن نحاربه الحرب الشديد فلما أخبره الخبر تحير في أمره وتكدر وأمر برد الحوالة الى خليص وأبقى عنده بعض المراحل

﴿ذكر القتال الواقع بين اشراف سرور وقبائل هديل﴾

وتوجه حلف هديل بالعساكر والمراجل على حيل وركاب فادركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينهم وبينهم ملحمة من الاشراف الى العروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبارود وسلاح ثم طلبوا منه الامان فاعطاهم وقتل في ذلك الحرب من عتيبة الدين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادي وأقام به حتى لحقته الحرامة التي أبطأها في خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأحرز العرو على حرب السنة أخرى وفي عشرين من ذي القعدة أرسل من بقي من شاميس أهل المدينة الى القشلة ليكون حدهم هناك وجاءت الحجوج وكان أمير الشامي محمد باشا ابن المعظم الذي كان في السنة التي قبلها وجاء في قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف في العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته في فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا من حصول الفتنة لكن لله الحمد لم يحصل شيء مما توهمه الناس فحج الناس في أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامي على الطريق الشرقي والحج المصري على طريق الفرع ولم يعط ماهو مرتب لحرب وجهيسة وفي سنة ست وتسعين عصى علي مولانا الشريف آل سلي بن سالم وهم بطن من هديل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا في جبال شاهقة لا يمكن الوصول اليهم وبها

﴿ذكر ابتداء عمارة القلعة التي في جياد سنة ١١٩٦﴾

وفي هذه السنة شرع مولانا الشريف في عمارة القلعة التي في جياد بعد ان اشترى ما حولها من البيوت وأنفق في عمارتها مالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفي ذي القعدة طاب المحبوسين من أهل المدينة من القشلة وحبسهم في جدة ثم جاءت الحجوج ودخلت بالامن والسلامة الا ان الحج المصري في رجوعه حصل عليه امطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفي سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان العرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا لاهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد دورين الريال

الفضة

الكفار وهي مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها لتكون موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة الى تحوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فصعقت بذلك طائفة الكفار وعدبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتراحم المجاهدون في سبيل الله معتمدين على نصر الله آلات الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار عدا فع أقوى من الصواعق واخطف للابصار من البروق الخواطف وثبت المسلمون وأقدموا على السيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة (٢٢١) الجنان ليبتأوه أحدهم والنار تحاصره

الفضة مكتوما عليها والدين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

﴿ذكر حصن أهل المدينة أمين الصرة﴾

وفي هذه السنة تمرد أمير الحج المصري عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا له ان لم تعط ما نحن مستحقون فلا يبقى عندنا الخلاص أعطاهم ما يملكه من النقود وأبقى رهونا في الباقي

﴿ذكر عزل وتوليه﴾

وفي سنة ثمانية وتسعين عزل حسن الشابتة من شيدارية التجار وتولى أحمد القاري بارعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدي عن نظارة السوق وتولاها محمد سراوي بثمانية عشر ألف قرش عزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدي بمبلغ من المال وتولى درويش صالح صبعة بيت المال شيء من المال ومعه عشرة وجاب من عين سولة وفي سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصري ترك الزيارة ولما رحل الى رابغ مال الى بحموش ثم الى بينع ولم يعط أهل المدينة ما هو لهم من الصرة لم يتعود ان الحج المصري ترك الزيارة الا دلت العام وفي هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطال ما ركب عليه المرة بعد المرة فلم يضر به وفي هذه المرة ركب عليه وقبضه في المضيق وأخذ مراحه ومواشيه وأودعه الحبس

(ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠)

وفي سنة ألف ومائتين توفي الوزير ريحان في الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها انه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجري عليه مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا في وادي ليه يقال له ليلاة ووقف عليه دارا بمكة في خط سويقة على فارعة الطريق مركبا على الطلعة التي تجاه دكة الرقيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول سفح أجياد وسماها زاوية الحداد وهي في الحقيقة مسجد صلاة وبيت من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

(ذكر ابتداء بناء بيت عرفة سنة ١٢٠٠)

وفي شهر ذي القعدة أرسل مولانا الشريف ستين من المعلمين غير اتباعهم الى عرفة ببنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت في عرفة وفي هذه السنة كان أمير الحاج الشامي أحمد باشا الجزار وكان طالما غشوما وكان تارة يدعي انه شريف من الجابرين وتارة يدعي انه المهدي المنتظر وليحصل في الحج في هذه السنة الحمد خلاف الاان أمير الحج المصري وهو راجع وقع منه أمر عجيب بشأنه

وتدعه ولم ينل على أي جنب في الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كالشهب رتبرامي بالاحجار كما ترامى بوارق السحب ولوحدت الملاوين نزحها نالها لوعد الله وحمل على الكفار حملة واحدة بعناية الباسط والايداه سيره المبين ونصر الاحياء وقضين بأن لا مفر مما قدره الله وعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من أيدي الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل وحاز من غنما عساكره الاقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على أعلى منار ووضعت السيوف السلطانية في جميع الكفار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم ويئس

القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرور موضوعة في أعلى الجنان وأنفق حصرة الوزير الاعظم محمد باشا وواه السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات واعطى الامراء والبكلربكية الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل مبرايستدعي السلطان سليم خان الثاني ويستعجله في سرعة الوصول الى التخت الشريف العثماني وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامراء والوزراء وسائر الانام وأحسن التدبير في هذا الكتم وهو من اللازم الحتم في الامور العظام واستمرت أمور المملكة في غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطاني في أعلى درجات النظام وهم

فى ديار الكفر بعيدون من ديار الاسلام وذلك من كمال العقد التام والرأى الثاقب الصائب الهمام الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطنته وبقية عساكر بابه الى القسطنطينية العظمى كما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنطوكفن وأشهد لسان الاعتبار يقول فيه اطرأ ملك الدنيا بأجمعها • هل راح منها بغير القطن والكفن ووضع فى تابوت وحمل على الاعناق وقد قادها فى حياته قلائد مع حملات محل الاطواق وهو من يليق ان ينشد فيه

كم قلت للرجل المولى غسله (٢٢٢) • هلا أطاع وكنت فى بعضائه وأرل أفاويه الحنوط ونحها • عنه وحطه طيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله فلطالما حامل من بعضائه واستحر محمولا الى ان أتى به الى اسطنبول وخرج لاستقباله الجميع العلماء والموالى العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر أصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا نحيبا وعويلا وصلوا عليه وأتموا فى صلاة الجنازة المعنى الاعظم مولانا أبو السعود أفندى عالم بلاد الاسلام ودفن فى تربة أعدها له بقرب جامع الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد فاقت الانهار تها اركان أعمدها وأحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة خمسة وخمسون بيتا ومطلعها روما للاختصار ودلك قوله رحمه الله تعالى

أصوت ساعته أم سعة الصور

فالارض قد مثلت من بقر وما

أصاب منها الورى دهيا وداهية • وداق منها البرايا صعبة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها فتتابعوا

واهد ما كان من دور ومن سور أمسى معالمها يقعا مقفرة • مافى المنازل من دار ودور تصعدت قلل الاطواد وارتعدت

كأنها قاب مرعوب ومذعور واغبرت ناصية الخضراء وانكدرت • وكاد تمثل العبراء بالمور فمن كئيب وملهوف ومن دنف

عان بسلسلة الاحزان مأسور فيالله من حديث موحش نكر • يعافه السمع مكروه ومنفور تاهت عقول الورى من هول وحشته

فأصبحوا مثل مجنون ومسحور تقطعت قطعا منه القلوب ولا • يكاد يوجد قلب غير مكسور أجفانهم سفن مشحونة بدم

تجرى بحر من العبرات مسجور أنى يوجه نهارا لاصيال له • كأنها غارة شنت بديجور أم دالت نبى سليمان الزمان ومن

مصيبة أى مصيبة وذلك أنه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فاحمى المحاوير وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قورة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات لمن جعلت فى خدودهم العلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وحملت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار ففر ومعه نجريدة من الخيل وجعل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحجاج فى تلك الفجاج واستولى عليهم العربان قتلا ونهبا واستأصلوهم عن آخرهم ومنعهم ولا روى ان حجا استوصل الا هذا العام

(ذكر التجهيز اثانى لقتال حرب سنة ١٣٠١)

وفى سنة ألف ومائتين وواحد عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل فى شهر جمادى الاولى الطلب القبائل من كل جهة فاقبلوا عليه فوجا بعد فوج وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير فلما حصروا أخبرهم انه يريد قبائل حرب ووقع ايام اجتماعهم قتال بين عتيبه وهذيل ولم يمكنوا من القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وقرعهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا مما جلتهم قبائل اشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فارسل غزية على جبل صبح فغنموا مواشى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كلما وصلوا بدرا يبعثون به قبل وصول العسكر فاقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يقيموا بعيدا عن الجيش بسويعات فى محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة وكانوا نازلين بها مصممين على قتاله حتى وصلهم فاسة طوه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه فظنوا انه اعدا حتى طالت المدة خوفا منهم وخطر ببالهم ان يدهموه فى محله فيظفروا به ويجتاثه فحركهم داعى البغى والهوى فاقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولا لكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فاحاطوا بهم من كل مكان فاقتتلوا معهم وقتل من كل الفريقين من قتل أجله وعند ذلك صاح مستنجدهم يا شريف فنهض كانهض الاسد واستنجد الكماة من بنى عمه السادة الاشراف وكل من معه فى ذلك الوادى من العسكر والوادى وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم فى الموت الاحمر فلما رأوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا له خمسة من المشاخصه

مضت أوامره فى كل مأمور ومن ومن ملأ الدنيا مهابته • وسخرت كل جبار وتبهور مدار سلطنة الدنيا ومركزها
خليفة الله فى الآفاق مذكور معلى معالم دين الله مطهرها • فى العالمين سعى منه مشكور وحسن رأى الى الخيرات مصرف
وصدق عزم على الاطلاق مقصور باية العدل والاحسان ممتثل • بغاية القسط والانصاف موفور مجاهد فى سبل الله محتها
مؤيد من جناب القدس منصور بلهدمى الى الاعداء منعطف • ومشرفى على الكفار مشهور ورايه رفعت للمجد خافقة
تحوى على علم بالدهر منشور وعسكر ملأ الآفاق محتشد • من كل قطر من الاقطار محشور له وقائع فى الآفاق شائعه
أخبارها دارت فى كل طامور بانفس مالك فى الدنيا مخالفه • من بعد رحلته (٢٣٣) من هذه الدور وكيف تبقى فوق الارض عالمه

فشنوا عليهم القتال كلهم شنوا من عقال فلم يكن الا كلمح البصر الا والرؤس تبين بديه كالنخيل وقتلوا فيهم القتل الشديع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذتهم الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط دون المقتول عما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم مكتفين فربطوا ما يوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقى أجله وكتب الله السلامة من الربط وبعد فراغ القتال جعل يستعرض المرابيط ويسألهم عن أسمائهم ومن أى القبائل هم ويأمر بوضعهم فى الاغلال والسلاسل وجاءت البشائر الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول جاءت المرابيط الى جدة فى الزعائم مصفدين وكبكبوا فى الحبس أجمعين ثم توجه مولانا الشريف الى الفرع وملكه بغير قتال وهرب أهله فحرق بعض الدور وقطع بعض النخل ثم جاؤه يهرعون اليه طالبين العفو والسماح فعفا عنهم ثم رجع الى مستورة ثم توجه الى بدر فلقيه أهلها دليلين طائعين واعطاهم الامان ثم ارتحل الى ينبع النخل ثم الى السويق وطلب أهله الامان واعطاهم ووقع هلال من بعض أتباعه مع بعض أهل السويق خصومة آلت الى القتال فلما علم بذلك كف أتباعه حتى جعل يصلح بينهم بالسيف وسكن الامر بعد أن قتل من الطرفين وقبض على سبعين ظهرله عصيانهم وأرسلهم فى الحديد مصفدين ثم ارتحل الى بدر ومنه الى الحيف فوجد أهله منهزمين على رؤس الجبال وقد جعلوا ردما بين حباين صيروه كالسد لمنعه من العبور فأمر بهدمه وحرق بعض الدور وقبض على عشرين منهم وجعلهم فى الحديد ثم أرسل بشير آخر الى مكة بهذا الفتح الجديد وطلب مفتى مكة الشيخ عبد الملك القلعى ليفور بالزيارة لقبر النبى صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وتوجه وكان دخول مولانا الشريف سرور المدينة فى السابع عشر من شوال فالتقاه أهل المدينة بالتعظيم والاجلال وأقام هنالك الى وصول الحج الشامى ولا تعرض أهل المدينة نقض ولا حل ولا توليه ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة فى أوائل شهر ذى الحجة بمن معه من القوم ودخلت الحوج سادس ذى الحجة وحج الناس فى أمن وسرور ورد فى هذه السنة صدقة لاهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة أخرى من سلطان العرب وصدقة ثالثة من محمد على خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير والعبى والفقير

﴿ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنين وهرم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه باقامة فرح عظيم فامر بالتهيؤ والاستعداد لذلك فكان ابتداء ذلك الختان والفرح فى اليوم العاشر من ربيع

ليس حمامه فيها مقصور
حتى على كل نفس أن عوت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فلا مما يأتى مقدره نأتى على قدر فى اللوح مسطور
وليس فى شأنها الناس من أثر
ومدخل لما سقديم وتأخير
بانفس فانتدى لانها بحى أسفا
فانت مطوعة فى ذلك مقدور
ادل مأمونة المسجيل ولا
عاسوى بدل محمود ومبسور
ولا تظنيه قدمات بل هو دا
حى بنص من القرآن مزبور
له نعيم وأرزاق مقدرة
تجرى عليه بوجه غير مشهور
ان المنايا وان عمت بحرمه
على شهيد جليل الحال مغرور
مرابط فى سبيل الله مقدم
معارك الحتف بالرصوان مأجور

مامات بل نال عيشا ناقيا أبدا • عن عيش فان بكل الشر معمور
بل حاز كلتيهما اذ حل منزلة • من لم يغادره فى أمر ومأمور
ولى سلطنة الآفاق مالكها • براوحوا بين اللطف مظور
فانه عيه فى كل مأثرة • وكل أمر عظيم الشأن مأثور
سعيد ما جد زادت مهابته • تحت الخلافة فى عز ومصور
أضحى بقبضته الدنيا بأسرتها • ما كان من مجهل منها ومعمور

اتباع سلطنة العقبى سلطنه الدنيا فطوبى لمن بها ظفر غير محصور
أمانرى ملكه المحمى آل الى • سرسرى له فى الدهر مشهور
ظل الاله ملاذ الخلق قاطبة • وملجئى كل مشهور ومذهور
ولا امتيار ولا فرقان بينهما • وهل يميز بين الشمس والنور
جد الجديدان فى أيام دولته • صارا كأنهما مسلمان وكافور
بدا بطلعته والناس فى كرب • وهو محال من الاحوال منكور

فاصبحت صفحات الارض مشرقة * وعاد اكنافها نورا على نور سحان من ملك جلت مفاخره * عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها وبراع الواصفين لها * بحر خميس الى مقار عصفور لازالت احكامه بالعدل جارية * بين البرية حتى نفحة الصور

﴿وصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام﴾ (اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون واقلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان (٢٢٤) رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت احاطة البيان ذكرها ولا سعه هذا الكتاب لذكرها جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين ويحيل ما عداها الى السماع والمشاهدة رأى العين من ذلك الصدقة الرومية التي هي الى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسد رمقهم وعددهم هو ان كانت قد عمت واصلة من رمس آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الكرام الا أن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذي زادها وضاعفها وأتاها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ردد لله الحمد في كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكاتب يقسم في الحرمين الشريفين بنجاه بيت الله المطهر المنيف وتقر أنفاسهم بالاخلاص ويكثر الصحيح من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنته سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني المرسوم بالشان الشريف العثماني ويصرفون ذلك في قضاء ديونهم فان وصل فصلة صرفوها في حجهم وكسائهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفا والملوك وغيرهم ولكن ليست هذا الضبط والاستمرار والوصول في محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت نزرة في العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحقق منها وواطبة ووصولها على هذا الوجه الذي شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يتميزون بها على غيرهم فالله تعالى

الاول من العام المذكور وتم في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله فالبس الملابس الفاخرة للكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار وعرس عليه أهل الحارات أنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة الاشراف وألبسهم الملابس الفاخرة وأعطاهم من العطايا ما تقر به العين وكذا حضر كثير من أهل البادية وعرضوا عليه وأنعم عليهم بالملابس والعطايا وأولم للسادة الاشراف وللعلماء وأعيان الناس وليمة مطعمة وصنع فيها أنفس المآكل وخيار الاطعمة ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة وأولم أيضا لعساكره وأشياعه وعبيده وأتباعه ثم أطلق في الولائم ولم يحص أحدا فما بقي أحد الا وحضر تلك الولائم واستمر هذا الفرح من عشرة من ربيع الى السابع والعشرين منه وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا بباب دولته واماراته وأمرهم أن يطوفوا باكاف البلاد في موكب عظيم وألاي معظم فرجوا افخر الملابس ركابا على الخيول المسومة معطفين كل أربعة خلف أربعة قدما امام الجيش سبعة من المدامع سير معه ولم يبق أحد من أهل البلد الا خرج يوم الزينة ولما رجعوا الى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل معلوك وفي عشرة ربيع الثاني جعل مرجاعطيا للنساء وصنع لهن وليمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء وهرع نساء البلد مفرجات وأكل من الوليمة من حضرها من بواديها وحضرها والمغنيات يغنين بانواع الالحان كتعريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم في هذا الختان ما لم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور في المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

﴿ذكر مرض الشريف سرور﴾

فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني فاغمي عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فاعلموا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجزع في الاسواق والارقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

﴿ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٣﴾

ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين

يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام الخالد ذكر جميلهم فى صفحات الايام أبقاهم الله تعالى الى يوم القيامة • ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأشده لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من أنبار الخاص بالسلطان وأوردها السلطان سليمان فورى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل علتها اوريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب بذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة اردب (٢٣٥) لاهل المدينة المنورة يحضرها امين كل عام الداخلين والمسولى على ذلك ثم صاعفها وجعل فى كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة ألفى اردب وامر ان تترك كل عام وتودع على أهل الحرمين حسب دعوته وقيد بأحكام شريفة سلطانية وندا كرة الشورى وتقريرات من القضاة وانظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر الى أوائل هذا والى ما بعد ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم وبر جميل عميم صار سببا لمعاش أهل الحرمين الشريفين وتقويتهم وزيادة ليالتهم ومعيشتهم وأورادهم وفوتهم ولو عدموه والعياذ بالله هلكوا والدعاء من صميم فؤادهم متواصل فى الحرمين الشريفين لدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا الاحسان

واثنتين وحرس عليه الخاص والعام والكبير والصغير وحضروصلى عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضى الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس وثلاثين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى وسعيدا وحسنا وأحمد ومحمدا

﴿ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام فيها أياما وقبل نصف يوم

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

ثم نزل عنها لاخرب ولا قتال لاخيه سيدنا الشريف غالب بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى واختاره الله لحماية هذا الحرم وجماعته الخلافة السلطانية فى التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة من هذا العام وأدخلها مكة فى موكب عظيم ولم يعهد قراءة الفرمان السلطانى بالحطيم وأجرى ما هو معتاد من الملابس لارباب الرتب والمناصب وأمر بالريسة ثلاثة أيام

•(ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه)•

وفى اليوم الحادى عشر من ذى الحجة فارقه بعض اخوانه وخرجوا خفية ليلا وتوجهوا الى بلادهم الى جبال هذيل فاقاموا محو ثمانية أيام وملؤه هذيل اليمن والشام وتوسطوا جبال المعجرة تلك الجهات فجرح اقتالهم من عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامى بعدة من العسكر والتقى الفريقان فى تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وتحاربوا مع وكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا بحصن فى العقيق ثم رجعوا الى بيشة وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين الرحيل فلما تحقق الحرم أمر تجهيز العسكر وسرح بالاطلاع وجعل هو يخرج كل ليلة ويبيت فى المعابدة ويرجع الى داره بمكة فى الصباح وفى ثمانية من ربيع الاول سنة ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفرغ الى داره يستصرخه ويخبره انهم وصلوا الى الميدان مركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادى الزيمة ثم وادى ليه ثم الاخيصر وأقاموا شهرا ويوما وفى نصف جمادى الاولى عاملهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة وأخبروا الشريف بأن اخوانه يجمعون له الجنود فارسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفى اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبارق والعساكر ولما ثبت عساكره فى عدة يكونون الف الى سبعة لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر انه فى عدة يكونون فى عرفة ثم مضى يوم ان وهم

(٢٩ - تاريخ مكة) لم يعهد فى زمن السلاطين السالفة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الامر فعله السلطان فليتمادى رحمه الله تعالى بعد ما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلطان حقوق أيضا أوقاف يصل منها شئ دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها العمود وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأعاد هو عمرهم عمرها وزكى من زكاها • ومنها صدقات الحوالى وهى جمع حالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم

عنها وهى من أجل الاموال ان أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت وظائف العلماء والمنتفاعدين من الكبراء وكان يحرج منها شئ قليل فى أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده ورحمه بالرحمة والرضوان أحرجها من خزانه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المنتفاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من حوالى مصر وحدها غير حوالى الشام وحلب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول المملكة فى سائر ممالكهم (٢٢٦) المحروسة وغير ما يصرف ملوك بنى عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير

ما يحرسون من خزائنهم العامرة فى وجوه الخيرات واستمرارهذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الحمداء فى رمس من الارمات فى دولة تلك أو دور سلطان فالله تعالى يبقى هذه الدولة الشريفة الباسرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان يقضى الله بما يشاء ويقوم الآخرة ومن خيراته الدارة احراء العيون ومن أعظمها احراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التى كانت جارية بمكة هى عين حنين وهى من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور وجه هرون الرشيد واسمها أمة العزيز وكان حدها المنصور برقصها وهى طويلة ويقول أنت زبيدة واشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الناس ومنها احراء عين حنين الى مكة المشرفة وصرفت عليها خزائن أموال الى أن جرت الى مكة المشرفة وهى وادى قليل الاشجار بين جبال سود عالية خالية من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذى زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن سالت الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وأنفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا فاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال وكانت فى قصر عال مطل على الدجلة وأخذت الدفاتر ورمتها فى بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شئ من بقية المال فهو له ومن فى له شئ عند ما أعطيناه وألبستهم الخلع والاشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين

مقيمون فى نعمان ثم لما سمعوا ما جمعه مولانا الشريف من الجنود رجعوا الى الطائف

(ذكر الصلح بين مولانا الشريف وأخوانه)

وفى الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن مستور ونائب قاضى الشرع والمفاتى الاربع يتوسطون فى الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا قبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ورحلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقبلوا يديه وبانوا ثم دخلوا مكة فى الاى أعظم ولله الحمد على ذلك

(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣)

وفى هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم

(ذكر قتل الخطيب)

وفى شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهى ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرضى وقعد على المنبر مقابل قبل مجلوس قبل الصلاة وضربه بسكين قطع بها أمعاءه فكانت هى القاضية ووقع فى المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدى المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعما قليل زال الالم من وقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفى شهر شعبان حصل اختلاف بين والى جدة عزة محمد باشا وبين مولانا الشريف رمضان فاعطى الباشا الفرصة والقبان وقلد قاضى الشرع بالمقاليد فجعل القاضى يحرر الفرصة لجمع العشور ويضبط ما يتحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس ورمضان لانه السبب فى هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالى جدة وجىء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)

وفى خمس وعشرين من جمادى الاولى من سنة أربع بعد المائتين والالف حبس مولانا الشريف يحيى ملتوح وكان مقدما لاخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه فى قبو تحت الارض فى بيت ريحان الفرو وحى وأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوعة المطهر وهرب منها ونوارى فى بيت أولاد المرحوم الشريف سرور وكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم يعلم

وبقي لها هذا الأثر العظيم في العاملين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين * وكانت هذه العين ترد الى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من حمال اليه (٢) من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حسين ليستقي به نخيل ومزارع مملوكة للناس والى اليوم يجريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بستان حنين وهو موضع عراقيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك العروة عروة حنين وسيرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بيدة هذا الحائط وأطلقت تلك المزارع والنخيل وثقفت له انقضاة في الحمال وجعلت له الشحاحيد في كل جبل يكون ذيله مظمة لاجتماع الماء عند الامطار (٢٢٧) وجعلت بيده انقاة متصلة الى مجرى هذا العين

يعلم له مولانا الشريف عالم مكان وتطلبه فلم يجده ثم أخبري يحيى سلتوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له الامارة فأرسل له مرزوقا من العبيد نحو الخمسمائة ورموا البنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف عالم ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير يحيى وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره ووقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت المادة عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطواف فلما لم يظفر وا بمرام أحد وا دمه وخرج أهل الدار الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العادية وخرج معهم يحيى سلتوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا محتفين بسادتهم وخرج اليهم ورسه (٢) حاضروهم في بيت العادية فسرجوا اليلا وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

(ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله سرور سنة ١٢٠٤)

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة السلم وحصل بينهم وبينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهبان ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء طيبا سهر ورجعوا الى العادية وأرسل مولانا الشريف اليهم سريه أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم انه معه خمسة آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز وفر الخوم الدين بالعادية حين علموا بخروج الجيش اليهم وتوجهوا الى رهاط جمع بعض القبائل ثم أقبلوا بهم وقبائل ثقيف فحاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط جمع بعض القبائل ثم أقبلوا بهم وقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف القتالهم بالابطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد وبعد ذلك الجمع حفروا لهما أياما ثم أطلقوهما وأرسلوهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلتوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وروروعر وضاللدولة تنصفهن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور ودهب لها بالاموال السلطانية فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس عشر المائتين والالف غرامولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشافه لانهم كانوا يقطعون طريق لبن فصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم

﴿ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥﴾

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف عالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب في عقيدته التي كفرهم المسلمين ويدعي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم

في محمد انها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاد عيا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين عيون وعين الرصفان وعين العرود وعين الطارقي وعين ثقبة والجريباب وكل هذه العيون يصب بعضها في ذيل بين حنين ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على أماكن هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت الى هذه الصورة التي هي عليها الآن * ثم انها أمرت بإجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهي عين من عهد ذيل جبل كراوهو جبل شامخ عال جدا أعلاه أرض الطائف مسيرة نصف نهار من أسفله الى أعلاه من سفحه فيه أورل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وينصب من ذيل جبل كرا الى قباه الى موضع يقال له الاوحر من وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين في بطن أرض عرفات فيها والشعراء العرب تشوقات ونعولات في وادي نعمان وفيه يقول القائل أياجبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها (وبعده) فان الصنابع اذا ما نسمت على كبد حرى تجلت همومها فعملت القنوات الى أن جرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت انقاء تجعل الرحمة شمال الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى العرك التي في أرض عرفات فتملأ ماء يشرب منه الحاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى حلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق سباب بالصاد المهملة المفتوحة فالالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم طاء مهملة ساكنة فلام مكسورة

ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث • ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى فى قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية باحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيده اليها ينتهى عمل هذه القناة وهى من الابنية المهولة عما يتوهم انه من بناء الجن • ثم صارت عين حنين وعين عروات تقطع اقلة الامطار وتهدم قنواتها وتحجرها السيول لطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا اهمهم ذلك أرسلوا وعمروها فانتظام سلطنتهم على هذا المنوال فمن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كمشتكين كوكبودى بن ملى فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكبودى معناه بالتركى الذئب الازرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة فى وفيات الاعيان للقاضى الفضل أحمد (٣٢٨) خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة

ذكر منها عمارة عين عروات وغيرها من جريل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور فى سنة خمس وستمائة • ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستعصم بالله العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم فى سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا فى نصف حجارة مبنية فى قرب الموقف الشريف بعروات • ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين فى أيام السلطان أبى سعيد خلد الله فى سنة ست وعشرين وتسعمائة فاجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا فى جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك ورحم الله تعالى أهل الخير • ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد سادات اشراف مكة الآن أنقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدا الزمان فعلا وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه فى الجنان وكان تعميره لها فى سنة احدى عشرة وثمانمائة فخرت وانفجرت ونفعت وأبلجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم • ثم انقطعت والتى الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره التقى الفاسى رحمه الله تعالى • ثم عمرها وعمر عين عروات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف ابو النباى رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها

وحقيقة حالهم فان فتنهم من أعظم الفتن التى ظهرت فى الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحارت فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بعد وقرأها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتى ذكر شئ من عقيدته الى حمل الناس عليها ومازال يطبعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حتى بعد حتى قوى أمره فجاهد البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له عاشا حتى اتسع له الملك وكانوا فى مبدأ أمورهم قليل اتساع ملكهم وبطاير شرورهم وامواج البيت الحرام وكان ذلك فى دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه فى الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم طمعا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن فى الحج ولو بعشرين يدخلونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بطهورهم فى الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فامر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم جهلة وسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة وبطروا الى عقائدهم فاذا هى مشتملة على كثير من الكفرات وبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود فاعلى الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بمحو أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم فى السلاسل والاغلال فمحى منهم جماعة وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعظم أمرهم واستكبروا أى عن هذا المقصد وتأخرت مصلحة دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا فى مدته يستأذنون فى الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فصعفت عن الوصول مطامعهم فلما صلحت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل فى المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزيادقة وابى أن يقرلهم فى حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم فى الحج هذا ان ثبت عند العلماء انهم كفار كانت فى دولة الشريف مسعود قد اذن ولى الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه فى زيارة البيت المعمور فاجابهم بأنكم ان أردتم الوصول آخذ منكم فى كل سنة وعام دمرة مثل ما يأخذها من الاغنام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل النعم فامتنعوا من الحج فى مدته كلها فلما توفى وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول

الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وباحسانه وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة * ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير حسين الكردي رحمه الله تعالى الى أن حرت وملأت برك الحجاج والمعلاة ثم حرت الى إراس ثم الى ركنة ماجن في درب اليمن من أسفل وارتفق الناس ذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وانطلت العيون وتهدمت قساتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من أبيار يقال لها العسيلات (٣٢٩) في علو مكة قريب من المعلى ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له الراهط ويسمى الآن الحوض في طريق التنعيم وكان الماء عاديا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين حرفات وتهدمت قساتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الابكار المعدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد ورغما عليه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة تأتيهم فيحملون أموالا من تلك الاماكن البعيدة أيام الحج مع عز الماء جدا في يوم عرفة وأنا يومئذ مع أهلي بحدة والذي رحمه الله تعالى وفرع الماء الذي كان يحمله من مكة الى عرفات وعطش أهلها وطلبت قلة لا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة حملها الانسان بأصبعه بيسار ذهب والعقراء يصبحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا باقيه على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصار يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والصياح الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبررت الاوامر الشريفة السلطانية السليمانية باصلاح عين

فعملا فجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بهم المحاربات والعروات الى أن اقتضى تقييد مرادنا وسيأتي شرح تلك العروات والمحاربات بعد توسيع ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر ما حز كاد أن يعد من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أحبث

٦٤ ١١٤٣ (أعني سنة ١٢٠٧)

منه فاموا بنشر دعوته بعده وأولادهم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر هو القائم بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا شديدا في أمرهم قتله ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش بها مدة ثم مات عقيما وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل رسلهم باقيا الى الآن يدرعيه يسمونهم أولاد الشيخ وكان انقراض مصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود والمامات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح منهج بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من بعده وأشقاه وكان الامر كذلك وما أخطأ فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين وكان يفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره ومع اعطائه أخا رمن ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي واضرابهم مستحقارا يصغر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان سمى جماعة من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين وادعى أحمد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك ولا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد

حنين واصلاح عين عرفات وعينها ناظرا سعيه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده فى عمارتها وأصلح قناتها الى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من ركة ماجن وأصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك فى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحاج يرون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد فى يوم عرفات ويدعون لمن كان سبب الاجراء هذه الخيرات • ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاجراح أنهاره من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة • ثم نوجه (٢٣٠) مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض

فى أمر العين أحوالا يجب عرضها وأجيب فى كل ماسال فيه وعاد شكورا الى مصر ثم ركب من بندر السويس الى مكة فعرق فى بحر القلزم شهيدا وما عرق الا فى رحمة الله تعالى وما مات بل هو حى عند الله تعالى • وكانت وفاته الى رحمة الله تعالى فى سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية الى مكة لكنها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجرى من نعمان الى عرفات الى أن صارت عرفات بساتين وغرس بها العروس وصارت مرجة خضراء تجلى كالعروس الى أن قلت الامطار ويبست العيون وزحمت الآبار فى سنين متعددة من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سنى يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا أنها قل جريانها فى تلك السنوات ﴿ولما عرضت﴾ أحوال العيون

أحد أن يدخل فى دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين وأشهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهد واقبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من مستهل سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن آمنه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويرمى عن قصده المحافظة على التوحيد فمنها ان يقول انه طارش وهو فى لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أى غاية أمره انه كالطارش الذى يرسله الامير أو غيره فى أمر لا باس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول اطرت فى قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله وتجبر وبه بذلك فيظهر الرضا وربما اتهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاى هذه خير من محمد لانها ينتفع بها فى قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا واعاها وطارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر فى المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويتأذى سماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا بالحاذ فاستوت حسن بها عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنارة بعد الاذان فلم يتمه وأتى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة فى بيت الخاطئة يعنى الرابعة أقل اثم اما من ينادى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنابر ويلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد فما أقطع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأراد ان لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى صار الذى لا يفهم أصلا يقول لمن يقرأ القرآن على شيخ من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ له شيئا يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وتمادى فى تكفير الناس بآيات نزلت فى المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخارى فى

صحيحه

الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التمت الخاطر السليمانى العاطر السلطانى وتوجه العطف الشريف السلمانى الى تدارك ذلك بأى وجه يكون وأمر بالتفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الامين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقى بن على المعربى قاضى مكة يومئذ والامير حسين الدين خضر سنجق جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا ودار اوتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها امام بئر بريدة الى مكة مبنية أنضاء انها مخفية تحت الارض وانها تحتاج الى انكشف عنها والحفر الى أن تظهر لان بريدة لما بنيت الدبول من عرفة الى بئرها

المشهور خلاف مني الذي جبهما ظاهر على وجه الارض فالباقي أيضا من ذلك المحل الى مكة مبني أيضا الا أنه خافي تحت الارض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه ونبشت وطمت وغفل عنها هكذا طموا وخبوا ثم اتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى بئر بيدة وأصلحوا هذه الدبول اطاهرة وكشفوا عن الباقي وسواما وجدوا منها مهدوما ورمموا الباقي احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا ودرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع اشرعي بقدر ربعه وهذا الذي تحيلوه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم نجد في كتب التاريخ وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف في أوائل سنة تسع وستين

وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع اشريفه السلطانيه السلمانيه التمس صاحبة الخيرات اكليله المحسنات تاج الحصانات ملكة الملكات قدسية الملكات عليه الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات

﴿ حضرة خاتم سلطان ﴾

كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسيه فاستحسن تحسكون هي صاحبة هذا الخير وأذن لها في ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالي فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت آراؤهم الشريفه أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر

صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه وما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه اعتقد له ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فيستكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير وانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ولا بأحد الاجماع ولا القياس الصحيح ويدعي الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه كذبا وتمويها والامام أحمد رئ منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم وطركم واحكموا بما رأوه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لعدم موافقتهم له في ما ادعاه وكان يقسم الزكاة على ما يأمر به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا يتقيدون بمذهب من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويستترون بظاهر اعتقاد الامام أحمد رضي الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عند العرب أن يعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلي أجمعت عليه الامة وكان يقول في كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ وتارة يستتر ويقول ان الائمة على حق ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدي بقول مصري ولا شامي ونهدي بعض بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الرد عليه واحتجوا في الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضي الله عنه

الامير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ﴿ الامير ابراهيم بن تعرى بردى ﴾ المهمدار ثم الدفتردار بمصر بتوأمان الله جنات تجري من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا بطفئ كل أوام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعين من التفتيش وأعطته السلطانية حسين ألف دينار ذهب على ما خمنوه ليصرفها في عمل هذه العين فتوجه من البحر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم ورق كثير وترتيب يحير عقله كار البكار بكية وكان ذا همة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطنة وكان بيني وبينه سابقا اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء ولا الوزراء والبكاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجل طاما ولا أحسن ترتيبا

انظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس الاعلى وأرضى عنه حصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الى فرأيته رجل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلنى بالاجلال والاكرام وركب من جدة لى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى محمم الدنيا والدين محمد أبى عمى جلد الله سعادته وأيد دولته وسيادته وكان يوم مشهودا لا فى مر الظهران فتنافسوا فى الاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه ووالاكله وأكرمه وباسطه وجاره

وعرس على حصيرته الشريفة ساعة يصدده فقبل ما مثال الامر الشريف السلطانى وبذل الهمة والجهد فى اتمام المهم المنيف الخاقانى وانه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عند دحوله الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين ومولانا السيد حسن أبو عمى صاحب مكة أدام الله عمره وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأيد له الاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجاره ولاطفه وباسطه وواصله وأقبل كل منهما على الآخر بكل الاقبال ومحادثا بغاية الادب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من وادى السلام فدخل المسجد الحرام وطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مخيم فابتنياى وهو المحل الذى عين لنزوله ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماط عظيم جليل كبير فجلس عليه وأكل منه هو وخواصه وأدن لاهل الرباط والفقراء وانفقهاء وعامة الناس وأكلوا وحملوا وفضل شئ أمر بتفريقه على الفقراء وألبس الذى مد السماط قفطانا من السراسر العال وأعطاه ذهبا كثيرا ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المبجلين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضى حسين الحسنى أدام الله عمره واقباله وجلد سعادته ودولته وجلاله فرحب به الامير اراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم وعرض عليه أموره وأحواله واستشاره فى سائر ما يدا له من أحواله وأشار عليه بالآراء الصائبة وأعلمه بما ينبغى رعايته ومرعى جانبه وما

وكان يخطب الجمعة فى مسجد الدرعيه ويقول فى كل خطبة ومن توسل بابن فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا فى كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه فى شئ مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان وقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر معشار ما ذكرت هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين وليك ومن تبعك فهم الذى كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه سليمان خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة فى الرد عليه وأرسلها له فلما بلغه وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يبسط يده ما نقول اذا أخبرك رجل صادق دون صادق وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلانى وأرسلت ألف خيال يبطرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا القوم أثرا ولا أحدا منهم جاء تلك الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له اذن جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فصدقهم وتكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذى جئت به متصل أو منفصل فقال له حتى مشايخى ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل ومن أخذته فقال وحى الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فى كل أحد يمكنه ان يدعى وحى الالهام الذى تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيميه فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر ان قائله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فهم قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه وسلم ولا وجه لذلك فى التكفير أصلا وقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم وقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبى صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك وان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس بصحة التوسل بعيد النبى صلى الله عليه وسلم وكيف تمنع باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بعيد النبى صلى الله عليه وسلم فمات وتحير وبقى على عماوته ومن قال انحصر الشفاعة انه مع الناس من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وبعد معه خرج الناس من الاحساء وزاروا النبى صلى الله

يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ﴿وأول ما بدأ به الأمير ابراهيم﴾ تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها واخراج ترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها ويحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جميع ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه الى أعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفقده لمجاريها ومنافيها ومشاربها ومسارحها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصري وكان أمير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام عثمان بك بكار بكي الجن بكار بكي الحبشة اردمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكي الحبشة بعد وفاة والده وصار بكار بكي الجن وأظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز ثم صار بكار بكي الحباشة البصرة ثم غزة ثم آمد وهو من ابكار بكية الكرماء العظماء المتحملين المشهورين بالكرم والشجاعة أنقاه (٢٣٣) الله تعالى ووصل الى مكة

الله عليه وسلم وبلغه حبرهم فلم يحفلوا بما جاءهم به ولم يعبأوا بما أمرهم به بل كذبوه وقالوا من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الدين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه حلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعني جماعته يحلفون بمعاصل الحاصل انه ليس على الاعيان بعض الاشياء التي توهمهم بإقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي بإقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من الذهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاعياء الجاهلون يستحسنون حاله ومقاله اتباعه ويعقلون ويدهلون عن تكفيرهم الناس من مدة ستمائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التقصير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي اتخذوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة مطولة بقول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم بحجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب منها فمن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تنبيه الغبي على تجديد الدين ورد عليه في كل مسئلة من مسائله التي انتدبها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية نيفا وثلاثين كتابا وأرسلها له فجمع عن الجواب عن أقلها فصلا عن أجلها ثمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ما ذكر وعدد ذلك من

فاصبحا في ذلك الموسم مع الركب الشامي وهو أعلم العلماء المولى أفضل الفضلاء الاهالي مولانا فصيل أفندي المفتي الحالي وهو من أجلاء العلماء العظام له اتصاف بالحسنى المعروفة وهو الآن أوتراق في السنة العالي مدة الله عالي ظلال افضاله وأفاض على الطلاب معارف فضله وظله وحج الناس معه هيئة وحج الامير ابراهيم وورد معه وعاد الحاج الى أوطانهم فأرين يا معمران والفضول حازين لكل مطلب ومأمول وشرع الامير ابراهيم في الكشف عن دخول عشر عرفات وضرب أوطاقه في الاوجر من أودية عسفان في علو عرفات وشرع في حفر وعمارها وتطييف دورها وهو عالية جدا وكانت ممالكه انقاضوا في خدمته نحو

(٣٠ تاريخ مكه) أربعمائة مملوك في غاية الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقامهم في هذا العمل من الاوجر الى مرد لفة وكتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واصطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحفارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم وأتى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساح ومجارف حديد ونولاد ومحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة الغوية والاقدام التام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتطييف ماء ها من الدبول لظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يطلب انه يفرغ من هذا العمل الذي حاء لقصده فيما دون العام ويرجع الى الاوطان

السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما أراد وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد وألسنة الاقدار تنادي به من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البئر التي انتهى عملها اليها ولم يوجد بعده دليل ولا آثار عمل وساق ذرعه بذلك وعلم أن الحطب كثير والعمل كثير وتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل اعمار كثيرة فاضطرارا غير اختيار وعدلت عنه الى عين حسين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبته لامكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتاج من البئر ببيدة الى دبل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله ألف ذراع بذراع النمائين حتى يتصل بدبل عين حسين وينصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر لصلابة الحجر وانه يحتاج في النزول الى حسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن نزول ذلك بعد الشروع فيه لحطا لناموس السلطنة الشريفة فيما وجد الامير ابراهيم حيلة حيران يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الحرل ليلة كاملة في مقدار وسعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا في اعلى تلك الحمل فيعمل عملا يسيرا من جانب الذي مقداره قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع ويكسر بالحديد الى أن يوصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الحرل ليلة أخرى الى أن يحرل وبذلك الحجر مقدار حسين في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب وما رأى عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة وصار يجلب من المسافات البعيدة وبلا سعر وساق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم بذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار وهذا من الخرائن العامرة السلطانية وعرق له مركب كان فيه باق تجملاته وخزائنه وفقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان يوفى عن مائة ألف دهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل يحبه كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا

وجوه الاعتبار ومن طرق التهدي التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة وكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة معضها في الصحيحين ومعضها في غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى موقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفدر والخيلاء في أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا تخرج الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق دليل على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يسمع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح

ومات له ولدان من راهقان نجيبان فاضلان أخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كنخداه وكان بمنزلة أمراء الصناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه ومات رفقه ولاد ماه ورفه الامهال ورمته الاهوال وجاءه الاجل الذي لا يتقدم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر هناك عزيا شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها ولده وخلف طفلا وجلا وبنات أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة هكذا ذكر لي

(٢٣٥) أن مولده سنة اثنين وعشرين

وسبعمائة رضي الله تعالى عنه وأرضى عنا بمحمد وآله وأصحابه يوم الفزع الاكبر وسماه من حوض الكوثر

ثم أقيم بعده في خدمة الخدمة سعيد جدته الأمير قاسم لثبات همة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسين صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره عشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية فورد الأمر الشريف السلطاني باستمرار قاسم المذكور في خدمته العين أميرا على مصاريفه ولو أن يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة بالحرم المحمد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين الحسني خلد الله تعالى ظل سيادته وأبد قيام سعادته باطرا على ما بقي من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشرا التعاطي هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض عباد وما أراده مولانا شيخ الاسلام معارضته متركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بل فكان ثالث الأميرين السابقين وطرقه الأجل وأدركه الحين وفارق عزة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية فرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصم سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بن الدفتردار المذكور في قبله أمين العين المرقومة واستوفت العين به ثلاثة من الأمراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم رءوفا رحيما مسرورا ثم توجه سيدنا ومولانا

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مقلدا يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يعلم أحد من المتقدمين وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتي يتبعنه فاذا مات عنه الجمعة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على يده وأمر بحلق رأسها فقالت انه لم يأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ للثان يأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يحر لها جوابا لكنه اعتاض عن ذلك بان حمل على من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق وان المراد برءوسهم حلق الرأس فقد صح في صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حيث أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرن الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وهو يعني محمد الذي انفصال قال بعض الشراح وهو الهلالي وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلده مسيلمة رجل يعبد من الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم بها فتنة عظيمة يكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب فتلاها في النار والناس فيها اشتد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني تعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ولا يعصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفته له وفي رواية سيظهر من بعدي شيطان تتزلزل حريره العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الاحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديث بشار وياعن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثاني عشر قرن في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق راطمه بلسانه حتى يرى رماله الفرح والمرح يستحلون أموال المسلمين ويتعبدونها بينهم مضرا ويستحلون دماء المسلمين ويتعبدونها بينهم مضرا وهي فتنة يعتر فيها الارذلون والسفل فتجاري بهم الاهواء كما تجاري الكلب بصاحبه وهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور وفي الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك ان هذا المعرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فحينئذ انه من عقد ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من

شيخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل مانقى من عمل عين عرفات باعتبار مابيده من الطرق عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الاقطار والجهات وجد في الاهتمام وعرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي حسين المشار اليه خدمته آمينا وأقدم همته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر بعداد بحر من اتمامه الامر المذكور ون قريبا من عشرة أعوام وهلكت سوسهم (٢٣٦) وأموالهم وخدامهم وماطفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • حصرت عين عرفات وانقصرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في تلك الدول والقصوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة فهو كان ذلك اليوم عندا أكبر عيد الناس ورأوا بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وياس وعمل في ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أسمطه عظيمة في الابطح بستانه العظيم الأفيح وجمع بين الاكابر والاعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائتي من الغنم وبحر عدة من الابل والبقر وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والطعم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والاساطين شكرا لهذه النعمة ذلك الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجليلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحياها وأخصب بها خير بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة ورمانا مسعودا • ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالي السلطاني الأعظم والخاقاني الاكرم الافخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر في أعلى عرفات الجنان والى سرادقات ذات الحباب الرفيع والسرير السابع المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة الملكات بلقيس الزمان حضرة خانم سلطان أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية

الذين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وكان هذا الحارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان واديهم لا يزال رادي وهن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بليه من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية ويل للعمامة وويل لاعراقها وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم واياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي دم بني تميم وائل شيء كثير ويكفيك ان أعلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاعية من عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت في مسد الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا قبيحا ولا آخبث من رد بني حنيفة قال السيد علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فاخبرني أنه الف كتابا في الرد على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه قال السيد علوي الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الطهارة أنه استصوب بعض أفعال النجدي من جمعه البدو على الصلاة وترك الذهب واراقة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهاره التجسيم للباري سبحانه وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للمرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمره في الاحساء ان تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الفرعاء الطغام دعوات النبوة ويفهمهم

بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجليلة على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار الى حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية عمائة عثمانى وماعهد ذلك لاحد من الموالى العظام فى مدارسهم وجهرت اليه أنواع عاص الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخافانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وانه دخل فى جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بمطرعواطفها المسبغة وانعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالى والايام والاعمال الصالحات الباقيات التى لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وماعند الله من تضاعيف الاجر والثواب (٢٣٧) فهو خير وأبقى عند

ذلك من خفوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح فى مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أوسيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه وبمنع من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الاموات ويستكثر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله باطل ثم قال السيد علوى الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله مايوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتضليلهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اه ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويصل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان فربى له ما ابتدعه من العقائد الرائعة فصار ينتقل فى قرى نجد من قرية الى قرية ويأتى اليهم بتلك العقائد شيأ فشيأ مع رخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبرى من الشرك فصدقه الجاهلون وبتبعه لتلبيسه انه العالم ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فاواه أهل الدرعية وطن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصدف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التى نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه وقبل منه كل مايقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأنت فى قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشركون على الاطلاق ومن قتل مشركا كان له الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم هذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل مايأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبى فى أمته لا يتركون شيأ مما يقوله ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويحلونه غاية التبجيل ومازال يطبعه حى بعد حى من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واد أرادان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الحصر فيجيبه العربان وتلبى دعوته من كل مكان ويتحملون على أنفسهم كل مايحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشئ واذا هبوا شيأ من الناس يدعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أيما يسير لا يستطيعون مخالفته فى نقير ولا قطمير فاذا مالك قبيلة من العرب سلطها على من دانها

فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الامير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك فى أحسن الاماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبى من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصورى ومدرسة لصاحب كيباية السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصورى وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه وافاله ورباطا يقال له رباط الطاهر فاستدل

أولى الالباب ﴿ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الاربعة السليمانية﴾ وسبب ذلك ان الامير ابراهيم أمير اجراء عين عرفات أسكنه الله من الحسنة العرفات عرس على الابواب الشريفة السلطانية السليمانية وأهدى الى الاعتاب العلية الخافانية ان المناسب للشأن الشريف السلطانى وقدره العلى السامى السليمانى أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفعون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويطرز ثوان ذلك فى صحائف السلطنة الشريفة

البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا محمد الشرماني ولم تثبت وفيته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكيمانية واستبدل رباط الظاهر برباط آخر في سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه ﴿وأما الاول الى السيد بارمولا بالمقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته فقد مها جميعها للسلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بصياغ قرى في الشام اختار هادرية المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستبدلاتها وحجتها وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووسعوا الاساس فتقدم قاضي مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الاعلى وصفوة (٢٣٨) العلماء الموالي مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بن علي النشائي

واقترب وسلط الاخرى على ما بعدها حتى تبددت ملكها قليلا قليلا أولا اشرق بأكمله ثم اقليم الحساء والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الخليوف ذوات النخيل وملك الحريبة والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف عالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان محرمولانا الشريف عالب عن حربه ولم يبق أحد الا صار من حربه ودخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه لعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد علي باشا صاحب مصر وأتاه بجيوش من العساكر المنصورة وظهر الارمن معه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا ووصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأمن وأباد من بقي معهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القاضي لما سأله مولانا الشريف عالب هل أرخ خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء الملاة الى تسمى بالزبيري سمى ١٧٩ ٣٠٧ ٨٤١
الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البادية فاتفق ان ١٣٣٧
اثنين تحاولا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحدا الرجلين لابد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار ويواظبان ما دام يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه وذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف عالب له

﴿ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية﴾

ولكن يدعي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسك بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين من شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وبدائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك

عظم الله تعالى شأنه ورفع قدره ومكانه ووسع بلده الشريفة الاساس وتبعه من حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووسع كل واحد منهم حجرا في ذلك الاساس وكان يوما مشهودا مباركا مسعودا وذلك ليلة الخميس حادي عشر رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه حجارا كبارا جدا وأحكموا الاساس احكاما قويا ولله استقر قاسم بك في بذل الجد والاجتهاد شدود الوسط كأنه بعض العمال يجري معه ما مر من أول العمل الى آخره بقوة وجلاده من غير دفة فهم ولا الطاف طبع الحلاوة والعظمة والاستبداد بالرأي وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى رأي أحد فأتم بناء المدارس الاربع في غاية الاحكام في بعض الجدارات من غير تعميق وعمل بها أدنة عالية أحس فيها ووقف لها وقوف المدرسة وجعل ولدوا بوابها حجبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرارها بخط ردي منحط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغي الى كلام أحد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل في الاتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة حسين عثمانيا في كل يوم وعين للمعيد أربعة عثمانية في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا بالكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الاوقاف السليمانية

بالشام مع الركب الشامى الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا فى دولة السلطان الاعظم مالك الممالك التركية والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فاتم بالمدرسة المالكية السليمانية وهى رأس المدارس الاربع وعلى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالى لعظام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضى حسين الحسنى أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسة ثمانية عثمانى وهو أنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا فى أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتى (٢٣٩) الاعظم مولانا أبى السعود العمادى نور الله عرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت فيها درسا فى الخطب ودرسا فى الحديث وأصوله وانى أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال بن الهمام الذى كمله للامة علماء الاسلام فهامة فضلاء الموالى العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانه وحائز قصب السبق فى حلبة مضمارها ومريد ذهره فى التحقيق والاتقان ووحيد عصره فى التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التى سارت بها الركبان وتداولتها العلماء فى سائر البلدان الكريم المحسن الى من يليه غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضى زاده أولدى قاضى العسكر بولاية أناطولى أطهر الله

وحمل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى ولا تدع مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون مع المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وامثال هذه الآيات كثيرة فى القرآن كلها حملها على الموحدين وآل محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو بادا أو أسأله الشفاعة وانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا فى عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أعظم مثل ذلك وقال فى قوله تعالى حكاية عن المشركين فى اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال المشركين ما كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاحكم الله عليهم بالكفر والاشراك لانهم قالوا ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا اخترع محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهى حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء آلهة ويعلمون شركا بالله بل هم يعتقدون انهم عبيد الله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيأ ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التقرب اليهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وبركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها واعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون انها تأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة واعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذى

على قلبه ما محى ودق عن الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ما روى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من الحقيقات مافات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب العمان قلائد زمرد تنسق النظام وما لطلاب العلم الشريف موائد وضعها لهم على طرف التمام وأورد فيه من خاصية لمعة اشريف ثلاثة آلاف تصرف من بنات أفكاره ودلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا شك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم وشكر الله صنيعه الجميل وآتاه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى فى صفحات العالم كتابه المعيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أجلسنى فى أيام صدارته وربانى لدى الحضرة السلطانية فرقانى السلطان الاعظم

والخافقان الاكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدة الزمان فصارت مدرستي جمعته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عني أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء * وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره في بحر الرحمة والاحسان * وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية وقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل وعدل عنه الى علم الحديث الشريف (٢٤٠) وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة رحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنان والنظر الى وجه الله الكريم في اعلا مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات فعدنا الى ما أتينا به في هذه الورقات وكلنا ما سنأتي الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم الاحشم العثماني صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وحفه بروائح الروح والريحان﴾ كان مولده الشريف في سنة تسع من وعشرين وسبعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنة حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف توجه الى سكتوار لحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين في سبيل الله في حق بلاد الكفر مشمولين بفريضة الجهاد نهاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى أن وصل وكابه الشريف السلطاني الى سمرد خدبقال له سرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هموم

أوقعهم في الشرك فلما قيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف بجور رلمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل اشركا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

وقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكر أيضا كثير من الائمة في كتبهم عديد ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة ثم قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف

الشتاء وتيسر فتح قلعة سكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخافاني بالعود الى الاوطان واستمر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الورراء وأركان الدولة الى اتم الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة الخافانية الى مصر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى وأجيب حصرة الوزير الاعظم الى ما أشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل واسرار عليه الى ان ورد حصرة الوزير الاعظم المشار لى حضرته انعليه وباقي الورراء من أركان الدولة الشريفة الى المعاسكر وقابلوا الركاب السلطاني وهنؤه بالملك الشريف الخافاني وعادوا في خدمة السلطنة الشريفة الى

من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر لهم أحد في الدعاء به وبما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر شيئا من صنيعها به وتكفينها ايره وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وابن أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في وشفعني في نفسي قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرقط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الحلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير في هذا الحديث التوسل والنداء وان عبد الوهاب بمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعده وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في بعض خلافته في حاجة وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته وشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم أتى ابن عثمان رضي

(٣١ تاريخ - مكة) حصرة السلطان الاعظم الى سرايه الشريف وجلس على تخته الى المساء ووفى للعسكر بما التزم لهم بحضرة الفقيه الاعظم وأفاض احسانه عليهم وأتم واصرف في ذلك من ان عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق ما لا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سبب الهدء العوعاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على حزيل النعماء وله الشكر على جميع الآلاء وله الحمد في الآخرة والاولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان وقام حسن النظام * ثم جهزت البشائر السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالجمع الشريفة الخافانية

فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام الشرور والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت العيون واستقرت الخواطر واطمأنون وكان سلطانا كريما ورؤوفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهو شاهد راتب يصل اشاريفه وكساويه في كل عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الى احسانه وكسوته في كل سنة وبعد أن ولي السلطنة بأشهر يسيرة لم يتطرق عادة احسانه واستمر يصل اليهم ذلك في كل عام حيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه الباقي

ان الآن وهو المالك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طالما

الله عنه جاءه الاعرابي فاخذ بيده وقاده حتى اقعده على عتبات فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان يأذن حتى كلمته فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل وبدأ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم وان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الراقي لا الشك في الرؤيا وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث في اليقظة وانه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتى بابه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وناداه وطلب ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك خير وهو من باب التوسل والتشفع والاستعانة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات متاب عليه ان الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي باسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وراويه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور حد الخلفاء انما سيأتي وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح

حاجت بكفيته الاشغال وصباح بأوامره الليالي والايام وأثمرت وغرس في رياض السعادة غروس أشجار السيادة وأينعت وأثمرت وعمر بحسن نظره أرجاء البلاد فتحدثت عنه الخراب وعمرت ودمرت بسياسته أزكان الظلم فعمرت ديار الظالمين ودمرت كم أطهرت لسواد الكفر بصارمه البيضاء آيه للناظرين وكم جهزت جيوشا لجهاد في سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين * ومن أكبر خيراته فتح جزيرة قبرس التي هي الجهة الغربية من فتوح العرب وحلق الرأس * ومن فتوحه فتح مالين التي واسترجاعها من النصارى اعانة أهل الاسلام ومن خيراته تصنيف سد قة الحب وارساله مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المدرسة الحرام زاده الله شرفا وتعظيما وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكرها وذكره

طرق الاجمال لضيق المجال * فمن قبرس * فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفتي أبو عبد الله شمس الدين محمد المعروف بابن عبد النور الحميري في كتابه الروض المعطار في أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواش وبها معدن البرم القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان في البحر وقبرس على ممر الايام وخاؤها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبى شيأ كثيرا * وروي انه لما

افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء ونعى عوفا ثم احتمل بحمائل سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاسلام وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره فبينما هي قرة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس اذ تركوا أمره فصار لهم على ما ترى من السبي والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد وامتدت جزيرة قبرس بوش كان هائلا يسمى قاوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موسوسون الى اليوم باسم عادي الصفر ويجمع فيها اللادن الحسن الرائحة الذي يعالج العود في طيبه ويجمع

وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وقد ذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن مهدي باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا بما يدل على صحتها وثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسبه لكراهية استقبال القبر عند تأدية الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس عن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى فيما يهمكم التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك تغيير النبي صلى الله عليه وسلم لا يفعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر مني وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب الدواوين فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان وهذا من الحديث من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة فلهم يسار بهم في الخلافة فلما ماتت الخلافة له وبارعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام أحمد والبزار والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

يحمل الى بلاد الوسط طيبة لانه أفضله ويجمع منه ما يساوط على وجه الارض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الخزرجية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس وتوفيت بها وأهل قبرس يعرفون قبرها ويسمونها هونة بن المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله تعالى عز وجل أن تجعلها من الذين يركبون ثبج البحر وبسبب سؤال الله فعل وهو حديث معروف وكان الاولى أن يقول انا نريد هؤلاء يعني الذين في قبرس أهل عهد وان صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لا بد لهم بمقتضاه الا بأمر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصلاح في حادث أحدثوه ان ذلك ينقض عهدهم فكتب الى عماله في عدة من

الفقهاء يشاورهم في أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو اسحق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له فأوجبوا تتبعه حراج قبرس الذي يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار * قلت وقد تقدم ما قدمناها متحف في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف برسباي الدقماقي وأمر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس في أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم بيراتهم أحد في المنكر والخداع واظهار الاطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين واذا أحدوا سفينة من سفائن المسلمين

قتلوا جميع من ظفروا به فى تلك السفينة لاخفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعم ضررهم فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتى الاسلام مولانا أبى السعود أفندى العمادى رحمهم الله تعالى فأفتاه بأنهم قد نقضوا العهد وان قتالهم حائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا مضيفا أرسلهم من الثغور عمارة عامرة فمن جانب البحر وجعل سردار الجميع حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم ظام العالم ومصالح الجم أمير لامع قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك والسلاطين المخصوص بعنايات رب العالمين (٢٤٤) ﴿ حضرة مصطفى باشا اللالا ﴾ زاده الله عزا واجلالا وسعادة

وسيادة وافالا وأيده النصر المبين والفتح القريب اسعادا واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطانى وزرحف بعساكره وفا بالنصر الصمدانى والعون الربانى ومعه عسكر جرار من كل طائل معوار ملؤا وجه الارض براوبحرا كأنهم قطعة زاهرة مضطرمة أو أشعة حمرا آيات سلكوا رهجها وملكوا رايا صدعوا من الاعداء سفكوا ودمروا طبول النصر وكانت كصيح الصور وانتشرت العساكر المنصورة بعثا يوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير ظفرا مؤيدا منصورا وسعى الى جهاد الكفار وكان سعيه مشكورا وطوى المراحل والمنازل وهو يطوى الارض طيا ويعرى سيف عزمه أديم المهامه والمفاوز فريا الى ان وصل ركابه العالى ومن معه من الجيش المنصور المتوالى الى جزيرة قبرس فاحاط بقلاعها احاطة الخاتم فى بالاصبع وطرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقلالها وأحكموا حصادها وأوعروا مسالكها سهلها وجبلها فاربجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت جبالها ورمالها وأسافلها وانقاعها * وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع فى غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان * وأقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران ولا يوازن أبراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس فى العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوارى بناها الاهرام فى الاتقان والاحكام

مالك رضى الله عنه وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتلوا بالدين من بعدى أبى بكر وعمر فما حمل الله المدد من قتل بهما فقد قتل بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانه استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضى الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لاوهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان العباس حى والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات لان الاستسقاء انما يكون بالحى لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف وكما فى حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما فى توسل آدم واه عمر رضى الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره فتلخص من هذا انه يصح ان يتوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفى حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاحياء كما فعله عمر رضى الله عنه حين استسقى بالعباس رضى الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضى الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وليبان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضى الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضى الله عنه قال بعض العارفين وفى توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما دون النبى صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم انه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة لامر معلقه بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا اضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لا يامعاشر أهل السنة لا تعتقدوا تأثيرا ولا تخلقا ولا ايجادا ولا اعدادا ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له ولا تعتقدوا تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبى صلى الله عليه وسلم باختيار الخلق والايجاد وان أثيرا ولغيره من الاحياء أو الاموات ولا فرق

بل تزيد عليها وتفوق لاثبالى بضرب المكاحل والمدافع ولا بوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة باجلاف النصارى الابطال أهل الصيال والصراع وفيهم من الرماة من يرمى على الحدق ويحرر فلا يخطى من الدرع الحلق وعندهم المياه والفواكه والاقوات والزرع والمساتين ومن دونهم حصادق عريضة نازلة الى نحوم الارضين محيطة بالمدافع الكثار ترمى من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فاحاطت العساكر المنصورة السليمية تلك القلاع والحصون وباشوهم القتال وأدافوهم كؤس رب المنون وفاتهم المسلول بالليل والنهار وقابلهم الموحدون رمى المدافع الكثار بالاصائل والاصحار وكاد (٣٤٥) النهار أن يقلب ليلا بدخان النار ودوى البارق والليل ان ينقلب نهارا بوارق قنابل الصواعق فحاصرهم المجاهدون فى سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكثار الطائبة عليهم فطمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم فاقتفت بركة النبى صلى الله عليه وسلم قلعتان وثقيف القلعة وهى ماءوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور وثبت وأظهر الجلد وكابد فى محاصرته أنواع الكمد الى أن وهنت قواه ودانت كبده وحشاه واضطر الى طلب الامان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الامان وشرط عليه أن يفلت من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطانى ليتم له التأمين ويحصل له التطمين ووافق على ذلك وأطلق الاسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فاخبر بعض الاسرى أنه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه بين يديه وأهانه غاية الهوان وركب وحل عاشية السرج وأمره أن يمشى قدامه كسائر العلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واسترأسر واسترق من أراد وصارت قبرص دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة أمه وتدبيره الصائب الاتم وما بقى تفصيل ما وقع فى هذه الغزوة وما أمكنى تحقيقها وأردت كثيرا افرادها بالتأليف

فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لافرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير فى شئ وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لاشريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات وانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ويحتجون بقول الله خالق كل شئ والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المحجورون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد ويسيئون غيرهم الى الاشراك هذا هنا ك عظيم فالتوسل والاستشفاع والاستعانة كلها معنى واحد وليس لها فى قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء أسباب عادى فى ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادى فانه لا تأثير له وحياة الانبياء فى قبورهم ثابتة بادلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام ويأتون بالفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويظلمون من صالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون الولى افعل لى كذا وكذا وانما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة ويتسمون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا أهلا لها ولم يوجد فيهم شئ منها فانما اراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يسدوا العامة من ذلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون ان العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسند والاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فمقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم سلوك الادب فى التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى وان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى وان الطعام لا يشبع والماشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادى لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد مهما صدر منه اسناد الشئ لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

وذكر ما وقع فيها فلم أطفر بذلك فان أطفر فى الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخا مستقلا واسع المجال لليب المعاكهة بطيع المقال ان شاء الله تعالى ﴿ وأما فتح بلاد اليمن ﴾ فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كانت داخلة فى الممالك المحمية العثمانية فى أيام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحفر رمسه الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخافاقى على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكى مصر لما توجه الى الهند لغزو الفرنج العرتقال فى سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكلربكيا واستمر كذلك فى تصرف الكربكى الذى يولى من الباب الشريف السلطانى ولا هاوا حدا بعد واحدا الى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى فى أعلاها فى

المعانى فى كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدى الى اجماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك الا ان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن فى أوقات كثيرة واجماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا تجتمع أمتى على ضلالة بل قال بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهى خير أمة أخرجت للناس فالذين هؤلاء المنكرين اذا أرادوا الذريعة ومنع الالصاق الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغى ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التى ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان تفعل فى كذا وكذا الا أنهم يدعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له وما نقل عن هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين فى هذه الآية أن يخاطبوا النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك لا ينبغى أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التى جرت العادة بها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضى المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضى منعا الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلى بقرينة صدوره من موحد فما وجه كونه حراما أو شركا ولو انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه والمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودى فى خلاصة الوفا حيث قال روى الدارمى فى صحيحه عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق قال العلامة المراغى وفتح الكوة عند الجدار جهة أهل المدينة يفتحون كوة

الجمال من أعلاها الى تعز بكلربكى ويولى فى التهائم وهى زبيد وسائر السواحل والعادر بكلربكى آخر وكان هذا حين الخطاب فان ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقل عرضه فى الباب العالى فصدر الى تكثير المناصب وتعديد الكار بكية وولى على اليمن وجزائرها المرحوم مراد باشا وكان يقال له كور مراد لطول كان باحدى عينيه وكان خرج من خشداية السلطانية وكان من أمراء السنجق وصار أمير الحاج الشامى ثم ولى سنجق غرة ثم أعطى أصبت مملكة اليمن وولى جهة التهائم لحسن باشا وهو أيضا من المماليك السلطانية رمس السرايه السلطانية فاستمع عساكرها وأمر والها

وتحصولها الى نصفين وصعد أمر كل واحد وكان مظهر بن شرف الدين يحيى الزيدى بعقله وسوات فى له بعصيان العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة فى خاطره فصادف انقسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فاظهر العصيان هو ولفيفه من العربان وجهز أمير امن أمرائه يقال له على بن شويع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا فى محطة دمار وهو عادل عن عصيانهم وكان قاصدا من بعد الى صنعاء وهى محصورة بالعربان الزيديين فعدموا طريق الحيل وحلوا من الطعام بالكلية وكل أرسل من طائفته من يأتيه بالعلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما راد به هذا الامر وطن بعصيان العربان رجع مراد باشا الى تعز وسلك وادى حيان وهو محل وعر بين جبلين عالين فى غاية الوعورة والصعوبة

عسكر المسلمين كثير الهول فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأت فلوتهما كالجراد المنتشر رموهم بالاحجار والصخور الكبار والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون فى ذلك الماء وقد اردحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجبال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم بجدة ولا لحيلهم قوة ولا قدرة على الحولان واستاءوا والقتل وقتل منهم من دار أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون سنجقا سا تهم العربان وتركوا كل واحد منهم جربانى الماس وسائر بدته مكشوف رأسه والى مسجد يقال له مضرح وعيون المياه تسرح اليهم وتطمح فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثار عديم المثال رام كان ساسان باشا صلب أباه لما افتتح عدن فصاح واثاراه وقتل مراد باشا وأرسل (٣٤٧) رأسه الى مظهر وقيد الامراء ودفعهم الى

فى أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودى وستعلم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك وليس المقصد الا التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبى صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى فى عمران دنوبه وقضاء حاجته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى وهو مروى أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعى رضى الله عنه قال العتبى كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفى رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى ربى وفى رواية وانى جئتك مستغفرا لذنوبى متوسل من ذنوبى ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ✽ فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ✽ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فعلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال يا عتبى الحق الاعرابى وبشره ان الله غفر له وجوحت حافته فلم أحده وليس محل الاستدلال لرؤياها الا ثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشارة على الرأى فى الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم وروى عن الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انهم عادوه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام حاهم اعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعيا عنك وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى وودى من القبر الشريف انه قد غفر لك وحدثنى على أبو صالح من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتى خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم وقد ذكره العلماء فى آداب الزيارة اه

وسقط من درسه فى هروبه ولحقه جماعة من الاسباهية أرادوا قبله فلحقه عند من عبيده بفرس فرات وهرب وتخلص منه لاعتناء الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم من عير أن يرى شخص ومصر الله المؤمنين على أولئك الملحدين فى الدين وقتل منهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وخمت العساكر وطافهم وأحاطهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد كانها على بها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاحتلال فى اليمن بردت الاوامر السلطانية الشريفة الى الكابر بكى مصر يومئذ الوزير المفخم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الامم فاتح ممالك اليمن الايمن من كوكبان الى عدن وقالع قلاع حاتق الوادى أحمد الزيدى ناسف العرب ورافع الكفر عنها والمحن ليث

يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا سائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفى الجوهر المنظم أيضا اذا عرا بأحد وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وغار عبدك وعصب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتق على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أحا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فمردود بما رواه الامام نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة وقبله استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبى حنيفة أيضا وردّ قول الكرمانى انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال فى الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بما متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم زائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة وكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفقوا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة هابالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد وفيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل

وكنت ممن شملنى بره وانعامه ووصل الىّ فى أكثر الايام احسانه واكرامه فعللت ذكر محاسنه فى صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته فى صفحات الاوراق لا يحلقها الحديد ان ولا يبليها الدهر العاثر وكنت باسم الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليمانى ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردى وطائفة الجراكسة ثم اللوند الى رمضان الفتح العثمانى على يد أبى يزيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين على جيوش مطهر ابن شرف الدين ثم الفتح العثمانى ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمى الطنان صارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها ههنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان تسابق أفراس الرهان يعد كل بيت منها بديوان وتستحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان وهى هذه

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ... على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ... به الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت فى كوكبان خيامها ... وآخرها الليل من شاطئ مصر
يجرّ من الابطال كل عضنفر ... نصارمه يسطو على مفرق الدهر
عسا كر سلطان الزمان مليكنا ... خليفة هذا العصر والبر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا ... وبيض المواضى والمثقفة السمر
له فى سرير الملك أصل مؤثل ... تلقاه عن أسلافه السادة الغر

ملوك تسامو الاعلا وخلائف أولوا العزم فى أزمانهم وأولوا الامر شموس تفيض النور تمحو غياهبا من الكفر منهم يستمد ضيا البدر
هم ملؤا عين الزمان وقلبه ففرت عيون العالمين من البشر هم العقد من اغلى اللآلى منظما وسلطانا فى الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم سليم كريم أصله طيب الفخر عماد يلوذ المسلمون بظله وسد منيع للانام من الكفر
وحين أتاه ان قد اختل جانب من اليمن الاقصى أصر على القهر وساق لها جيشا جحيفا عرمرما مد لجبال الارض فى السهل والوعر
لهم أسد شاكى السلاح عرينه طوال الرماح السمهرية والسمر وبرعطيم الشان ثاقب رأيه يحير فى آن جيوشا من العسكر
يقوم باعباء الوزارة قومه يسد جيوش الدين بالايد والاثر (٢٤٩) أياد له بالناس كاسمه العدا

النفير الشريف كبقية المذاهب وكذا القول فى التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك ويكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ما ذكره الالوسى فى تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر وبالجملة ان تعتبر ذلك وقد بسط الامام السبكى نصوص المذاهب الاربعة فى استحباب التوسل فى كتابه المسمى شفاء السقام فى زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفى المواهب اللدنية للامام القسطلانى وقف اعرابى على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت عتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا سألت العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعنى من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقانى البيت الآخر وهما

ان المليك اذا شاءت عبيدهم ٭ فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدى أولى بذا كرما ٭ قد شئت فى الرق فاعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب اذا زرت قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا ترد بى خائبين مسودى الوجوه اما أدبالك فى زيارة قبر حبيبها الا وقد قبلتك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبى حديد سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغى وجه الاولى أن يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد لما نهى عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبى حديد من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروى عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقانى فى شرح المواهب اسمه محمد ابن اسمعيل بن مسلم الديلمى مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبى حديد رواه عنه البيهقى وفى شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللهم انى أستشفع اليك نبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له فقد نص لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه فى حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

(٣٢ تاريخ مكة) ٭ وباهيك من ملك قديم ومن مصر وقد ملكتها آل عثمان اذ مصت ٭ سوطا هر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع ويأخذه من آل عثمان بالمكر أبى الله والاسلام والسيف والقنا ٭ وسر أمير المؤمنين أبى بكر
﴿ولما تم الفتح الخاقانى العثمانى فى القطر اليمانى﴾ عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج سنة الاسلام وزار المزارات العظام
وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام وأشرف بلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحس الى
أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيها من حجاج الانام وقابل شرفها بمكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام ٭ من
آثاره الخاصة به فى المسجد الحرام ٭ تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريفة دائرة حول المطاف مدورة

ولكنها بالجود جابرة الكسر
به أمن الله البلاد وطمن العا
صادو أصفى الدين منشرح الصدر
سمان عز القدر يوسف عصره
ألم نره فى مصر أحكامه تجرى
تدلى الى أقصى البلاد بحبشه
ومهد ملكا كاد عرق بالقشر
وشتت شمل الملحدين ورذهم
مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع رؤسا من كبار رؤسهم
لهم بالناس السرحان والطير كالعير
وكان عصى موسى بلعت كلما
بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا
ولا رحموا فى الذل بالقتل والاسر
ومابين الاصابع تنبع

بالحصى بدور بهادور بجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص بذكره الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات • ومنها تعمير سبيل في التنعيم أنشأها وأمر باجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجري الماء منها الى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها أحدا ما يستقي من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه و يتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر • ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة لقوافل الزوار في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا • ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون بمرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين لكل قارئ جراية في كل سنة سنة ذهبا وكذلك لمفرق الأجزاء والداعي ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه التي من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه واقباله وضاعف سعادته واجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى • وأما فتح الواد و بلاد تونس الغرب فهي من أجل الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الأعظم العثماني السلطان سليم خان الجوهر الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم • وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما نشؤوا وهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج ويأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين و يقتلونهم و يسبون أولادهم ونساءهم ويبنون القلاع في تلك البقاع و يواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم

الا بعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها و بطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا • ونجي في بطن السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره • ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته و بعد وفاته أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له بركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها • وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا • وأين فرار الخلق الا الى الرسل

ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم ولم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان في ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغدودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فأنشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص عمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته وقد يتوجه عمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من القوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته والمؤمن اذ توسل به انما يريد به ونحو ان جميع الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا والذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا التوسل انما هو بدلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فالتوسل به صلى الله عليه وسلم من جوازها بالاولى باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصيدته التي فيها

فاشهد ان الله لا رب غيره ✽ وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة ✽ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ✽ وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ✽ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمها النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

فلله الله على سوء فعله بما يستحقه وأحد النصارى مملكة تونس وسعروا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الاولاد والنساء والاطفال وباع أحمد المذكور بناته واسود في صحائف الليالي والايام دياجي وجهه واسمه وانقلب خاسئا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وارتد حبيبة وكفورا وتغيرت قلوب المسلمين منه ونفرت منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان على الكفر على الاسلام واستعبد عبدة الصليب والاصنام بنصرهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وامتهن دار الاسلام تونس بإقدام أول ملك الكفرة اللئام والاعتصام بالله الكريم المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانتشرت هذه الاخبار المدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى أن وصلت أبواب سلاطين الاسلام طال الله المجد والدوام على مفارق الايام مالك صهوة الملك من الذروة الى العارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده سحب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما أصاب أهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتهان الذي قصم اظهر وأوهى العظام استشاط سخطا وغضبا واضطرمت بارجيته وتأججت لهبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت بيراق الحمية العثمانية وقام وقعد وأرعى وأزبد وأرق وأرعد

وهدد وأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكلربكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عبدة الاصنام ويستقدم من أسر من المسلمين يبد أولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الغبرة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث العشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الاكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشرقة كالشمس يغشى ضوؤها المشارق والمغارب صاعدة الى أفق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب وقال أما السد الخلة أما لها أفرج كربتها وأفتح مقفلها وأصلح خللها وأزيل علتها ولم تدخر السلطنة الشريفة الخاقانية ومارتبتها العواطف الكريمة العثمانية (٢٥٢) الا لبذل أرواحنا وأموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع لائحته وساعته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفن الحربية فاودان الاك العالي فارس ميدان البحر السابق الى قبلة أبراج المعالي الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الامراء العظام حضرة فلج علي فاودان باشا سر الله له من الفتوحات ما يشا فشمر على أحد أسباب السفر وأخذ معه من أمراء الساحل وأمراء العساكر كل أسد عضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر ومن له في حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وشحنوا ما ئتي وما غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المؤنات الكثار لحمل الاثقال ودفع الاحمال الثقال وحمل مكاحل النحاس لطحم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة واليأس * وكان روز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أطهرت يمنا وبركة وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقبودان والعساكر المنصورة نصر الله الملك الديان نهج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر أقوى طيران

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وفيها السداء مع قولها وأنت رجاؤنا ومع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالجواهر الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى ضريحه يزوره ويسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن وما بلغ الامام الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم. قال الامام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام العالي وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي * وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الاحباب في ترجمة الامام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن انه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من النار الذي أباه فيه ياحي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تحييني قاي سورة معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للنووي ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار قال في شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والاولى وسحابه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفي شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخبار اللهم انا نتوسل اليك بهم فاهم أحبوك

ة القراء وقالوا اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى مالوكا يسا من مملكة البندقية ووصلوا فى يوم الخميس
مصين من شهر ربيع الاول كيمان انجير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر
يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العماس وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العماس بهذه السفائن الكثيرة خوفا من
تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شئ قدير فسار وا تارة بالقلوع وتارة
بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم فى اليوم الثامن جبال قلاورية واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر
من اليوم التاسع طبرق حصارى وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما (٢٥٣) وصلت العساكر المنصورة

وما أحبوك حتى أحببتهم فصلت اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبحق فتم لنا ذلك مع
العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

(ذكر دعاء تنوير البصر)

وبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور
بصرى وبصيرتى وسرى وسريرتى وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال
نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهى لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له وكما ان
الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والرى لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة
سببا للسعادة وبيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا
لقضاء الحاجات فليس فى ذلك كفر ولا شرك الا ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم
وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون
ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكرناه كفاية وانما أطلت
الكلام فى ذلك ليتضح الأمر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب
يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه
النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة فى ابطالها قال فى
الجوهر المنظم ولا فرق فى التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو الشفع أو الاستغاثة أو التوجه
لان التوجه من الجاه وهو على المرتبة وقد يتوسل بدنى الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة
طلب العوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له العوث من غيره وان كان أعلى منه
فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وتغييره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد
بهما أحد منهم سواه فمن لم يشرح صدره لذلك فليسأل على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به فى
الحقيقة هو الله تعالى وأما النبى صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه
وتعالى مستغاث به حقيقة والعوث منه خلقا وايجادا والنبى صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا
والعوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى وما رميت
خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أحملكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجىء السنة لبيان
الحقيقة ويجىء القرآن الكريم بإضافة الفعل الى مكتسبه ويسنده اليه مجازا كقوله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون والآية بيان للسبب

الاسلامية الى ذلك المكان حارهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت أرجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجيبة ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله فى جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كحمداى الفابودان سنجق قره جه ايلى محمد بك برل من سفينه مشتاقا الى الجهاد فى سبيل الله فأصابته بندقة فى خده فخرجت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش خمسة أيام ونالت عليه الملائكة ولا تحصين الذين قتلوا فى سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام العرابا بالعود الى سفائنهم للسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا فى اليوم الرابع عشر الى جزيرة مسينة استقر بها عسكر المسلمين ثم سار وا فلما رصلوا الى محاذاة حصار سرا قول حصلت فرقة فى البحر تفرقت اسمها السفائن من الصغرى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء فى محل يقال له كبير ثم مروا بمحل اسمه خوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة أولاو ووصل اليها بعض العسكر المنصور وهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا يرحلون كل يوم لاجل السقية الى جانب من ساحل صحلية وكلما وصلت يدهم اليه من سهب وغارة وقتل وأسر طائفة الكفار بادروا اليه وأخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من فى ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل

العادى الذى لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقى وهو فصل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستعانة لما يحصل منه عوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثنى يا الله تريد الاسناد الحقيقى باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثنى يا رسول الله تريد الاسناد المجازى باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه ما مر فى صحيح البخارى فى مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بين يدى الله تعالى حيث يقول يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى وجاء فى قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بى لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقى والى موسى عليه السلام مجازى وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ معنى صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضى الله عنه المذكور فيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسقى لامتك أى ادع الله لهم فعلم انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه فى حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب فى حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به فى كل خير قبل يوم وجوده لهذا العالم وبعده فى حياته وبعد وفاته وكذا فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تحيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدى الى الشرك فهو تحيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب اشريعة الغراء لا يؤدى الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سد الذريعة منقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم فحيثما سمعوا من أحد تعظيمه له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ ابا بوصيرى حيث قال

وصار واعسكرا واقدموا على قتال من ينزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكروجية وبعض من فى نيته الجهاد فى سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعداب الآخرة أشد وأبقى ثم أطاق المسلمون النار فى تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وحملوا بأهلها الى بارجهم وساءت مصيرا * وفى اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول طهر عسكر الاسلام سفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة لى بعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان أحدها والاحسا للمسلمين * وفى اليوم (٢٥٤) الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا وامى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة حراب فى قرب تونس قريبا من قالمية وهى على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس قريبة السفائن والاعرنة بالرايات المصبوغة ألوانا اظهارا لهيبة الاسلام وبدوا بالعساكر المنصورة وأرسوا فى اليوم الرابع والعشرين فى حربة على الوادى ورات العساكر المنصورة السلطانية وتحصنت وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مساقية لا يصل اليها المدافع ورتبوا المدافع الكبار التى اذا رمى بها تزلزل الجبال وهدمها وتحرب الاطواد الكبار وتحطمها واشرعوا تقربوا قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون الاتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون حماى فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر المنصورة بقلعة المنستير والمدافع ووجهت لى صوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصابع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوفا بنصر الله يحوس حول الموت وهو يراه محتسبا نفسه فى سبيل الله معتمدا على عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلاظ أكبادها من أشد الصواعق وأخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ما صادفت من النفوس والارواح وتغرق ما صادمت من الهياكل والاشباح وتفصل اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها آثار وآمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وبالكعبة والملتزم ونحن فى ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا ولا يشك شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثانى افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى هو المنفرد بالذات والصفات والافعال عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها للعبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ فى تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشئ من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحاط على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط وادا وجدنى كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى لانها سبب فى الزيادة والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجاعل المذكور واقع فى اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فاسناد الاحاطة الى المكر مجاز عقلى لانها سبب فى حصول الاحاطة والهادى والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لى صرحا فاسناد البناء لهامان مجاز عقلى لانه سبب آمره وهو نائب عنه والبانى انما هو الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكل من يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقى والمجازى فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان يعتقد ذلك الاسناد من موحد كاف فى جعله اسناد مجاز بالان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده وهو والحالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواه لا لحى ولا لميت وهذا

لا تصوهم فسرجوا من تونس الى مرحلة تقرب منها يقال لها قوموذكر يعنى بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب حشوه بالتراب ونحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المجدولين وشحنوا هذا الحصار بالات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما حلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وبسطوها وحصنوها ثم ردوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم فى قلعتهم التى أحدثوها وأحكموها بالاحشاب والالواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فارسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم الفاوداى المعظم والبكلربكى المعظم فلما علم توجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكلربكى تونس حبيب باشا و بكلربكى طرابلس الغرب

على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلربكى تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السليمية أمير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكلربكى طرابلس الغرب أمير الامراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من العراق بمقدار نصف يوم من تونس بقصد محاصرتها واحتلالها فلما علم الكفار بكان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الوادى واشتعال العسكر المنصور السلطانى بالجهاد وصلا لا بالخيبة مع قليل من العلمان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا (٢٥٥) سنان واجتمعا به وفرح كل منهما كل الفرح وحصل له الاطمئنان وطابا نفسه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن توجه معهما بنفسه وأمر طائفة من أمرائه وممن يحوالف بقصر مع التبكيربكى وبعض المداوم بكلربكيات والصربات أن يتوجهوا مع الكفار المذكورين من الجانب فخر الامراء العظام ابراهيم بك ومن سناجق بحر وسه وسنجق قرسين محمود بك وسنجق قره حصار بالبك ومعداد آلى بقصر من طائفة كوللوا مع أعاهم حسن بك فتوجهوا فى الحال مع حيدر باشا وصطفى باشا وأخذوا تونس وكان سلطانها الموالس مع النصارى أحد الجدولى ومن معه من النصارى رأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لمنعتها ورأوا ان قلعتها أيضا حراب متهدمة

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها آثار وآمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وبالكعبة والملتزم ونحن فى ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا ولا يشك شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثانى افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى هو المنفرد بالذات والصفات والافعال عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها للعبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ فى تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشئ من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحاط على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط وادا وجدنى كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى لانها سبب فى الزيادة والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجاعل المذكور واقع فى اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فاسناد الاحاطة الى المكر مجاز عقلى لانها سبب فى حصول الاحاطة والهادى والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لى صرحا فاسناد البناء لهامان مجاز عقلى لانه سبب آمره وهو نائب عنه والبانى انما هو الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكل من يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقى والمجازى فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان يعتقد ذلك الاسناد من موحد كاف فى جعله اسناد مجاز بالان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده وهو والخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواه لا لحى ولا لميت وهذا

مصطفى باشا ومن جهز معهما من العساكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التى تحصنوا بها الكفار الاشقياء والعربان المرتدون فرأى قلج على باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعدة ومدافع أخر من الوزير المعظم سنان باشا فارسل له ألف ينكجرى وصمصولجى اشى ومن سلحدارية الباب العالى على أعاوجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن وحققوا بالقابودان قلج على باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وسموا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس فى غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فحرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس فى جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين (٢٥٦) قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد فى ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى فى أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المساعدة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حاق الوادى والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جاشهم وعين فى كل موضع طائفة وأشار على القومدان والكلربكية بما رأى فيه الصواب وطمنهم وشد قلوبهم وعاد من يومه الى حاق الوادى لاحتياج عساكر المسلمين اليه فى هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والفرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم قادمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلى الاعلى * ووصل فى هذا الاثناء

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع فى الاشراك وأما الفرق بين الحى والميت مع اعتقاد ان الحى يخلق أفعال نفسه وهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلى ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع مطلقا بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجورى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفى حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منه اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والمسجد وحديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تنفع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج فى المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال

فى بكلربكى الجزائر سابقا أمير الامراء العظام أحد باشا الاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حاق الوادى فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد فى الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وألقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد بقوا تحت الارض نفبا طويلا وصلوا به الى موضع كان كمرك خانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الارض وملؤه من الرجال وآلات الحرب فظن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذى فيه حضرة الوزير

فتوجه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من الصارى المخذولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذى وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء ماء البحر فتشاور الوزير مع الأمراء وأصحاب الرأى فى ذلك فما وجدوا للذلك حيلة غير ان يدكوا الخندق بالتراب ويبنى عليه المتاريس فامر الوزير المذكور عساكره بذلك فشرعوا فى نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب استعانة بمرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييدا لملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الامراء ذلك فبادروا بانفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فهبوا اعانة لاهتمام

وأقدموا بهمة الاقدام وحملوا التراب كالمثال التراب ورموا بها فى الخندق الى ان امتلأ فارتفع وزاد فى الارتفاع وعلوا المتاريس فوق ذلك الى أن اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصاروا مشرفين على القلعة فحملوا على الكفار وقتلوهم وتحرقوهم بالنار وذوقوهم الى جهنم وبئس القرار وبوصول رمضان باشاومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم بوطاق معه خدمة يؤدبها فارسله بمن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التى بقرب تونس موجه الله ويل فى جهنم من جهاتها وحط عليها مع من هناك من الكفار كبيرها والامراء والعساكر

فى كتابه العزيز من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبى صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة الصريحة فى حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فكل من مات مؤمنا فانه يدخل فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وهى ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها فالطالب للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى التطويل بسط الدلائل فى ذلك مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما تهجمهم فى المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للصحابة والعائدين والاموات من الشرك الاكبر الذى يباح به الدم والمال ولا مستند لهم فى ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة فى بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس فى الدين وتضليل لاكثر الموحدين وانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة ويرغبون اليه ويخضعون بين يديه والذى يوقع فى الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد فى كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحى والميت فانهما مستويان فى ان كلا منهما لا تأثير له فى شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه والدعاء الذى هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وساق كذلك كثيرا من الاحاديث والآثار التى جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

والمجاهدين والكبراء واستمر حصرة الوزير فى محاصرة حاق الوا والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والامراء والرجل فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال ست مضين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم وبئس القرار وعيرز ذلك واستولوا على سراحب القلعة كبير الصارى المخذولين وكذلك أسروا سلطان تونس أحمد بن الحسن وقيدوهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من الصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل

الاسلام والمؤمنين واستشروا بهذا النصر والفتح المبين فانه بعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التي أحكمها اللئام وأقواها في المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام * ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المذكورة بنتها النصارى في سنة ست وثلاثين وتسعمائة وكملوا استحكامها في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا في ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعدد السنين التي أحكم فيها بانيها كل يوم سنة * ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة حدودها (٢٥٨) لبعدها عن الباب العالي وطول مداها ورأى ان الأولى هدمها

وتخريبها وهدمها حجرا حجرا وتركها خبر الأثرا وأعملت المعاول في رأسها الى أن وصلوا الى أساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها الهوب الصبا والشمال ولا يسمع بها الا داع أو صدى لا صباح يوم أو صدى ولم يبق بها أنيس الا العفاسير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالي الى جهة الباب الشريف العالي والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعو بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وحاد ملكه على الدوام

وهذا دعاء لا يرد لانه يراه بكل الورى والملك تراه بلا شك أجيب لأنه

كثير من ذلك ولا بأس باعادته فيها حديث النصر بالرعب الذي رواه عثمان بن حنيف رضي الله عنه وفيه يا محمد اني أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضي الله عنه وفيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك الحديث وفيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقي لامته والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور وفي كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون فهي بالنداء وخطاب وهي أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يا رسول الله اني جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وصح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه وصح أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه وفي الشفاء للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حدث رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وا محمداه فباطفت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء في التشهد الذي يأتي به المسلم في كل صلاة وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وان فيه السلام عليك أيها النبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى أرضا قال يا أرض ربي وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء في آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا وادا أصل شيأ أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يحبسونه ففيه نداء وطلب رفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أعيثوني فان لله عبادا لا نراهم قال العلامة ابن حجر في حاشية الايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي

﴿دعاء يؤتى به في السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر

* اذا مادعوا يا أمته الملائك ويوجه البشير كأنه الصبح الصادق يبشر على الخافقين رايات النصر الخوافق مايدب ويملأ رايات الفرح أقطار المغارب والمشارق وكوكب الصبح محياب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره ثم لما فرغ حضرة الوزير من مأربه من حلق الوادي وفعل في تلك الوهاد والمهاد والأوعاد والاجياد ما أراد توجه بعسكره المنصور الى تونس لتطهر طلعتها الغراء من هام المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون في أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله البكار بكرة الدين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين كيف وقد نشؤا على الطعان والقراع كما شأ الاطفال على الرضاع وصروا بدماء الكفار ضراوة الأسود والسباع بما تفترسه من

الصيد ومن جياع وحل باقدامه حضرة الوزير المعظم على من فى القلعه حملة الاسد العثمى وسابقت العساكر المنصوره الى استئصال أعداء الدين سبق السيل العطمطم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا فى سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله فى دار السلام واستمر عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزام وحد السيف والحسام الى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة قد حسلوها ووضعوا السيف فى الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثه آلاف دراع معلعل من فرقه الى قدمه فى سابعات الحديد ورمى بسه الباقون من أعلى القلعة الى أسفلها وهم رهاء جسه آلاف نفس رلوا على أقدامهم فى الرمل وهر نوا قد رميه بهم أو سهمين

وشرعوا فى التدرس بأتربة ورمل أرادوا أن يحصنوها والمسلمون مشغولون بقتل من بقى فى القلعه وهب الأسعة والاسلاب فوجدوا فيها أحشابا وألواحا أعدها الكفار لاتقان القلعة واحكامها وبارودا كثيرا وسدادع وأسلحة وآلات الحرب وتكسيما طا كثيرة الاوراد هم وكانت القلعة حسب المحله غير محكمة البناء وعلموا بهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية عن اتمامها واتقان احكامها فلو تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم وذلك العام لكانوا أتموا تلك القلعة اتماما قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها ولذلك ولكن سابق الله تلك الطائفة أنها ما تقدروا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الجيش العرمرم فى هذا العام قبل استيفاء استحكام

مايدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وذكر الفقهاء فى آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وهيه الدعاء والخطاب للجماد وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما والدارمى عن طلحة بن عبد الله رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربى وربك الله وفيه خطاب للجماد وصح انه لما توفى صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفى رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال واوبياه ثم قبله ثلاثا وقال واصفياه ثم قبله ثلاثا وقال واخليلاه وفى ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم يقول أبى بكر رضى الله عنه قال وهو يبكى بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما اكثروا واتحدت منبر القسمهم من الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه وكنت فاضلا أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال واذ أخذ الله من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآيه بابى أنت وأمى يا رسول لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يالبتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد تبعك فى قصر عمرك من لم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالتفاتات التى صدرت من عمر رضى الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضى عياض فى الشفاء والعراقى فى الاحياء والقسطلانى فى المواهب اللدنية وابن الحاج فى المدخل ويبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفى رسول صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل نعاه وفى رواية الى جبريل نعاه والمعنى هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للعالم بموته أسفا على فقده وكل من الروايتين صحيح فى المعنى وفى هذا الحديث أيضا ما ذاوه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفى المواهب ورثته عمته صفية رضى الله عنها بميراث كثيرة قالت فى مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ● وكنت بنا براولم تك جافيا

القلعة غاية الاحكام وكان ذلك بمن سعادة طالع السلطنه الشريفة العثمانيه وحسن اهتمام هذا الوزير الاعظم ولطف تدبيراته العليه ورقة آرائه الثاقبة الجليه ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا فى عمل مكان تحصنوا فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فيئس الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه فى الوجه والباب فى الباب والسيوف المسلولة من القراب تغوص فى الرقاب والحمام جرندق فى اللمات والحمام جرحى سالت الدماء كالسيل العباب الى ان أنت كاور تلك الرمال شقيقا وصير أحجار الفلاعقيقا وضرب النقع فى السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم

في البيت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستدلوا في ذلك الى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه واستضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا وبي لا اله الا هو رب العرش العظيم هي الباقيين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد القائهم في القليب مشهور رواه البخاري وأصحاب السنن وذكروا ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب وشيء كثير تقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار وكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشيء قام على ثبوته البراهين وفي الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء تركه قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي صاحب حواشي شرح المختصر بافضل ومن جملة ما قاله في الرسالة التي رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى واني أسحل الله تعالى ان تكشف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى وعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة التكفير الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا واعلم أنا كل الذنب من العلم الفاضحة اه والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم الترم الرد عليه بخصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس في انتسابه

الا لاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الافخم السلطان سليم خان لولم يهتم به فهؤلاء الكفار الملاعين لكانوا يستولون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحيطون قلاعها وأسوارها وحصونها وحصارها عليه الاحكام وكانت ترتد عن الاسلام شرقا وغربا وتقوى الكفار العصاة على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلعهم الله المرام وأرل عليهم الخزي والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم ومزق جمعهم ولا يقوم لهم رأس بعد ذلك فالله تعالى يشكر له أيده الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والايادي الحسان ويجازيه لمذهب عن الاسلام والمسلمين خير ادائم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الاعظم العالي الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان * وكان هذا الفتح الاخير في يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل في القلاع الثلاث من الكسرة الخبائث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد استشهد من العراة والمجاهدين ما يوازي عشرة آلاف عازفن عين أمراء الساجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه لحق مصطفى بك وسنجق مملكة مسدلو بروز بك وسنجق برلى مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخانة بايزيد وسنجق اسكندرية

صفر بك وكقدا البنكجرية قهرا ورأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الامان لطائفة من الكفار رأى فى ذلك مصلحة توازى زهاء مائتى نفر ورزوا فى أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مهمة كان يريد الاطلاع عليها منها أن عددهم من المعلمين الاستادين فى عمل الطوب الكار الذى يعمر جميع الكفار عن عمل مثلها مائتى نفر وخمسة أنفار مما لا يطيرلهم فى هذه الصناعة وأمهم وطلبهم وأخذ بخاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يبكوا دائما النحاس ويجعلوه مدافع كارا ويعمل لهم علوفه ويوضع فى أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم (١٦١) وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية

لمذهب الامام أحمد رضى الله عنه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها واتعقد الاجماع على استحبابها وجاء فى فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبرى كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطنى وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من زار قبرى وجبت له شفاعتى وفى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية لابن منده من زارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وفى رواية لابن عدى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى والمراد من الجفاء عاط الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد به هنا فعل الجافى لا أنه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أدى ولا يحور أداه صلى الله عليه وسلم وفى رواية للدارقطنى من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد فى رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية رواها ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى طهر المنكرون لها المانعون منها وفى هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان عمر أى من التوفيق ومسمع وبمجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وليس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم يتندب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف عالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سبعين مطواله لخراب الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد وسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه فى الحج

﴿ذكر قتال الشريف عالب للوهابية سنة ١٢٠٥﴾

فلما تولى مولانا الشريف عالب استأذنوه فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لما هم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ما أمكنه حتى عجز خراب الله خيرا ولنذكر الوقائع التى كانت بينه وبين هذه الطائفة فانها تزيد عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

لما توفى مولانا الشريف عالب للوهابية سنة ١٢٠٥ ﴿

موكلا عليهم من يحفظهم ويلتقط لهم ويستخدمهم فى الخدم السلطانية ويبكون النحاس للطوب الكار والمدافع العظام وطهر حضرة الوزير المعظم فى قلعة خناق الوادوقلعتى توبس عائنى مدفعا لخط توبس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليه العساكر فى كل حين ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والنعم الكثير أنعم على من فى ركابه الشريف من الامراء والكخيا والكلر كية وسائر الزعماء وأرباب التيمار و بلوكات العسكر المنصور وأرباب الحوامل والعلوفات بالترقيمات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة فى المأمول والمسؤل وذلك فى مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وجاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بأنواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع فى كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الامراء والبكاربكية بالعود الى أوطانهم وأماكن حكومتهم مجللين محترمين محبورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني وقبل بأنواع البشر والتهاني وشمله المطر الشريف الخاقاني ونظرت اليه السلطنة بعين القرب والتدانى وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسروانى وقبل كل ما عرضه حضرة الوزير المعظم (٢٦٢) المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اسطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله فى منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وأرغمت الخلق على مشاهدة طلعته والتراب وجهه الكريم وعيون حسرته وصاروا يتحسرون بالنظر الى المجاهدين فى سبيل الله والطالبين الدخول معه ومن معه من المجاهدين الغزاة والاسارى من النصارى يعادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين فى الاصفاد بشديد القيد والنكال ودخلت سفائن الغنيمة وأعنتها الى الاسقال غريبة مرحوفة بالبوارق والسناجق يخفق عليها رايات الفرح والسرور والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح وزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان وملأت جميع اناس مقالها وعساكر اياب السلطانى وردت سفوا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالصبر والتأييد عبد ألوفا بعد ألوف ودخل أيضا القابودان المعظم المجاهد الاكرم الافخم حضرة فلح على باشا المكرم لازال فى حرب البحر مظفرا منصورا مسعودا تقدم وقبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية ما يتمناه من سؤله وما آربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ما حازوه من الاجر والتعظيم والثواب الجزيل الجسيم وباهيك بهذا العز والفخر وقد بقى لهم هذا الذكر الجميل فى صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالى

﴿الغزية الاولى﴾

فاول غزية كانت فى سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فراد عليهم فى الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب بطول الكلام بتعداد تلك القبائل وصاروا بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل وتملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عريق الدسم وشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك ضرية وهى أول قرية من قرى نجد وقتل منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها مكة فهرب أهلها وصيروها مكة ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى ثلة ثم الى قرية وصاح فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكبريتية ثم ارتحل ونزل على عيرة قرية تسام وكان أهلها فى حصن حصين فحاصرهم اياما ثم انتقل عنها الى المدة طالت وستة من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزية الاولى وهى أول الوقعات وفى مدة هذه الغزوة غزا السيد نا الشريف بنفسه على ذوى حسن المارلين بالشاقة وصحبهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التى كانت على الوهابية أو سببهم وهى خارجة عن عدد تلك الغزوات

﴿الغزية الثانية﴾

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية وهى ان سيدنا الشريف غالبا المطالت غيبة أخيه فى الغزوة الاولى شمر عن ساعد الجد وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة فى الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى اناخ على الشعراء وهى قرية محصنة فاحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقبيرة والمدفع والحرب ردا كل يوم ثم طلب أهلها الامان وامنهم وأراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء واما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فاهم قابلوه ولاقاه الشريف غالبا قبل ذلك فى الطريق وعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها فى الحادى والعشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة

﴿الغزية الثالثة﴾

كانت فى ربيع الثانى من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد

والايام ويحمي بحماياتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقى سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية العراء من بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا دار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولقد حكمت علماء أمة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم رحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها اما لا ترسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف القصاص بين المسلمين أقول وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفي عقبهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وأمعنا النظر

لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة وأهم مراد الوامق أول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن يجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والداعين ويقمعون شرائع شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ويزيدهم أهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء نحب أن يدعو به طوائف المؤمنين وأهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لاهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصره سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع مادته الالحاد وقمع جميع أرباب البغي والفساد ﴿فصل فيما أحدثه المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان﴾ وذلك في أول سلطنته الشريفة أمر لاهل الحرمين الشريفين أن يزاد لهم سبعة آلاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الاقطار الخاقانية السلطانية على ظهور الخيل من مصر الى السويس وتوضع في سفائن الدشائش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر ينبع والى ينبع وتوزع على الفقراء وكان برور أمره الشريف العالي ان يضاف ثلاثة آلاف اردب الى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بينبع العاجزين فيها عن السفر الى المدينة الشريفة ويستعينون بها على

عبد العزيز لقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود وصل به الى تربه ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وجعلوا طاعة عبد العزيز وسيأتي انهم سيعودون الى طاعته ثانيا واقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة

﴿ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف وكواخي الملكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧﴾

وفي سنة تسع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي على الملكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفي هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسن ابن عبد الله الحمودي والسيد حسين مفتي المالكية ولم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه

﴿العربية الرابعة﴾

كانت في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك العربية أيضا على من دخلوا في طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وعيدهم وأمر على هذه العربية عثمان المضايفي فصبح جماعة ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هصيبة فانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قيحان وطلع الفجر وحان صال ابن قيحان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فجمع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفي سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

﴿ذكر السيل الذي كان بمكة سنة ١٢٠٨﴾

وفي شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذي خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين حرى عليهم المقدور

﴿العربية الخامسة﴾

في شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين وسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رعوه وبه هادي بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل في دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أدبر به

التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة اردب على فقراء جدة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لاداء الحج الفرض والنفل وذلك مقصد جميل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم في كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جميلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى في الدرجات الآخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها أيضا ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاه زاده قبل أن يلي السلطنة العظمى فانه كان يرسل ألف دينار دهبا توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون (٢٦٤) بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لاداء الحج الشريف في كل عام وكان يحض بعض العلماء والصلحاء والمشايخ ركوة من الاصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء ظهر الغيب منهم فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطاني كان يرسل لهم عوائدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية وكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا في القدس الشريف وفي الشام وفي حلب وفي مصر بجامع الازهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية عبر ما بنى في بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وعبر ذلك رحمه الله تعالى

﴿فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكي في أيامه رحمه الله تعالى﴾ اعلم ان عمارة المسجد ومن الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشراف أكابر السلاطين العظام وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيها في أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الافخم خليفة الله في أرضه القائم بإقامة سننه وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المبيفين واسطة عقد ملوك بني عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان أمطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل

وفرهار بافقصد الشريف عبد المعين ربيعة بمن معه من العربان وكان في ربيعة من تسع ابن سعود ابن قطان فحصره في قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف صاحب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والعذر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده في القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل فاسدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منهم موضع يقال له بريم ثم قصد شعيبا وعرا على موضع يقال له سياح الحيل نزل به أناس دخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فاما مطير فانهم ندير فارتحلوا وأما هتيم فصكهم صكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة في ثامن رجب الاصم من العام المذكور وهذه عزوة مشتملة على غزوات

﴿العزية السادسة﴾

كانت في شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف عالب عزية من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره بقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا في دين ابن سعود وعراهم وتنقل في مواضع كثيرة منها الثامية عد افيها على آل روق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذ لهم قطائع من الابل ورجع سالما

﴿العزية السابعة﴾

كانت في الثالث من شهر ربيع الثاني من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف عالب جيشا وأمر عليه السيد مهيدبن عبد الله بن سعيد وأمره بقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أولا على معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحمو فعرض عليه القوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنفصلية ثم أناخ دون ربيعة فعرض عليه بموهاجر على رأس شدان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة وقطع رؤس اثنين منهم واحرق الثالث عوضع القوم مخافة ان يفلته فعفا عنه وارتحل واخذ في السير من معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي ابن قرملة فاداره عليه الرحى وأخذه أخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة واهرم من بقي من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قيحان ومعه كثير من الابل فاغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الا من فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شدير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قيحان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد مهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ٣

قبرها مارو ضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية فى عقبهما الى يوم الحشر والميزان الى أن يعود القارظان كلاهما
* ويحشر فى القتلى كليب لوائل ﴿وسبب الامر الشريف﴾ تعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار مدرسة الافضلية التى هى الآن من أوقاف المرحوم اسماعيل آغا بن عبد الله فى شرقى المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا بادى الابصار طار الحرم الشريف اصلحوا المحل الذى فارق خشب السقف اباتبديل خشب السقف (٢٦٥) بأطول منه أو نحو ذلك من العلاج

ومن حيد الركاب عشرين دلولا وربط سبعة وأوصلهم الى ربنة وأمر بقطع خصائهم ثم رجع الى الفرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف عالب اذ ذاك بالطائف

﴿العربة الثامنة﴾

كانت فى الحادى عشر من شوال سنة عشر أيضا جهز جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار عن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترعوا وأبعدوا الماشية معهم اهد العرو وافى ربنة فى تربة أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف عالب فى الرجوع وأذن له فرجع ووجده يستقبله فى الاحيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

(العربة التاسعة)

كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف عالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ بمران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشماس وتزايد عليه العربان وقد همهم جيش الوهابيين ومعهم ابن رعار وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من رجال الشريف ثلاثة وأربعون وأحد الوهابيون كثيرا من مواشى البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة

(العربة العاشرة)

كانت فى ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف عالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعد فتوجه عن معه من الطائف الى الاحيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الحرمة وأمر عليها السيد حسن بن عالب فاغار على أهل الحرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم واتصموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكشب واغار على قوم من حرب دخلوا فى دين الوهابى وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روع المعام فدهمهم الخيالة أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد عن معه الى الحاكيه وهى قريبة من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بنى حسين أهل السويرقية ثم انتقل الى موضع يقال له صلبة وعرض معه على هادى بن قرملة بموضع يقال له البقرة فصكهم صكة أى صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ فرس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صلبة ثم أراد عروا آخر

وأما الرواق الذى طهر ميله الى صحن المسجد ونرسوه بأخشاب كبار حفروا لها فى المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى متماسكا على الاسلوب فى أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أخذ ميلان الرواق المذكور وعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة صدر الامر الشريف السلطانى بالمباشرة الى رم المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قبة دائرة أو رقه المسجد الحرام ليأمن من اتصال كل فأس خشب السقف كان مما كان من جانب طرفيه لطول العهد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه

(٣٤ - تاريخ مكة) بخشب أخرى فى كل قليل ادلا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه * وكان له سقفان بين كل سقف محو ذراع عين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب لتمكنها ودفع مواد الضرر عنها ووصلت أحكام شريفة سلطانية الى كاركى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء الساجق المستحفظين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخبرة والصلاح فامر الكاركى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها واشتغالهم بأمور دنياهم وما آثر عمل فيها

يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة * وكان من جملة الامراء المحافظين بمصر كخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكلربكى مصر سابقا فغير الامراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك بارك الله فيه وفى ذويه وأنالهم من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب العدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة وتمور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الاطلع الى آخر المسافة بمكة المشرفة وان (٢٦٦) السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى فى

دبل عين حنين وعينت هذه الخدمة أيضا للامير أحمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له وذلك حسب ما عرض له وأضيف الى الخدمة سبعين جدة المعمورة تعظيما لشانه وتوقيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه أحد فى أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جده ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكتب الاوامر الشريفة السلطانية المتكلم عليه من جانب السلطانية المبجلة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المقصد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الانام بدر الملة والدين حسين الحسينى خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق حزمه آخر على مناطق عزمه وقام فى ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظر والامير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله فى الوفاق والشر جميعه فى الشقاق ولم يكن الرفق فى شئ الا زانه ولم يكن العنف فى أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله تعالى يرفق الله تعالى به وبأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الاطوار جليل الآثار تقدم له معاشرة الابنية العظيمة وحصلت له التجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويش الديواى العالى وهو انسان من أهل الخير

فامتنع العسكر أشد الامتناع ورجع الى مكة

(العربة الحادية عشرة)

كانت فى العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يعبروا هل ربيعة فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فلكهم وأخذ منهم الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنيدة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الحواريس ينظرون له قوما سماهم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى ربيعة ثم الى نربة ثم الى مكة وفى هذه السنة أعنى سنة احدى عشرة توفى السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى ودفن فى قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور وفى قبره وفى شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بنى عمرو أهل اللفاع لقطعهم الطريق وقتل منهم ثلاثة ورمط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن العروات المتعلقة بالوهابى

(ذكر الحريق الذى فى دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)

وفى سابع عشر محرم من سنة اثنى عشرة حرقت دار بناب القطبى لاولاد الشريف سرور وفيها من الاداش ما تصيق عنه السطور وهى خراب الى يومنا هذا وفى سنة اثنى عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستمدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فمازال قائما بدفاعهم وحده

(العربة الثانية عشرة)

كانت فى الخامس والعشرين من محرم سنة اثنى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب فى عريق الدسم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما

(العربة الثالثة عشرة)

كانت فى الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنى عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فاغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا فى موضع يقال له العلم فأخذ من أحدهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف حسة وأربعين من الوهابيين خارجين بضاعة اشتروها من المدينة المنورة ففضهم ووضعهم فى الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش

عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأى منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فانفق الناظر والامين والمعمار على الشروع فى هدم ما يحتاج هدمه الى أن يوصل الى الاساس فشرع أولا فى أكمال الذل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من جهة المدعى ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وأكمله الى منتهاه وبنى قبته فى الابطح وجعل فيها مقسم ماء عرفات وركب فى جداره ثلاثة ابزار من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوش ماء الدواب على يمين الصاعد الى الابطح فى قبلى ستان يريم خواجه الصار الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين طاب ثراها وبنى مسجدا آخر وسبيلا ومنوصا فى انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من أعمال الخير الجارية

آخر فى جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرعرة فتكون هذه

(العربة الرابعة عشرة)

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة بتلك الجهود وارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابى جمع لهم جموعا لا طاقة لهم عقابلتها وأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وحرج بنفسه وهى

(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الحرمة التى كان فيها الوقعة العظمى)

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت فى الحادى عشر من شعبان سنة اثنى عشرة ايضا جمع مولانا الشريف جمعا عظيما من ابطال الرجال وادخر الطراش كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأنفذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادى العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران ووفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرعر ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من لحظان وأخذ مواشيهم ثم أغار على اس قرملة فى الفضلية وذبح فيهم ذبحة عظيمه وفر اس قرملة منهم ما عاد مولانا الشريف الى ربة وحاربهم وقطع محلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح ففاعفيهم وسالمهم ثم ارتحل الى بيشة وفر منها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أتى وبيارتبة وارتحل الى الحرمة وبادها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما فى بعض الايام ورد عليه شريف من العادلة اسمه لؤى وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المدمر والجراد المنتشر فاهتم ولم يصدقه طمأنه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال ووقع القتال بينه وبينهم فكانت هناك ملحمة كبرى وقتل فيها من الفريقين ما يوف على الالفين وقتل من أعلب بدو الاشراف بنى وأربعون شريفا وكانت العلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف عند انفصاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذى القعدة وفى شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر ففرق العرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمى وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال

﴿ذكر الصلح سنة ١٢١٣﴾

وفى غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود اللعمالات والقبائل التى تحت طاعة مولانا

آخر فى جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرعرة فتكون هذه

(العربة الرابعة عشرة)

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة بتلك الجهود وارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابى جمع لهم جموعا لا طاقة لهم عقابلتها وأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وحرج بنفسه وهى

(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الحرمة التى كان فيها الوقعة العظمى)

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت فى الحادى عشر من شعبان سنة اثنى عشرة ايضا جمع مولانا الشريف جمعا عظيما من ابطال الرجال وادخر الطراش كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأنفذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادى العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران ووفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرعرة ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من لحظان وأخذ مواشيهم ثم أغار على اس قرملة فى الفضلية وذبح فيهم ذبحة عظيمه وفر اس قرملة منهم ما عاد مولانا الشريف الى ربة وحاربهم وقطع محلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح ففاعفيهم وسالمهم ثم ارتحل الى بيشة وفر منها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أتى وبيارتبة وارتحل الى الحرمة وبادها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما فى بعض الايام ورد عليه شريف من العادلة اسمه لؤى وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المدمر والجراد المنتشر فاهتم ولم يصدقه طمأنه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال ووقع القتال بينه وبينهم فكانت هناك ملحمة كبرى وقتل فيها من الفريقين ما يوف على الالفين وقتل من أعلب بدو الاشراف بنى وأربعون شريفا وكانت العلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف عند انفصاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذى القعدة وفى شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر ففرق العرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمى وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال

﴿ذكر الصلح سنة ١٢١٣﴾

وفى غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود اللعمالات والقبائل التى تحت طاعة مولانا

الساط ه الشريفة فأ مت على الامير المشار اليه سبعين أسبوعا مرقيا فى علوفته فى معاملة هذه الحدمه ثم شرع فى تحديد أروقه الحرم الشريف وحدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول سنه ثمانين وتسعمائه وأحدثت المعاول تعمل فى رأس شرفات المسجد وطبقاته مستقبله الى أن بلغت السقف فنزل أحشاره الى الارض وتجمع فى صحن المسجد الشريف وتطاير الارض من نقض البناء وأتربته ويحمل على الدواب ويرمى فى أسفل مكة فى ناحيه جبل الغلق ثم قام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمر وانى هذا العمل الى ان بلغوا وجه الارض من ذلك من باب على الى باب السلام وهو الجانب الشرقى من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلفا فأحرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا الى الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانه على ثلاث القاعدة فشرع أولا فى موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام استمر مضيين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور فى هذا الخير العظيم وفرقت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووسع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتباركه وكان يوما مباركا مشهودا مشئوما ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء

الحس فى المبدا والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على سنى واحد فى جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها اذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها ما من جوانبها الاربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخر تبنى من الحجر الشميسى الاصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام ليكون مقيما لها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صف من أساطين الاروقة الثلاثة فى غاية الرينة والقوة وفى أول ركن من الرواق الاول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسى ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشميسى وعلى هذا الموال الى آخر هذا

الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثانى من الرواق الثالث كذلك على هذا الموال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا الموال وبنيت القبب على تلك الدعائم والاساطين فى دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم ووافوا تلك الصفوف بخط مستو وأرز الوا ما كان قبل ذلك من الاروار والاعوجاج والحجر الشميسى نسبة الى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهى حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صفر تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة مسافة مادون ليلة فمكان فى ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الاساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهى أن أساطين الرخام الباقية فى المسجد كانت تفى بجوانبه الاربعة لان الجانب الغربى احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة فى دولة الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل ما حصل من أمر الله الامير سيف الطاهرى الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذى احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك فى محله وصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهى الجانب الشرقى والجانب اليمانى والجانب الشامى على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الابيض وأساطين الجانب الغربى جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الاخر الا أن وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها على نسبة واحدة وهى أن كل ثلاث أساطين من الرخام الابيض يكون رابعتها دعامة واحدة من الحجر الاصفر الشميسى وذلك فى غالب الاروقة من الجوانب الاربعة من المسجد الشريف

الشريف والتى تحت طاعتهم فكان ممن فى حدوده وطاعته القبائل التى حول مكة والمدينة والطائف وسوسعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والحوابارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتى بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام وينادى المنادى بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان وأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو فى شان وفى موسم هذا العام حج من علمائهم جديس ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل أميره على بيك كتخدا الوزير المذكور فخاف العرضى وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار وقد افوا ذر عام ذلك وأيقنوا بانهلاك لكن لما كان فى علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا وسائط واسائط أسدوا كثيرا من أهل العرضى فركب على بيك بجانب الدمرى ولم يطب له القعود وقرر بافندى شمل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيأ لانهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

﴿ذكر حج سعود سنة ١٢١٤﴾

وفى سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كامثال الرمال واجتمع مولانا الشريف فى جمعة ضربت لهما بالابطح وفى الثامن والعشرين من ذى الحجة ارتحل وحج أيضا فى سنة خمس عشرة ومعه جمع عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم ما قبله حدثن ناصر وهى خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشرة من البدو العمايات وقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك مما يليق بحاله وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التى فى أطراف مكة فشمد اخل مكة بالابراج وطاب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج وترس جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود بجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفى أيام منى فى اليوم الثانى عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فمازال مولانا الشريف يسعى بين عربانه حتى كف القتال واتصل الجرى الى مكة وفى كل ناحية وسكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفى هذه المدة التى مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغى والفساد ويكاتب شيخ محايل سعدى بن شار وشيخ بارق أحمد بن راهر ويصادقهما بصداقات كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد

كلها قائمة على أقدامها بغاية الاحكام كأنها صفوف واقفة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهي أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وتطول

ان الذي سمك السما بنى لنا ✻ بيتا دعائمه أعز وأطول

واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الامير أحمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه في غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالدوبين والسداد يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة لا تقتطع منها قطعا من أحد ولا يصر بحاله بل يزيدهم من عنده وبساعتهم بماله مع كمال الدقة في الاموال السلطانية والحرص على حفظها (٢٦٩) وعدم التبذير فيها وأما مأسسه فيوسع به على

الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس في جميع المهام والمشي في تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستقبال رساهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فاحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تحمله ولطفه واقبل جاهي الى مرتبة متفضلا مرارا وأمانا من آحاد الفقهاء بل من أدنى السفراء وما فعل ذلك الا محبة في الله أحبه الله لا لامر آخر الله في قلبه أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما دكرته الا ليعلم جسن تواضعه وتحاقره ونفسه بالاوصاف الجميلة وتحققه فلا جرم أن الله

ماحصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ محائل كان منهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقصعة أبي مكرين عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من الحجاز ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ محائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في وادهم ثم أصرم النار بلادهم ثم عاد الى القصعة

﴿العربة السادسة عشرة﴾

وهي العربة السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقصعة أنهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم تهددوه بالسيف والسنان وبعد ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف يعرفه حقيقة الامر

﴿العربة السابعة عشرة﴾

فكانت العربة السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد مديل ابن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القصعة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى فور أبي العير وعرض عليه دينه على ورقة ورقة ورقة وبعد رأيهم على بني كنانة وقتلوا منهم قتلة شنيعة ورجع الى فور أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلي دخلوا في دين الوهابي فأرسل عربة أخرى معه السيد مديل

﴿العربة الثامنة عشرة﴾

وهي العربة الثامنة عشرة فجهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان وسار حتى أناخ على حلي ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة ببيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشره صفاسنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلي تائبين طائعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بارضهم وتعهدوا انهم يؤدونه ويصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد مديل بن أبي طالب

﴿العربة التاسعة عشرة﴾

فكانت هذه العربة التاسعة عشرة فلما أناخ على حلي استحسن أن يجعل عليها سورا للحيطة من العدو واستأذن مولانا الشريف فاذن له فبناه وجمع عنده من الحجاز والخرائش شيأ كثيرا لحفاوه هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين عقيلون للقتال على رأس أمير اسمه حشر وكان

تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن طهرت العناية الازلية في حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات فالله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده في أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وحصل حيرانة قبال حضرة السلطان سليم الى دار العميم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه في الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه في عمله الميرور وجعله المعمور بالمعمور

مستعينا بالله ولي الامور ﴿فصل في وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثاني وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفاني﴾
لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى في أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا
جنود ولا سيد ولا مسود ولا يخلو منه شئ خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود هو الموت سلطان البرايا بالعاجز
لديه وحلاب كل لم يعاب ودرع الصابر في حكمه درع عارة * وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن
كل ما يخالف أمره ورضاه وعاب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وسيره نورا
روحانيا جوهرا عاليا ياسنيا وهيكلا شريفا (١٧٠) ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم

ومضى الى رحمة ربه الرحيم فائزا بالملك الآخروي في جنات النعيم مخاطبا بلسان الحضرة الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أياصوفيه بتربة طيبة عراء روضة نضرة غناء تسوح بها ورق الاطيار وتبكي فيها سحب الامطار وتشقق أثوابها أكمام الازهار وتلثم خدودها أوراق النهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
فما عين معنى لا تشجى بسائل * على ملك لا يعرف الفقر سائله فان دفنوا أوصافه وشمائله * فقد دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثا حالت عليه ترابه * أنامله صوب الغمام ووابله

﴿الباب العاشر﴾ في سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين المحترمين المبجلين أعظم سلاطين خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر مليك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الثناء مر * ملك اذا ضاق الزمان بأهله

فاحرا ختالا وقد أرسلوا الشيخ حلي واستمالوه فمال واعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا
لقتالكم معهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد مندبل لقتالهم غالب المراجل وبقي بنفسه في
البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون
عن حديقة وتقرر وجعلوا لهم كمينا فلما جسدوا خلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وحجز بين
الفريقين حر النهار وقيل انه لما ظهر الكمين كانت العلبة لهم ثم أظهر أهل حلي الخيانة وأمروا
السيد مندبلا بالخروج من البلد ورسوا الاسوار فامعن السيد مندبل يفكر فرأى ان العود أحمد
فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

﴿العربة المكملة عشرين﴾

العربة المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربانا ساحل اليمن تجاه الاحبة
دخلوا في هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دميثة وقبيلة يقال لها عامد الفرعاء فارسل عربة
من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والموادي وأمر على هذه العربة السيد سعد بن زيد
القتادي فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دميثة وغامد الفرعاء وقتل فيهم
وأخذ مواشيهم ورطلهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

﴿العربة الحادية والعشرون﴾

العربة الحادية والعشرون كانت من وزير القنفذة أبي بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان
قد أداقهم الويل في قتالهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله واطاعه ثلاث قبائل مكرا
وخديعة وهم بالقرب من نفوسهم وبالمتاشر ويجمعوا في مواضعهم وكانوا ان يقبل عليهم ليقاتلوا
معه الوهابيين والمحاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه باليد فاقبل عليهم في معه
من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم في معه وأظهره الله
عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل
الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادي ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم
افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفذة وفرقة تقاتله خارج القنفذة فلما بلغه هذا الخبر توجه في
الاثر فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذي هو فيه عرفوا انهم
لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التي أقبلت على القنفذة

﴿العربة الثانية والعشرون﴾

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان وقاتلهم وأنحس فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم

بحلا توسع فى المكارم وانفسح تكبو السحائب اذ تجارى كفه • فالغيث من راحاته عرق رشح ومكلف الاسدا هصور بدله
فى القفر أن يرعى الغزال اذا سعى المنصوب له على أعلى أوج سرير السلطنة مرادق الخلافة العظمى المرفوع فى أرجاء بساط
البسيطة لواء الملك الاسنى العظيم الاسماء حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان
ابن السلطان سليمان خان نسب كان عليه من شمس الضحى • نورا ومن فلق الصباح عمودا لا زالت أعلام خلافته مرفوعة
على هام الثريا ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا مادام الجديدان وطلع السيران ولمع العقدان
• مولده الشريف فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف فى عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه الشريف ثلاثون سنة وهو ملك همام وأسد ضرغام وهزبر مقدام وسيف صمصام وبحر طامى وملك فخم سيفه مملوك الاملاك وأداره على حسب مراده الافلاك وملأ بصيت عظمته ما بين الممالك والاسماك وحاميه الصبح والليل أسعد الله صباحه ومساءه خداوند كار العالم وسلطانه وامام المسلمين الذى اذا جلس على كرسيه هيبا قدر كرسى وايوانه وهو مبدهير المهد والرضاع مجبول على كرم الخصال وشرف الطباع مشغول اللسان بالذكر والعرفان مشغوف الجنان بالسيف والجنان ممدود الهمة الى معالى الشان معقود الامنية بعلو القدر وسمو المكان لم يزل فاغما ضمره

منهم الاطويل العمر ثم رجع الى القفقدة وينبغى أن تجعل هذه العربة ثانية لما قبلها فتكون هى الثانية والعشرين ثم ان معدى بن شار شيخ محائل جمع جموعا من كنانة وأهل الحواء وعامد العرعاء ومحائل يبلغون اثنى عشر ألفا وعزم هو ومن معه على انهم يتملكون القعدة فاقبلوا هم واشياخهم وأطفالهم ونساؤهم وكان ذلك على حين غفلة من الورى وذلك فى أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

﴿ العربة الثالثة والعشرون سنة ١٠٢٣ ﴾

فتكون هذه العربة هى الثالثة والعشرين ووصل الى الموضع الذى هم فيه قبل العصر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب فى الغنم وقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هى داهية العطلة قبل ان الفا لى بلعوا أربعمائة والحرمى مائتين واحدة لاجلهم وهو واشياخهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت فى مدة الصلح لما وقع منهم من العدر وافسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم فى الطين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده ساط سالم بن شكبان على قبائل رهران وشرع فى افسادهم وساط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من العربان يرمى بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فارسل مولانا الشريف السيد فاخر ابن سلطان بن حازم وأمره أن ينزل عند رهران ويعرفه بما شاهد ورأى فاقام عندهم أياما فظهر له تحقيق الخبر وعرف بذلك مولانا الشريف غالب فارسل مولانا الشريف الى الدرعية رحيمه عثمان ابن عبد الرحمن المصابنى ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا الشريف اذذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتقوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب فقابلهم بالبشاشة والترحيب فاول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرنى بالامارة وأشركنى بمكة تملكها وأطلب منك أن تحملنى فى المجلس لامور سأبديها فاحتملنى معه وحدثه بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العربان ولم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد فى مجلس آخر الا اليوم السمر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذى فيها مما تراه ظاهرية لكلامه فى كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه وكان عثمان دركله أسماء شيوخ

الدين وحاميه بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين وانى أشرع فى هذه الرسالة السيرة معدلته فى الرعايا وأتحدث بما طبعه الله عليه من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب والعطايا وحسن نظره الى الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية فى صفحات الايام فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام وسائر السلاطين الاعلام وكافة ملوك الاسلام فلقد آتاه الله مالم يؤت أحدا من العالمين وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين وجعله ملكا كريما وساطانا بارا رؤفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما واقضا عند مراد به سبحانه فلا يتعداه عاملا فى أمره بتوفيق الله مراعيا العدل والاحسان فيما استرعاه

معانى بنى عثمان غير خفية • وكل الى شأو المفاخر سابق وقد تخمد الشمس النجوم بضوئها • تفاوتت الانوار والكل رائق
باسم مراد ينجلى كل مشكل • عويص وتنقاد الجبال الشواهق وبوهمنا فى ان آدم لم يمت • خنوعلى أولاده منه صادق
ولطف تساوى الحلق فيه فصهم • كما ضمت الخصر الرقيق المناطق بقاؤك فى الاسلام عمر مؤبد • قدم وارق للاسلام ماذر شارق
طالما عمرنى وعمرنى باحسانه وهو شهراده قبل جلوسه الشريف على تخت السلطنة والسعادة وشملنى لحظه الشريف السلطانى
بالحسنى وزيادة واستمر ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه
فوق ما يبدى من المدرسة (٢٧٣) الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأنعم على

أولادى بالتدريس وأولادهم بكل اكرام واحسان لطيف نفيس فلو أن لى فى كل منبت شعرة لسانا بث الشكر كنت مقصرا وما يبدى الا الدعاء لنصره لبيك فيصرا ملك كسرى وقيصرا وانى لاحمده أبا وأولادى وأحفادى فى بلد الله المنيف بالدعاء طول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب وانشر طيب عرف شكره على مر الاعصار والحقب وانى وان أعطيت فى القول سطة • وطاوعنى هذا الكلام المحبر لاعلم انى فى الثناء مقصر وان الذى أولاه أوفى وأوفر فأى جميل من عطاياه يبتغى وفى كل حين فضله يتكرر ولكننى مادمت حيا لشاكر ويشكره بعدى كتابى المسطر

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه السعيد وخلد معارف والمدفع ذا الوزير المعظم الاكرم الافخم ظهير السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور رأيه المصيب الثاقب ومهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور والكبراء الفخام فى دواوين أعظم ملوك الانام ﴿حضرة محمد باشا﴾ المشار الى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرت الله صدارته بسعادته وجده وأدام صدارته فى ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس حضرة هذا السلطان الاعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الامر الخطير ودرذلك برأيه السديد أحسن تدبير وأعانه

القبائل التى يريد الناصر عليهم فكتب لهم كتبا يحذرهم فيها بانه أقام عثمان المصابقى أميرا عليهم وسلطه بيده والخداعة الذين معه لاعلم لهم بذلك كله الا انهم لما خرجوا من الدرعية متوجهين الى مكة أنكروا على عثمان فى كلامه فانه صار يدعى ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين وينهى عليه ويرغب فى اتباعه والدخول فى طيه ومازالوا سائرين الى أن وصلوا العيلاء وهو موضع بيده وبين الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هنالك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم انه يحمى فى أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرقا وردق الربر وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التى معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه فاطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن أخيه ولم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق ولفقها تلفيقا ثم أرسل عثمان مكتابا الشريف عبد المعين يامره بالدخول فى الطين وأول من أطاع عثمان من القبائل الطفيلة ثم الدفعة والعصمة فغزاهم على الروران فاطاعوه بعد قتال ثم غزاهم أسفل وادى ليه على عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسروه فرجع الى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج فقاتله أهل العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشيهم وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف عالب أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور فى الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ما ينوف على ثلاثة آلاف

﴿العريبة الرابعة والعشرون﴾

وهذه العريبة الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه فى رمضان قاصدا قتال من بالطائف بمن معه من العربان فخرج الشريف عبد المعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادى العرج فاقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم تحصنوا فى جبل منيع ما سلم منهم أحد وأخذ ما كان معهم من الابل والدخائر ورجع الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف عبد المعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن على وخمسة من أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه ومازال يراسل القبائل ويعرم مولانا الشريف عالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا من الجنود وأحضر كثيرا من الدخائر والمهمات وخرج من مكة ليلة الثامن عشر من رمضان

﴿العريبة الخامسة والعشرون﴾

وكانت هذه العريبة هى الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العيلاء والتقى باخيه الشريف عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبرة

على ذلك تقدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير والله على كل شيء قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج لسانها وعظم في عين الدولة الشريفة فحل محل انسانها وكبر شأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف نعمة الله وقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جلا للمزيد وربطا للتقليد بديد المزيد وأشرقت شمس سعادته في الآفاق وأورقت رياض صدارته اضر ايراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود مدحه السامية البديعة فكانت كالاطواق في الاعناق والنور في الاحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والامراء والبكرية كبير الا عاد من لم يضرب بسهم وافر من عطاء ولم يحظ بمزيد الافار باعاده وحباه وأحسن الى السادات (٢١٣) والمشايخ والعلماء والموالي وسائر العظماء والاهالي والى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين المطهرين المباركين وأكثر فيهما الصدقات وأجرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الاعمال الصالحات مستمدا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خواطر الاولياء والاصفياء بدوام دولة هذا السلطان الاعظم وقيام دولة سلطانه العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم بهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكتب دباجة وجهه الشريف قبولا يدوم بدوام اصطاوالقبول في طي مراحم هذا السلطان المخوف بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة ما دام الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام العرفدان واضاء البران ومن سعادة هذا السلطان الاعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الحواجا المعظم الاسعد الاكرم الافضل الاكمل الاعلم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن على من كان في فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من بحور الحور وان نثر أزهر المنثور من الروض المطور بعبارة رائقه وألفه البراعة في الالسن الثلاثه وفصاحة بارعة فيها حازها كسحبان ووائل طال ماهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا غرو فانه يغترف من بحر الفيض

والمدفع فامتنع عليهم فتحها وأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هنالك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها

﴿الغزية السادسة والعشرون﴾

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولي عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان عمر معه من العربان وجاءه مدد أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمل فاحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقتال

﴿الغزية السابعة والعشرون﴾

وهذه يدعى أن تكون الغزية السابعة والعشرين ولما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف الاحراب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعد ان قتل كثير منهم الى خيامهم

﴿الغزية الثامنة والعشرون﴾

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يحير فيه العاقل اللبيب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا شذر مذر وعاجلهم على العقود ويعطيهم ما أرادوا من المال فوافقوه وظهر خلل كثير في السور والارواح واتفق السيد عبد الله بن سرور مع جملة من الاشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وعملوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبره ولا يا الشريف عالب بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فارسل من يكشف له الخبر فجاء ذلك الرسول وأخبره انه رآهم يراوحون من ربع التمارة فتحقق الامر عنده فعزم أن يجد السير الى مكة من الطريق الثاني فجاء من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق المشاة ولما انفصل وجاء عن الطائف انفشل أهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فاسرع مجدا في طلب الوهابيين واسترجاعهم بعد ان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا معه اليين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله الويحيت وكان من كبارهم يعهد لهم الامور ويحبرهم عن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأعناها فاتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه له لسلامة أهل البلد

﴿ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية﴾

(٣٥ - تاريخ مكة)

القدسي ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانسي وانه كتب الخط الحسن ومابقل خط هذا الاعصر وتميز في الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه في عصر شبابه الازهر باحث العلماء في دقائق العلوم ورجع عليهم في تحقيق مبهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه فهو العقول والالباب وأتى بالتصانيف البديعة في كل باب وأباه العلم والسعادة ووصل الخطاب ثالث السعدين وثاني سعد الدين مكنه الله من العز المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والتحصيل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه عناية الكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذي الطبع السليم والخلق الكريم (٢٧٤) وهو شهراده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة عناية الاقبال فاطبع في مرآة فطرته الذراكة نقوش صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه الصقيل مرايا المسائل والمسائل والاقصال فلما ولي السلطنة العظمى عرف له حدمته السابقة ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته وعرف قدره وأعلم شانه فاثاب العظماء والموالي العظام ابناءه وكذلك الاكابر والاعيان صعدوا الى جنابه فاحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم عريد الجود والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجميل مذكور وبوفور اللطف والكرم معروف مشهور طالما شملني باحسانه الكثير الوافر وعضدني بلطفه وجميله المتواتر وأسد بيدي أحد الله يده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن عاية الاحسان الي وتفضل بأنواع التفضل علي وشمل بفضله أولادي وذوي فطر الله عزيز بعين عنايته وأطاله اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعده في ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وأيد خلافته الكبرى وأيد وهذا دعاء للبرية نافع * وحسن رجاء للسعادة جامع وقد حفه حسن القبول لانه * عليه سحاب الصدق والله سامع ﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته ورحمته علماء العالم كثرة العلماء العظام الاعالي والفضلاء النعام الموالي والمشايخ الاولياء الكرام والاهالي في بابه الكريم العالي وتحت ظله الظليل المتعالي فهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واسترقت بعد شاهدته رفعته في العلم ومحله واعترفت من بحر فوائده وتقلدت

فصرح الا ويحيت على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالس شكبان ورماه رصاصة من مبارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور جملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يدورون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أتوا على البيوت جميعا ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فويل لهم من حمل السموات ولم يبق من أهل الطائف الا شرذمة قدر بيف وعشرين انحدروا البيت الفتي وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة في بيت الدعريبلغون ماتتين وسبعين فقاتلوهم يومهم بما طال وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم في وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال فادخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقاتلة الامير فلما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا وصاروا بالشهادة وكان قتلهم بقور ابمعنى دقاق اللور وكان جماعة مفرقون في بيوت ذوي عيسى بحوالي حسى كانوا مترسين برموهم رصاص فاخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادي وج وتركوهم في البرد والثلج ومار الوا مكشوفي السوآتين حتى رموا عليهم اطمارا بانيه من الكساء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المحدرات في أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول في الطين فصاروا يأتون كتفوف المسلمين فيعطون السائل الخمسة من الدرهم ملء الكف فقصعها وصاروا العربان كل يوم يدخلون الطائف ويقتلون الاموال الى الخارج فهموا النقود والعروض والاساس والفراش وتهافتوا على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال في مجموعهم كامثال الجبال الا الكتب فانهم شرعوا في تلك البطاح وفي الارفة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والرباع ألوف مؤلفة ومن صحيح البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والصوف وغير ذلك من بقية العلوم شئ كثير وهكذا ما يطؤها رجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عزير الاموال مدفونة في الحايي فحفروا حفيرة في بعض المحال فوجدوا فيها

بدر رفرائده ومنهم من كاتبني بفضله وكاتبته لفضله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أحطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا في الفضل والكمال فانهن علماء الدنيا في هذا العصر على كل حال فاني أتتبع علماء كل اقليم وأسأل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم وأكثر التفحص عن أحوالهم وأصابهم وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم وأستحلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكنني طلبه وأشرد ذلك بين العلماء من كل البلاد وأبدلها بطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا أني ممدا أمطت عني اللثام وأسقطت عذاري عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شوقي للقائهم

عبر المال محا طوا ان جميع الدور كذلك هجروا جميع بيوت أهل البلد قاسيها وادانيها وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى خربوا بيوت الخلاء وان الوعاء فاخربوا تلك الربوع التي كانت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شئ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما عنده الدنيا الا موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار اعلم أهل الدنيا ان بعمارها زوال وخرابها محال أي محال وان الفاطن فيها على جناح سفر فليعد لها جسر عبور ومن أراد الاعتبار فليعتبر هذه القصة وقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم محنة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال الى أحد وهاس الطائف احرزوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما يقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كاتبا الى سعود يعلمه بما صار على الطائف من القضاء الموعود صار بذلك غاية السرور وكان مسرورا بالدهماء راكبا على العراق بعربة فسعة أيام عن الدرعية فاسرع مقبلا الى هذه الاطراف والتقى بابن شكبان فاعاده معه من معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العيينة وهي الى مكة على ثلاث مراحل أتاهم الخبر بعود سعود الى الدرعية وهم كذود على عود وضاع الخبر حيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحاج من جميع الآفاق واشتد كربهم لاسيما مدا سمعوا باصابر على أهل الطائف وما للحج في هذا العام من أمر المغرب وخمسة عشر أنفارا مع امام مسكت سلطان بن سعيد وح أيضا نقيب المشاة في ما وصلت الحوج كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بك قرجي معه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة في ما مر من المألوفات مثل ما حصر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملأت بيوت مكة وطرقها وسواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا الشيوشه حيم بعرفة فحصل للناس خوف وويل كثير فلما سمعه الحاج للوقوف وهي خائفة لم يحدوا أحدا من هذه الطائفة في الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الوصول رمى الحج ولله تعالى في كل شئ حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى مناد سيدنا الشريف ان يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل الالحاد وأول من خرج شريف باشا والي جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تفهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك حج مولانا الشريف امر آه الحوج وعقد لهم مجلسا واشار عليهم بالركوب على هؤلاء العتاة فما وافقه

وانتهين بركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم وكثرت أكثر الناس حيرة بأحوال العلماء وأقدارهم فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم العالمين في هذا العصر في هذه العلوم وبارزهم بها أدنى بارز في هذه العلوم وافضلهم زادهم الله جلالا وكمالا وفضلا باهرا وافضالا وكل ذلك بشريف انتساب هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الانام جل الله وجوده الاتم وأكرم تعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكثر صلاء الموالي العظام وموالي أيام سلطانه في حلل المناصب العالية العظام وأحرز واقصب السبق في ميادين المراتب في ظله الظليل المدام أدام الله تعالى لهم دولة الى قيام الساعة وساعة القيام

وأما مرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأدخلنا بركتهم في عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرا وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى لهل زوايا أصحاب الرتب والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقد فيهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منه ما يستنكره حمل فعله على قصور افهامكم فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه يحفي حاله على الناس فيحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل * وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أسطم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا ونسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا ويدخلنا في زمرتهم ويبعدنا

عن المشكرين عليهم ﴿فصل﴾ ومن أعظم مآثره الجليلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم المندرج في رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى أن انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة عامرا الى أن تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم وبرر أمره الشريف العالي الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا اقتفار الامراء الكرام أحد لثان (٢٧٦) يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في انجاز عمارته بكمال

السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك سائر حسناتها الى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام جميع شرفاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام سعد السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الافخم وأيد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل واسمح وتم ولله الحمد بسعد طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وفوه عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر ونقية للخاطر وجلاء للمواطر وضياء للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان هذا البناء الشريف أمكن وأرين ولا

أحد على الخروج والركوب وتعالوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فتضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بعير بعير فما قبلوا قوله بل قالوا يكاتبه كل ما يكاتب ويرشده الى الصواب فان رأى هو المطلوب والا فحق عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وضعف عزاها فأعاد لهم الجوابات وشجعها الكثير من تزويره وأنا طيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك وأشار عليهم مولانا الشريف ثابيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عز وفخر وتكمل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لا بد من اعادة المراسيل وراموا حصول أمر مستحيل فأرسلوا رسلهم بمكاتيب مرة ثانية فاعاد جواب كل مخالف ما أمله وأحاهم حتى عالت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأحمله عبرة للايام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعلم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلايه اتاح وعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا الس العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثمان عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة فبقي الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار وونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير قد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الا أفسدها ولو لم يكن الا قصة الطائف وما فعله بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم اعاما على فرس وطلب منه اما بالجيران بيت الله الحرام واما لا يحضر لسكان مكة ذمام واما يكون هو عامله فيها واما أن أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سدل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ القيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والمولا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل صيانة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت

وأعلى وأشرف وكان الآس ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كاطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب الفلال الشداد وشرفات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلى وأشرف وأجل وألطف وأرفع وأنحف فبنى ذلك بالرخام الابيض المرمر والحجر الشبيسي المحبوب الاصفر كانه سبك الذهب أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطان المستطاب يجلى الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بما كتبه المنسوبة الحاذقة الجيلة وشرع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان

واخترت أخصرها لانه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت جدد المسجد الحرام مراد ٭ دام سلطانه وطال أوانه ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحبشي قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هاهنا بحسن اشائه ولطف مساه وسلامة لفظه وبلاغة معناه وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى (٣١٧) أولئك أن يكونوا من المهتدين ٭ تم الفراغ

ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله ولهم يده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله تتوالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف والشرح وقال أحمد لله شكرا فقد أولانا أرضه وعمرانا وخيراً وأمر كاتبه ان يكتب كتاب الامان ليحصل لاهل مكة الاطمئنان فكاعدلم يزد على الخمس الاسابيع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاعوان وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا اما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا جابا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدا ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحصر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القاضي وبهبة المعاني والعلماء ومارالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد ثانيا على درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فاخذ المفتي عن يمينه والقاضي وعن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم صمته بهته وجاءته سكتته ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ماءها وترابها لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب وانما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل بهر أساء بقاتلنا عليه ويهب مواشينا ويشتري بها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص

في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلقه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين حافظ خواقين العالمين المستغني بفضل الله ظل الله دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان ابن السلطان كان نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه وأكرم مثواه وأنفقه وحسبه وجعله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العزمزم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد العجم الرعايا وحرسها وأطلعه سرا جا منيرا في المشارق والمغارب وملكه فوقا على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محوطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان بن السلطان الخسكار الاعظم مراد لا زال الوجود ببدوام خلافته عامرا ولا برح الايمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد بملائكته الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء ﴿أطال الله لي أنعمه﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم درالنحور وغرب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنشور محطبة وتعريفات السلطان الاعظم في آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورسمه وورد معه حكم شريف سلطاني يتضمن الامر بكتابته

على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الى باب علي رضي الله عنهما في الجانب الشرقي من المسجد ونقرله في الحجر اشعيبي وطلى محله بالذهب في ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك الحجر على صفحات الليالي والايام وهو هذا والحمد لله الذي أسس بنيان هذا الدين المتين على الرحمة والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من أقاصي البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد المدخر ذخرا لاخرة المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود

على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان مراد جعل الله الخلافة فيه وفي أعقابه الى يوم التناد تجديد معالم المسجد الحرام الذي سواء العاكف فيه والباد فتم في افتتاح سلطنته العظمى لازال للحرمين المحترمين حاديا ولأساس الجور والاعتساف هاديا تجديد حرم بيت الله عز وجل بأمره المعز المذل وعمر عامر جوده ما تصعصع من أركانه بعد ما كان ينقض على الجدران كالبيت العتيق وسوره بكل رسة وصورة بعد ما أسلاه الحديد وأكل عيدان أرزبها الارضة والديدان ورفع القبب بوضع الاطواح المبيضة بالاحشاب وبهجه بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب فاد عمره الله شرف الاعمار والمجد الفاخر ثانين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله بالجميل والذخر الرائح قائلين اللهم أدمه في سرير الخلافة محروسا محفوظا من آفة وظافرا على من يريد خلافه مشيد المساجد والمدارس مجدد لكل خير مهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرما آمنا وجنابه للمعتاجين كفيلا ضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمه البيت العتيق تقبل الله معطي السؤال محاه الرسول هذا الدعاء الحري بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الاركان حاكيا رصات الجبان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله المشهور رسم عادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية وكان الابتداء بذلك تجديد بأمر والده الداريج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن

والعام وذكرت في هذا العام عاريا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بعروة الطائف واقبلوا عليكم بعروتكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وأنقذكم من الشرك وأنا أدعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه وأطاب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالوني من والاه وتعادوني من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس ومد يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتي عبد الملك ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم فلما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابس لكم الدين وشرائع الاسلام فلما كان العصر اجتمعوا الجميع وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمصافي معه فنهاهم ووعظهم ونشدق وتكلم والناس تحته ملؤا الحرم وصار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتي عبد الملك ويعلمه الدين لا يتوقف في قوله ولا يرتبك كلما علمه مسئلة يقول له علمها للناس حتى يعرفها الجهلة فكان أول ما علمه من كلامه وسامعه هو قوله اعلموا أيها الناس ان الامير سعود يقول لكم ان الخمر حرام والربا حرام الى آخر الكلام الذي يعلمه البهائم والانعام

﴿ذكر هدم القبب﴾

ثم قال له قل لهم في عبد المطلب والقبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فما أصبح الصباح الا وهم سارحون للمساجد لهدم القبب وقادر الوها يبون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد وما آثار الصالحين فهدموا أولا ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو ولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يتحرزون ويضربون الطبل ويعدون ويلعبون في شهر المحبور التي هدموها وقالوا ان هي الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحبوب وأما أهل مكة فهم الحارضون على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة فما تنكبوا أحف الصررين وبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشي خلف أولئك الصبرة فما مضى ثلاثة أيام الا وما حولها تلك الآثار وفي اليوم السادس من أيام اقامته نادى منادية بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام فكان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنفي والمغرب الحنبلي والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد الملك

السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد بن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرير في دار الحمام وأئل خلافتهم في مستهل الخلافة الى اقتراس الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثنتين وتسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ماهنا لك فله الحمد في الحمة من القصور قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة محله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله الاتمام بطاعته آناء الليالي والايام وأيام الايام في مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا (٢٧٩) يليق ان يكتب في هذا المقام وهو هذا

الملك القاهر وفي اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالدبيش والآلات اللهو ذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسمائهم ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ثم سمعهم يقولون يا أرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا العقيدة النبي ألفها محمد بن عبد الوهاب ومعها كشف الشبهات ووضع فيها شيأ من الكفريات فقرؤها وأوراها ما من التلبيس الذي هو من وساوس ابليس ولم يقدروا على الانكار ثم طلب قبائل العرب التي حول مكة وأعطوه وأخذ منهم من المال شيأ كثيرا بزعم انه بكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا فهدأ أخاسالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع علي بن عبد الرحمن أخي عثمان المصابي يطلب منهم الدخول في طاعته وأخلوه يا رعية سيدنا الشريف عالب وطاعتنا من طاعته واد افرس انا نطيعك ونعصيه هل تطلب منا شيأ من الدراهم أم نصح الدخول في دينك فدوسها الماقرأ الكتاب ورح عليه من الجواب وطن انه حق وهم يسخرون به فارسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه لتلك الاموال من يقبضها في الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثمانى عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعد له مولانا الشريف عالب بالمدافع والقلل فصار يشتتهم ويفرقهم بذلك شذر مذر فحملوا حملة رجل واحد وراموا ان يقفزوا على السور فاذا رمى عليهم بالمدفع يهربون لموضع شاسع ويعودون الى محلهم وفي اليوم الثاني يقدمون على السور ويعملون كما عملوا بالامس فحدثوا مثل ما وجد وا من الامس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فضي عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المصابي يوبخه ويشتمه لكونه هو الذي أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادي ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادي السيد ابراهيم بن سليمان البركاتي ثم توجه من الوادي الى الرمامثم الى الشرف وبعد ارتحاله من الوادي ركب مولانا الشريف من جدة وعزم أهل الوادي انهم دخلوا في الطين فقتل وأسر وأما أمير هم فانه مر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

﴿العربة التاسعة والعشرون﴾

وهذه العربة التاسعة والعشرون وفي أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة ساءت العرب تقطع الطرقات وتذهب الاموال في كل ناحية وليس عنده من العسكر والحديد ما يدفعهم به وفي أيام امارته

حدد السلطان مراد بن سليم مسجد البيت العتيق المحترم بمرمة المسلوب كلها دار مشورة اللواء والعلم قال روح القدس في تاريخه عمر سلطان مراد الحرم انتهى ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر مارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الذي هو مجرى السيل الآتي فان الارض علت واحتملا السيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى أن لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التي في تلك الجهة الا ثلاث درجات بعد ان كانت ثمان وخمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا السيل يقطع ويحمل ربه الى خارج البلد من جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة يعفل عنه نحو ثلاثين عاما وعلت الارض فجاءت سيول طائفة ليلة

الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء في الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد جلبي أمير العمارة الشريفة بجدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف وانصفها والاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم نضحت وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفي ثم أخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين

أكواما فى المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة ونعب فى ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع فى قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبى من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو ممر سيل أعالى مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو ممر سيل قيقعان وحواليه وجرى الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العبية ويجرى فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع المسيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك

تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأى سديد وعمل مهم

ورد عبد الرحمن أبو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا ولم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها عن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا للمولا باالشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا وقال فى كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدى أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومذ حللت بهذا الوادى بجيح رادى فعدلى بخمسة ريالات دقيقا وبخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات عليقا فربما يطول علينا مر الحصار ويلحقنا من عدم الزاد مضرار وأرسل لنا قدر مائة سلم نقوى عليها السور وسهم على البندر المذكور وقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة وأناس من جماعته فاحدهم الحجب من عبارة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب ووصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم تأخروا وامتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال وقال قد أسلم على يدى كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فصحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبو نقطة هذا قتله الشريف جود الخيراتى بعد مدة حل عليه فى وسط مخيمه ففتله وخلف ولدا يقال له دوسرى أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقى بها مدة ثم لما جهز محمد على باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسر المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقى بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة فقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث آل وخلف من جماعته أربعمائة أسكنهم فى بستان سيدنا الشريف عالب الذى بالابطح وفى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف عالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبى نقطة

﴿العربة المكملة ثلاثين﴾

فكانت هذه العربة هى المكملة ثلاثين قال بعضهم وهى حربة بأن سمى عروة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسقط فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التى بجياد فيها من حلفهم سعود وترسوا البيوت التى تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم يناوشه الشريف عبد المعين فيما يروم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم

باقع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى أن تعقد فى كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الارض قبل ان يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف رائد فاللازم على ولى الامر السلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقتفى لذلك فانويا فيقطع هذا المسيل فى كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لحريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه فى كل سيل يأتى ويكون ذلك فانويا مستمرا للسلاطين وبسطر ثواب ذلك فى صحائف هذا السلطان الاعظم نصره الله تعالى ٭ وكانت اليد البيضاء فى هذه المرة فى هذه الخدمة الشريفة للامير المعظم أحمد بك المشار اليه أدام الله عليه وأكرم مبرلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكتبه عبد الله هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى ان الكبرى ٭ وأخبرنى الامير المشار اليه أعظم الله شأنه وأحسن اليه أن الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا لارض المسيل من جهة الجنوب الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العبية من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب حديد سلطانى وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمحارف والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وعبره فيلوث المسجد نزفه وهذا الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة

أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من حلفهم أو نقطة وأثار الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصعب لهم لعما تحت الارض فلما أثار ومرمها برج الى الجو عن ميه من الجند ومع ذلك ما رحوا عن القتال وطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون حمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصار في كل رمية يطرح حايا من البنيان حتى وقع منه شئ كثير فطلبوا الامان فاعطاهم الامان واستأجرلهم جمالا يتوجهون عليها الى بلادهم وأما الذين في القلعة فما قدر العسكر عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما في صحوة النهار ونهبوا أعتابا فثار عليهم العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة وصمموا ولا يأتي الشريف لهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد مثقال وبعد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة حتى ليلة بالخيبة والويل وما طلب الامان الذين كانوا في البستان الا بعد علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار للجميع خمسة وعشرين يوما ثم أقمت قائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف عالب وطلبوا الامان لثقيف فابى أن يعطيهم الامان الا ان يأتوا عثمان فاظهر واصدق دعواهم بعداوته وتكثروا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف عالب رتبة لحافظه الزعماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف عامة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر أبي طالب

﴿العزبة الحادية والثلاثون﴾

وكانت هذه هي العزبة الحادية والثلاثين فاحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمدهم الامير مسعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعدين قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير العزبة هذا الجند مقبلا ارتحل الى قرن وأقام به اياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن

﴿العزبة الثانية والثلاثون﴾

وهي العزبة الثانية والثلاثون لحاقهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف عالب عزبة أخرى

﴿العزبة الثالثة والثلاثون﴾

وهي العزبة الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزير القشعمة أبا بكر بن عثمان متوجه بجنود كثيرة حتى أناخ بركبه موجد فيها القوم فما رأهم وقاتلهم ذلك اليوم وأخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفي شهر رمضان من سنة ثمان عشرة توجه عثمان وتلا سالم بن شكمان لقتال هذيل الشام فمروا بوادي الزيماء والمضيق وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك الوادي وسلبوا النساء واهلكوا الرجال ثم ارسلوا لبني مسعود وهم مجتمعون بحلهم المعهود وطلبوا منهم الدخول في هذا الطين فما قبلوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوا فما قدروا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك من مسعود منهم جانبا عظيما قبل انهم سبعمائة ومع ذلك ما تركوهم حتى صعدوا خلفهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكمان فصاروا يتراسلون اليه من كل جدب ويطلبونه طلب وعير طلب ولما قلت منهم طلب السكال في أمكنهم الخلاف فأخذ منهم شيأ كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمرو أهل اللماع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا سته وعشرين شريفا ونهبوا حلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من اثيابهم وطلبوا الامان وأطاعوه ودخلوا في طيه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع سالم بن شكمان وصاروا ينتظرون عند الوهاب أبا نقطه يأتيهم من أي ناحية وسكه لكونهم نواعا واعلى حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم وارتحلوا فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما وجدوه في طريقهم من المواشي والعبيد وقد موه كما تقسم الغنائم ثم عقم

الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح وجهوا اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية

منظر حسن وزينة عظيمة كأنها سقوف بالاساكف من الذهب غاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة وجلالا وأثمان ذلك خارجة عن القدر المصروف في العمارة الشريفة وكان عمل أقبلة قبب المسجد الحرام بمصر امر بتكاريتكي مصر الآن نائب السلطنة الشريفة هو في هذا الزمان أمير الامراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي العدل والاحسان بعد الاعدام معين روح الله المسيح والاسمى تنزل من السماء والله شأنه عظما وأعش احيائه لعلاء العظما وانسادات الاعلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس ويزيح الحائف معاشه ومرجعه بدر محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الاسوا وأفاض عليه جلائل النعمة الباطنة والظاهرة وجعله من سعادتي الدنيا والآخرة ولما كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمر ما فيها من الخيرات وأبر أجميع ما بها وأهلها من الاوصاب وأنعش أهل الحرمين

ولى رعاياه من يرأف بهم ويديم عليهم بالخيرات الحسان آدام الله سعادته وافضاله ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

﴿فصل فى ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن﴾ اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام فى جوانبه الاربع غير الرياديتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستون اسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه المثبتة أربعمائة اسطوانة وستا وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين حيثما كانت من أساطين الرياديتين فكان فى الجانب الشرقى ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة فى الصف الاول عند باب على فانها من الآجر مبيضة بالنورة مبيضة بالجص وكان فى الجانب الشمالى ويقال له الشامى مائة اسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربع عشرة اسطوانة من آخر الصف الاوسط مما يلى باب الحجلة وباب السدة فانها حجارة منحوتة وكان فى الجانب الجنوبى ويقال له اليمنى مائة وأربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة فى مؤخر هذا الرواق عند أبواب أم هانئ الشريف

وصل الى الليث أبو نقطة بعد تفرق جموعهم حيث فات أوان الربطة فأخذ أبو نقطة ينكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الطادلة وهم فى الجبال لكونهم لم يصل اليه شئ من المال فلما تعسكروا من نصف جبلهم الشاهق تصيدهم الطادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين وكسروهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفى موسم سنة ثمانى عشرة كان أمير الحاج الشامى سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف ان يقى جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقرر صيانة لحماية هذا البيت الامير فابى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لا بد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بك أمير الصرة ان يبقى مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فارسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفى شهر المحرم من سنة تسع عشرة اقبل سالم بن شكبان وعثمان باشى عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها عنهم الفاسد فاراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لا يمكنهم أخذها فنادى منادية فى البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا الموال

﴿(العربة الرابعة والثلاثون)﴾

فهذه العربة الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقه الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا اساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفى كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة ويفرق جمعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم تظفر وا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل وامتلأت من جيفهم الحفر والقنوات حتى صاروا يحدون العشرة والعشرون مدفونين فى محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادى واصبح بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم وقتلوا عربانا فى طريقهم وأخذوا ابلا لمولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم عربة فيها ما ئتان من الخيل الجياد

﴿(العربة الخامسة والثلاثون)﴾

فهى العربة الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا اصادفوا عثمان ومن معه يقاتلوهم فلم يصادفوه ومعه ذلك جهز مولانا الشريف عربة أخرى

﴿(العربة السادسة والثلاثون)﴾

وهى العربة السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والحماية وآلات القتال وجعل الامير عليها لقائد مسرح عتيق الوريد يحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

﴿(العربة السابعة والثلاثون)﴾

فهى العربة السابعة والثلاثون وفيها مائتان من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن رزين العابدين بن عالب وجعل أميرا على الاتراك حسين أغا نفكجى باشا فتوجهت عربة البر فلما وصلوا الليث وجدوا عربة البحر قد سبقتهم ودخل القائد فرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول عربة البر ليست بسبق مثلها وهى ان بعض الاوباش أعرى حسين نفكجى باشا ان يحورق ثلاثة من الاشراف المناديل ٣ فجعل لكل واحد خازوقا وأحلسه عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا فى الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم

الشريف وبنى عمه فقتلوا ظلما وغدرا وكان أمر الله قدرا مقدورا وقضاه مقضيا بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفه الوهابية حدرها، أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمه عظيمة اسعرت عن اهرام الوهابيين بعد ان قتل منهم ثمن كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسن عائف أمير العربية التى أرسلها مولانا الشريف من طريق البرو جمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس يطرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مصرح أعاو حسين أعاو كان محى وحسين أعا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه فى الليث لكونه مشهورا بالشجاعه واعتذر بان باعثه على الوصول بعاد الراد فهر مولانا الشريف غريبة أخرى

﴿العربة الثامنة والثلاثون﴾

وهى العربة الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الاروام وجعل الامير عليها السيد حسن بن على بن سعيد فتوجه عن معه الى الليث فوجده قاعا صفصفا ليس فيه أنيس ولا من اليه فيروا نيس فعاد وامن توجههم الى مكة فتحث منهم سيدنا الشريف وتحث من رجوعهم ثم حفر عربة أخرى الى جهة الوادى

﴿العربة التاسعة والثلاثون﴾

وهى العربة التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شبير بن مبارك بن شبير المعيبى وأمرهم ان يقيموا بقرية المسدرة ليمنعوا العدو من الوصول لذلك النادى ويطمئن بهم أهل الوادى ففعلوا ما أمرهم به الا ان الماء والهواء تعبيرا على الاروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حامون تلك الحورة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادى الا نحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانشب القتال بينهم وبينه وأرل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهرموا ذلك الجند الذى جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الريما هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لاذاقوهم كأس الويل

﴿العربة المكملة أربعين﴾

فهذه العربة المكملة أربعين ولما بلغ سعود هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل وا تعربه غاية الاستعراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر يدبر ثم رجع القوم من الوادى الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفى مدة هاتين العربين وقعت عربات أخر وذلك انه فى خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة فاذا عمل عملهم بادية الحرم بهوا ما يجدونه من الدهم فحفر عربة عدتها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة

﴿العربة الحادية والاربعون﴾

وهى العربة الحادية والاربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمير والشنبرى فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الريما فلما نزل على سولة بلهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين فرأوا عليا جماعة يسوقون الحمسانه فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضارى واستنجد من معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار يموت الرامق كالرحد ودمعت

فى صف الدائرة مركبة على كل اثنين منها الثمان الى أن بطول فى شكل اسطوانه لرخام مسبوك بهما من الرصاص فى داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة فحوت مكانه فى وسط الحرم مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك فى أيام الناصر فرج رقوق لما احترق هذا الجانب العربى من المسجد الحرام فى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه فى محله فيكون جميع ما أدركناه من الاساطين غير الرخام مائة وسبعا وعشرين اسطوانه واما أساطين دار الندوه فادركنا ستا وستين اسطوانه من جواها الاربعة كانت من الحجر العشيم غير محوتة مالية بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر العشيم فيها فى الجانب الشرقى اثنتا عشرة اسطوانة وفى الجانب الشمالى عشرون ثم فى أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله تعالى صوب الرحمه والرضوان أمر أمير امر ائه محمد هو الامير حوش كاداى فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن

يهدم مقام الحنفى الذى كان بناه الامير مصلح الدين فى ابتداء الفتح العثمانى لما كانت العرب وأن يبنى مكانه مربعا على وضعه الباقى الى

الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأوقعوا الكثير من ذلك الحرب وما سلم الامن فر منهم وانهزم واهريمة شنيعة وقتل في ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمر والشنيوي وقتل فيها كثير من قعطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين الرؤس على الرماح ومعهم ما عفوه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومها السيد راجح في يده صوبا صيبها ومعه هذا قتل منهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله وفي شهر صفر جاءت الاخبار بان شيخ حرب دخل ومن معه في الطين واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وحد عاورهما بعد قتال وحصار واعاره وكان وزير ينبع محمد الحرى من عسكر اليمن ولم يكن له بمكايد الحرب دراية فحاصروه ليالي مع أيام فلم يتم لهم ارب ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الرويثي هارل يحوفه ويصعب عليه الامور حتى طلب واسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداي وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وعكس من البلد ثم توجه وزير ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة وزاره بعض العسكر عنده ولا ما الشريف بانه وقعت منه سماحة في تسليم البلد وفاجري عليه ما حكيا فصادروا نقدا وأمر بسلبه ثم سلبه فسلب وصلب وتوجه يومها مولانا الشريف الى جدة لاحد الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للسفر فكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو بأحد ما يطلبه من المال فاطاعه ورضي ثم سار وعدى وسافر بمركبه فقام مولانا الشريف همة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الذكار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكره أهل الاقدام

﴿العربة الثانية والاربعون﴾

وهي العربة الثانية والاربعون وجعل الامير علي الاروام رسول أغا وعلى العرب القائد مفرح وفي ليلة الى اقامته بجدة وردت رعيمة من ينبع واد اهيها ابراهيم الرويثي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ ينبع وحديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من مخيب الاتفاق وأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يهدد بها الرعية فاجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يحلو عن اتهام فألان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولم تتم ومولانا الشريف ارسال العربة رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا عرسي ينبع وأحاطوا بها رارة واعليها لمدافع الى مصى ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي قتلا ذريعا ولم يكن ابن بداي هناك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عمه له وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا له بالبشائر فارسل الخلع الفاخرة لمفرح أغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول أغا نفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود

﴿العربة الثالثة والاربعون﴾

العربة الثالثة والاربعون كانت في شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف في الشهر المذكور رشح عن ذيل عزمه وركب ممن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن مشعال من طريق كراو أحاطوا بالطائف واحتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وحملت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تقبسه بالمعاول في أحجاره فلم يرد الله عروجل بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار

الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قنديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وطروف ريته ومسارجه فعمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلين حجرة وبنى عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى أيام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العلم بذل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود فاعيد ذلك المحل المحمود من المسجد الحرام كما كان وأعمار زيادة باب ابراهيم فقد كان منها في الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الحوري على يسار المستقبل وفي الجانب الشمالي ست أساطين احداها لاصقة بالمباره التي كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين ثم في أيام السلطان الغوري أرسل أميرا من أمرائه يقال له حسين بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم في حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصر امر تفعا مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد معاذل ومساكن [illegible]

بان عبد الوهاب أنا نقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الحسد فاستعد مولانا الشريف لقتاله وحرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرفية

﴿الغزية الرابعة والاربعون﴾

وهى الغزية الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال والتقى الجمعان عاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت الدبرة فى أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاتراك تقطع فى رؤس أولئك القوم قطع رؤس الكباش حتى فنى من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاتراك وقتل منهم كثيرا فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وطرد خلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفى الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفى الى الزيمة بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل فى طبهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عيس ربيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف فى جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادى مر فى عاشر ذى القعدة وصاروا يهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى عد اطريق جدة أيام اقامتهم أيام مصر وتشريق ولما جاء الحج الشامى لم يدخل الا من طريق جدة ولم يصل الوادى وكذلك الحج المصرى ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج فى هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة وعسير والشام وجميع البلدان غير ما كان فى الحج الشامى والمصرى بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمنى كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامى ابراهيم باشا والى الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجى فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر وجمالا الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفى ليلة من الليالى التى هو مقيم فيها بالزاهر حاء خمسة من الخيل فصاحوا فى أطراف العسكر وكبروا فوجلوا بجيلهم فزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفى وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغون فى الاكرام وفى ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان فى الانتقال الا بعد أن دفع له مائتى كيس من المال وقد تقدم انه فى سنة ثمانى عشره أتى أمير الحج الشامى طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فاخذهم ابراهيم باشا فى هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فما ردادا الا عتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الاثقال وسكن روع سكان البلد الامين عن معه من العسكر والرحال وترس البلد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس قطع الطارق الجوع ووقع العلاء الذى نسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس فى بلاء مبين

﴿ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذى الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذى القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم فى ازدياد حتى انه فى آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز مشحمين وبلغ الرطل من السكر والشحم ولربت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلى والثياب والاثاث يبيعونه بابخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطارين كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحروشرب أناس الدم المسفوح وأكل

بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغنى وجعل العلاء يأول ويتأول وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقاسى أهل مكة فى هذا العام مالم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفى أثناء هذه المدة رفعت الخيانة من بعض الناس من الاشراف وغيرهم وكاتبوا عثمان ومن كان فى الجند من الامراء واستمال بعضهم اسباب السيل وهرب حج ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم فى الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة وأطلع مولانا الشريف على بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لاولئك الفجار فامر بحبس اخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وحبس كثيرا من غير الاشراف من العسكر والعبيد وقتل بعصاه شيوخ العبيد ودخل فى طاعة الوهابى كثير من الاشراف من ذوى بركات وذوى عبد الله وذوى الحرث والماعمة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجى باطاعتهم له ومارال الناس يهاولون ويتهاولون ويخرجون من مكة ويدخلون فى طاعة الخبيث لا سيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات فى جيوش الخارجى كثيرة شاع بأبخس الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ما حل بعض الاشراف من الحبس والاهانة رأف فرسه ليلا وفر ولم يرل سائرا حتى وصل وادى مر وعامل القوم كما عاملهم غيره ففرحوا به فاقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاءه عقودة من الخيل على رأسه ووسلهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فعاد الخبر لمولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

﴿العربة الخامسة والاربعون﴾

وهى العربة الخامسة والاربعون فمروا هاربين ولم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكمنوا فيها وحصل فى ذلك اليوم صحة أى صحة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادى ونزلوا الحسينية واقاموا على أطراف مكة وهم مستقلون فاشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وما كان منهم هذا الا قليل الا لظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون فى الاراح التى حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من اظهر الى العروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأحدوا مواشى أهل الحسينية وتوجهوا الى العامرية لانه بلغهم ان أبراجها حصينة وهى خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا الى مكة عصب عليهم مولانا الشريف لركبهم الحصون وأعاد الجميع مبادرة فى الحال وراد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سراة من الفرسان ان يجدوا بجيلهم مسرعين يسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولى العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين اليها وسبقوا الوهابيين ودخلوها ومنعوهم عنها بالطبنجات لتأخر أهل السدق والرماة

﴿العربة السادسة والاربعون﴾

وهذه العربة السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادى مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن حمى من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا فى مدة اقامتهم بالوادى يايعهم أكثر العربان الذين باطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والحجادلة وليحيان وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ما حل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد فى جمع ما أمكنه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتى بالذخائر والاحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم محو المائة من فرسان الخيل

وسيأتى تفصيلها بعدد كر الاسطوانات المتعددة فى عصرنا ، والذى اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصغار الشبيهى والقبب والطواحين والمصابيح وشرفات المسجد الحرام فهى ما ذكره ، وأما الاسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة واحدى عشرة اسطوانة فى جهة شرقى المسجد الحرام وهى ما يقابل باب البيت الشريف اثنتان وستون اسطوانة رخاما وفى جهة شاميه ويقال له الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف احدى وثمانون اسطوانة رخاما وفى جهة غربيه أربع وستون اسطوانة من ذلك وهو ما يقابل المستجار العظيم ست اسطوانات من الحجر الصوان والباقى من الرخام ، وفى زيادة دار الندوة خمس عشرة اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفى رياقات ابراهيم ست اسطوانات ، وأما الاسطوانات الصغار الشبيهى فعدتها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة وهى عباره عن شكل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهى فى طول الاسطوانة العليا منها مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاه من الحجر الشبيهى المنحوت ، وهى ذلك فى شرقى المسجد الحرام ثلاثون

وارسل

وأرسل معهم أحمد كتخدا وهرع معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشرين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة سبعين قرشا الى ثمانين وفى ثانى يوم حروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فأسقبهم بما يوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضى بن سليمان

﴿العربة السابعة والاربعون﴾

وهذه العربة السابعة والاربعون ثم جاء الحبران الذين خرجوا أولا لجلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عبون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقى بعض منها لحراسة القافلة فسبح لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة فأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتلعوا حصانا وقتلوا فرسين وقد بقيه الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنحنى وهو حصل معروف وجدوا فى حصنه سبعة من الوهابيين فصعدوا لهم بخيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا تلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفى اليوم الثانى من دخولهم جدة وردت أعمام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها وأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحط الاوفر من كراء الجمال وأكروا كل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال واستولى عليه بمكة الناظر عثمان المغربى فرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيأ من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وحمل الشكاية فى منظومة طويلة مذكورة فى التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين من أمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا بالبانوا بذخيرة أحرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كازد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضى بن سليمان وهرع كثير من أهل مكة المقرا مع هذا الرد فتوجه الجميع فى الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذى سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام وأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثرا لجمالة تحوم حول المقعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر بشئ قليل من جدة ويبيعونها فى مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار مما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم فى هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حولهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان اولا والامير عليهم السيد ماضى المذكور وسمع أهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شافيا فى الارزة والاسواق يقولون لهم جئتم أرصانا شرونا فى الاوراق فتعجب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض عما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والارادل وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شئ من ذلك بل كانوا يتلقونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البنانى مفتى المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لاهل مكة من بعض أوائل الارادل وهذه القافلة الراسة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت لحمى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسرى الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب فى شعبان ورمضان وفى تاسع شهر صفر أرسل مولانا الشريف غريبة على قوم من

وفى زيادة باب ابراهيم ثمانى عشرة • وأما الشباب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة • فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفى الجانب الشامى ست وثلاثون قبة واحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة صارة الحرورة وفى زيادة دار السدوست عشرة قبة وفى زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة • وأما الطواحين فعدتها ماذان واثنان وثلاثون طاحنا وفى الجانب الشمالى تسعة وخمسون طاحنا وفى الجانب الغربى ثلاثة وأربعون طاحنا وفى الجانب الجنوبى أربعة وستون طاحنا واثنان فى مأذنة باب السلام وواحد فى ركن المسجد من جهة باب العمرة وفى زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاحنا • وأما المصلبات فعدتها ستة وخمسون مصلى فى جهة شرقى المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفى جهة شامية ثمان وعشرون وفى جهة غربية ستة عشر وفى جهة جنوبية خمسة عشر • وأما الشرفات فعدتها ألف وثلثمائة وثمانون شرفة فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام مائة واثنتان وستون شرفة • فمن الرخام سبع وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشمسى مائة وخمس وثلاثون

بنى لحيان دخلوا فى الطين

﴿العزيبة الثامنة والاربعون﴾

وهى العزيبة الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشهرى أمره أن يقصد بهروه قوما من بنى لحيان دخلوا فى طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادى الطرفاء يسمى شعب الذئب فاغاروا عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من الهلهم نحو الخمسين والباقى من القوم فرحين معهم اسلاب الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة

﴿العزيبة التاسعة والاربعون﴾

وهى العزيبة التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفى السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكملا القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذى فى المدرة فيه جملة من الوهابيين

﴿العزيبة المكملة خمسين﴾

وهى العزيبة المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بنى لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا اخافهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بنى مسعود ذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى اهزموا وتعلقوا رؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفى هذه الايام هرب من مكة السيد ماضى بن سليمان وذهب الى الوهابيين وتعهم على ماهم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فعاملهم بعد ان كانوه وكانهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن مثقال ومعه مدفع كبير

﴿العزيبة الحادية والخمسون﴾

وهذه العزيبة الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شباب أهل مكة وحاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره فى الطريق خمسة أيام وانكسر المحمل ووصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفى أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة اشريف أحد بل أصيب واحد فى يده صوبا خفيفة فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قد تم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا وأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسابك الخيل فى عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من خيلهم

ومن جهة شاميه ثلثمائة واحدى وأربعون • فمن الرخام ثمانية وسبعون منها ثلاث طوال والباقى من الحجر الشميسى • ومن جهة غربيه مائتان وأربع • فمن الرخام اثنتان وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى وفى زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشميسى وفى زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسى لاغير • وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعددها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا فى كل طاق دفتان فيها خوخة تفتح فيها بالجانب الشرقى أربعة أبواب وفى الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه وترك الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات • الاول باب السلام ويعرف بباب بنى شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شئ لكونه عامر المحكم البناء وفى الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه • الثانى طاقان ويعرف بباب الحمائز وبباب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجدد فى هذا الباب غير الشرفات التى عليها وعددها أربع وعشرون شرفة • الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس لمقابلته لدار

خيلهم خمسة من أنجب الكمائل ورجعوا الى مكة وفى ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وجيوش القرب من جبال بنى سفيان وأرسلوا لهم يأمرونهم بالدخول فى الطاعة ويخوفونهم وتتردد بينهم المكاتبات فلما علموا حرصوا بعد ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع وبعدوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليعرفوا المطلب لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم مكالا حسبما جعلوا على كل سيبانى عشرين ريالا وأحدوا سلاحهم وبعد ما سمعت بذلك هديل طارت قلوبهم من الخوف والفزع وأرسلوا لهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه لهم من الاكال مع انهم لم يقابلوه قط وغيرهم اتبعه بعد قتال شديد وقبلوا منهم الدخول فى الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا صيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم وقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا فى الطيب فاروا من جبالكم واسكنوا تهامة فى العابدية والحسينية وامنعوا الطيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتجمع على المشركين فى ربعه فلما بلغ سيد الشريف هذه الاخبار أمر بسماء أبراج فى الحسينية زيادة فى تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هديل القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالمقدرين ارتحلا من الموضع الذى كانا مقيمين فيه وتوجه سالم شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الرد ود الى أتى من جدة بالميرة مرة بعد أخرى

﴿العزبة الثانية والحسون﴾

وفى شهر ربيع الثانى من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد فى الطريق بجموع احتمعت لاخذها فجهز عزبة زياده فى الحفظ والحماية وهى العزبة الثانية والحسون فأصبحت العزبة بالركابى وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فلما بلغوا ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كالغمامة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت المجمجة على ظهور الخيل واستمر ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جمل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أو ثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قلعة من خيلهم وقتل أميرهم حتى وصعا جماعة منهم وأحاطوا بالدين فى الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال وقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العزالة الى الحرم فالقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف فجاءه من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفى الرد الذى بعده حسون وفى شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود مجمعا عاما وطلب جميع الامراء الحضر واعبده منهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المصابى أمير الطائف وما حوله وغيرهؤلاء من الامراء وأمرهم ان يجاهروا أمة القرى من جميع الجهات وان يجمعوا عساكرهم جميع الوارد وبالغ فى منعهم الاقوات والصروا من المجمع على ذلك وفى عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المصابى فاستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين فى الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول فى حاشية كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى وفجروا عيونا وطبعوا نقودا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر بقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التى هدمها وأخذ يتعهر بشغل المعاول وحرق الدورة وجمع المكاتل والرمل بطلب من القبائل لعمارة العين فمضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هديل التى والشام وثقيف وغيرهم من الانام وتوجه بهم وخيم فى المضيق ثم ارتحل بهم ونزل فى حدود الحرم وفى شعبان أرسل عشرين خيالا

الباب والذى قبله على أحسن وضع وعدد ما عليهما من الشرفات مائة وخمس عشرة شرفة وبالجانب الحربى سبعة أبواب * الاول طاقان ويقال له باب اران لان عين اران قريبة منه وقد جدد هذا الباب بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرفات ست عشرة شرفة * الثانى طاقان ويعرف بباب البغلة بناء موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يعمل عليه من الشرفات * الثالث الصفا لانه يليه ويعرف أيضا بباب بنى مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرفاته سبع وعشرون * الرابع طاقان ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرفاته تسع عشرة شرفة * الخامس طاقان ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته عشرون * السادس طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف بجلال لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرفاته عشرون * السابع طاقان ويعرف بباب أم هانئ وقد جدد هذا الباب بناء حسن لطيف واسلوب

طريف وعدد شرفاته ثلاث عشرة شرفة * وبالجانب الغربى ثلاثة أبواب * الاول طاقان ويعرف

فانتهت ركضا الى جبل المخضا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البرار فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا ولم يحدوا لهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور رمعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم بعد وضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندق والمدفع وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى المدرة بمن معه من القمرة وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا ينسلون اليه من كل مكان فرتبهم لقطع الطرقات فحل لمحاصرة جدة وقطع طريقها واهس شيخ ربيد ومعه جماعة من أهل الكيد فعيموا اتجاه جدة بحيث يردون من آبار عليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وحضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر ويقطعون من يرد الماء وكثر العطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب ومابرحوا على هذا المنوال حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الحادلة وبعضا من هذيل ان يجموا على الشريعة ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يجموا على وادي نعمان ومنعهم العرب السارلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يجموا بالحصن الذي شيده بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من يمر عليهم من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من المحرمين المعلنين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الا ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لاجل أخذ ماله

﴿العربة الثالثة والحسون﴾

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا اسل الشريف التي كانت في العكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي العربة الثالثة والحسون وساقوا خلفهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل الندوية ان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من يمر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وحملوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا سليما يباطا عنا في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع وبما فعلوه في هذا الشهر المعظم اهم منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاعراب حتى انهم قتلوا شخصا معتمرا عند الزاهر

﴿العربة الرابعة والحسون﴾

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي العربة الرابعة والحسون فالتقوا بقوم عثمان باسفل مكة عند الطحاء قريش فوقع القتال بينهم وصالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سليمان ودخل قوم الشريف برأسه محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فلكوها قبل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فلكهم اياها والا فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يشير

الباب أيضا لعمارة قصره لان قصر العوري مبني عليه * الثالث طاق واحد ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون في العالب وكان قديما يسمى باب بني سهم وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته ثلاث شرفات * وبالجانب الشمالي خمسة أبواب * الاول طاق واحد ويعرف بباب السدة وكان يقال له باب عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته ست شرفات * الثاني طاق واحد ويعرف بباب العجلة ويعرف بباب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم أيضا وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته سبع * الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي ولم يجدد هذا الباب أيضا * وطبقاته ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي وقد كان هذا الباب قديما طاقين الى أن أمر المرحوم الامير قاسم بك ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقا ثالثا ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما كانت وعدد شرفاته اثنتان وعشرون شرفة

* الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك سعودا

سعود ذلك وفي هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من ماشية وثمرات وعامد وزهران وقحطان وخرجة من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عند الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا في الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا وعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذي لا مزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذي تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان هذه المدة وأما الغلاء الذي كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر وبلغت في هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت رياليين وبلغ الرطل من التمر والبن ريالا ومن باله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن رياليين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الرز ثلاثة ريالات ورطل الذرة ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نقد ما بايديهم من النقود فاشتروا بالاثاث والثياب والحلي ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى في القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود الى اليه والبطاط بعد حرقها بالنار ويأكلون شيأ يسمى الاخريط وهو نوع من النبات فأتى وجوه الناس وأرجلهم نفخا وأورام ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون في الاسواق وربي كثيرا من الاطفال موتى في كل رفاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الفرات والكلاب وكل ما يحدون من الحيوانات ومضى على الناس شئ لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل زر الخشخاش وزيت الهوى والصمغ العربي ونوى التمر وكل شئ لين من الحجر وهلك الضعيف وافتقر الغني فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكتسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها رخيصة وصار يعيشون في الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال حوفا من السطوة عليهم في الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها محموما حتى لم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة في المسجد الحرام وعلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذي القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن ماعي أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وبدا كراسي الصلح وانحسام هذا الجرح ورجع في يومه الى الحسينية يخبر بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين وهب عثمان ابا للشريف كانت ترعى في أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر

﴿العزبة الخامسة والخمسون﴾

وهي العزبة الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمر والشبيري وبعد ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا

﴿العزبة السادسة والخمسون﴾

وهي العزبة السادسة والخمسون فلما وصلوا الى ذلك الموضع لم يجدوا أحدا

﴿ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة﴾

ثم رجع عبد الرحمن بن ماعي من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم في الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون في طاعته ويكون أمر

الخمس أولها منارة باب العمرة عمرها أبو جعفر المنصور ثاني ملوك بني العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الاسفهاني في سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها في زمن الصيف وبقية سائر المؤذنين ثم صار في زمن التقي الفاسي يؤذن رئيس المؤذنين باب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا ليالي رمضان في المنارتين فان رئيس المؤذنين يصعد فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في القصير واحدا بعد واحد وكذلك في العيد والذكر بعد التوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهي عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحدا الا أنهم عبروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم وكانت على أسلوب منائر مصر يعلق عليها في رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعواد مغرورة في قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك في احدى وثلاثين وتسعمائة وثانيهما منارة باب السلام عمرها

مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ماذهب منها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأدل لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق و ينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم ابن شكبان لاربع بقين من ذى القعدة ومرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل رواق وسكة وجعلوا يركضون فى الطواف و يشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ثم حجوا بالابطح وفى اليوم الثالث من ذى الحجة وصل عبد الوهاب أبو نقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفى اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامى يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زيادة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة جمال وكان فى مجيئه وقع بينه و بين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه فى الطريق فجلس له بداى شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جمازة شيخ جهينة ومعه قوم كثير فى جمال كثيرة فيما ولا قتالهم ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكر ان تصعد لهم فى الجمال تحميهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأدركهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبى نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج رحلوا بالحصى وفى هذا الاثناء جاء أبو نقطة لمرسل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا مع خنا وألبسه فروا وسمورا وشالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحج الى الحادى عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الحدرى فانى منهم خلقا كثيرا حتى صار يحتفرون لهم حفرا و يصبون الموتى بعضهم لبعض ويدفنونهم فى الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أضعاف يستأجرون أنفسهم فى مايحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمامة ونزح العانة من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أسر الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبى أطفالهم وأخذ أموالهم فنعهم عنهم وسخر هم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف فى افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محاكمه وأرسل وزيرا الى ينبع ومعه جنود خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ورتل هوالى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر بساحة على نفس باب البحر المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عدوة وفى غاية ١ صر وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم جمدس ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فرحلوا للاقائه واتجهوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها انعام أمر الصلح ورتل جمدس ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التى يكفر فيها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع فى حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لاداء الصلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التى ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه وهى عن تكرير الجماعة فى المسجد الحرام وان لا يصلى الا امام واحد وان يقتصر واعلى الاذان على المنائر و يتركوا التسليم والتذكير والترحيم وانما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا لشرهم وأرطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبة والى جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد ابن ناصر طن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يعرفهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين

الناصر فرج بن برقوق فى ست عشرة وثمانمائة وهى باقية الى الآن وثالثها منارة على وأول من عمرها المهدى العباسى لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد فى أعلاها فأمر المرحوم المعمور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت وأعيدت من الحجر الاسود الشريف وجعل لها دوران أعلى وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم • ورابعها منارة الحرورة وهى بدورين أول من بناها المهدى العباسى ثم عمرت فى زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها ووصل المعمرون لعمارتها وعرعوا منها فى مفتتح محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهى باقية الى الآن • وخامسها منارة باب الزيادة وهى قديمة بدورين بناها المعتضد العباسى لما أى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الاشرف برسباى فى عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو فى حجر يجب المأدبة والله أعلم • وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى بناها على

ورجع بالجواب وسيدنا الشريف مازال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاستاح مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محمسا الشلبى فعاب شهرا ويومين ورجع وفى الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرصى العسيرى وكان أخوه بجدة فجاء مكة لاخذ الثار ووجد تركا قطعه رمح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة فى شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان القائم فى تلك الفتنة نحو عشرين ما بين قتيل وصريع وكانت مدة الحرب أربعة أيام وليالها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عن كانوا أصول هذه الفتنة فانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المصابى ليجعلها قدحا فى مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليجير سعودا بهذه القضية فكان توجهه فى الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ذكر بناء قلعة الهندى سنة ١٢٣١﴾

وفى السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندى وتم بناؤه فى عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفى آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعطلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكين فشمر مولانا الشريف ساعده لاطفاء هذه الفتنة وماخرج الناس من صلاة المغرب الا وقد حدث ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس

﴿ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه فى السويرقية﴾

وفى ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه حج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعد ان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له فى ذلك نصيب ولما وصل ما بين الحرمين لم يطلبه دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فوجه الى الدرعية واتجه أميرها سعود وأعطاه على الدخول فى ديه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يعمل ذلك سعود وطلب منه امارة الطائف حين ايس من امارة مكة فلم يعطه أيضا طالت اقامته هناك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن فى الرجوع فلم يأذن له الا الى السويرقية ورجع اليها كانه محبوس فمكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه فى الرجوع الى مكة فاذن له بعد مضى ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الجالسة وأبى الدود أرسل اليه عمه كانا يستأذنه فى الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكملوا نعمه ما يحتشى منه من الضرب ادوم مضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المصابى بكل ما كان وكان قد بلغه أنه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أى مكان كان فوجدوه فى ذلك الموضع فقبضوا عليه وقالوا محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث فى السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك فى الحل أكثر المدة والسجن وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد على باشا وفض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالحال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له

مع كثرة طالبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد علي باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا خفية مرجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام به الى ان توفي سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فاطر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في تولية شرافة مكة ومانعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مايروم بل اعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمته فان قدر له شئ جيئ الاسباب لذلك الشئ حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطرق مشاقفة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود امارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فارسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فارسل سعود لعثمان ومنعه مما كان وسرح الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذي كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام ولله الحمد بهمه مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التي كان فيها تعلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن يبالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية مرارا يحثهم على تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التي قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة ويكرمهم مولانا الشريف ويهيئ لهم الصيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامي والمصري الى مكة قال الامير سعود لامراء المحملين ما هذه العوايد التي تأتون بها وتعطونها بينكم يعني المحمل الشامي والمحمل المصري فما الوالله قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يحملونهما علامة واشارة لاجتماع الحاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بها بعد هذا العام وان أتيتم بها فاني أكسرها واكد الشرط عليهم ان لا يحملوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابي لانه أتى الا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي فلما قرأ ذلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصري سنة ١٢٢١﴾

وأما المحمل المصري فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادى لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادي في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس ولا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع محمل الحج الشامي والمصري من هذا العام

﴿ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابي كل ما كان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ

الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبعلو مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة قرب ثنية عدي بن مطعم ان نوفل يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في معرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ويسحر عليها آخر الليل وانطفئ قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول أول الفجر ليتمم الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن وذكر التقي الفاسي رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب والمحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجري عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وحاج مكة وشعابها هرون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس منارة وعلى القلعة منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها لعبد الله بن مالك منارة تشرف

عبد الحفيظ العجيمى من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا القضاء بالمدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد على باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢﴾

وفى سنة اثنتين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد على باشا صاحب مصر ان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابى واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد على باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان فى زوال كثير ولم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابى بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتجهيل التجهيز فما تيسر له ذلك الا فى أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل صارى عسكره اسمه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدى والسيد أحمد الطحطاوى محشى الدر المختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقى

﴿ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابى سنة ١٢٢٦﴾

فتوجهوا من مصر فى رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فلما وصلوا ينبع وما بعدها بسهولة الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفى جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفى من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية فى ثالث عشر ذى القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة فى كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد على باشا ثم فى شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد على باشا فى تجهيز جيش آخر وبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزندار المسمى يوسف باشا ويكون هو وابنه طوسون باشا فى ينبع لحماطتها وجهز فى شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالحا أغا السلحدار وجعله صارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالى ارسال العساكر فى دفعات براً وبحراً فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر فى ينبع ومعهم صناديق من الاموال أحدوا فى تألف العربان واستمالتهم بذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وبما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحصروا كرموه فحاموا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فالتوهم الفراوى السعود والشالات القشمرى وفرقوا عليهم من الشالات ملء أربع صناديق وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فراسة عما فرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك بثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر وبعد ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون فى خدمتهم وتقدمهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مصيان الذى كان متأمرا فى المدينة وجاء الامير سعود فى هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما أتم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين فى ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة فى أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية فجعلوهم عسكرا فى القلعة يحمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة فى الليل وأصبحت القلعة

الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة

يدعى هناك فقد ذكر الحسن البصرى ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الاولتين

تعليقه انها كانت خمس منارة فى شعاب مكة ثم قال التقى وقد رأيت الآثار على جميع هذه المنائر وما بقى شئ منها والله أعلم

﴿خاتمة فى ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة﴾

فمنها المواضع التى نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصرى رضى الله عنه خمسة عشر موضعا استحب الدعاء فيها وعددها وزاد عليه مواضع أخر فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكرها مواضع عسير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهى مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم خلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفى المسعى وفى عرفات وفى المزدلفة وفى منى وعند الجمرات وعندها ثلاثة مواضع عسيران علماء ما ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمى عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمى عند الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان

ومكة تاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقاما لهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبرهم الوهابية الدين بالطائف ألقى الله الرعب فى قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفى ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف صربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام فى الاقطار المصرية فى شهر صفر سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد على باشا بشائر الدار السلطنة ببشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندى ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لملقاته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على صفائح الذهب والفضة وأمامها الخورات فى مجامر الذهب والعنبر والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وصربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأتم السلطان على لطيف أفندى وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد على باشا بجلخ وأطواق وخنجرين مجوهرين وسيف مجوهر وعدة أطواخ ولوايات الباشا بوظلن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف عالب مفتى مكة الشيخ عبد الملك القلعى وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابى فاجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعدد ذلك من بدائع المعنى عبد الملك ولا يدرى هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متقنا مصطلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الدين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف عالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جوعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفى ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف عالب ووضعه فى الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد على باشا فى مصر بالقبض على عثمان المضايفى فى شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد على باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه لمحاربة الوهابى المشار بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه فى الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة فى أواخر شوال ونزل مولانا الشريف عالب الى جدة لمقابلته وكان عثمان المضايفى قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد على باشا الى جدة ولم يلتق به ووصل عثمان المضايفى الى مصر فى منتصف ذى القعدة فاركبوه على همين وأدخلوه فى ألاى ابراهيم الدالى ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما فى اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفى فى مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد على باشا وحادثوه ساعة ورأوه فصيحا يحبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون ونزوة فى الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعروفه مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا ان يذهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد على باشا الى جدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفى ويفتدونه بمائة ألف ريال وقالوا ان الامير سعود اريد اجراء الصلح بيننا وبينه والكف عن القتال فتقابل هؤلاء الرسل أولا مع الشريف عالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أوصلوهم الى مقابلة محمد على باشا فلما سمعوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفى فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نجتمع معه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتى بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التى كانت بالحجرة الشريفة

ومكة تعرف بمولد السيدة فاطمة رضى الله عنها لانها ولدت فيها هى وجميع اولاد خديجة رضى الله عنها من النبى وكذلك

* وعد أبو سهل النيسابورى من المواضع التى يستجاب فيها الدعا باب النبى صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحرير وباب القفص وعد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضى مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوسل والمنى فى فصل منى مواضع أخر يستجاب الدعاء فيها نقلا عن الفاكهانى المسند فى مكة فقال يستجاب الدعاء فى ثبير وفى مسجد الكبش وراد غيره فقال وفى مسجد الخيف وراد آخر وفى مسجد الضرو هو موجود الآن بمنى عبر اليه دائر عمر الله من عمره محرفيه النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ثلاثا وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن يكمل بحرتقسمه مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور وراد الحافظ ابن الجوزى وفى مسجد الخيف صلى يمين الذاهب الى عرفات فى هذا العام تحويف فى سقفه تزعم العامة انه لان لرأس النبى صلى الله عليه وسلم فاثر فيه نحو ما يصبع الزائر رأسه فيه تيمنا وتبركا عوضع رأس النبى صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر أعتمده فى ذلك الآن الاثر وارد بسر ول سورة والمرسلات * قال الفاكهانى ويستحب الدعاء فى دار خديجة رضى الله عنها أم المؤمنين وهى معروفة بمكة

وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتي بنفسه ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر واجتمعوا ونصبوا ديوانا وأحرزوا فيه تعليما على صورة الحرب وتارة بالرمي بالمدافع والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد علي باشا مكة احتفل به مولانا الشريف عالب غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله في الشاميه في بيت القطرسي المعروف الآن ببيت باعامة وأنزل ولده طوسون باشا في الشاميه أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت السيد علي نائب الحرم الآن وكان محمد علي باشا يعظم الشريف عالبا غاية التعظيم ويقبل يده ويدخل معه الكعبة ويتعاهد معه وكان محمد علي باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع ومن تحذر الشريف عالب منه انه حبس له ان العساكر الواردة يعني أنها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا ناظر الحامية وكان عند الشريف عالب عساكر موطفون من أهل اليمن أرناءوطة ومنهم من الحضارمة ومنهم من ياقع ومنهم من المغاربة ومنهم من السليمانية الجميع نحو الالفين مفرقين قلقات في اطراف مكة لاجل محاوطة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الالف لمحاوطة القلاع ولا يعلم حقيقة قدر وكان محمد علي باشا وراء من السلطنة بالقبض على الشريف عالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحفظ مولانا الشريف هذا التحفظ ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاقتضى ان يكون القبض عليه عن اشارة ابنه طوسون باشا لانه اشترته ووافاه بالعهد على رغمه واظهر ان بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب وتوجه ابنه الى جدة واظهر انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا وعمل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد علي باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع بينه وبين والده ويتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه ويجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد أكثر عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم يتكدر لذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه واتباعه في الدهليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما اقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومعهما الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجبهة التي تحزم بها مولانا الشريف لأحد هامن وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظره مولانا الشريف ولم يجد عنده أحد من أتباعه وبأب الديوان معلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ما هو حاصل داخله فلم يره مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في طرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ما قالوه

اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلي فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر العباسي صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده ورحمه الرضوان أمر بتعمير هذا الجانب الشريف تعميرة ومسجدا يصلى فيه وبرا يجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة الاثنين من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارتها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة قال ويستحب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن وفي ملحقه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمع يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على طعام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمغرمات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم

 بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف باردحام

فأدخلوه في محل من الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حصرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شيء مما حصل ثم ان طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وارسلها الى والده يخبره بما فعل ويخطر بقية التدبير معه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجيء الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف عالبا له أولاد ثلاثة كبار فيحتمل أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلا بد من الاحتيال على أولاده حتى يقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف عالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أحمد يا يسلم عليكم ويقول لا تهموا ولا يكون لكم فكر في شيء والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحمد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم فاذا طابت نفوسهم بحصول عسكم وأخبرتموهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وحتما وارسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار مما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا قاموا دخلوهم في موضع لائق بهم قبل ان يصلوا والدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا الوالده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف عالب بن مساعد فارسلوا له أحضره والده محمد علي باشا فزاروا سمورا وشالا ثمينا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس عربي بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا حينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعرات الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شيء من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فارادوا احداث فتنة فارسل اليهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استادكم ثم أرسل اليهم الشريف عالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحصرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهبهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم متحفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بجياد وأخذوا ما أمكنهم أخذه والاكثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشرة من سنة تسع وعشرين فضربوا عدة مدافع اعلاما بوصوله واكراما له وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الا السيد

جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس وزمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقصاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ العرب الشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلي الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذي خرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذه من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتي الناس من البدو والحضر وأهل حدة وسكان الاودية في تلك الليلة ويعرسون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونها عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه لزعمه انه يجتمع فيه من الملاهي والعوعاء واجتماع الرجال والنساء وافضاء ذلك الى ما لا يصح شرعا فيكون بدعة ولم يحدث من السلف شيء من ذلك والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت عن ما ينكر فيها من اجتماع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهي فهي بدعة حسنة تتضمن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم

المحروقى فانه كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد على باشا وكان عندهم عصر اقامه فرح لزواج اسمعيل باشا ابن محمد على باشا فاعد وامكانا على حدته فى بيت الشرائبى واحضروا فيه مولانا الشريف عالبا وأولاده لينفرجوا على الملاعيب والمهلوانات نهارا والشلت والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التى كانوا عليها الا المرسل الذى أرسلوا فيه أولا وصنعوا فى ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل فى شهر صفر حريم الشريف عالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس المحاطون وتجرى عليهم النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوى من مقصبات وقشمير وتماسيل هندية وفى التاسع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور أرسله الباشا محمد على صفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى فيسل انه اذا جاء عند أخيه يتهاونون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويحاوطه بعلمائه وتكلمات فيها احتقاره فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد على باشا فقبض عليه ونساه الى مصر فارلوه فى مسرل ولم يجتمع بعمه الشريف عالب ثم اجتمع به وفى الحادى عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور فى وقت العصر ولم يشعر به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات وظهر له بعد ثلاثة أيام من ذلك الوقت صيقوا عليه ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذى هو سكنه ويذهب الى بيت عمه ويعود وحده وبعد هذا الهروب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفى التاسع عشر من شعبان أرسلوا الشريف عالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من خمسمائة كيس التى أعطوه اياها ورودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك ليتوجه الى سلانيك حسما لمادة الامر من تلك السلطنة السنية وفى شهر ردى القعدة جاءت مكاتيب من محمد على باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه الشريف يحيى فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا وقصى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما مولانا الشريف عالب فأقام بسلانيك الى ان توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى وكانت مدة امارته على مكة تحو امن سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول قد تقدم ان الشيخ أحمد تركى كان يشاوره محمد على باشا عند القبض على الشريف عالب وأولاده وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركى كان رجلا مطلوعا له دراية باحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة وكان أولا من خدم الشريف عالب المختصين به وكان يعتمد عليه فى مهمات أموره وكان يعتنيه الى دار السلطنة فى المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد على باشا الى الحجاز حمله ملا رماله فوجده محمد على باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره فى كثير من الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل الحاج بسببه وهو لما أراد الرجوع الى مصر أقام حسن باشا بمكة قائما مقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركى فى مهماته وان يعتمد على ما يقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركى وله أخبار وحكايات مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وتوفى الى ان توفى سنة خمس وثلاثين وصار له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حيدر بن حسن بن أبى نمى وكانت ولايته فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بعد القبض على عمه مولانا الشريف عالب ولما ولاه محمد على باشا امارة مكة رتب له المرتبات الكثيرة

انيوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى هو فيه وينبغى أن يحترم غاية الاحترام لاشتماله بالعبادة والصيام والقيام ويظهر السرور فيه بظهور سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام * وأما المنشدعات السيئة والمنكرات فهى محرمة فى كل مقام والله ولى الاعتصام وقال بعض العلماء وقد اجابة الدعاء فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى الزوال * وفى دار السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد وذلك لسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ولكثرة نزول الوحى عليه فيها وهو بها مولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهو دار الحبيران وهى بقرب الصفا كانت تسمى دار الارقم المخزومى ثم عرفت بدار الحبران والمحل أهو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضى الله عنها لكثرة تمكث النبى صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس الى الاسلام مستخفيا عن أشرار قريش الكفار ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام * وقد وقف بعض العلماء الدعاء فيها بين العشاءين والمختار فيه

من الدراهم والذخائر الا ان محمد علي باشا كان يعتمد في تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شبير بن مبارك المعمي وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور صحبة وصداقة وقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والدراية وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتي وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد علي باشا الذي طوسون باشا وعابدين بك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها عالية مشهورة بالشجاعة في القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العربان لما وقع القبض على الشريف عالت نفوذ طباعهم من محمد علي باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم الشريف راجح بن عمر الشنبري وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم وهزمهم الله الحيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقت الجمال عند محمد علي باشا وصار يشتري جمال العربان المسلمين له بأعلى الاثمان ووقع عليه شديد بمكة واحتكر الباشا العلال الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة توفي سعود أمير الوهابية بالدرعية داره لمكة وتولى مكانه ابنه عبد الله وفي شهر ربيع الثاني أرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة الى ناحية القصدة براو بحرا فاستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها عسيرا أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بك فقتلوا من وجدوهما وقطعوا أذانهم وأرسلوها الى الباشا وأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامي أبا نقطة وساروا الى القصدة بعد مضي ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقصدة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون في سفينة فغصب الباشا فارسل بجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفي شهر جمادى الثانية توجه محمد علي باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأتى حسبا باشا بمكة ومارب العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال ووردت الى جدة في هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التي أخذها الباشا أربعة وعشرين كيسا فصار محمد علي باشا يرغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبري وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتي كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا ثار بقي محمد علي باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التي بالطائف وما وقفه في افتتاح سنة ثلاثين وسار هو بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان المصر فيها له عليهم فملك تربة وريبة وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري وكان يستشيرهما في كثير من الامور ويعمل تدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل في محاربتها كثيرا من العرب وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل يعذب الحبائل لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة وقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لابن أخي طامي وطلب منه القبض على عمه

الختيا ملكتها الخليز ان أم الرشيد شرا لما حكمت وتساقلت في يد الملاك الى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليقته مربي آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الاعظم مراد خان الاكرم الاعظم عمر الله بعدله الربع المسكون وأسعده في كل ما يظهر منه من الحركة والسكون ومنها في جبل ثور عند الظهر وجبل ثبير وحراء ما لفظه ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التي هي حد منى مقدار غلوة سهم أو أكثر وهو مسجد مهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك في أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد له العباس ابن عبد المطلب وابنه بني في سنة أربع وأربعين ومائة والمشار اليه أبو جعفر المنصور العباسي وعمره أيضا المستنصر العباسي كما في حجر آخر بناه في سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الاحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يحتشى عليها الضياع فسد ثرى هذا المسجد وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا أمين

فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على فحين وفى رقبته الجبيرة مربوطا فى عنق الفحين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعمل له حوله شنكا وضربوا مدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به فى البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد على باشا يحول فى بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبدل الاموال ويرتب الامراء فى كل موضع يستولى عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب مهامرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهى باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دوائر الحرابة المرتبة لاهالى مكة وكانت انقطعت فى مدة الوهابية ووجد محمد على باشا ترتيب تلك الدوائر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالمراعات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهى باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطى قبل توجهه الى مصر ووصل اليها فى النصف من رجب وأتى اليه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفى شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وايداع بانطاعة وتحقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد على باشا ولم يحبه هذا الصلح ولم يرتض به ولم يحس برل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة واعتذرا بأن الامير سعودا المتوفى كان معه عساكر وحده هزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه ابن الحلال والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز فانه كان مسالما ودولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم ينقض بينهما مدة ولا خالفه فى شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا فى أيام الامير سعود وعظم الامر الشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذى أمرا بالنزول فيه ومعهما بعض أمراء ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما لا ذن الى أى محل أرادا فكانا يركبان ويمران فى الشوارع بأتباعهما ومن يخدمهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا فى الجامع الازهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا عصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا فى الحجاز الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه وكان وصوله الى مصر فى شهر ذى الحجة وضربوا القدوم بالمدافع ودخلت مصر وكان قد ولد له مولود فى ما غيبته سموه عباسا وهو الذى تولى مصر لما كبر عند عمه ابراهيم باشا كما سيأتى ان شاء الله تعالى وتوفى طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر فى تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقى أمر محمد على باشا بالحجاز وعساكره فى كل ناحية وولايته بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركى والشريف شديد المعنى ولم تقطع الرسائل العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد على باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز فى المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية ولما استيلاء على الدرعية وهى دار الملك لعبد الله بن سعود واسلامه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من سناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضى الى الدرعية وبملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا فى الطاعة الى ان وصل الى محل يقال له الموتان فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وحيا ما ومدفعين ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا

الله تعالى قبل ان يتمه وما وفق أحد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المآثر المأثورة الى يومنا هذا وهو والدى بايع فيه النبى صلى الله عليه وسلم سعود من الانصار يحضره عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فمادى اربه العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الانصار ما قالوا ثم سيوفها وقالوا استثنائل الاسود والاحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمهم الله تعالى بركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه الى المدينة فما أذن لهما فى الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا فى تجديده وعمارته ومنها مسجد المشكاة يستجاب فيه الدعاء يوم ٢ وأنكر الازرقى وجوده وقال القاضى أبو الفتح بن الصباغ الحنفى فى البحر العميق ان بأجياد الصغير موضعا يقال له المشكاة وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بنى شيبة • قلت وهذه الدار درثت الآن

ومابقى منها الا بعض أحجارها وطالما سألت كثيرا من الاعيان أن يعمروها ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد ٢ بياض بالاصل

لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية ليلا فجاء ابراهيم باشا الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر يتعلق به وترك عرضيه واعتمم الوهابية عيبته وكسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر جملة وافرة وأحرقوا الجمالة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوى اهتمام محمد علي باشا وأرسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براو بحريا بعضهم بعضا وأصحبهم كثيرا من الجبخانة والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر المرسلة ازدادت قوته وقوى عزمه ووقع له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت البشائر الى مصر فرح محمد علي باشا الذي ذكر له سرورا عظيما وصرف لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا الذلك شكلا وريبة قيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الريبة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد علي باشا فعل ذلك مهما لأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب والفضة بالاحمال حتى انهم في مرة من المرات حملوا ذخيرة على جمال العرب خاصة من ينبع الى المدينة بلغت أجرة تلك الحمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمرا التكرار والبعوث ويحتاج الى كبير قارون وهامان واكسير جارس حان وادا نظرت الى هذا والى ما أنفقه محمد علي باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شئ لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه الاستقصاء ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن فانتقل من بقي من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بلدا لاعبها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على جمل وأمامه كثير من العساكر وخرج الناس أفواجا للتفرج ركبانا ومشاة رجالا ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف ما وقع فيه من تصادم الملاعب وشدة الازدحام وصربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا بن محمد علي باشا بولاق فأقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا شيري فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب محال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر ولا بدل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى فقال الباشا أما ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم أنه خلع عليه وانصرف الى بيت اسمعيل باشا بولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه ووجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأعوان الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجد باعبد الشريف عالم أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

ووقت لكل بقعة أوقاتا معينه * قال أما خلف المقام وتحت الميزاب وفي السعي وعند الركن اليماني وقت السحر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وعلى ليلة البدر عند طلوع الفجر وليلة المزدلفة عند طلوع الشمس ويعرفة وقت الزوال تحت السدرة وعلى جبل معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس كذا ذكره الفاسي ومن هاجل أبي قيس اسمعي به لان رجلا من اياد يكنى أبا قيس صعد جبله وبنى فيه بناء يعرف به * قال الباكهي ان البناء فيه صحاب وان عدد عادة صعدوا الى مكة للاستسقاء لقومهم فأمروا بالطلوع الى أبي قيس للدعاء وقيل له لم نعلم لحاطئ يعرف الله من ربه الا بابانة الا أجابه الى ما دعاه اليه وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام * قال الذهبي في حرفه في تاريخ آدم وبنيه ما نصه وخلفه بعده شيث اسه ورلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قيس * وقال وهب بن منبه عمر آدم في موضع من أبي قيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام

وفي

وجعله فى تابوت معه فى السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير ذلك وفى أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام وانما هو صهريج كان يعد للماء لما كان على رأسه قلعة قديما ورعم الناس أن ميس أكل يوم السبت فى جبل أبى قبيس رأسا مطبوخا فسلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك فى كل صبح يوم سبت وفيه موضع يرعم الناس أن القمر اشتق فيه للنبى صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بصحيح كما ذكره الشيخ الصالحى رحمه الله تعالى وهو أول حل وضعه الله فى الارض وذكر بعض العلماء انه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حرا ونوقش فى ذلك وفيها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المجاورين يسمى رباط المؤنس وقفه القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهاب الاسكندرى فى سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ويروى عن الولى المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدى فى حلقة هذا الرباط الا تذكرت ووقع فى نفسى كرامة ولى وضع يده فى هذه الحلقة وفى مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضى الله عنها وهو محل فى شعب بنى هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار ويبنى عليه قبة من الحجر الشمبى

وفى هذه السنة أرسل محمد على باشا خليلا باشا ابن أخته لعساكر الى الحجاز فتوجه الى الينبع واستولى عليه صلحا ثم صار محاطا لمكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا ممن أتباعه فى نواح متفرقة وفى شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريهم وأرلادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه فاسكنوا فى القشلة التى بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود وخواصه داروا عند باب مسكة وطفوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون فى الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حريمه اليها فى أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة ووصل هو فى الحادى والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودى بالزينة سبعة أيام وصرف المدافع عدة قدومه ودخل فى موكب حافل وفى أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفى خليل باشا بالحجاز فخلع محمد على باشا على أخيه أحمد بيك وقلده صف أخيه بالحجاز وصاغه ثم سيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز وانه توفى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفى سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كاروا الوهابية وأرسلهم الى مصر وسمر ذلك انهم كانوا هربوا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وركن بن عبد الله بن أخى عبد العزيز وولد عم سعود ومشارى بن سعود لكن مشارى كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجاءتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه فى الحمراء وهى قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من ترحين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا فى تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقد موا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأطاعه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد على باشا ذلك سهر له عساكر وبيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات فى الطريق وأما عمر وأولاده وسويمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فاعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا له الا تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشارى فقتله وكان لتركى ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه فى العرض فلما بلغه مقتل أبيه جاء ممن معه من رجال العرض فقتل مشاريا الذى قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتى ان شاء الله تمام الكلام عليه وأما حسين بيك فانه قبض الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفى هذه السنة جهز محمد على باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسمعيل باشا فاستولى على سنار وهو واضع من السودان ثم قتل فتابع محمد على باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين فى أواخر ذى القعدة بعد القبض على مولانا الشريف عالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد على باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المتعيشى بواسطة الشيخ أحمد تركى لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفى الشيخ أحمد تركى سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقى الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف

أيام السلطان الاقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهم الرحمة والتحية والرضوان مات في سنة خمس وتسعمائة وكسى الثلاثون الشريف كسوة فاخرة وعين له خادما ورتب له علوفة من خزائن الصدقات الشريفة السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من أهل الخير والجميل والمعروف كريما جوادا مولا له احسان كثير وجميل وافر أحسن الله اليه كما أحسن الى وضاعف حسناته ومحاسيا تقبح الى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الثاني وأحسن الى الناس كثيرا وعم احسانه وكان يحب العلماء والصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضي حوائجهم حيث كانوا يعدون أيامه نفحات الدهر ثم قتل مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم والله غفور رحيم وقبره بها عند قبر سيدنا الفضيل بن عياض رضي الله عنه وهما في محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء كبيرا منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالداشي وكثير من مشاهير الصلحاء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف القشقدي الرومي رحمه الله تعالى وقبرها عند قبر صفوان بن عبيده رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي

والعرب وما يتعلق بهما فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما معارضات ومنافسات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس يتوثبون بينهما ويوقعون الفتن بسبب كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدير النفوس فعزم الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاءه الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا بعد صلاة المغرب وقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف فارتج المسجد والبلد وعدت الاسواق وفرع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة فأحضر أحمد باشا العساكر صحبة الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى في داره الى عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد على الشريف يحيى لقربها منه وتهدده بان يضربها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقروا عنترف بانه هو الذي قتل الشريف شنبر بيده حتى انه قيل له انكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال بل قتلته بيدي ولا أنكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أحد في التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركابه ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدرك دخول شهر رمضان وهو بيدر وصام رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه واعتذروا بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين أحد في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد قتل الشريف شنبر أهم الى الامر الى محمد علي باشا ولتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار القصص على أبيهم سعاد افكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجيء للقتال استحسن أن يحول تولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقاتل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال وعقد مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأمر بصورة فرمان بولاية الشريف عبد المطلب وبودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس لهنأوه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى فسر سرور وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بان محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وانه أرسل يطلب له انعرمان السلطاني من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وكان الشريف محمد بن عون اذ ذاك بعسير بلاد محمد علي باشا في عز واكرام لانه لما كان محمد علي باشا بالحجاز كان قد أقام الشريف محمد المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته بينهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير وأرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه الشريف محمد تلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع امرام لتلك العساكر وقتل في ذلك القتال الشريف راجح بن عمر والشبيري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقي بها الى افتتاح سنة ثلاث وأربعين بريلا عند محمد علي باشا في عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر المذكور استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية

والله أعلم

والليافة لامارة مكة فجعل الامر مكتوما وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولى أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد المعين الحرث أمير المصيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها فى الريعان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجهه من الشريف على بن عالب وطلب منه ان يسير معه الى أن يوصله الى مكة ففعل الشريف على ذلك ولما وصلوا قريبا من الريعان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث فى الريعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف على وارسل اليهم يقول ان أحمد باشا فى وجهه ومعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا مما كانوا أرادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحمد باشا الى مكة رجع الشريف على بن عالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحمد باشا واحراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فصم الى القبائل التى كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بها الى مكة ووقع بينه وبين أحمد باشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكانت تلك الوقائع بعضها فى عرفة وبعضها فى العابدية وبعضها فى الحسينية وبعضها فى مر واستمر الحال الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع فى جمادى الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وأيس أحمد باشا من العصر وطلع القلعة بأهله وحريمه واحصر العسكر بعضهم فى القلعة وبعضهم فى البياضية وبعضهم فى بيت جعفر الذى عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها وزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التى كانت مربوطة فى اصطبل خيل أحمد باشا الذى فى جياد وصارت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقلل على القبائل التى فى الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم فى الحارى تحت الارض وبنى بعض الناس متاريس فى بيوتهم وأحضروا المسادق والنار ودور الرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على أن تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتى من طريق الوادى ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها اذا دخولها فيكون فى صبح التاسع من جمادى الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة فى تلك الليلة فى كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الهدا اليه وهى آثرود الحمد دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاحضروه ان الحرب على مكة فخيز نزوله من البحر وركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا فى بيت أحمد باشا الذى عند باب على وكان ديوانا للمحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة فى البياضية وبيت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المفجر وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذى يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقلل على قبائل العرب التى انتشرت فى

الشولى رضى الله عنه ذكر الشيخ خليل المالكى ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر سماسرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا أراد أن يدعو عند سماسرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن ومحلها فوق البئر المعروف بئر آل سليمان الموجودة الآن مرتفعا عن طريق السيل ومنها عند قبر الدالاصى بالقرب من الجبل فالى المرجانى فى بقعة المغوس الدعاء عند قبره مستجاب ومن المواضع التى حرفها أيضا بالقول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرمانى الدشتى طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياء نوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة فى الطريق أجلها كتاب منظوم فى مقابلة المثنوى رحمه الله وفى مكة مواضع مباركة ومواقع مجيبة ومساجد مأثورة غير هذه منها مولد سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه وهو بقرب مولد النبى صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبى قبيس من قفاه فى شعب يقال له شعب على به مسجد يصلى فيه ومولد يزار الا أنه مهدم

الحال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الاطيو ومعه السبعة الحيازة الذين حازوا معه صار كثير من الناس يمرون عليه ويقولون أين يذهب هؤلاء السبعة الى هذه الحدود المجدبة فيهلكون الامر كذلك الى ان جاء الشريف عبد المطلب رجل من ثقيف يقال له مساعد الوهطي وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يعلم ذلك من أحد منهم وانما هذا شئ أراده الله وانما يفعله فصدق الشريف عبد المطلب مقالته وذهب ووجه الى الطائف من طوى بن كرى وبلغ القبائل والقبائل وتركب معه بعض حواصه وأتباعه فلما سمعت القبائل بذلك أتوا مكة واستأمنوا الشريف محمد بن عون فأمنهم وأرسلوا الشريف محمد بن عون عبد المطلب ومعه الامان فأتوه وأرسلوا الى أهل القلعتين وأمروهم بالكف عن رمي المدافع بالقنابل وصف له صفوف بالاطيو وباس فيه جماعة ثروت القبائل معهم وغيرهم وحملوا عليه فكان أهم الجوح والشيلان وأعداءهم الحرار ثم كان بينهم وبين أهل مكة والقبائل معروف بين الفريقين فيقبل الظهور لمن دار الشريف محمد بن عون سرورا الى حدود الوداع ودخلت له المدافع ودخلت الدولة حدود داره وعم الناس أمن واطمأن عليه والناس فيه وأحبت البلاد واطمأنت العباد وعباد الحوف أمنوا سرورا وكان بالله عليما لم يكن في الحج أيسر وكان الشريف يحيى من سرور وأول القبائل من الحرمة على الامر الذي أمن مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادي تحقق عند قدوم الشريف محمد بن عون في أجياد فاره الذي وصل فيه الشريف محمد بن عون الى حد وصل له لو وصلت القبائل الى طرابين حد قنفذة العرب والى مكة وأمنوا وقال حتى ما وصل الشريف محمد بن عون والامارة لم تزل لا أعرض له ولا أمنعه العبور الى مكة ثم انه تحقق عند قرب الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق ذلك القبائل واستحسر قلوبهم الى الشريف محمد بن عون كما ان الشريف محمد بن عون والشريف عبد المطلب وبينهما الفصل معه للجميع فلما وصل الى الطائف جمع لهم المكاتب من الشريف محمد بن عون والتأمين لا سيما وانه يترجى منه شيئا على أشياء المنوع عن الجميع والمعروف انه كل معهد الشريف الذي تكون قاعدته واحدا من أحد أو مكة أو الدولة المورد ما يحسن الشريف يخير العباد الفلح والشريف عبد المطلب من قبل الدولة يمين يسارا وبيده لا الحرب وبعض الطائف رئيسهم بعد أمر أهل الطائف جعل السلاح وأن تكون مواعدة وفي القبائل واصلي الامر الى ما هو عليه أمناه الشريف عليها الى الحاج ويسع له قبائل بني سعد وناصرة وأهل خلة وعامر وعمران وأظهر كل الحدود والاجتهاد في ذلك ولم يكن الشريف يخرج من سرور من محافظته الدولة من معه السبعة اليه وفي معه بالطائف ومعه ولد اما الشريف منصور والشريف حسين وبعض أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن مهيدن عبد الله بن سعيد ابن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف في زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن حسين العطاس شيخ السادة العلوية وقد ص الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف سرور بن مساعد بن سعد بن زيد وتوجه في الحديدة وتوجه في اتباعه مع من قص عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار الشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاءته عساكر كثيرة من مصر من الحلة والعساكر الظاهرية وعليها أمير اللواء سليم بك فلما استكمل وصول العساكر والذخائر وحرائر الاموال في سفن كثيرة وسفاحير كثيرة فيها الجوح والشيلان والمراوي السمورة امامهم وكان استكمال وصول الجميع في شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة توجه بها ومعه أمير اللواء سليم بك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما ليكونوا معهم فأرسلهم الشريف محمد بن عون الكساوي والجوائز والصيافات فارتحلوا المعروض بالعقيق وهو قريب من الطائف حيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف

الآن عمر الله من عمره
ومنها موضع يقال له مولد
سيدنا حمزة رضي الله عنه
في أسفل مكة لا يبقى عن موضع
يسمى باران وهو محيري
عين حسن الى كذا ماس
قال السيد الفاسي
رحمه الله تعالى لم أر شيئا
يدل على صحة ما ذكر هذا
المكان مولد السيد حمزه
رضي الله عنه لان هذا
المحل ليس شعلا بني هاشم
وطول هذا المحل خمسة
عشر ذراعا وثلث وعرضه
سبعة أذرع وربع وفي
صدره محراب ربانه في
الجدار الذي الى جهة مكة
ماس وبني وسط جدره
الآس وامتلأ التراب
ولا يظهر له محراب ولا باب
ولا جدار وهو قديمي
مولد سيدنا حمزة فرحم
الله من أحياه وعمره ومنها
موضع في أسفل ثبل يقال
له حسن الدوحي يقال انه
مولد سيدنا أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يطلع الناس اليه
للسير والتوجه لاشرافه
على مكة ومر الناس من
يقصده للزيارة قال الفاسي
رحمه الله لم أعلم
في ذلك شيئا يؤيد ما ذكر به
غير أن جدي أبا محمد
الديري كان يزوره هذا
الموضع في جمع من أصحابه
في الليلة الرابعة عشرة من
شهر ربيع الاول من كل
سنة انتهى وقلت وهذا

عبد المطلب بمرصون بها الامان وامتنعوا وكان عدده بالطائف نحو الطبقة في قلعة الطائف
فامرهم الرمي بالمدافع المنصوبة لاجل التعرض فلم يقدروا على شماسه وقعلوه وقد الحرب
بين الفريقين ووقعت المدافع أصنامهم اعوض على الطائف وكان عندهم بالطائف نحو قبائل بني
سفيان وعند دليل أهل الشعاب من الطائف الحاكم وقد تعرضوا لهم وصلوا الى المعرض
وأخذوا الامان لهم ولقد انلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا شلة
الطائف وهو بأمرهم بحمل السلاح وكان الشريف محمد بن عون قد استمال الشيخ عثمان المضايفي
الصدق ولبس السلاح وكان من العلماء الذين كانوا من أعداء الشريف حمود بن عون فلما وصل أمر
الشريف عبد المطلب وكان مع أهل الطائف من جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا
معروفين في الناس بعدد السوء والاراجيل لما وصل اليهم وقد ذلك ما فعلوه والعصاة الشريف
عبد المطلب وعدهم بحصول القبائل لديهم ذهب أحدهم الشريف على تحصينهم من الخارجين الايام
والليالي ولم يحضر أحدهم وكان للشريف محمد بن عون بمكة المشرفة عين ابنه عبد الله على اليمن حين توجه
الى مصر صحبة نسيبه ثلاثين وكان له معه الشريف عبد الله بن حسن بن عجلان وعمه عبد الله بن حسن
البيت الذي كان معه في عمارة بسطة وهو المعروف بحسن بن عجلان وكان معه الشريف حمود بن أخيه
زيد الشريف عبد الله حميضة وأخوه الشريف عبد الله في العرض ولم يسعر لان الشريف عبد المطلب
واستمر الحرب بين الفريقين محصورا من وعاونهم من القبائل الطائف وقد أقاموا بهم ظهير بالله
الشقة وصح الشريف عبد المطلب وصلوا الى الشريف محمد بن عون الامان لانفسهم ولاهل الطائف
وعلى انهم يحولون الاتراك عن الطائف فلما علم الشريف محمد بن عون بذلك ارتاح الامر
قبل وقوعه وأرسل الى عبد المطلب الامان له ولاشراف الطائف وأمرهم بالسفر الى مكة المشرفة
الشريف محمد بن عون وسليم بك لذلك أطلق الشريف محمد بن عون سراح جميع من كان معه
ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معه من العرض وتقابلوا مع
الشريف محمد بن عون وسليم بك ووقع بينهم الاجتماع عهود ومواثيق ولم يعلم الشريف محمد
وسليم بك انهما شعبان عن محمد عليا الشاغل عما كان يدبر ثم جعلوا الطائف بكان
في ذي القعدة من السنة المذكورة لما كان الشريف عبد المطلب على الهرب والخروج
من الطائف شدد بعض وكانه وبعض حرسوا وكانهم وسرعوا ومعه أحد الشريف يحيى ما يليه بعض
أتباعه وكان خروجهم خفية من باب السد والذي عند سوق الغنم ولم يعلم الا بعد
علم من حرس العسكر بعد خروجهم فقال بعلم بذلك الشريف محمد بن عون سرورا فاتبعوهما
من أتباعه يقال له احمد بن رشيد وأرسل للشريف محمد بن عون وكتب الشريف حمود بن عون
أخبرهما بذلك أمر اركوب العساكر الحال ليسيروا على أثر من ذهب عبد المطلب
ومن معه فساروا الليلة ولم يدركوهم ثم رجعوا الا بعد مسافة وتوانوا عن ذلك عبد المطلب
سترته بعرسه وسقط عليها فطمروا وتوانوا عن ذلك عبد المطلب الشريف محمد بن عون
وسليم بك وحصل الامن والاطمئنان للاذرار وعرضت القبائل وهم بالقيام بمعونة الشريف
ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن عاتك ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن
عون وسليم بك لمحمد علي باشا جميع ما وقع من شوال من السنة المذكورة وصل سليم بك
نيافه للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن عاتك ومن كان معهم وكانت الصداقة في داخل سليم
بك الى كان ساكنا هو وحسين وصولة مع العسكر من مصر وهي دار السيد محمد المحاسب التي
الشيكة عند المحبوب حضروا وبعد قيام السلام أمروا لهم سليم بك أمر الباشا محمد علي
باشا مضمونه انه بطلب حضورهم الى مصر وامتثلوا الامر فقبض عليهم وجهزهم الى مصر وهم

باق الى الآن يجتمع بعض
الفقراء في الليلة الرابعة
عشرة من كل شهر ويذكرون
الله تعالى فيه احياء تلك
الليلة ومنها وسمع بقرب
باب الدولة يقال له مولا
سيدنا يا عمر الصادق بن
أبي طالب يقال ان الذي
صلى الله عليه وسلم دعا له
والله أعلم بحقيقة ذلك
ومنها في دار الرفيق محل
فيه سعد يقال انه كان
أبا أبي بكر السعدي
رضي الله عنه ويقال انها
دار أبو الحسن بن عمر
ابن علي بن رسول العباسي
صاحب اليمن قبل أن ينزل
الملك الناصر في سنة ثلاث
وعشرين وستمائة وقيل
دار ابن الزبير حبيب الملك
الناصر ويقال انه كان
صلى الله عليه وسلم على ابن صلى الله
عليه وسلم من الحمار وقال
اتقي الفاسي رحمه الله
تعالى هذا الحجر أبو
كالمه لنبي صلى الله عليه
وسلم وهو الحجر الذي عناه
النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي قبل
اعث أني لاعرفه الآن وهو
هذا الحجر قبل أن ينزل
اليه في مقابلة محل يسمى
صحيفة حجرة في الجدار
وسمته حجرة مثل محل
المسرجة في رواية العوام
ورجحوا أن النبي صلى
الله عليه وسلم انكا عليه
فعاش مرفقه الشريف في

الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف حسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فمكان فتوجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بك أكرمهم محمد على باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيره ثم بعد مضى سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته الشريفة مريمة عرضت لمحمد على باشا فترجى عنده فى ارجاع أخيها ليقوم بمصالحهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقى بمكة الى أن توفى سنة اثنين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقى بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفى سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لا نه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفى بمصر أيضا سعد ومسعود وسرور اولاد الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقى الشريف منصور بن يحيى بن سرور فى بلاد عسير الى أن توفى والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مر على الحجاز واجتمع باخيه الشريف على بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير على بن مجثل فاكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا فى بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فتقيدوا رجوع الحاج الشامى بعد حروجه من المدينة وراقفوه وكان أمير الحاج الشامى فى تلك السنة رؤف باشا فصار لهم صحبة معه وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى دار السلطنة فاقاموا هناك عدة أيام ثم عرضوا اكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد على باشا وبين مولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذى بملك الشام بعده محمد على باشا ولى فى تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان فى كل سنة يبعث الخلعة ومرسوم التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفى السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد على باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أتى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة ومرسوم التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى لعثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتى اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فاقول ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام فى مشيخة السادة العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجرى فيه المذاكرات فى كثير من العلوم ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فاجازهم عليها بالجوائز السنية وغيرها غروات نواحية الشرق والحجاز وتربة وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد على باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد على باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولى محافظة مكة سليم بك أمير اللواء الذى كان مجيئه أولا مع العساكر التى جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فاقام سليم بك فى محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد على باشا وولى عابدين بك أمير اللواء واستمر الى ان توفى بمكة سنة ست وأربعين بمرض الوباء بالاسهال والتى وكانت تلك السنة هى أول السنين التى حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم

يعرفه

ذلك الحر وهو بكلم الجر
الذى أمامه على شماله
قال القاضى أبو البقاء بن
الضياء فى البحر العميق
ذكر سعد الدين الاسفرايينى
فى كتاب ريده الاعمال ان
أهل مكة يمشون اذا رأوا
المولد من دار خديجة
رضى الله عنها الى مسجد
يقولون انه دكان أبى بكر
الصديق كان يبيع فيه
الحر وأسلم فيه على يده
عثمان بن عفان رضى الله
عنه وطلحة والزبير رضى
الله عنهم قال وفى جدار
هذا دكان أثر مرفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء دار أبى
بكر رضى الله عنه ذات
يوم ونادى يا أبا بكر اتهى
* قلت الجدار الذى فيه
المرفق بعيد عن دكان أبى
بكر رضى الله عنه الى
ناحية القبلة بينهما دور
وما رأيت فى كلام أحد
من المؤرخين من حقق شيأ
من ذلك والله أعلم بحقيقته
* ومن الدور المباركة بمكة
دار سيدنا العباس رضى
الله عنه بالمسفى عند أحد
المجلسين الاخضرين وهى
الآن رباط يسكنه
الفقراء ومنها موضع
بخندف جبل قيقعان باصق
دار سيدنا ومولانا قاضى
القضاة وناظر المسجد
الحرام القاضى حسين بن
أبى بكر الحسينى أطال

يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في التكرور والجبرت فلم يكثرث الناس به ولم يبرحوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحاج من كل صنف ولم يزل يتزايد ويشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه واكتافه ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ فكان ممن توفي في هذه السنة من ذلك الوباء عابدين بك محافظ مكة وولي محمد علي باشا بدله أمير الحاج خورشيد بك ثم صار بعد مدة واليا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أعطوا عليه في طاب حوائجهم ولم يكن عنده ما يقوم بطلبهم فحاصروا خورشيد بك المذكور ومحاصل ورل الى جدة ثم سافر الى مصر وأتى نائبا عنه بمكة اسمعيل بك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بك أيضا من كبار العساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركي بلمار ولهذا ثارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركي بلمار وأرسل محمد علي باشا من مصر على أعقاب ورل لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية ولم يتمكن له ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك اشتد حنقهم من محمد علي باشا على اثر تلك الفتنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه واعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ولم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتعاضت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في البياضية وفي بيت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من البياضية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقي من الاتراك الى جدة وفرت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا خان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضي هذه الفتنة أعطى محمد علي باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيأ كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان تركي بلمار ومن معه من الاتراك لما هزموا وولوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال المري وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد علي باشا فأطلعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وعملوا الحديدة ومخا بالغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد علي باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد علي باشا ولى أحمد باشا الحازي محافظة مكة كما كان فيها سابقا فحاء في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد سيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان

الله بقاه وأدام علاه
يقال له معبد الجنيد أحيا المشار اليه مائة قال سعد لدين الاسفرايني انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما
ومن الجمال المأثورة بمكة حسل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة مجموعا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره في أشعارها ومن ذلك قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراقي له في حراء ونازل
ويقال له جبل النور وبالنور أيضا الظهور أنوار النبوة والكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك في مأثر أعلاه صهريج ماء يتسع فيه أيام المطر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهموا بقتله كان على جبل ثبير فعاداه وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني أخاف ان يقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فعاداه حراء الى يا رسول الله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في النور العسقي ان الذي صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين في غار ثور فيحتمل ان يكون النبي

قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وأقيم بعده أميرا عليهم عائض بن مرعي وكان أيضا
من بني مغيد واستفحل أمره وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي بقيت تحت طوع الدولة مثل
بني شهر وبني شهر وبلاد بامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليوجه بها مولانا الشريف
محمد بن عون لتخليص تلك الممالك فتوجه العساكر مع ابن أخيه أحمد باشا بمكة عنده لارسال الذخائر
واللوازم فوقع بينهم وبين [illegible] حروب ووقائع كثيرة فخلصوا تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعوها الى حكم الدولة
وصارت بلاد بامد وزهران وبني شهر وبني شهر تحت طوعه ثم تقدم الى بلاد عسير لتخليصها منهم
وبيعهما كما كانت [illegible] محمد علي باشا الى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير في ارسال الذخائر
واللوازم وما يحتاجون اليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع
القتل في الجيش وأدى ذلك الى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون الى مكة
[illegible] وما حدث وحصل وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه وتسبب
[illegible] الشريف محمد بن عون وطالبهما محمد علي باشا بمسيره الى مصر ليتحقق الحال في ذلك
[illegible] وبقي الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف [illegible]
[illegible] الله [illegible] وبقي أحمد باشا والأعيان أمير اللواء [illegible]
[illegible] محمد علي باشا [illegible] كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف
محمد شيء [illegible] محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع الى مكة [illegible] أحمد باشا
[illegible] محمد علي [illegible] بالرجوع الى مكة [illegible] مولانا
الشريف محمد [illegible] أحمد باشا أنه مستول على [illegible] العسكر [illegible] مولانا
الشريف محمد [illegible] محمد علي [illegible] أحمد باشا [illegible] الرجوع الى مكة [illegible] مستولي
على [illegible] الشريف محمد [illegible] على ذلك [illegible] فقال محمد علي
باشا [illegible] الشريف محمد لا بأس
[illegible] مولانا الشريف محمد [illegible] أحمد باشا [illegible] على بعض الأشراف مثل
الشريف [illegible] كان [illegible] أحمد باشا [illegible] حصول هذا
الأمر [illegible] زهران [illegible] وكان أحمد باشا
[illegible] كان أميرا على [illegible] قال
[illegible] مكة [illegible] قبل
[illegible] أحمد باشا [illegible] محمد علي باشا [illegible] وقبق
مكة [illegible] مع أحمد باشا [illegible] الشريف محمد [illegible] مع أحمد باشا وكان
[illegible] مع أحمد باشا والعساكر [illegible] بلاد عسير فلما
رجع أحمد باشا [illegible] هو والعساكر الى بلاد غامد وزهران
[illegible] الأشراف وسلطان بن عبد الله العسيري [illegible] عسير
وقائع [illegible] أحمد باشا [illegible] سنة ثلاث وخمسين [illegible] واستخلص
[illegible] غامد وزهران ثم [illegible] بعد ذلك [illegible] ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر الى
مكة [illegible] بمكة [illegible] ثلاثة أيام وأرسلوا الى مصر لمحمد علي باشا
[illegible] هذه النصرة [illegible] العساكر الى [illegible] شهر ولا الى بلاد عسير بل
[illegible] أربع وخمسين [illegible] الى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل أن الأمر استمر
[illegible] الى سنة [illegible] وخمسين [illegible] مولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده
الشريف عبد الله [illegible] كرام وولده السيد [illegible] الشريف محمد بمصر وولده الشريف حسين في

صلى الله عليه وسلم اختبأ
عن المشركين في حراء في
واقعة ثم اختفى بهم في غار
ثور وقت الهجرة * قال لم
[illegible] وقوع ذلك [illegible]
الله عليه وسلم [illegible]
وليس في حديث السهيلي
أن حراء لما نادى النبي
صلى الله عليه وسلم الى أن
اختبأ من المشركين
[illegible] قال السهيلي
[illegible] الحديث [illegible]
[illegible]
[illegible]
قال له [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وأبعد
[illegible] بالنسبة الى مكة [illegible]
ثور [illegible]
[illegible] أن النبي صلى الله
عليه وسلم أبا بكر الصديق
[illegible]
المشركين [illegible]
بالقتل [illegible]
[illegible] * قال صاحب [illegible]
[illegible] أن أبا بكر
رضي الله عنه لما خرج مع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوجها الى الغار جعل
[illegible] أمامه [illegible]
[illegible] خلفه [illegible]
[illegible] وطورا [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] فقال
يا رسول الله بأبي أنت وأمي
أذكر الرصد فأحب أن
أكون أمامك وأتخوف
الطلب فأحب أن أكون

أواخر سنة أربع وخمسين وأرسله إلى مكة ليكون بعد المراضع ووصل إلى مكة في المحرم سنة خمس
وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين الدولة العلية وبين محمد علي
باشا كان من جملة شروط الصلح أن يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويرجع جميع الولايات
للسلطان ويبقى له ولأولاده ملك مصر وأعمالها فأرسل محمد علي باشا إلى مولانا الشريف محمد بن عون [illegible]
إلى مكة في إمارته كما كان وأن يحضر له العساكر التي بالحجاز [illegible] التي بمصر لأنه [illegible]
بالحجاز والمدينة أعني بلاد حرب [illegible] من الحجاز [illegible]
ويقع ضرر على عساكره ورأى أنه لا يحصل [illegible] في الحال [illegible]
إلا مولانا الشريف محمد بن عون [illegible] في حرب [illegible]
مع العساكر في العارية والخيف وكان قد [illegible] والحيوة [illegible] حرب [illegible]
المضايق وقطع كثيرا من [illegible] الطريق [illegible]
الطرق وحصل لأهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم [illegible]
الأردب [illegible] محمد علي باشا أن يكون مولانا الشريف محمد بن عون [illegible]
بلاد حرب لإزالة [illegible] العساكر [illegible]
[illegible]
يحصل لهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وأموال [illegible] الله [illegible]
[illegible] وأحرقوا [illegible] إلى [illegible] ثم [illegible]
[illegible] الأمان [illegible]
من [illegible] إلى مصر بغاية الأمن [illegible] المدينة [illegible]
الطرق وارتخت الأسعار [illegible] إلى المدينة [illegible]
شيخا على الحرم النبوي [illegible] على الحرم ثم صار باشا [illegible] مولانا
الشريف محمد [illegible] المدينة [illegible] عليه [illegible]
الله إلى أهل مكة في سنة [illegible] وأربعين [illegible] أهل المدينة [illegible]
[illegible] ثم
أنه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل إلى مكة وطلب أهله [illegible]
الله تعالى من المرض [illegible] المدينة [illegible] مكة في [illegible]
[illegible] الشريف محمد بن عون [illegible]
كانت أمه حملت به وهم في المدينة [illegible] مكي [illegible]
بالشامية [illegible] الشريف محمد بن عون المشهورة [illegible] وكان في [illegible]
مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله إلى مكة وكان إرساله من مصر [illegible] على
التوجه إلى [illegible] حرب فلم يتوجه [illegible] إلى بلاد حرب [illegible] مكة [illegible]
وكان عمره [illegible] وعشرين سنة فقام بالأمر وكان [illegible] أتم القيام [illegible] بعد قدومه تجهيز
العساكر المصرية التي بالحجاز وأرسلت إلى مصر في غاية الأمن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا [illegible]
[illegible] إلى مصر ثم وجهت الدولة [illegible] مشيخة الحرم المكي لعثمان باشا الذي كان شيخا للحرم
النبوي ووجهت مشيخة الحرم النبوي [illegible] الذي كان [illegible] باشا

[illegible] وأسد الطريق
[illegible] الأثقال لا بأس
[illegible] أبا بكر [illegible] الله [illegible]
وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible]
[illegible] كان [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] أبو بكر
رضي الله عنه [illegible]
[illegible] إلى الغار
[illegible] صلى
[illegible] الله عليه وسلم أن
[illegible] الغار [illegible] أبو بكر
[illegible]
[illegible]
[illegible] أبو بكر [illegible] الله
[illegible] الغار
[illegible] أن
[illegible]
[illegible] الله صلى الله عليه
[illegible]
[illegible] الله صلى الله عليه
وسلم [illegible]
[illegible] أبو
بكر [illegible]
الغار [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول
الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible] على [illegible] الغار [illegible]
[illegible]
[illegible] عليه [illegible]
وأقبل [illegible] من
كل بطن رجل بعصيهم
وسيوفهم ومعهم كرز بن
علقمة القائف فقص
الأثر حتى انتهى إلى الغار

وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وحسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائما مقامه وصار قائما للمقام الامارة والولاية جامعا بيديهما ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه واستقر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا على الاتفاق والمحبة الى سنة ستين وقع بينهما اختلاف سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد علي باشا المختار كثير من الذخائر والمهمات والحاجات فقوم جميعها بالقيمة واستقبلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد علي باشا في مقابلة ولايته مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شيء لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف البعدس بمكة وحده ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد علي باشا لما كان بالخيار رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم واستقبل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وصيرته في دفاترها وكذلك تقدم ان محمد علي باشا جدد وفاتر الحرابة المرتبة لاهالي مكة ورتبها على ترتيب صيرالذي كانت عليه لانه وجدها بأيدي التجار والاغنياء بالمراعاة وليس بأيدي الفقراء ومهما شئ مما تحمل تلك الدفاتر ورتبها على ما هي عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصارا لخبر للدولة العلية في دفاتر الحرابة على الترتيب الذي رتبه محمد علي باشا ويبقى ان يذكرها تجهيز محمد علي باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله بن آخي عبد العزيز وابن سعود فيكون عبد الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أنصاف فيصل بن تركي قتل تحت أعمامه ثم قوي واستقل ملكه ورجع الى اشهار الدعوى التي كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد علي باشا أمر ابنه ابراهيم العساكر التي قتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت الفتنة بينه وبين تركي بالمدينة كما تقدم بيان ذلك فقهر خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة المسير الى جدة وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد علي باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بن أحمد السديري ومعهم علي باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وربى بمصر فاستحسن محمد علي باشا ان يجعله أميرا في نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركي وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا في الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بعساكره فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد وثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وباهده الناس وأراد استئصال خالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد علي باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل الى نجد ويمتنع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شيء من الامر الا انه كان محببا عند جده محمد علي باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركي وهو محبوس وقال له فيصل يوما ان يجد اصارت يد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لا فندينا تحت أمره فوعده

فقال لهم ان هذا انتهى أثره فما أدري بعد ذلك أصعد السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أميه بن أبي الصلت في الغار ما تريدون أن تصنعوا به لعله يكون ممن قتل من أولاد محمد ثم ان حتى آل بوله في الغار من يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال انها الجند من جنود الله تعالى والزاحة شجرة لها زهر وفاق بيض يحتشى به الخادو حمام الحرم من نسل تلك الحمامة سيد كره السهيلي وفي الصحيحين والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه قال بطرت الى أقدام المشركين وهو على رؤوسنا وقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى وكان خوف الصديق رضي الله عنه على رسول صلى الله عليه وسلم لا على نفسه وقاه ربي يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد من أمتك وان أصبت أنت هلكت الامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوي حاشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خيبا ويحصم الله تعالى بينه

عباس باشا بأمره بدر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال فى اخراجه من القلعة الى محوس فيها بواطأة مع البواب سرا فخرج فى الليلة ووصل الى المواضع التى فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى بحرة وبعد يومين بلغ خبرهروبه ابراهيم باشا فأدرك كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن رأيهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم فارقهم أهله وأصادوهم وأكرموا لهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصاروا الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو فى الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل حقانى الحبس وكان ذلك سنة ثمان وحمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفى سنة اثنتين وثمانين وأصابه فى آخر عمره غشاوة فى عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويحجبونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفى فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعنى سنة ألف وثلثمائة الا ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصار وا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوى ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما تنافر واختلاف سببه ان عثمان باشا أعراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا القليل اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر وزور عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أعمى الى الدولة الشكاية وفى تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون فى مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أدن لهم بالنزول فى مقابلته وكان كرد عثمان يأتى اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف على بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحط أموالهم فأذنت الدولة للشريف على بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد على باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد على باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب فى أصل ولايته امارة مكة فصار محمد على باشا مجتهدا فى نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف على بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتى بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف على بن غالب الى مصر أكرمه محمد على باشا غاية الاكرام

وصاحبه منهم وقد ثبت فى صحيح البخارى انهما مكثا فى المدينة ثلاثا وعن طلحة البصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضى الله عنه بضعة عشر يوما وما لنا طعام الا لبن الربر قال أبو داود الربر الاراك وفى حديث الهجرة ان أبا بكر رضى الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما ثم يأتيهما بالليل فلما كان فى ذلك اليوم من الحبر وأمره ولاه ما مر من قبيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما فى الغار اذا أمسى وكانت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه تأتيهما بالطعام تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبى بكر يكون نهاره فى قريش يتسمع ما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر بن قبيرة يرعى غنمه فى رعيان مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبهما لهما فاذا راح عبد الله بن أبى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن قبيرة أثره بالغنم فقفاه حتى يعمى أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما

واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفى وانتقل الى رحمة الله تعالى بمصر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضارة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريفا باشا الذى فى المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكى فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفى سنة اثنين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركى أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استعمل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيهه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم رحلوا له فقاتلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركى دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له فى عقد صلح ويضعوا عليه خراجا فاجتهدوا معه مولانا الشريف محمد فى الصلح الى ان رضى ووضعوا على فيصل بن تركى خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال ورضى بذلك فيصل وتم الصلح ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر فى سنة ثلث وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفى فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفى سنة أربع وستين تجلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقلده ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفى فى ذى الحجة من السنة المذكورة فاقيم فى ولاية مصر عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا وفى رمضان سنة خمس وستين توفى محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفى سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا ميرميران بيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء بيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفى سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفى هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبنى شهر وسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفى هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا ورد بيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات فى مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف فى المخا وكان قد أعطى رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى أن توفى بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها معاونة توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

الذى استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضى الله عنها بسفرتها وارتحلا وبقيت أخبار هجرتهما فى السير فليراجعها من أرادها

• ورحم الله البوصيرى حيث قال فى بردته

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم

قال المرجانى فى بهجة المفواس ذكر لى ان رجلا كان له أموال وبنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روى انه من دخل غار ثور الذى آوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزنا

• وقال المرجانى رحمه الله تعالى هذه الخاصية من

أئمة صنعاء فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأحرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على مارتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنه وكان رجوع اسه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام تتصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أخر الاطعمة الملوكية في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجراءها على طرق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبد الله المرغني لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الاثري وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخي السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أحتام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وبعد ذلك مجالس في دار السلطنة ثم مرر الامر من السلطنة لسنة بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقاء ما كان على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني باطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد بن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوى في الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واعلم أن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا ومجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع مما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغني بعد ان سجل في سجل قاضي مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام بارف عصمت بك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولى بدله عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا لانه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقي بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومحى، آقه باشا لمكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لاقضاء بعض أشغال لهما فحضر ايوما عند آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فابرز لهما أمرا سلطانيا من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون يضمون ذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المركب

تأثير قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى • وهذا الغار مشهور معروف يلتقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقيل أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لان الدخول عسر ويحتاج الى قطعة والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد وقع فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأحذلهم حجارون من مكة وقطعوا عنه وتكرر ذلك كثيرا في كل عصر ومع ذلك لم يتسع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للمهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان ضيقا طينا • وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأمامه لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه ويتمدد داخلا باقي جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويحني بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه وكلما شدد في الدخول

وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا فى مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائما مقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد امحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى وكتب فى ذلك وأصحبه محضر امن الاشراف وغيرهم من أعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور ولم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب فى شهر رمضان ووصل الى مكة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا فى المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف عبد الله بمكة وهو فى دار السلطنة مولود تركد فى بطن أمه سوء شرفا كانت ولادته فى آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف على بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفى شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح حرب وابناء قلاع فى الحريسة وقاتل قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عسكرا ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة فى آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا اختلاف وتنافروا دعى على آقه باشا انه ضاربه مدة اقامته فى الحريسة فى ارسال الذخائر والخراش والمهمات وانعقد بينهما مجلس فى شهر الحج فى دار أمير الحاج الشامى الذى جاء فى ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجانى فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجانى فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقه فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامى فى شهر ذى الحجة سنة تسع وستين ومائتين وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذى بنى البيت الذى بالزاهر بالقرب من شهداء فخ فى مدة ولايته هذه وفى سنة سبعين توفى عباس باشا صاحب مصر وأقيم فى ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد على باشا وفى سنة سبعين كان الشروع فى عمارة المسجد النبوى عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم ير الراؤن أحسن منها واستمر فى تعميره نحو أربع سنين والبناء الذى كان قبله تعمير السلطان قايتباى سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولى ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما على ما زعمه كثير من الناس والصحيح أن عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمى بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع فى ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فرحل الى مكة ولم يرحل الشريف عبد المطلب فى تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكايات وعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كاملا باشا فوصل الى مكة سنة سبعين فى شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه وصار بينهما محبة وألفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب فى دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضره هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفى أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره

تعوق وانحبس فيحتاج الى حجارة يقطع قليلا يخلصه ولا يتفطن للميل الى جهة لخلاص بسهولة ولكن الخرق قد اتسع كثيرا الآن * ومن الجبال المباركة فى الحرم جبل ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات فى منى وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوصل والمبى فى فصل منى ان أبا بكر النقاش المفسر قال فى مناسكه ان الدعاء يستجاب فى ثبير الاثبيرا الذى بالمزدلفة معارة افتح لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة وذكر ان بقرب المعارة التى أنشأها بالمزدلفة ثبير تعتكف عائشة رضى الله عنها * قال التقى الفاسى ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى * قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن * قال رحمه الله تعالى حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية الازدى عن معاوية بن قرة عن الجلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى

بانهم يريدون القبض عليه فى هذا اليوم فقام كانه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف وتفرق الجميع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ماهو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عرت باشا وآله باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذى يلقى العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب رل الى حدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره فى كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عرت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقه باشا وتوليه عزت باشا وأقام فى مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقربهم له ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة تتوالى تكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزيادة على ذلك ان الناس الذين يسعون بانفساد صاروا يوشون بينهما ويقولون أشياء يتوعرمنها الصدور ويشيعونها بين الناس ففى سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا جدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكر بيشه للقبض على السيد اسحق والاتيان به الى الطائف خفاءا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالهجالة فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده مجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وردهروابه على طريق الحفائر ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا اسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا داهينة مهيبة فكان ذلك تعبيرا بانه وطاءوا به فى الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه فى القلعة التى فى المشاة المسماة مشرعة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التى بناها فى العام الذى قبله ثم بعد ليالتين أخرجوه منها ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بحدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمرى أفندى مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر فى ذلك القيل والقال وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف ومنازل ولا فى وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر ابن فواز بن عون قائما مقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا بنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله فى مدة غيبته واتفق فى تلك الايام التى قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالى الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك ارتجاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذى أجازه الشارع وهاج الناس هيجا شديدا

فطارت من قطعه ثلاثة أجبل فوقعت بمكة ثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور وروقع بالمدينة أحد ورقان ورضوى * ومنها الجبل المقابل لثبير الذى بجفنه مسجد الخيف لان فيه عارا يقال له عار المرسلات فيه أثر رأس الذى صلى الله عليه وسلم * قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف وتقربه على يمين المار فى الطريق من مكة مسدير الى مسجع الجبل مرتفع عن الارض نظل ما تحته وكان النبى صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلا ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا شديدا ودورة الرأس ومسجع الناس رؤسهم فى هذا الموضع تبركا بموضع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تمس رؤسهم الاركان رحمة الله عز وجل * وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو يمين مسجد الخيف * وذكر المحب الطبرى فى كتابه العزى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت

فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضي ونذاكره في ذلك ليراجع كامل باشا وهو يراجع الدولة في ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضي خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا على القاضي فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فراد هيجان الناس وانظر ابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الصاطية الذين كانوا في دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح يقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمي بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمي البندق في الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد في المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق وقتل في المسجد أناس من ذلك الرمي ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو في داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فاطلق منادياً بمكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيراً منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيراً من العسكر في دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر في الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال اني أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التي حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة في أمر الريق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجيء بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصوراً توجه الى جدة بلا طلب خوفاً من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قبدان العساكر فاقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائماً مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب المذكور وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائماً مقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعاً في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيراً من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم اني اما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهوداً ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كامل باشا جهز عسكراً من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائماً مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العسكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضاً راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالي مكة بخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيراً من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوى وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشبيكة فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيراً من الناس تحولوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقي معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من

الشريف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخاري * قال السيد التقي الفاسي رحمه الله بلغني عن شيخنا المحدث الفسير وزابادي أنه قرأ في هذا العام سورة المرسلات في جماعة فخرجت عليهم حية فانتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التي اتفقت للنبي صلى الله عليه وسلم * ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبي قبيس * قال الفاكهي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد المليكي حدثنا عبد الله ابن عمر بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المروزاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان الخندمة عرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبياً ثم سبي وهي * شرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة * وأما المساجد المأثورة المباركة فيها فما قد اعمى أثره ولا يعرف مكانه ولا نطول كتابنا بذكره * وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد * منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبي صلى الله عليه

الشريف عبد الله بن ناصر وانى أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق الرمثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك فى آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسى ودخلوا مكة وأطلقوا المنادى بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا فى تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضى الذى فيه العسكر الذين جاؤا معهم فى الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع فى الليل يبيت فى العرضى فى صيوان نصبه له هناك ويجلس فيه فى النهار أيضا فى بعض الاوقات وفى بعضها ينزل الى داره سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهر والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقصوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبنى سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبنى سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان فى قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا فى القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فوارس باصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر فى بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله خائف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تخطفهم الاعراب فى الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقع الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفه حتى بلغه اقبالهم ليقاتلهم هناك فلما أقبلوا انشب القتال بعزمة ثم انهزموا مثل انهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين ابن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بعسكره فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور ومظهرين الزينة فى العرضى حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من التى قبلها كما تقدم ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم ورجع رؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار

وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويصونونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا ومنها مسجد باعلى مكة يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسمية أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت تصعد على يمينك وانما سمى مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا قال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اه وقلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن الفرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة رواق المجاورة

السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله من ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذي كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبني سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالصيافة والدراهم والكساوي من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضي وما ملوا سيدنا الشريف محمد واخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين ابن منصور الشنبري ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور ودخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التي كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاطوا به الشريف علي باشا والشريف عبد الله من ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة فأمر له الشريف محمد بن عون في داره التي بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس ورالت الفتنة وأمنت الطرق وفي شهر شوال أرسلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أرسلوه الى جدة وسلموه للكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجيهه الى سلانيك فارسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا يطلب ان تكون اقامته بدار السلطنة فاجيب الى ذلك فحين وصله الى دار السلطنة ورحل الدار التي كان فيها أولا وبقي فيها في عزوا كرام ولم تعاقبه الدولة على شئ مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور وقدم لمباشرة أكثر الامور راسه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان واليا على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقا لعبد الله العساكر بمكة فلما ولي اليمن أعطى رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطى ولاية جدة بعد عزل كامل باشا فذهب الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا ووصل الى مكة في أوائل سنة أربع وسبعين

﴿ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤﴾

وقيل وصوله بأيام توفي الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤﴾

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد المجيد وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف عليا باشا وكيلا للامارة الى أن يأتي الخبر من دار السلطنة

(ذكر

قال السيد الفاسي رحمه الله تعالى يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب في حجر بن هذا المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبي حري وفيه انه عمر في رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وفي الآخر انه عمر في سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقي أيضا في المواضع التي يستحب الصلاة وبها بمكة * قلت هو مسجد لطيف جدا موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور الا الجهة الجنوبية منها التي هي الطريق وهو بين دكاكين السوقة يعين على أهل الخير بمازه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك * ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى * ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضي الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم ومكان يسمى مسجد الهايلجة الشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد وما بقي منه الا آثار

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر بقائه هذا الى بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص و زيادة على ذلك اشتهر بين رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيرا على العلم كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيأ كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب و يحضر في مجالسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم و يعظمهم و يكرمهم و يقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه ميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة

﴿ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤﴾

و ينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين ونلخصها اجمالا ان صالحا جوهرا أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بندرية الانكليز واليندرية هي البيرق فأراد ان يعبرها و يحمل فيه بندرية من بندريات الدولة العلية فمنعه بذلك فصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصه من بامق باشا فأذن له بوضع بندرية الدولة العلية وكتب له منشورا بذلك ووضعها ونشرها وأرسل بندرية الانكليز وشاع انه لما أرسل بندرية الدولة وطنها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه ونار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج بسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى وأراد عوام الناس ان يهموا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان بامق باشا بمكة والشريف على باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة لمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لبامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين سبب لهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقنابل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركابا ومشاة فارتعج الناس من ذلك ارتعاجا شديدا فلما وقع الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد بامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الانكليز و بضربه القنابل على جدة و بخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وعامر وزهران وعسير وانكم لو تعطون الناس

جدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما لتعتمر منه ولا يصل اليه المعتمرون الا من يقتصرون على أميال الحرم ويعتمرون منها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومحمد عائشة رضي الله عنها ما يتعين تجديده وتعميره لانه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرشومة بالاحمار مخاريب مرشومة من الاحمار الصفار تتهدم ويرمم غيرها وكانها من وراء الاميال يرى منها وهاك التهريج عظيم قديم يتقلق من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة

رخصة ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الكوك فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم ناموق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله أضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا احجانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مراد دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلابد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جاء يرمى بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة فان كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا فاسمعوا اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا يتسلسل الامر ولا يزول الضرر وأيضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام وانما الاحسن فى تدبير هذا الامر اما تداركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة أنا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه فتوجهوا الى جدة وأحد معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤا للصلح فلما وصلوا الى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار المرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة ويكون ذلك بعد رجوع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما يأمرون به ورضى الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان ناموق باشا بجدة وعقدوا مجلسا معه واتفقوا على انهم يحصرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين هيجوا والذين هيجوا فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضرها ناموق باشا وانما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مرسلين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول وكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسمعوا أناسا منهم وقال الحضارم أمر بابدلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا القائم مقام ناموق باشا هذا لمحض استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم تسببوا فى ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى وعبد الله المحتسب والقائم مقام ناموق باشا وكان ناموق باشا وهو بجدة يرسل اليهم سرا ويقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة

• سنان باشا يسر الله ماشا فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة اعتمر من اشعير وكان هذا الصهريج خاليا لانه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هناك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فامر سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحبشى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمر الناس فيه بقرب الاميال وعين جاذبا يجذب الماء من البئر فى كل وقت ويسلكه فى ذلك المجرى فيسيل الماء الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام ويشرب منه الناس والدواب

والانكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشئ مخالف للواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاستنطاقات كلها الى ابراهيم أغا القائم مقام باشا أحضروه وسألوه فأنكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشئ فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشئ فجبسوه فى موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفى مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم ثم تشاوروا هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودى وبحوانى عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضى جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان مابقى من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها للمشار باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيما الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودى من الحبس وقتلوهما فى سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثنى عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا فى جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفى فنفى من قضى السنين التى أقتوه الله ورجع الى جدة ومنهم من مات ولم يرجع اليها ممن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضى جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بعلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم مصيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باماجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة نقبة الاموال المنهوبة وكان شيأ كثيرا هذا ملخص تلك القضية باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولى امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا ينالنه شئ من الدخول فى هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة فلم يسافروا حتى حضروا عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له صرنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان تسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحققنا عدم أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا الا انك أنت الامير المطاع النافذ الامر فقال لهم لما طلبوا منى ذلك تحيرت ولا يقبلون منى فى الجواب انى أقول لهم ان ذلك ممنوع فى شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمنى الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة فى الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شئ من الزخارف وانما هى واد غير ذى زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علتموه من صورتها التى رأيتموها فى الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة ففنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا قد أمر على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكى باشا فى مرتبة فريق وفى سنة ست وسبعين غزا عزوة الى الشرق لقمع بعض المحالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك فى مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا فى آخر هذه السنة وتولى بدله على باشا الكاهيلى وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف على

﴿ذكر زيارة سعيد باشا والى مصر المدينة سنة ١٢٧٧﴾

والمعتمرون وأهل القوافل الماريون منه هالك وانناء السبيل ويتفضلون بذلك انتفاعا عاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائما ان شاء الله تعالى أجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الاجر وأسنى المثوبات وبلغه من ألطافه وعنايته مايتمنى وختم لنا وله أجمعين بالحسنى وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذه الاوراق من كل خبر لطيف وأثر مبارك شريف رقى معناه وراق والطف مؤداه فى الاسماع والاذواق كله نخب درر ونصائح وجمعه تحف غرر ومنائح يشفى سقام الراكب الضلال حاجته ويصح الحاسد الغضبان بطيرها كلما نحوم فى سماء اللطافة زاهره أو زهور فى رياض

وفى سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والى مصر ابن محمد على باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة فى شهر شوال من هذه السنة

﴿ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز﴾

وفى آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبع عشر من ذى الحجة من سنة تسع وستين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم فى السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولايه اسمعيل باشا وفى سنة ثمان وسبعين عزل على باشا الكاهيلى عن ولاية جده ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله عرت حقى باشا

﴿ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا﴾

وفى سنه تسع وسبعين توفى سعيد باشا والى مصر وأقيم بعده اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ولما تولى عرت حقى باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة فى شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين وعزل وتولى بدله محمد وجيهى باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله السيد الشريف محمد وأحصرنى فى التسمية قسمته

﴿ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١﴾

وفى هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسمعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القصدة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله عن معه من العساكر التى فى مكة على طريق الليث ثم وصل الى القصدة وجعل العرضى فى ناحية الحواة والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم فى ذلك وبيماهم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والى مصر يطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يمهل فى تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك وأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد أن أقام مدة فى بلاد عامد

﴿ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣﴾

وفى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفى بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد ابن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ذكر وفاة محمد وجيهى باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤﴾

وفى سنه أربع وثمانين توفى بالطائف وجيهى باشا والى جدة وشيخ الحرمين فى ربيع الثانى وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهى باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفى وجيهى باشا دفن فى قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بجانب قبر الحبر رضى الله عنه ولما توفى أقام سيدنا الشريف عبد الله عرت أفندى الحاسبجى مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله فى شهر شوال من السنة المذكورة وفى سنة خمس وثمانين غرا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا ظفرا

﴿ذكر ابتداء حفر حليج السويس سنة ١٢٨٦﴾

الا ناقة زاهرة تحت كل ذرة منها درة فاخرة وضمن كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أصبحت للقلوب قوتا وأضحت قرط أذن وللسواحظ قرة ولعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحمرة فدونك أيها الفاضل الذوذعى الكامل الفطن الالمعى الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذارى الكعاب ما أودعته من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملنك الحسد الذى جبلت عليه الاقرار على انكار ما يجده لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلنك استصغار مؤلفه الى نبذ فوائده والاستهال لعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وفى سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسمعيل باشا والى مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التى تمر منه عوائد معلومة على قدر ما فيها من الحمل وهذا الذى حمروه حتى اتصل البحران كان هرون الرشيد أراد ان يفعله لينتهى له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكى وقال له ان فعلته تخطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن يعدان فعلوه يخشى على الثغور التى على البحر فى جزيرة العرب منهم فسأل الله الحفظ وفى مدة معمر باشا كان ترتيب مجلس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف على باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧﴾

وفى سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف على باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطى رتبة الوزراة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفى بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعة امر الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف على كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧﴾

وفى سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة فى شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ذكر فتنة حواسة ١٢٨٨﴾

وفى سنة ثمان وثمانين فى مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حواسة كانت بين الاهالى والعسكر كانت فى شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حواسة صار مع بعض العسكر فى سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة فى أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر ودرات الاسواق وركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضى والافندى وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شئ بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفى سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨﴾

وفى أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذى عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من الحاكم التى كانت تحت حكم الدولة كبلاد بنى شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والمخا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فخهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديفا باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق النخوى شهر ذى القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير اجنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك العمراة من بلاده وورل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

وما عبر الانسان عن فضل نفسه
بمثل اعتراف الفاضل فى
كل فاضل
ومع ذلك فلا أدعى رتبة
الكمال ممن كل ذى علم
عليم ولا أزعم النزاهة عن
النقص والعيب فالعيب عن
كل عيب هو والله الملك
القدوس العزيز الحكيم
ولقد قيل لا يعرى ذو كمال
من نقص ولا يحلو ذو نقص
من كمال فلا يمتنع نقص
الكامل من استفادة كماله
ولا يرغب كمال الناقص
فى الميل الى نقصه ولقد
كتب أستاذ البلغاء القاضى
عبد الرحيم الفاضل البيسانى
الى العماد الاصفهانى
الكاتب معتذرا عن
كلام استدركه عليه وقد
وقع لى شئ وما أدرى أوقع
لك أم لا وها أنا أخبرك به
وذلك انى رأيت أنه لا يكتب
انسان كتابا فى يومه الا قال

﴿ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة

﴿ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بدله الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظا الجدة فاقام مقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأرسل معه الطرينة والكتبة ومكث سنة

﴿ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكزو سنة ١٢٨٩﴾

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا ويلقب اكزو في سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين في اليمن على مدينة صعدة واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿عزل محمد رشيد باشا الاكزو وتولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١﴾

فعزل وولي بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداعستاني وكان عالما متفننا لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فاعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولي الصدارة بعد عالي باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطي ولاية الحجاز وقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتوليه تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١﴾

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف وكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتيا في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية وأعطي رتبة الوزارة وترقى وولي ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد ناصق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطي ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان﴾

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفي السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة وكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبندق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤﴾

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف

في غده لو غير هذا المكان أحسن ولو زيد هذا المكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا المكان أجل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فالايق بالفاضل اذا اشتر شيئا مما كابده المؤلف وعشران يستر الزلل ويقبل العثار ويسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر الماسكا فأحقه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكبر الافخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

فى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن فى قبة الحبر رضى الله عنه قريبا من قبر الحبر وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفى منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا فى العربة ولا يستطيع المشى الا قليلا بعصا يعتمد عليه فى يده وما انقطع فى جميع المدة عن جلوسه فى الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الاحكام وفى هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ستين وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بايام أعطى ابنه الشريف على رتبة باشا وكذا الشريف الحسين الشريف على باشا وجاء الامر من الدولة بذلك ولما توفى سيدنا الشريف عبد الله أقام تقى الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

﴿ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه فى شعبان سنة ١٢٩٤﴾

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم فى شعبان من السنة المذكورة وتوجه اشريف عون الى دار السلطنة فى شوال من السنة المذكورة فاعطى رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

﴿ذكر عزل تقى الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦﴾

وفى شهر ذى القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقى الدين باشا من ولايه الحجاز وولى بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفى بجدة فى شهر جمادى الآخرة وولى بعده ناشد باشا ووصل الى مكة فى شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا ظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين فى امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة فى أوائل ربيع الثانى وعند دخول جدة وهو سائر فى موكب حافل جاءه رجل أعمى وقصده وهو راكب كابه يريد تقبيل يده

﴿ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧﴾

فطعنه بسكين فى أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم نزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التى يريد النزول بها وهى دار عمر نصيف متعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الاعمى حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفى سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها فى قبر والده فى قبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الاعمى الذى طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

﴿ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧﴾

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها فى الحادى عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة ووالى جدة الذ الناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان فى هذا الوقت طعن فى السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على مايقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انهم يأخذون من الناس رشوة فى مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر

الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان الذى تتصاغر فى أبواب سلطته قيصر كسرى وقيصر وتسعى الى انمائه ملوك الشوق والعرب وامثال دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على حيران الله وحيران بيته صلى الله عليه وسلم فى هدى البلدين العطيين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والاسمى فى طل أمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذى هو بحر كرم تحدث السن مكارمه بالعجائب ولاحرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من بالته شدة الافتقار يتدحل اليه السعادة من باب الفرج له دولة أسمى لها الله فى العلى

بينه وبين ناشد باشا من تلك الاشياء التي أوجبت التنافر انهم أخبروه بما شخاص انهم يقع منهم كلام عير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن قويحص ومحمد تركي ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم مات من ذلك الضرب عبد الله ابن قويحص ومحمد تركي وشفي مساعد الهابط فكثر كلام الناس في هذه القضية ومن ذلك انه رأى دارا تجاه داره التي في النفرارة في مدة غيبته بناها الشريف مهدي بن أبي طالب الحودي وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على داري وفي بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان في بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدي وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال في مقابلتها وكتب في ذلك حجة عند القاضي بينهم اياها له وكانوا يقولون انهم مكرهون في ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس في ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دحيل الله العواجي في دلالات الحلقة التي يباع فيها الفواكه والحصر فسمع دحيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشتراها من الدلالات بمبالغ كثيرة وعمل مثل ذلك في دلالات الفحم والحطب والحشيش وقرر فيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك في خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الجاوى فكثر كلام الناس في ذلك كله وحصل أيضا اختلال في الطرق وعدا كثير من الاعراب في طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشد باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة في أوائل شهر ذي الحجة من السنة المذكورة أعني سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب محو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات في بعض القضايا واتسع الامر بينهما

﴿ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨﴾

وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الاورنجاني التي كانت ولايته سابقا في سنة تسع وستين في مدة الشريف عبد المطلب في الولاية التي قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قمندانا على العساكر وقائما مقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة في أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا في المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا في جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن في السن وبالغ نحو التسعين الا انه قوي البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قمندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب في كثير منها

﴿ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعني سنة تسع وتسعين جاء الامر في التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو في رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة وبقي عثمان باشا وانيا وكان لما توجه الى الطائف في شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس في ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

مقاما وأعلاها اجمالا وأسماها
لقد أعربت عن سيرة عمرية
تبوأها عثمان بالعدل مبناها
﴿السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المؤيد مراد خان بن سليم خان﴾
نصر الله تعالى عزائمه وأمضى في رؤس الاعداء صوارمه وشيد به بنيان الاسلام ودعائمه وجعل مغارسه في سبيل الله مغانمه ولا زالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشهورة القواضب مشرقة كالشمس يغشى

﴿ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا في ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المشاة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوى عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا في الجبال التي في المشاة المحيطة بالدار التي فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه وردا لينا تعراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التعراف الذي قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضي أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التي طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربة وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه الفسلة التي فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للتحفظ عليه محيطة بالموضع الذي نزل به ثم أطلقوا منادي بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك فاختلفت آراء الناس وبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لا لهم لو لم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الا اذا كان الامر كذلك وفعل عثمان باشا كذلك استحسنا ما مسه وأظهر انه انما فعله بأمر من الدولة وبعض الناس يقول ان جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم رحل الشريف عبد الله الى مكة في النصف من ذي القعدة وكذلك الوالي عثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة في داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة

ضوءها المشارق والمغارب صاعدة في أفق السماء حتى تزاحم مناكبها مناكب الكواكب ولا برحت أسباب سعادته تقوى وأحاديث المكارم اليه تسند وعنه تروى والقلوب تتملك من عبوديته وصدق رأيه بالسبب الاقوى في عز مديد ونصر مشيد وعمر مزيد وسلطنة ثابتة الاثهز

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾

ثم في أواخر شهر ذي القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه فامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف علي باشا والشريف علي باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقي الناس في انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذي الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوي وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقي معهم بجدة ووقات الجميع الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذي قدم به معه ثاني يوم النحر على مثل العادة التي جرت في كل سنة فانه في كل سنة في مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لامير مكة جرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم

توجهت الحوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ذكر فتنة عرابى بمصر سنة ١٢٩٨﴾

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظمى التى وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابى وكان ابتداؤها فى شوال من هذه السنة أعنى سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها فى سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذى نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضى بينه وبينهم على انهم يجعلون أياما منهم بما شروا من المحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها مقابلة ديونهم وعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون فى أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب الملك منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالى مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالى والعمد من مشايخ البلدان فشرع فى ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تعلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم فعطلوا الدلك فسعوا فى خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون فى ذلك حتى تم لهم

ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف ويزيد واقبال يلازم ركابه السعيد مالاح نجم على أفق السماء وما هب النسيم على العشاق باطيب

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين

﴿ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦﴾

فجاءوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولى من بلاد ايطاليا وكل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض التميزات التى كانت لوالده اسمعيل باشا وتحدد فى الفرمان التى تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شئ واجتهدت فى ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة فى ذلك الى ان استخرجا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابى بك ثم ترقى وصار أحمد عرابى باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا فى النصف من شوال سنة تسع وتسعين ولم يزل الامر فى اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحصر فى مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التى للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومع عرابى باشا ومن معه من التعلب ومن التحهيزات التى شرع فيها وبقى الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابى وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابى وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع ومن الحوادث العربية التى وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التى هى فى حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدى وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التى فى تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وغلب من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنارا مدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة فى الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفى شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف على باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت

رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا والشريف علي ابن الشريف عبد الله وصارا في مثل الرتبة التي كان فيها الشريف عبد الله وفي شهر رمضان من هذه السنة أعني سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة في أطراف مكة بحروج بعض العرب من قبائل زيد وعشر ومعبد وسليم خرجوا في طريق جدة وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة في ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل في أواخر رمضان وجهز جيشا لعربهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاز الطائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ به وان الحامل على ذلك أن الحكام الذين بمكة وجدة يأخذون العشر التي يحلبونها لمكة ويدعونها في الارض لان فيها أثر الوباء الذي يسمونه بالكبيرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبد الله بن ربن أحد الاشراف ذوي حسين فانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض عليه وعلى الشريف علي بن سعد السروري وحسنا وطالت مدة حبسهما ويدعي عليهما بدعاوى الله أعلم بصحتها وفي شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بأن محمد بن احمد الفاتح بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقيل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز في برسواكن وكان المقدم على جيش محمد بن احمد في ذلك القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز في وقائع وكلها يكون النصر فيها له على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة في برسواكن وهذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك مقول بقلم راجي عفو ربه المنان الطحي محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به ووالديه ومشايخه وجميع المسلمين وعفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه للخير أينما كان وختم له بالايمان بجاه سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم

(فان لي ذمة منه تسمى ٭ محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله رب العالمين

الطاهرين وسائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ٭ وقد فرغ مؤلفه من تحريره ووقعت أنامله أقلامه في تحبيره في ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثلثين وتسعمائة